

قام الطالب باستيفاء الأوراق (بني أيديها)
أعضاء لجنة المناقشة

المستوفى
مستوفى
د. محمد الصبيح

عبد الصالح البرعسي
الطالب
عائض بن خزام الروقي

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى - مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية

حروب البلقان والحركة العربية

في المشرق العربي العثماني

١٣٣٠-١٣٣٢ هـ / ١٩١٢-١٩١٣ م

رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث

إعداد

عائض بن خزام الروقي

٠٠٢٩٢٨



إشراف الدكتور

محمد سيد محمد

١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١٦٠٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

* وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا *

مقدمة

أهمية الموضوع والخطة

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ونستهديه ،
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من
يهدى الله فلا مضل له ومن يضل الله فلا هادي له ، وأشهد أن
لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .
وبعد :

فإن معرفتي بأن التاريخ الحديث يتميز بالشمول
والاتساع ، ويتطلب مقدرة خاصة على الربط والاستنتاج ،
جعلتني أتجه الى اختيار موضوع من الموضوعات التي تنتم
بالحيوية والتأثير الفعال في عالمنا العربى والاسلامى
الحديث ، الذى يعج بالمشكلات السياسية والفكرية التي تحتاج
الى الدراسة والتحليل العلمى الصحيح ، وتاريخ الحركة
العربية في المشرق العربى في فترة مقدمات الحرب العالمية
الاولى يمثل واحدٌ من تلك المشكلات التي تحتاج الى الفحص
الدقيق والتعليل السليم ، والربط بتاريخ الدولة العثمانية
التي كان المشرق العربى في تلك الفترة جزءا منها ، ولأن
هذه الدولة تأثرت بالازمات السياسية والعسكرية التي سبقت
الحرب العالمية الاولى ، ومن أبرزها حروب البلقان التي
فقدت الدولة العثمانية على أثرها معظم ممتلكاتها الاوربية
ليكوّن المشرق العربى حينئذ ثقلا سياسيا وتاريخيا في
مجريات الأحداث التي عاشتها الدولة قبيل الحرب العالمية
الاولى .

وقد حرصت عند وضع الخطة التي سار عليها هذا البحث أن تكون ذات اتصال مباشر بالمشكلات الفكرية التي شغلت الرأي العلمى العربى والاسلامى ، بل والعالمى ، والتي لم يستطع المفكرون أن يصلوا الى حل علمى حاسم بشأنها ، وارجو الله أن تكون رسالتى هذه واحدة من الرسائل العلمية المنشودة فى المجال الاكاديمى .

وقد وجدت أنه من الواجب أن أستقى معلوماتى لهذا البحث من منابعه الاصلية المتمثلة فى الوثائق العثمانية والوثائق الانجليزية ، اضافة الى المصادر والمراجع العربية والاجنبية ، وبما أن فترة البحث تعتبر سقف العصور الحديثة وبداية المعاصرة ، فكان لابد من الاعتماد على الدوريات والمحف المعاصرة للأحداث ، والتي تحمل الى جانب الخبر مقالات باقلام مناع الأحداث ومعاصريهم ، اضافة الى أن معظم من كتبوا عن تاريخ تلك الفترة ، تجاهلوا بعض أو معظم مافى هذه المحف ، لكونها غير موثقة فى خبرها ومقالاتها وانما لاختلافها معهم فى الافكار والاتجاهات .

وبفضل من الله وتوفيقه استطعت أن أحصل من الارشيف
العثمانى فى استانبول فى دولة تركيا الشقيقة

Osmanli Arşivi Daire Başkanlığı, Sultanahmet, Ist.

على مجموعة من الوثائق التى لم تنشر من قبل ، وحصلت على
بعض المصادر المهمة من القصر السلطانى Topkapi Sarayı ،
ومن مكتبة مركز الابحاث للتاريخ والفنون التابع لمنظمة
المؤتمر الاسلامى فى قصر يلدز - سيركوشكى فى استانبول ،
وكذلك من مكتبة جامعة استانبول وبعض المراكز العلمية
هناك .

وحصلت على عدد كبير من الوثائق الانجليزية من دار
السجلات البريطانية العامة - Public Record office .
تدور محتوياتها حول موضوعين مهمين للبحث هما :

,Asiatic Turkey and Arabia,

,Turkish War.

وقم الاطلاع على اثنين وعشرين ملفا من الملفات التى
تحتوى تلك الوثائق ، وبعد الفحص والتمحيص أخذت منها مايقرب
من مائة وعشرين وثيقة ، غالبيتها تنشر لأول مرة فى هذا
البحث ، ثم أخضعت جميع الوثائق والمراجع الاجنبية للترجمة
الدقيقة المعتمدة ، ثم وضعتها تحت مجهر الفحص والتحليل
فهى ليست مما لايرقى اليه الشك ، وانما هى أفكار وأعمال

أناس شاركوا فى صنع الأحداث التاريخية فى تلك الفترة ، وبالتالى فهى تمثل وجهة نظر معينة ، وهى على أية حال قريبة من الحدث التاريخى تؤثر فيه وتتأثر به ، فلا بد حينئذ من تحليلها واستنتاج الأفكار المتزنة ، والرواية الصحيحة منها وهذا ماتم الأخذ به فى هذا البحث .

أما الدوريات والمصنف العربية والعثمانية فقد حرصت على أن أحمل على تلك الأعداد المعاصرة للفترة الزمنية للبحث ، وأن تكون الدوريات تلك من المشهود لها بالاتزان والثقل العلمى ، وقربها من صنع الحدث التاريخى أنفسهم مثل جريدة طنين التركية ، ومجلة المنار ، وجريدة المقتبس والاتحاد العثمانى والمقطم والأهرام والإصلاح ، والتى كان كتابها والمشفون عليها من الرجال الذين صنعوا تلك الأحداث التاريخية ، مدار البحث ، وبالتوفيق من الله حصلت على أعداد نادرة جدا من بعض هذه الدوريات والتى تحمل مقالات قيمة ، وتورد أخباراً عزَّ الحمول عليها فى الوثائق المعاصرة ، ومع هذا فلم تؤخذ مضامين تلك الدوريات من مقالات وأخبار دون تمحيص وتحليل علمى متزن ، لتتم الفائدة المرجوة من هذا البحث .

بعد هذا كله بدأت فى البحث عن الكتب العربية التى تعتبر مصادر معاصرة لفترة البحث ولكنها لم تعد متيسرة للقارئ والباحث ، لمرور زمن طويل على طباعتها وعدم إعادة طبعتها ، وتيسر ذلك بفضل الله عن طريق تصوير بعض منها من مفاهاها ، كالمهينة المصرية للكتاب فى القاهرة ، أو مكتبة معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول

العربية بالقاهرة ، بينما عثرت على بعضها الآخر فى مكتبة جامعة القاهرة ومكتبة جامعة عين شمس ، والتي تم الاطلاع فيهما على الرسائل العلمية التى لم تنشر حتى الآن .

هكذا تم البحث عن المادة العلمية فى أماكنها الأصلية ومن مصادرها المباشرة ، لأن فى ذلك خدمة للبحث واعطاء الحقيقة العلمية وضعها الصحيح دون التاثر بما قيل او كتب عن طريق الآخرين .

أما الخطة التى سار عليها البحث فقد تضمنت تمهيدا وخمسة فصول ، إضافة الى الخاتمة والنتائج التى توصل اليها البحث ، وقد أعطى للتمهيد عنوان يعطى مدلولاً كاملاً لذلك التمهيد وهو : العرب والدولة العثمانية قبيل حروب البلقان حيثلقى البحث الضوء على تصاعد خطر الغزو الأوروبى فى العالم العربى فى تلك الفترة ، وعلى عصر السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى ، الذى تميز عهده بخلل داخلى كبير عاشته الدولة العثمانية فى جميع ولاياتها ومواجهه ضغط خارجى من القوى الأوروبية التى كانت تقترب من الدوائر بالدولة وسلطانها ، ثم أشار البحث فى ذلك التمهيد الى رد الفعل عند العرب ، الذى أخذ مسميات عدة كاليقظة العربية ، ونمو الوعى عند العرب ، لكن البحث حدد المدلول الصحيح لذلك ، وهو الإصلاح عند العرب ازاء هذه الأحداث التى تعيشها البلدان العربية فى ظل الدولة العثمانية ، ولكن مامعنى الإصلاح هنا ؟ هذا ماحدده البحث فى هذا التمهيد ، وفى آخر مباحث التمهيد كان الحديث عن فترة الاختلاط التى عاشتها الدولة العثمانية ، حيث شهدت ساحة الأحداث ظهور جمعية الاتحاد

والترقى والاتحاد الاسلامى والتقدم الاسلامى والاتحاد الطورانى ومافى حكمها من الاحزاب والجمعيات والتيارات التى كانت تموج بها الدولة العثمانية حينئذ والتى تعتبر تسميتها فترة اختلاط اقرب الى الواقع التاريخى .

ثم كان الحديث فى الفصل الاول من البحث عن الحرب الطرابلسية سنة ١٣٢٩ - ١٣٣٠هـ / ١٩١١ - ١٩١٢م ، والتى انتهت بمعاهدة لوزان الشهيرة ، التى تعرف فى بعض المراجع باسم معاهدة اوشى ، وذلك سنة ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م ، ليتم التطرق بعدئذ لدفاع العرب عن الدولة والخلافة ، الذى اثبت صدق ولائهم للدولة العثمانية رغم تعرضهم للكوارث والحروب من الدول الاوربية التى ادعت محبتهم ، ثم ماتبع تلك الحرب من اصداء فعالة فى ولايات الدولة العثمانية فى شبه جزيرة البلقان ، وكأنها شرارة اشعلت الحرائق فى البلقان وقادتها الى الحرب مع الدولة العثمانية ، ليختتم الفصل الاول بعدئذ بالحديث عن حزب اللامركزية الادارية العثمانى الذى لعب دورا بارزا فى الاحداث السياسية التى شهدتها الدولة العثمانية والمشرق العربى العثمانى حينذاك ، ومجمل القول ان الحرب الطرابلسية او الحرب العثمانية الايطالية فى الفترة التى سبقت مباشرة حروب البلقان كان لها اثرها الواضح بالنسبة للبلقان وبالنسبة للحركة العربية ، لانها كشفت ضعف الحكومة العثمانية ، واوحت للبلقانيين بالانفصال ، فى الوقت الذى اوحت فيه للحركة العربية بالمطالبة بالاصلاح وتحديد معناه فى اللامركزية الادارية واستخدام اللغة العربية .

ثم كان الحديث فى الفصل الثانى عن حروب البلقان ضد

الدولة العثمانية ، وبين البلقانيين بعضهم مع بعض ، ومسبق تلك الحروب من نشاط أوربي محموم ضد الدولة العثمانية في ولاياتها البلقانية ، حيث تبلورت صورة ذلك النشاط في موقفها من معاهدة لندن التي عقدت بين الدولة والحكومات البلقانية وما تبعها من أحداث أبانت التعصب المليبي الواضح من الدول الأوربية للسكان المسيحيين في شبه جزيرة البلقان وأشار هذا الفصل الى مطالب العرب الإصلاحية المنطلقة من قاعدة اللامركزية الادارية ، مع حرصهم الشديد على سلامة الدولة العثمانية في المشرق العربي ، بيد أن انتهاء الحروب البلقانية الثانية بمعاهدة بوخارست وما تبعها من معاهدات أخرى ، كمعاهدة القسطنطينية بين الدولة العثمانية وبلغاريا ، ومعاهدة أشتينا بين الدولة واليونان غير من بنى الدولة ، حيث فقدت الجزء الأكبر من ممتلكاتها الأوربية ، مما جعل أكثرية ممتلكات الدولة عربية ، وغالبية سكانها من العرب مما بعث في الحركة العربية نموا هائلا وتطورا سريعا ، تمثل في ردود الفعل المباشرة لحروب البلقان التي جاء الحديث عنها في الفصل الثالث من هذا البحث .

وقد القى الضوء في هذا الفصل على ردود الفعل المباشرة في جمعية بيروت الإصلاحية ، ولدى جمعية العربية الفتاة التي أسست في باريس ثم انتقلت الى بيروت ، بعد أن قامت بدور واضح لعقد مؤتمر باريس ، الذي يعتبر من ردود الفعل المباشرة لحروب البلقان في المشرق العربي ، واجتماعات المؤتمر وقراراته التي تطرق لها البحث هي تأكيد



لذلك ، ثم كانت حركة البصرة واحدة من تلك المواقف التي عاشها العرب حينذاك ، وختم هذا الفصل بالحديث عن أخطار التمزق الداخلي في الدولة العثمانية ، والانشطة المناوئة للدولة الإسلامية ، والتي كان ظهور القوميتين العربية والتركية معا من أبرز ملامح تلك الاخطار .

وكان لابد للبحث ان يسلط الانوار على موقف بريطانيا التي رأت في الحركة العربية فرصة يمكن الاستفادة منها لتحقيق اطماعها في الخليج العربي والساحل الشرقي والجنوبي للجزيرة العربية ، سيما وان هناك معاهدة ستوقع مع الدولة العثمانية تنهى نفوذها في الجزيرة العربية ، وحاولت بريطانيا ان تحتضن الحركة العربية وتستقطبها ، وبالتالي تحقق اطماعها في البصرة ، وترجم سياستها الرامية الى اضعاف دولة الخلافة الاسلامية على ارض الواقع ، وهذا كله ماتطرقنا له في الفصل الرابع من فصول الرسالة .

اما الفصل الاخير من هذا البحث فقد تحدثنا فيه عن الحركة العربية عند قيام الحرب العالمية الاولى ، حيث كان نشر قانون الولايات - المركزية ، من قبل الحكومة العثمانية موقفا جديدا عاشته الحركة العربية حينذاك ، وبدأت المعارضة العربية ضد المركزية والتتريك تشتد بصورة واضحة وقامت بعض المحاولات التي لم يماذفها التوفيق تدعو لعقد مؤتمر في الجزيرة العربية ، يحضره زعماء وامراء البلاد العربية ، ولكنها لم تمل الى ماتريد ، وانتهت حيث بدأت ، ثم تحدث البحث عن ضم الاحساء الى نجد ، مما جعل سلطنة نجد وتوابعها في عهد الامام عبد العزيز آل سعود تلعب دورا

بارزا فى الحفاظ على مابقى من المشرق العربى ، وتكون هى الحركة العربية الاسلامية التى بَعُدَتْ عن الاستقطاب الاجنبى وَحَفِظَتْ للجزيرة العربية هيبتها ومكانتها ، وحمتها مما كان يتهدها من اخطار اجنبية ، لِيُخْتَمَ العمل الاخير بقيام الحرب العالمية الاولى التى غيرت ميزان القوى والخريطة السياسية .

وفى نهاية البحث تم التوصل الى كثير من النتائج والحقائق التاريخية التى عاشها المشرق العربى مع الحركة العربية ، والتى تأثرت بحروب البلقان ، والتى اثرت بدورها على الدولة العثمانية بشكل مباشر .

وختاما لايسعنى الا ان اقدم شكرى الجزيل لكل من ساعدنى فى اظهار هذا الجهد العلمى الذى ارجو الله ان يكون لبنة مألحة فى تاريخ الامة الاسلامية ، اشكر جامعة ام القرى وكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة التى هيات لى فرمة التحصيل العلمى والبحث حتى ظهر هذا الجهد العلمى على ارض الواقع ، واشكر ايضا قسم التاريخ الاسلامى ، وقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، ولايفوتنى ان اشكر سعادة المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور محمد سيد محمد ، الذى تابع مسيرة البحث بصبر واخلاص ، ولم يبخل على بتوجيهاته العلمية القيمة وآرائه السديدة ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تمهيد الحرب والدولة العثمانية قبيل حروب البلقان

- أ- تصاعد خطر الغزو الأوروبي في العالم العربي .
- ب - عصر السلطان عبد الحميد الثاني : الخلل الداخلي ، الضغط الخارجي .
- ج - رد الفعل عند العرب : الإصلاح ، معناه .
- د - فترة الاختلاط : الاتحاد والترقي ؛ الاتحاد الإسلامي ؛ التقدم الإسلامي ؛
الاتحاد الطوراني .

(١) تصاعد خطر الغزو الأوربي في العالم العربي .

أدى تزايد العدوان الاستعماري الأوربي وشموله لأجزاء كثيرة من أنحاء العالم ، لأن يتأثر العالم العربي بهذا الخطر الداهم الذي أصبح يتصاعد في أجزاء متفرقة من الوطن العربي .

ولكى نأخذ صورة واضحة وموجزة عن تصاعد خطر الغزو الأوربي في العالم العربي خلال الفترة التي سبقت فترة البحث ، لتكون بمثابة تمهيد توضحى لما كان عليه العرب حينذاك ، حَرِّىْنَا أن نتحدث عن هذا الخطر في أجزاء محددة من العالم العربي ، وفق تقسيم جغرافى معين وتسلسل زمنى تصاعدى لكى تكون الصورة واضحة .

وسيكون الحديث هنا وفق التقسيم الجغرافى المشار اليه آنفاً عن : الساحل الجنوبى للجزيرة العربية وتصاعد الخطر الأوربي فيه حتى فترة البحث ، ثم نعرج بالحديث الى الخليج العربى ، ثم يتطرق البحث بعد ذلك وبإلمامة سريعة عن هذا الخطر فى بعض البلدان العربية كالجائر وتونس ومصر وبلاد الشام ، وكلما بعد الحدث الاستعماري عن فترة البحث فان الحديث عن خطر الغزو الأوربي سيكون موجزاً ومختصراً الى حد ما .

كان انشاء شركة الهند الشرقية البريطانية

East India Company ، فى بداية القرن الحادى عشر الهجرى ،
أوائل القرن السابع عشر الميلادى بمثابة مدخل استعماري

(١)
للشرقين الاقصى والاوسط ، وبدأ النشاط الاستعماري البريطاني
فى جنوب الجزيرة العربية منذ تأسيس مركز تجارى لها فى
المخا ، اتبعته بعد ذلك باحتلال جزيرة بريم سنة ١٢١٤هـ -
(٢)
الموافق ١٧٩٩م .

ثم بدأ الاهتمام البريطانى يتزايد فى الساحل الجنوبى
لشبه الجزيرة العربية ، ليصل ذروته فى محاولتها شراء
ميناء عدن ، وعندما لم تستطع ذلك لجأت للقوة العسكرية
وهاجمت هذا الميناء الهام وبقوة كبيرة تتفوق من حيث الكم
والكيف على تلك القوة التى يملكها سلطان عدن ، حيث شاركت
السفن الحربية البريطانية ذات التسليح المتقدم فى مهاجمة
الميناء ، والاستيلاء عليه فى ٤ ذى القعدة ١٢٥٤هـ / ١٩ يناير
(٥)
١٨٣٩م ، وبعد ان وضعت الحكومة البريطانية يدها على ميناء
عدن بدأت فى الانطلاق لتسيطر على بقية اجزاء الجنوب العربى
متبعة فى ذلك اسلوب الترغيب تارة والتهريب تارة اخرى .
(٦)
ومن خلال قراءة التاكيدات التى اطلقها اللورد
الفنستون Lord, Elphinston ، حاكم بومباى سنة ١٢٧١هـ /
١٨٥٤م على "ضرورة دمج وتركيز الادارتين السياسية والعسكرية
فى منطقة عدن الهامة فى يد قادرة قوية وهى يد المقيم
(٧)
السياسى البريطانى هناك" ، فاننا نعرف وبصورة واضحة على

-
- (١) سيد نوفل : الاوضاع السياسية لامارات الخليج العربى
وجنوب الجزيرة ... ، ص ٦٩ .
(٢) رافت الشيخ : فى تاريخ العرب الحديث ، ص ٣١٧-٣١٨ .
(٣) سيد مصطفى سالم : تكوين اليمن الحديث ، ص ٥٧ .
(٤) فاروق عثمان اباظة : عدن والسياسة البريطانية فى
البحر الاحمر ، ص ١٩٥ .
(٥) عبد الكريم محمود غرايبة : تاريخ العرب الحديث ،
ص ٢٢٠ .
(٦) محمود الشرقاوى : جنوب الجزيرة العربية ، ص ٢٢ .
(٧) فاروق عثمان اباظة : المرجع نفسه ، ص ٢١٣ .

السر الكامن وراء قيام البريطانيين بالسيطرة على جزر كوربا موريا سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م ، وجزيرة بريم سنة ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م ، ومن ثم السيطرة على جزيرة كمران الواقعة أمام ميناء الحية في شمال الساحل اليمنى المطل على البحر الأحمر سنة ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م ، ورغم أن الاهتمام بالامكان البعيدة عن عدن كان قليلا لدى الحكومة البريطانية إلا أنها قد حاولت سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨١م أن تهاجم ميناء الشحر بالسفن الحربية لكي تمنع أي اعتداء قد يقع منه على ميناء المكلا (٢) كما تزعم .

ومع أن سيطرة البريطانيين قد شملت جزيرة عدن الصغرى ورأس عدن الكبرى ، وتم لهم التحكم الكامل في القبائل اليمنية المجاورة لتلك المنطقة سواء عن طريق ربطهم بمعاهدات الحماية ، أو استجلاب ولائهم بالمرتبات والهدايا المستمرة ، إلا أن الوجود العثماني في جنوب الجزيرة العربية كان يقض مضاجع الساسة البريطانيين ، فمنهم من يرى اتخاذ خطوات سريعة لتحديد الحدود بين منطقتي النفوذ العثماني والبريطاني في تلك المنطقة ، ومنهم من يرى تدعيم الحامية العسكرية في عدن للوقوف في وجه المشروع العثماني الذي سمي باسم "البرنامج الاسلامي" ، وقد أخذت حكومة الهند بهذا الرأي ، وقامت بتدعيم القوات البريطانية في عدن للحفاظ على سيطرتها في تلك المنطقة ، وتؤمن ممالحها الاستعمارية ، وقد ختم التمهيد الاستعماري في جنوب الجزيرة

(١) فاروق عثمان أباطة : المرجع السابق ، ص ٣١٩ .
(٢) جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ، ص ٢١٣ .

العربية فى تلك الفترة بالاتفاق بين بريطانيا والدولة العثمانية على تحديد الحدود لنفوذ كل من الدولتين فى شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٢هـ / مارس ١٩١٤م .^(١)

أما فى الخليج العربى فقد بدأ خطر الغزو الأوروبى يتصاعد منذ الحملة الفرنسية على مصر ، حيث أن بريطانيا قد أدركت منذ ذلك الحين أهمية السيطرة على الخليج العربى والساحل الشرقى للجزيرة العربية ، لأن فى ذلك حماية لطريق مواصلاتها الى الهند ، وكانت الاتفاقية التى أبرمتها شركة الهند الشرقية مع سلطان مسقط سنة ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م لابعاد الفرنسيين والهولنديين عن الخليج العربى ، هى بداية خيوط تصاعد الغزو الأوروبى فى تلك الأجزاء من العالم العربى ، ثم تتابعت المعاهدات التى أصبحت بريطانيا تتفنن فى إبرامها ، وفى معانى الفاظها ، معتمدة فى ذلك كما يذهب أحد المؤرخين على دعامين هامتين : الأولى : احتفاظها بحالة التفكك التى وجدتتها فى المنطقة منذ وصولها إليها ، والثانية : منع إمارات الخليج العربى من الاتصاف بأية دولة أخرى .^(٢)

وتبعاً لتطور الأحوال فقد تطورت تلك المعاهدات التى تبرمها بريطانيا مع إمارات الخليج العربى ، فمن معاهدة تجارية الى معاهدة صداقة وتجارة ، ثم الى اضافة بنود لهذه المعاهدات تلزم بعدم التنازل عن الممتلكات أو البيع أو الرهن أو السماح باحتلال لغير الحكومة البريطانية .^(٣)

(١) فاروق عثمان ابازقة : المرجع السابق ، ص ٥٥٢، ٥٥٠ .
 (٢) حسن على إبراهيم : الكويت دراسة سياسية ، ص ٥٧ .
 (٣) جمال زكريا قاسم : دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤م ، ص ٦-٧ .
 (٤) حسن على إبراهيم : نفس المرجع ، ص ٥٧ .

وبعد المعاهدة العامة لعام ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م التي سلبت فيها بريطانيا قوة القواسم في الخليج العربي ، وقع رؤساء الخليج العربي أمام المقيم البريطاني اتفاقية فيما بينهم سنة ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م لمدة عشر سنوات يلتزمون خلالها بالمحافظة على أمن منطقتهم ، ولا يلجأون الى الاشتباك المسلح فيما بينهم ويحكمون المقيم البريطاني في موضوع أى عقوبة يجب ايقاعها على من يخالف هذه الاتفاقية ، ويبدون استعدادهم لبذل ما يستطيعون لمد هذه الاتفاقية لتميح هدنة دائمة ويحكمون المقيم البريطاني في ذلك اذا لم يتفقوا .^(١)

ولم تعد بريطانيا الحيلة لتتدخل في شئون الخليج العربي وتشير القلاقل والازمات بين الفينة والاخرى ، لتحتمل على ضوء ذلك من ابرام معاهدة السلام الدائم بواسطة المقيم البريطاني في الخليج سنة ١٢٦٩هـ/١٨٥٣م وتلزم بها شيوخ رأس الخيمة وأبو ظبي ودبي وعجمان وأم القيوين الذين أبدوا استعدادهم على تنفيذ بنود هذه المعاهدة والالتزام بها ، على أن تقوم الحكومة البريطانية بالاشراف على استمرار هذه المعاهدة ، واتخاذ الخطوات اللازمة لمراعاة تنفيذ موادها ، ومما يؤكد أهمية هذه المعاهدة لدى الساسة البريطانيين أن حاكم عام الهند هو الذى قام بالتصديق عليها خلافا لما كان متبعاً حينذاك حيث كان يكتفى بتصديق المقيم البريطاني عليها .^(٢)

(١) سيد نوفل : المرجع السابق ، ص ٧١ .
 (٢) جمال زكريا قاسم : المرجع السابق ، ص ١٣٠ .
 (٣) سيد نوفل : نفس المرجع ، ص ٧٥ .
 (٤) جمال زكريا قاسم : نفس المرجع ، ص ١٣٤ .

وعقب انتقال مسئولية ادارة شئون الخليج العربى الى حكومة بومباى البريطانية ، ومن ثم الى حكومة الهند البريطانية فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى ، النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى ، تم انشاء اول خط برقى فى الخليج فى تلك الفترة ، ثم تدخل المقيم البريطانى بالقوة المسلحة فى نفس العام لإرغام شيخ البحرين على التخلّى عن حكمه نظرا لما قام به من مهاجمة لقطر ، أما شيخ أبو ظبى الذى شارك فى هذا الهجوم فقد اكتفى المقيم البريطانى منه بأخذ التعهد اللازم بالآ يقوم باحداث اية اضطرابات أخرى تخل بالمعاهدات التى وقعها مع بريطانيا ، ولم يكتف المقيم البريطانى بهذا بل وقع فى عام ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م اتفاقية مع شيخ أبو ظبى جاء فيها : "انى لا ادخل ابدأ فى قرار ما ولا محاوره مع أحد من الدول سوى الدولة البهية الانكليزية بغير رضا الدولة البهية الانكليزية ، ولا قبل ان يسكن فى حوزة ملكى وكيل من دولة غير الدولة البهية ولا اسلم ولا بيع ولا اهرن ولا اعطى للتمرف او للتبرع بنوع ما شيئا من ممالكى لاحد الا للدولة البهية الانكليزية " ، وهذا يؤكد لنا دون شك ان تصاعد خطر النفوذ البريطانى فى الخليج العربى لم يقف عند حد معين ، ولم ينته بانتهاء شركة الهند الشرقية او انتهاء حكومة بومباى البريطانية ، وانما استمر هذا الغزو وتطور .

(١) سيد نوفل : المرجع السابق ، ص ٨٠ .
 (٢) جمال زكريا قاسم : المرجع السابق ، ص ١٤٢ ؛
 أحمد السامرائى : القواسم والخليج العربى ، ص ١٩٦ .

ويؤكد تصاعد النفوذ البريطانى فى الخليج العربى والساحل الشرقى للجزيرة العربية تلك الآراء التى اكدها اللورد كيرزون Lord, Curzon ، الذى عين نائبا للملك فى الهند سنة ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م حين قال : " اننى اعتقد بان اى اعتراف ضمنى وبالتالى اى تحقيق فعلى لسلطة تركية او اية سلطة اجنبية فى الكويت قد يكون محفوا بالخطر على المصالح البريطانية فى الخليج ، ومن شأنه ان يسبب لنا المتاعب هناك ، ذلك انه بالرغم من ان تركيا لم تؤكد سلطتها فانه يمكن لها ان تتخلى عن حقوقها التى تدعيها لفرقاء او دول اخرى ، ولعلها تقوم بمفاوضات حول هذا الموضوع الآن ... اننى اعتقد انه لازال امامنا متسع من الوقت لتفادى اى خطر من هذا النوع والذى اقترحه هو ان تمتد الحماية البريطانية فى اقرب مناسبة الى الكويت ... " (١)

حدث ذلك على لسان نائب الملك فى الهند الذى يعلم علم اليقين ان بلاده قد ألزمت كل من البحرين وشيوخ الساحل العمانى بمعاهدات للحماية البريطانية ، وان شبه جزيرة قطر قد تم الاستيلاء عليها من قبل البريطانيين ، لكن هذا يعنى ان بريطانيا التى كانت سياستها مبنية على عدم التدخل فى شئون داخل شبه الجزيرة العربية قد بدأت تخشى من خطر مشروع انشاء خط حديدى الى رأس الخليج العربى بمساعدة الالمان او الروس ، ولم يتردد اللورد كيرزون فى التاكيد على ان (٣)

(١) حسن على الابراهيم : المرجع السابق ، ص ٥٩-٦٠ .
 (٢) ابراهيم خليل احمد : تاريخ الوطن العربى فى العهد العثمانى ، ص ٣٢٢ .
 (٣) موسى بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود : الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت ، ص ٩٤ .

الحماية البريطانية فى طريقها الى مسقط ، وان العلم البريطانى سيرفع قريبا على قلاع مسقط ، متعللا بان علاقة بلاده بمسقط تمتد لأكثر من قرن من الزمان ، اضافة الى قربها من الهند ووجود علاقات تجارية ومداقة مع السلطان الذى تدفع له بريطانيا مرتبا منذ خمسة وعشرين عاما .^(١)

لقد بدأ الصراع الدولى فى الخليج العربى يتبلور بصورة واضحة حينذاك ، نشاط روسى المانى يدور فى اروقة وزارة الاشغال فى الدولة العثمانية فى محاولة لاقتناعها بمشروع سكة حديد تصل الى شمال الخليج ، اضافة الى الزيارات المتتالية للقناصل الروس والفرنسيين التى يقومون بها الى الكويت ، والكل منهم يطلب ودَّ حاكمها ويرغبه فى صداقة دولته ، أما البريطانيون الذين كان خوفهم من هذا النشاط الاوروبى يزداد يوما بعد يوم ، فقد استطاعوا الفوز بقصب السبق فى هذا الصراع حين تم لهم توقيع اتفاقية عام ١٣١٦هـ / ١٨٩٩م مع الشيخ مبارك الصباح أمير الكويت .^(٢) الاتفاقية التى وقعتها بريطانيا مع شيخ الكويت فتحت المجال كاملا للتدخل البريطانى فى شئون شرقى الجزيرة العربية وجنوبى العراق وشمالى الخليج بوجه عام ، رغم أن اللورد كيرزون دافع عن الظروف التى أحاطت بهذه الاتفاقية مؤكدا أن "التحفظ الذى تضمنته هذه الاتفاقية ... قد أملت اعتبارات سياسية خاصة ومحاولات من تركيا لاستفزازنا" .^(٣)

(١) جمال زكريا قاسم : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .
 (٢) منيرة عبد الله العرينان : علاقات نجد بالقوى المحيطة...، ص ١٧٤-١٧٥ .
 (٣) محمود صالح منسى : حركة اليقظة العربية فى الشرق الآسيوى ، ص ٢٠٤ .
 (٤) جمال زكريا قاسم : نفس المرجع ، ص ٢٧٢ .

وكان تصريح اللورد لانسداون Lord, Lansdowne ، وزير الخارجية البريطانية أمام مجلس العموم البريطانى الذى أطلقه قبيل الرحلة الاستعراضية التاريخية التى قام بها اللورد كيرزون أواخر سنة ١٣٢١هـ ، أواخر سنة ١٩٠٣م فى بلدان الخليج العربى ، هذا التصريح يعتبر أول اعلان رسمى بشأن الحماية البريطانية على الكويت ، لأنه أكد فيه أن "شيخ الكويت محمى بريطانى وترتبط معه بريطانيا بموجب معاهدات واتفاقات خاصة " .^(١)

ولقد أجمل نائب الملك فى العند فى زيارته تلك ومن خلال خطبته المشهورة التى القاها فى اماره الشارقة فى الثانى من شهر رمضان سنة ١٣٢١هـ ، الحادى والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٠٣م ، أجمل حينذاك أهداف السياسة البريطانية فى الخليج العربى التى توجب المحافظة على سلامة الأمن فى الخليج وبقاء نفوذ الحكومة البريطانية سائدا فى المنطقة ، وعدم السماح لاي من امارات الخليج فى الدخول فى أى اتفاق او مراسلات مع اية دولة أخرى ، او السماح لاي مندوب لاي حكومة بالدخول فى اراضيها الا بعد اخذ الموافقة من الحكومة البريطانىة .^(٢)

هكذا أظهرت رحلة اللورد كيرزون عزم بريطانيا الاكيد على تدعيم مراكز دفاعها ونفوذها فى الخليج العربى وبأى ثمن كان ، وتؤكد ذلك فى عام ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م ، حين انشأت حكومة العند وكالة سياسية لها فى الكويت ، وقامت بتعيين

(١) لوتسكى : تاريخ الاقطار العربية الحديث ، ص ٤٢٤ .

(٢) جمال زكريا قاسم : المرجع السابق ، ص ٢٨٤ .

(٣) سيد نوفل : المرجع السابق ، ص ١٩٨-٢٠١ .

(١) نوكس Knox كوكيل سياسى معتمد ، وهذا الاجراء نتاج طبيعى بعد أن حسم نزاع تضارب المصالح والاطماع بين الدول الاوربية بعضها البعض ، وفق اتفاقية الوفاق الودى بين بريطانيا وفرنسا سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م ، واتفاقية بريطانيا وروسيا التى تمت سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، تلك الاتفاقيتين اللتين اطلقتا يد بريطانيا لتحتمرف كما تشاء فى الخليج العربى واطراف الجزيرة العربية ، بل وفى اقطار عربية اخرى .

استمر تصاعد الخطر البريطانى فى الخليج العربى وسواحله الغربية ، وكانت المناقشات الطويلة تجرى فى وزارة الهند حول الوضع فى شبه جزيرة قطر ، ليمل الخطر ذروته حين قدم السفير البريطانى فى الاستانة السير جيرارد لوشر Sir. Gerard Lowther ، احتجاجا للباب العالى فى سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م على قيام والى البصرة العثمانى بارسال قوات عثمانية لتحل جزيرة الزخونىة ، وأشار السفير البريطانى الى ان حكومته ستضطر لاتخاذ اجراءات حاسمة لايقاف هذه العمليات الحربية . (٤)

وعلى الجانب الاخر كانت حكومة الهند تبث تعليماتها تباعا للمندوب السامى فى الخليج لى يحذر شيخ الكويت بعدم الدخول فى معارك حربية ايا كان هدفها مع امراء وشيوخ الجزيرة العربية لان ذلك سيوقع الحكومة البريطانية فى

-
- (١) منيرة العريضان : المرجع السابق ، ص ١٨٥ .
 (٢) زين نور الدين زين : الصراع الدولى فى الشرق الاوسط وولادة دولتى سوريا ولبنان ، ص ٥٣ .
 (٣) تقع جزيرة الزخونىة على بعد عشرة اميال فى الجنوب الشرقى من ميناء العقير .
 (٤) فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا فى الخليج العربى ١٨٥٣-١٩١٤م ، ص ٢٥٦ .

(١)

خلافاً ومشاكل معقدة مع الدولة العثمانية .

ولقد بدأت وطأة الاستعمار البريطاني تفرض وجودها على اطراف الخليج العربى واماراته حين التزم كل من شيخ الكويت وشيخ البحرين ودبى فى نفس العام بوقف تجارة السلاح التى كانت بريطانيا تتخذها ستارا لتحقيق اطماعها الاستعمارية فى المنطقة حتى انها كانت تلجأ فى احيان كثيرة الى احراق القوارب والسفن بحجة تهريبها للسلاح .^(٢)

ولم يقف الامر عند ذلك بل تطور الضغط الاستعماري والخطر البريطانى بصورة سريعة ، اذ أبرمت الحكومة البريطانية معاهدة مع شيخ البحرين فى سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م ، لاستغلال موائد اللؤلؤ والاسفنج ، وعلى نفس النهج وفى نفس العام التزم شيخ الكويت بالا يسمح لاي اجنبى معها كانت دولته بان يفوس فى مياه الكويت ويبحث عن الاسفنج واللؤلؤ الا بعد استشارة من المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت ، وهذا تأكيد لايقبل الشك على مدى ماوصلت اليه قوة الاستعمار البريطانى وتنامى خطرهما هناك .

واذا كانت بريطانيا قد تحدثت الدولة العثمانية فى الخليج العربى وشط العرب فى اوائل القرن العشرين ، وكلفت احدى سفنها الحربية بمسح المنطقة ذهابا وايابا ، فما ذلك^(٣)

(1) F.O.424/222, Enclosur, in No.85 "Government of India to Viscount, Morley" 19.3.1910. p. 143 .

(٢) عبد العزيز محمد المنصور : التطور السياسى لقطر فى الفترة ما بين ١٨٦٨-١٩١٦م ، ص ٧٢ .

(٣) محمد عرابى نخلة : تاريخ الاحساء السياسى ١٨١٨-١٩١٣م ، ص ٢٢٥ .

(٤) سيف مرزوق الشمالان : من تاريخ الكويت ، ص ٣٢٤-٣٢٥ .

(٥) مصطفى النجار وآخرون : تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر ، ص ١٦١ .

الا ادراكا منها لمدى ماوصلت اليه الدولة العثمانية من تشتت وضعف ، وبالتالي بروز الفرصة الذهبية للحكومة البريطانية لغرض سيطرتها على هذه المنطقة الحيوية ذات الاهمية العظيمة لمصالح بريطانيا سواء فى الخليج العربى ذاته أو فى طرق التجارة الدولية عبر مياهه والممولة الى درة التاج البريطانى - الهند - .

وهذا الاستعراض الموجز لاهم ملامح تصاعد خطر الغزو البريطانى فى الخليج العربى وأطراف الجزيرة العربية سواء كان ذلك فى ساحلها الشرقى أو الجنوبى أو فى شمال الخليج العربى ذاته ، يعطينا صورة واضحة لما كانت عليه الأوضاع فى تلك الاقطار العربية ، وموقف الدولة العثمانية منها فى الفترة غير البعيدة عن فترة البحث ، وسوف نتطرق الى الموقف البريطانى والسياسة البريطانية بشكل عام تجاه تلك الاقطار العربية ، والحركة العربية بصورة مباشرة فى احد الفصول التى تدخل ضمن الاطار الزمنى المحدد للبحث .

اما فى الشمال الافريقى ، أو المغرب العربى فقد اخذ خطر الغزو الأوربى يهدد ذلك الجزء من العالم العربى منذ ان قررت الحكومة الفرنسية فى أواخر سنة ١٢٤٥هـ / أوائل عام ١٨٣٠م مهاجمة الجزائر واحتلالها ، وحين أعلن ملك فرنسا فى خطاب العرش عن عزمه تجهيز حملة عسكرية وتكليفها بهذه المهمة (١) ، وبعد بضعة أشهر ، وفى الايام الأخيرة من عام ١٢٤٥هـ المصادف للخامس من يونيو سنة ١٨٣٠م نزلت القوات

(١) جلال يحيى : المغرب العربى الحديث والمعاصر ، الفجر واحتلال فرنسا للجزائر ، ص ٣٤٠ .

الفرنسية فى مدينة الجزائر ، ونزعت الاعلام الجزائرية عن
الحصون والأبراج ودور الحكومة ، ورفعت مكانها أعلام فرنسا ،
لتقيم بذلك أول جسر من جسور الاستعمار الغربى فى الشمال
الأفريقى العربى .

وفى مؤتمر برلين الشهير جرى شئ من الحوار بين الدول
الأوروبية المشاركة فى المؤتمر يرمى الى تشجيع فرنسا لى
تضع يدها على تونس ، كأن الوقت حينذاك كان وقت تسابق لبسط
النفوذ على الولايات العربية العثمانية ، وبالفعل قامت^(٢)
فرنسا بإجراء الاستعدادات العسكرية على الحدود التونسية ،
وكُلف حاكم عام الجزائر الفرنسى بسرعة مد الخط الحديدى
الواصل بين الجزائر وتونس ، أما القوة العسكرية فقد وصلت
الى مشارف مدينة تونس فى النصف الثانى من عام ١٢٩٨هـ -
الموافق ١٢ مايو ١٨٨١م ، وقَدَّم قائد القوة العسكرية
والقنصل الفرنسى - نص معاهدة خضوع تونس للحكومة الفرنسية -
الى باى تونس ، وأعطياه مهلة قصيرة للتوقيع عليها او
رفضها ، ولكنه لم يتردد كثيرا ووقع المعاهدة التى أخضعت
تونس للحماية الفرنسية منذ ذلك الوقت .^(٣)

وفى نهاية المطاف وفى سنة ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م استطاعت
فرنسا أن توقع اتفاقية مع الدولة العثمانية حول ماعرف
بتخطيط الحدود بين تونس وطرابلس الغرب ، وبموجب تلك

(١) ابراهيم خليل أحمد : المرجع السابق ، ص ٢٨٢ .

(٢) محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس فى العوامل
التاريخية فى بناء الأمة العربية على ماهى عليه اليوم
ص ٥٧ .

(٣) جلال يحيى : المغرب العربى الحديث والمعاصر حتى الحرب
العالمية الاولى ، ص ٧٦، ٧١ .

الاتفاقية أضيفت جملة من الواحات الجديدة - التي كانت تمر بها طرق القوافل في الصحراء والتي كانت تعتبر نقاطا تجارية استراتيجية هامة - أضيفت الى النفوذ الفرنسي .^(١)

ومنذ عهد محمد علي باشا كانت مصر مركزا للصراع البريطاني - الفرنسي ، فالبريطانيون كانوا حريصين على المعاف حاكم مصر لكي لا يقوى على تهديد طرق مواصلاتهم الى الهند والخليج العربى وجنوب الجزيرة العربية ، والفرنسيون كانوا يدعمونه حتى ضد الدولة العثمانية التي يعتبر احد رعاياها ، ويقومون بتدريب جيوشه ومساندتها في الحملات العسكرية .^(٢)

غير أن بريطانيا قد سارعت الى استخدام القوة العسكرية حين قامت بقصف ميناء الاسكندرية واحتلت المدينة في ٢٥ شعبان ١٢٩٩هـ - ١٢/ يوليو ١٨٨٢م ، وفي اول شهر ذى القعدة من نفس العام الموافق للخامس عشر من شهر سبتمبر ١٨٨٢م دخلت الجيوش البريطانية مدينة القاهرة بعد انتصارها في معركة التل الكبير ، واصلت حينذاك ان احتلالها سيكون مؤقتا وبالتالي فهي لم تعلن حمايتها عليها ولم تضع حدا للسيادة العثمانية عليها .^(٣)^(٤)

-
- (١) ز.ب.ياخيموفتش : الحرب التركية الايطالية ١٩١١-١٩١٢م ص ٤٢ .
 (٢) عبد الكريم رافق : العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦م ، ص ٤٣٩ .
 (٣) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثانى ، حياته واحداث عهده ، ص ٢٠٤ .
 (٤) أحمد عبد الرحيم ممطفى : في أصول التاريخ العثمانى ، ص ٢٤٦ .

ولم يخف وزير خارجية بريطانيا السير ادوارد جراى Sir, Edward Grey مشاعر القلق التى كانت تراود الساسة الانجليز منذ ان تم لهم احتلال مصر حين قال : "... فطالما اننا جعلنا انفسنا مسئولين عن حكم مصر فان الامتيازات الاجنبية تظل بمثابة الرقبة [الرباط] المشدودة الى اعناقنا تستطيع اى دولة لها حقوق بمقتضى تلك الامتيازات ان تشدها او ترخيها تبعاً لمقتضيات الاحوال ... وليس يخفى ان المصالح البريطانية متماسة مع مصالح فرنسا او مصالح روسيا فى كثير من أنحاء المعمورة ، ومن أخطر العوامل دائماً ان يوجد عند تماس المصالح جو مشبع بسوء النية ،^(١) ففيه تنمو الوسوس وتضاعف الشكوك " .

نعم لقد كان احتلال بريطانيا لمصر مدعاة للسخط والغضب الاوروبى بشكل عام والفرنسى بشكل خاص ، لذلك ظل الاعتراض الفرنسى لهذا الاحتلال هو قطب الرحى فى السياسة الفرنسية وحتى عند الراى العام الفرنسى ، وهذا ما أدركه ربان السياسة البريطانية السير ادوارد جراى ، حين اشار فى مذكراته الى تلك الحساسية المفرطة وكيفية معالجتها لدى الساسة الانجليز : "... فاذا اردنا ان يكون موقفنا فى مصر داعياً الى الارتياح فلامندوحة لنا عن الحصول على تأييد فرنسا الايجابى لان يكتفى بمجرد توكيد منها بعدم عرقلة سياستنا ، ... وفى النهاية عقد اتفاق كانت النقطة البارزة فيه ان تؤيدنا فرنسا فى مصر مقابل تأييدنا لها فى

(١) مذكرات لورد جراى ، تعريب على احمد شكرى ، ص ٢١٢ .

(١)
مراكش !! " .

والساسة البريطانيون يدركون مدى المصاعب التى
يقتحمونها عندما يخوضون غمار الاستعمار فى مصر ، وهذا
ماحاول السفير البريطانى فى الآستانة السير جيرارد لوشر أن
ينبه حكومته اليه فى التقرير السنوى الذى بعثه من عاصمة
الدولة العثمانية حيث قال : "احتلالنا لمصر مؤلم جدا لدرجة
انها مازال مفتوحة للنقاش ، وبينما من فى الحكم قرروا أن
يسمحوا للقضية أن تهدأ ، الا أنه فيما بعد تم رعاية فكرة
الوطنية بكل قوة رغم أنها كانت سرية " .^(٢)

أما فى بلاد الشام فإن خطر الغزو الأوروبى يعود فى
بداياته الى مطلع القرن الحادى عشر الهجرى/أوائل القرن
السابع عشر الميلادى ، حين نشطت الجمعيات التنصيرية
المسيحية فى الشام وبدأت فى انشاء المدارس والمعاهد ونشر
كتب الديانات المسيحية ، وتنافس الارساليات التنصيرية فى^(٣)
بلاد الشام الذى وصل ذروته فى أواخر القرن الثالث عشر
الهجرى/النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى ، والذى
تمثل فى تدريس اللغة العربية ، وترجمة الكتب المسيحية الى^(٤)
اللغة العربية ، ما هو الا غزو فكرى للشرق العربى يراد به
غرس المؤثرات الغربية على اختلاف أنواعها فى المجتمع

(١) مذكرات لورد غراى : المصدر السابق ، ص ٢٥٦-٢٥٧ .
(2) F.O.424/250. Annual, Report 1910. No. 103 (Sir,
G.Lowtherto sir Edward Grey) 14.2.1910 .
(٣) جورج انطونيوس : يقظة العرب - تاريخ حركة العرب
القومية ، ص ٩٧-٩٨ .
(٤) مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج ٦ ، ص ٤٤٢-٤٤٣ ؟
، توفيق على بزو : العرب والترك فى العهد الدستورى
العثمانى ١٩٠٨-١٩١٤م ، ص ٦ .

العربى الاسلامى ، وهو نوع من أنواع الغزو الأوروبى للعالم الاسلامى بشكل عام والعالم العربى بشكل خاص .

تصاعد هذا الغزو حينما بدأ معظم المسيحيين يتجهون بأنظارهم نحو الغرب المسيحى ، لاسيما فرنسا ، وأفرز هذا الاتجاه شدة الصراع التنافسى بين بريطانيا وفرنسا على أرض الشام ، وما الحرب الاهلية فى جبل لبنان حينذاك وما أقرزته من اصدار "البروتوكول" ، الذى أعده خمسة سفراء لدول أوربية هى : بريطانيا ، وروسيا ، وفرنسا ، والنمسا ، وبروسيا ، ثم ما أعقب ذلك من نظام المتصرفية والمتصرفين فى لبنان الذى صدر من الباب العالى حينئذ^(١) ، ماذلك كله الا تأكيد على قوة تصاعد النفوذ الأوروبى فى بلاد الشام العربية المسلمة .

فى سنة ١٢٣٠هـ / ١٩١٢م ظهرت بوادر الصراع البريطانى - الفرنسى فى أرض الشام حين بحثت الحكومة الفرنسية مع الحكومة البريطانية عن المغزى الذى ينطوى خلف وجود بعض أعضاء السلك الدبلوماسى البريطانى فى بلاد الشام ، ومنهم سكرتير دار المعتمدية البريطانية فى القاهرة ، الا أن وزارة الخارجية البريطانية تمكنت من اطفاء جذوة الغضب الفرنسى حين سارعت الى ابلاغ رئيس الوزراء الفرنسى المسيو بوانكاريه Roymond Poincare تأكيدها القاطع على أن وجود هؤلاء المسؤولين ليس له أى مغزى سياسى ، وأن الحكومة البريطانية حين تؤكد ذلك انما تؤكد لحكومة فرنسا أنها لم

(١) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية فى العلاقات العربية التركية ، ص ٤٧، ٣٨ ، محمد جميل بيهم : قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور ج ١ ، ص ١٦٧ .

ولن تنوى بأن يكون لها أى نفوذ سياسى فى الشام ، وكأنها
بذلك تهب التصرف فى شئون الشام والسيطرة عليه لفرنسا ،
وهذا ما تحقق بعد ذلك حين قامت الحرب العالمية الاولى .

وإذا كانت فرنسا وبريطانيا قد ساندتا بجميع الوسائل
الاتجاهات الانفصالية فى الاقاليم العربية التابعة للدولة
العثمانية ، وسعيتهما لاجتذاب العرب الى جانبيهما ، فان
لفرنسا نشاطا مكثفا فى هذا المجال ، لأن القنصليتين
الفرنسييتين فى دمشق وببيروت قامتتا باتصالات مع بعض القوميين
العرب ، ومولتا العديد من الصحف اللبنانية .^(٢)

ولاغربة فى ذلك اذا كان رئيس الحكومة الفرنسية يطالب
صراحة أمام مجلس الشيوخ الفرنسى باجراء اصلاحات فى جبل
لبنان ، ويزعم أن التاريخ قد أحدث لدولته منافع جمة
وفوائد شتى فى جبل لبنان وفى سوريا ، ولتأكيد هذا الحق
المزعوم قال رئيس الحكومة الفرنسية المسيو بوانكاريه :
"... يسرنى أن أكذب كل ما يشاع عن وجود اختلاف بيننا وبين
الانكليز بهذا الشأن ، وقد صرحت لنا انكلترا بصورة ودية ،
أن ليس لها فى جهات سورية أقل أمل أو غاية حتى ولارأى
سياسى ...".^(٣)

كانت الدول الأوروبية بشكل عام وبريطانيا وفرنسا بشكل
خاص ترى بعد محاولات محمد على فى النصف الأول من القرن
التاسع عشر الميلادى ، انشاء دولة عربية ، عدم تكرار هذا
الخطر مرة أخرى ، ووضعت هذه الدول الاستعمارية خططها منذ

(١) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ٢٣٨-٢٣٩ .
(٢) لوتسكى : المرجع السابق ، ص ٤٠٥ .
(٣) جريدة الاهرام ، عدد ١٠٥٩٦ فى ١ صفر ١٣٣١ هـ .

ذلك الحين على أساس فصل مصر عن الشام بايجاد مناطق استعمارية عازلة بينهما ولكنها اجلت تنفيذ خططها حتى تحين لها الفرصة لذلك ، ولقد حانت الفرصة بتشتت الدولة العثمانية وضعفها فى فترة مقدمات الحرب العالمية الاولى .^(١)

نعم انه الفزو الأوربى المتصاعد فى جهات العالم العربى بشكل واضح وجلى ، ولم يعد الأمر حبيس دهاليز السياسة ومكاتب السياسيين ، وانما وصل الأمر الى التصريح العلنى وعلى رؤوس الأشهاد كما ذكر آنفا ، وهذا ما يؤكد مذهبنا اليه فى هذا التمهيد من وجود خطر غزو أوربى متصاعد يعم أجزاء العالم العربى ، وان اختلفت الفترات الزمنية التى ظهر فيها هذا الفزو .

ولقد كان الفزو الايطالى لطرابلس الغرب هو آخر تلك الاخطار التى عمت أجزاء العالم العربى قبيل فجرة البحث ، ولاخرج هنا من أن تلقى نظرة موجزة على أهم ملامح ذلك الخطر الذى بدأ يداهم هذا القطر العربى المسلم .

بعد الاحتلال البريطانى لمصر وقعت الحكومة الايطالية فى نفس العام بروتوكول - عدم المصلحة - فى شئون مصر ، ليكون ذلك بمثابة الموافقة من جانبها على احتلال مصر من قبل بريطانيا ، وكان الايطاليون يرمون من وراء ذلك لتحقيق رغباتهم الاستعمارية التى يشاركون فيها بريطانيا وفرنسا فى استعمار ولايات الدولة العثمانية ، فى الشمال الأفريقى ، وتحقق لهم ذلك من خلال الاتفاق الذى أبرم مع فرنسا فى

(١) لطف الله سليمان : من أجل تاريخ دنيوى لفلسطين ، باريس ١٩٨٩م ، من تقرير نشرته عن الكتاب جريدة الأهرام المادرة بتاريخ ١٩٨٩/٤/٤م .

(٢) ز.ب.ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص ٣٣ .

١٣١٨هـ - ١٩٠٠م والذي اتفق من خلاله على أن تطلق فرنسا يد إيطاليا في شئون طرابلس الغرب على أن تترك إيطاليا لفرنسا المسألة المغربية ولا تتعرض لها بشئ، فيها، ثم اتبعت هذه الاتفاقية باتفاقية مماثلة بعد ذلك بعامين ولم تعترض بريطانيا والنمسا على هاتين الاتفاقيتين حين تم ابلاغهما بهما، وإنما اقتراهما .^(١)

ويذهب بعض المؤرخين الى أن فرنسا وبريطانيا قد أعطتا لإيطاليا حرية العمل في طرابلس الغرب حين تم الوفاق الودي بينهما سنة ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤م، ليس هذا فحسب وإنما "أمضيت عدة اتفاقيات بين الحكومة الإيطالية من جهة وفرنسا وبريطانيا من جهة أخرى أقر فيها مبدأ الاعتراف بحق إيطاليا على طرابلس الغرب"^(٢)، وكذلك الحال مع روسيا حين وقعت مع إيطاليا اتفاقية في سنة ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م على شكل مذكرتين متبادلتين، اعترفت إيطاليا فيها بادعاءات روسيا في منطقة المفايق، نظير اعتراف روسيا بادعاءات إيطاليا في طرابلس الغرب وبنغازي .^(٣)

في أواخر سنة ١٣٢٨هـ / أواخر عام ١٩١٠م بدأ الإيطاليون محاولاتهم المستمرة للتخفيف من معارضة المسؤولين في الدولة العثمانية تجاه مشروعاتهم وتدخلاتهم المستمرة في طرابلس،^(٤)

(١) الطاهر أحمد الزاوي : جهاد الأبطال في طرابلس الغرب ، ص ٢-١ .

(٢) عبد الكريم رافق : المرجع السابق ، ص ٤٦٢ .

(٣) هابدين حمادة : تاريخ الشرق والغرب ، ص ٣٨ .
(٤) مصطفى كريم : مسألة غزو إيطاليا المجلة التاريخية المغربية ، العدد السادس ، يوليو ١٩٧٦م ، ص ١٣٦ .

(٥) لوتسكي : المرجع السابق ، ص ٣٦٧ .

(5) F.O.424/226, No.32, "Sir, R.Rodd to , sir, Edward Grey", Rome, 31.12.1910. p.28 .

وبدأت العصبية تظهر على تصرفات الساسة الايطاليين ، لان
الخوف قد بدا يساورهم من فقدان آخر فرصة لتثبيت اقدامهم
على الساحل الاقريقي والاستيلاء على طرابلس الغرب .^(١)

لقد كان الساسة الايطاليون مدركين عدم وجود معارضة من
جانب الدول الاستعمارية الاخرى لاطماعهم فى طرابلس وهذا
ما اكده وزير خارجية ايطاليا حينذاك سان جوليانو
San Giuliano ، فى منتصف سنة ١٣٢٩هـ / صيف ١٩١١م حيث قال :
"لا توجد فى الوضع الدولى عقبات سياسية يمكن ان نمادفها
لاحتلال طرابلس ، لان فرنسا بموجب الاتفاق لاتستطيع ان تعارض
ذلك ، اما انجلترا والنمسا والمانيا فانها ستنظر الى هذه
الخطوة باستياء ولكنها لن تجد امكانية لعرقلتها خصوصا اذا
ما تمت بسرعة " .^(٢)

وقارئ التاريخ المدرك لاحدائه ومسبباته لايساوره ادنى
شك فى مدى سرعة تصاعد الغزو الاوربى للعالم العربى وقوة
هذا الغزو وخطره الداهم ، كيف لا واحد مفكرى الغرب ينشر فى
تلك الفترة مقالا ينزف حقدا على العالم الاسلامى بشكل عام
والعالم العربى بشكل خاص ويؤكد فى آرائه تلك صحة الغزو
الايطالى لطرابلس الغرب ، وانه لابد من مساعدتها من الغرب
المسيحى مهما كانت الخسائر باهظة فى الرجال والمال ، لانه
على حد قوله ستعتبر هزيمة الايطاليين فى طرابلس فرصة
للمسلمين ليقوموا بطرد الانكليز من مصر والسودان ، وطرد
الفرنسيين من تونس والجزائر ومراكش وطرد الروس من اواسط

(١) ز.ب. ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٢) ز.ب. ياخيموفتش : نفس المرجع ، ص ٥٨-٥٩ .

(١)
آسيا الاسلامية .

وقد كان السلطان عبد الحميد الثانى مدركا للخطر الاوروبى فى المشرق العربى وهذا ما أكدته على لسانه ابنته عائشة فى كتابها : Babam, Abdulhamid حيث قال : "كانت أطماع انكلترة وفرنسا مموبة نحو الشرق ، وكانتا تريدان كسر شوكتنا وقوتنا ببث الشقاق بيننا وبين المسلمين ، فحاولت بسياسة الخلافة [الجامعة الاسلامية] ان اقف حائلا بينهما وبين ذلك" .^(٢)

هذا هو تصاعد خطر الغزو الاوروبى فى العالم العربى فى الفترة التى سبقت فترة البحث ، ولكن كيف كان الوضع فى الدولة التى يخضع العالم العربى فى معظم أجزائه لسلطانها - وهى الدولة العثمانية ، ولكى تكون الصورة أكثر وضوحا - سنخصص الحديث فى الفقرة التالية عن عمر السلطان عبد الحميد الثانى ، وما تخلل هذا العصر من أحداث جسام أثرت بشكل مباشر على العالم العربى بشكل عام والمشرق العربى بشكل خاص .

ولعل أبرز ما يجب الحديث عنه فى هذا العصر - عصر السلطان عبد الحميد الثانى - هو مشهده من خلل داخلى وضغط خارجى ، يتفح فيما هو آت .

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج ٣ ، ص ٢٠٣-٢٠٤ .
(٢) أورخان محمد على : المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

(ب) عمر السلطان عبد الحميد الثانى :
الخلل الداخلى ، الضغط الخارجى .

السلطان عبد الحميد الثانى هو ابن السلطان عبد المجيد ، وهو السلطان العثمانى الرابع والثلاثون ، وقد ولد فى يوم الاربعاء المصادف ١٦ من شهر شعبان سنة ١٢٥٨هـ الموافق ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٤٢م ، فى قصر "دولمه باغجه" الواقع على شاطئ البوسفور الاوربى .^(١)

وفى الحادى عشر من شهر شعبان سنة ١٢٩٣هـ الموافق ٣١ اغسطس سنة ١٨٧٦م ، اجتمع كبار رجال الدولة العثمانية ، حيث تليت عليهم فتوى خلع السلطان مراد ، وتنصيب اخيه عبد الحميد الثانى ، سلطانا للدولة العثمانية ، حيث دام حكمه ثلاثا وثلاثين سنة .^(٢)

واذا كان والد السلطان عبد الحميد الثانى هو اول سلطان فى الدولة العثمانية يمنح الصفة الرسمية لحركة التغريب فى الدولة العثمانية ، حين ادخل فى الدولة ماعرف بالتنظيمات - اى تنظيم شئون الدولة وفق المنهج الغربى -^(٣) اى أن الدولة بدأت فى الخروج على النظم الاسلامية ، وادخلت تنظيمات تتنافى مع الشريعة ، فلقد كانت أطماع أوربا فى

(١) أورخان محمد على : المرجع السابق ، ص ٨٣ ؛
زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ص ٥٥
(٢) أورخان محمد على : نفس المرجع ، ص ٩٢ ؛
جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ١٢٨ .
(٣) محمد حرب عبد الحميد : مذكرات السلطان عبد الحميد ، ص ٣

، Elie, Kedourie : England and The Middle East, 1914-1921. p.26 .

الدولة العثمانية حين تولى السلطان عبد الحميد السلطة قد بلغت أقصى درجاتها ، لأن الدول الأوروبية ما فتئت تنهز الأزمات الكبرى التي تمر بها الدولة لكي تحقق مآربها الخفية والمعلنة .

ولاغرابة في ذلك اذ أن العثمانيين قد ظلوا طوال تاريخهم في حرب مستمرة ضد الغرب المسيحي في محاولة لنشر الاسلام على جزء كبير من أوربا ، أو لصد الهجومات المعاكسة الذي يقوم به الغرب ضد الدولة العثمانية طوال ستة قرون . لقد كانت الدولة العثمانية حين استلم السلطان عبد الحميد الثاني زمام الامور فيها تجتاز طريقا صعبا ، وفي حالة من التفكك الداخلي والتهديد الخارجي ، وكان على السلطان الجديد مواجهة هذه المخاطر وايجاد الحلول لمشاكلها الداخلية والخارجية وهذا الجهد المضاعف بطبيعة الحال سيجعل أعداء السلطان عبد الحميد ليسوا من خارج الدولة فحسب وانما سيكونون من داخلها ، ومن رجالات الدولة المشهورين وهو ما سيتطرق له البحث في الصفحات اللاحقة .

بدأ السلطان عبد الحميد عهده بأن عين مدحت باشا صدرا اعظم للدولة العثمانية ، ثم أعقب ذلك وبعد مناقشات ومحاورات جرت في جو ساد به رد الفعل الوطني والاسلامي ضد التدخل الأوربي في شئون الدولة ، بإعلان الدستور^(٢) "المشروطة" ، في أواخر عام ١٢٩٣هـ الموافق ٢٣ ديسمبر

(١) جلال نوري : تاريخ استقبال ، ج ٢ ، ص ١٧ ، محمد أسعد طلس : تاريخ العرب ، المجلد ٢ ، ص ٢٣ .
(٢) المشروطة : السلطات في الدولة ليست مطلقة ولكنها مشروطة بقيود وحدود يقرها القانون الاساسي ، وقد سمى العهد الدستوري - عهد المشروطة .
"منيرة العريضان : المرجع السابق ، هامش ص ٤٦"

(١)
١٨٧٦م .

وقد فوت السلطان عبد الحميد باعلانه للدستور فى تلك الفترة الفرصة على ممثلى الدول الاوربية الذين كانوا مجتمعين فى مؤتمر عام فى الاستانة يبحثون من خلاله مايسمونه بالاصلاح الواجب اتخاذه فى الدولة العثمانية .^(٢)

غير ان الدول الاوربية لم تكثف بهذا التدخل فى شئون الدولة العثمانية ، فعرضت على السلطان عبد الحميد وبعد اقل من عام ، نص البروتوكول الذى وقع فى لندن من قبل كل من بريطانيا وروسيا وفرنسا والمانيا وايطاليا والنمسا - المجر ، والذى تخلص اهدافه فى اجراء اصلاحات فى دول البلقان المسيحية ، واعطاء منطقة صغيرة للجبل الاسود ، وأخيرا طلب تقليص عدد جنود الدولة العثمانية على طول نهر الدانوب .^(٣)

ولقد كانت معاهدة سان ستيفانو San Stefano فى ٢٨ صفر سنة ١٢٩٥هـ - ٢/ مارس ١٨٧٨م التى أعقبت الحرب الروسية والتى وقعتها الدولة العثمانية مع روسيا ورغم عدم تطبيقها الا انها كانت بداية فقد الدولة لكثير من اراضيها وهى بداية النهاية للخسائر الفادحة التى باتت تتعرض لها الدولة العثمانية بين الغينة والاخرى .^(٤)

غير ان قرارات مؤتمر برلين التى وقعت فى ١٣ رجب سنة ١٢٩٥هـ الموافق ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨م والتى خففت كثيرا من

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٣٣ .
(٢) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ١٢٩ .
(٣) أورخان محمد على : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .
(٤) جلال نوري : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٨-٤٩ .

نتيجة معاهدة سان ستيفانو ، كانت ترجمة حقيقية لمدى ماوملت اليه قوة الضغوط الأوربية على أوضاع الدولة العثمانية والتدخل في شئونها الداخلية والخارجية .^(١)

وكان السلطان عبد الحميد الثانى قد أدرك ان ما يصلح لأوربا ليس بالضرورة ان يصلح للدولة العثمانية المسلمة ، لاسيما وان الدولة تركزت على فكر اسلامى أصيل وهى فى حاجة الى تقوية الروابط بين المسلمين للوقوف فى وجه الخطر المسيحى القادم من أوربا ، اضافة الى ذلك عدم ثقته فى نزاهة وكفاءة ساسة الباب العالى ، وهذا ماأكده بعد حين فى مذكراته حيث قال : "... كان جدى السلطان سليم خان يصيح قائلا : ان أيدي الأجانب تسير متنزهة فوق كبدى ، ... كنت أحس أنا أيضا بأيدي هؤلاء الأجانب ليست فوق كبدى وإنما فى داخله ، انهم يشتررون مدورى العظام ووزرائى ويستخدمونهم ضد بلادى" .^(٢)

حينئذ بدأ السلطان فى تركيز السلطة فى يديه مما أعطى مظهر الحكم المطلق لعهد ، وقام بتعطيل الدستور فى أوائل عام ١٢٩٤هـ الموافق ١٤ فبراير ١٨٧٧م ، وقد تطرف بعض المؤرخين العرب حين أشاروا الى ايقاف العمل بالدستور واعتبروا ذلك مثلبا كبيرا فى سياسة السلطان عبد الحميد

(١) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، هامش ٢٨ ، ص ١٤٢-١٤٣

أورخان محمد على : المرجع السابق ، ص ١٤٠-١٤١ ؛
مؤلف مجهول : ثورة العرب ضد الاتراك ، مقدماتها - أسبابها - نتائجها - تحقيق ، عماد محمد شبارو ، ص ٤٨ .
(٢) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، ص ٧٥ .
(٣) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ، ... ، ص ٥٨ ؛ محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ٧٣ .

حتى انهم قد رموه بالاستبداد وبالمكر والخديعة السياسية^(١) ،
وأطلق بعضهم على الفترة التى تلت ايقاف الدستور من عصر
السلطان عبد الحميد فترة "الاستبداد الحميدى"^(٢) .

ولم يكن السلطان عبد الحميد يهدف من ايقاف الدستور
الاستبداد بالحكم ، اذ كان مدركا للاخطار الكثيرة التى تهدد
دولته وماقد يحدثه لها الدستور من نزاعات وصدامات ، فهو
اذاً ليس بتلك الصورة السيئة التى أُلصقت به ، فقد كان يحاول
اصلاح دولته وتحسين أحوالها وانقاذها من تلك الاخطار التى
تهددها من الداخل والخارج .

ولعل المستشار الالمانى الشهير - اوتوفون بسمارك
Bismarck لم يجامل أحدا فى وجهة نظره عندما قال لاحد
المسؤولين العثمانيين حينذاك : "لقد أحسنتم صنعا بتعطيلكم
المجلس ، ذلك لان أية دولة عندما تكون متكونة من قوميات
عدة فان ضرر النظام البرلمانى فيها يكون أكثر من
فائدته"^(٣) .

كانت الازمات الكثيرة تعصف بالدولة العثمانية ابان
عصر عبد الحميد الثانى ، فالخطر من الغرب يهدد أملاك
الدولة ، والاستعمار الأوروبى يقطع من أجزائها الآسيوية
والأفريقية ، والخلل فى داخل الدولة يتنامى مع وجود
الجواسيس والعملاء الذين يحاولون الاطاحة بالخلافة الإسلامية
وسلطان الدولة القوى ، وهذا ماأكده السلطان فى مذكراته
بعد ذلك ، وكيف أنه حاول مجابهة هذا الخطر بأسلوبه

(١) وجيه كوثرانى : بلاد الشام السكان الاقتصاد والسياسة
الفرنسية فى مطلع القرن العشرين ، ص ٣١٦ .

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

(٣) أورخان محمد على : المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

(١)

الخاص .

فحين أدرك السلطان عبد الحميد الثانى مدى الاخطار التى تهدد أجزاء دولته ، حاول أن يوطد سلطة الدولة فى البلاد العربية ، وفى بلاد الشام بالذات لمركزها الاستراتيجى الهام وباعتبارها مفتاحا للحجاز الذى تهفو اليه أفئدة المسلمين كافة ، فقسمها الى ثلاث ولايات وسنجقين ، ولاية حلب فى الشمال ، وولاية بيروت فى الغرب ، وولاية دمشق فى الشرق وسنجق جبل لبنان ، وسنجق القدس ، ثم قسم العراق كذلك الى ولايات ثلاث هى : ولاية الموصل فى الشمال ، وبغداد فى الوسط ، والبصرة فى الجنوب ، وقد ربطت متمرفية القدس بالاستانة (٢) رأسا .

ولادراكه أن ارضاء الشعوب والاقوام المختلفة التى تستظل بالراية العثمانية تدبير حكيم ، فقد حرص أن يفهم الى بطانته ورجال حرسه مجموعة من العرب ، وأوصل بعضهم الى مراكز بارزة ، لأن ثقته فى العرب كانت كبيرة ، ولم يخامره أدنى شك فى ولائهم للخلافة الاسلامية ، فالغالبية العظمى منهم ترى أن العمل على تقويض أركان الخلافة يعتبر تقويضا لأركان الاسلام ذاته . (٣)

ثم سعى السلطان عبد الحميد الثانى لبناء سكة حديد الحجاز بين المدينة المنورة ودمشق للوقوف فى وجه الاخطار التى تهدد الدولة العثمانية المسلمة ولكى يزيد من ترابط المسلمين وتقاربهم ، فهو القائل : "... المهم هو اتمام خط

(١) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، ص ٥٦، ٨ .
 (٢) عبد الكريم رافق : المرجع السابق ، ص ٥٣٢ .
 (٣) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ، ص ٥٨ .

السكة الحديد بين دمشق ومكة فى أسرع وقت ... ففى هذا تقوية للرابطة بين المسلمين ، كما فيه أيضا اتخاذ هذه الرابطة - بعد تقويتها - صخرة صلبة تتحطم عليها الخيانات (١) والخدع الانجليزية " ، كما أن احتلال بريطانيا لمصر قد ذهب بسيطرة الدولة العثمانية على قناة السويس ، الشريان الرئيسى للوصول الى الحجاز ، وقد تصدى السلطان عبد الحميد للاطماع الاوربية المتعاودة سواء فى أوروبا أو فى المشرق العربى وكانت لديه رغبة فى افتتاح ترعة بين البحر الميت والبحر الاحمر ويتم وصلها بالبحر المتوسط لان ذلك يمنح دولته شيئا من الاستقلالية عن قناة السويس ويبعده عن مكائد الانجليز ومكرهم كما يقول . (٢)

وقد اشار الى هذا الاتجاه السفير البريطانى فى الآستانة فى تقريره السنوى لعام ١٩٠٧م الموافق لسنة ١٣٢٥هـ حين قال : "... تلك السياسة الماهرة التى حدث بالسلطان الى أن يظهر أمام ثلاثمائة مليون من المسلمين بمظهر الخليفة والزعيم الروحى للاسلام ، ... حين مد سكة حديد الحجاز ، التى ستيسر لكل مسلم فى المستقبل القريب سبيل الحج الى الأماكن المقدسة فى مكة والمدينة " . (٣)

ولأن السلطان عبد الحميد كان يرى حينذاك أن الحروب المليبية ضد الاسلام لم تنته ، فقد حاول توحيد عناصر الدولة

-
- (١) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، ص ٨ .
 (٢) نبيل عبد الحى رضوان : الدولة العثمانية وغربى الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس ، ص ١٨٧ .
 (٣) جريدة الاهرام عدد ١٠٦١٣ فى ٢١ صفر سنة ١٣٣١هـ ؛ جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٢٣ فى ٢٧ صفر سنة ١٣٣١هـ .
 (٤) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ١٤٣-١٤٤ .

من المسلمين ، لايجاد جبهة للصمود فى وجه الغرب المسيحى ،
 وأجل عددا من المسلمين محل كبار الموظفين المسيحيين الذين
 كانوا يشغلون مناصب هامة وبخاصة فى وزارة الخارجية
 والسفارات العثمانية فى الخارج .^(١)

وكان السلطان عبد الحميد يرمى الى تجميع الامة
 الاسلامية لتقاوم النفوذ الاوروبى المتصاعد الذى بدا يهدد
 الاقطار الاسلامية بشكل عام والدولة العثمانية بشكل خاص ،
 لانه يرى فى الجامعة الاسلامية سجايا يحمى الدولة من الاخطار
 التى كانت تحيط بهامن كل جانب أمام اطماع الروسيا
 والنمسا - المجر ، وفرنسا ، وبريطانيا ، فهذه الجامعة هى خير
 علاج يواجه به خصومه ، لانها تعنى الالتزام بالشرعية الاسلامية
 فى الداخل بدلا من الاتجاه الى النظم الواردة من الغرب
 وبالتالى تجعل الالتفاف حول دولة الخلافة من قبل الشعوب
 العثمانية وتلبية نداء الجهاد الاسلامى ضد المطامع الاجنبية
 امرا حتميا ، وقد أكد ذلك هو حين قال : "... ان الاسلام هو
 القوة الوحيدة التى تجعلنا اقوياء ، ونحن امة حية قوية ،
 ولكن شرط أن نمدق فى ديننا العظيم" .^(٢)
^(٣)

والى جانب ذلك عمل السلطان على تطوير الجيش ، واهتم
 بالمدارس العسكرية لادراكه أن القوات المسلحة ذات الكفاءة
 العالية والتدريب الجيد هى الحصن الحصين لانقاذ الدولة من

(١) أحمد عبد الرحيم ممطفى : المرجع السابق ، ص ٢٥٢، ٢٤٩ .
 (٢) عبد العزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية - دولة
 اسلامية مفترى عليها - ج ٣ ، ص ١١٩٩ .
 (٣) موفق بنى المرجة : صحوة الرجل المريض - أو - السلطان
 عبد الحميد الثانى والخلافة الاسلامية ، ص ٢٥ .
 (٤) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، ص ١٣ .

(١)
الانهيار ، لكن الخلل الداخلى فى الدولة والضغط الخارجى
عليها لم يمكنا السلطان عبد الحميد من تحقيق آماله التى
كان ينشدها .

فى أواخر عام ١٣١٧هـ الموافق لشهر ديسمبر ١٨٩٩م ،
هرب الداماد محمود باشا زوج شقيقة السلطان ومعه ولداه
مباح الدين ولطف الله ، وكان الهدف من هروبه هو اظهار
معارضته لحكم السلطان عبد الحميد الذى رفض اعادة الدستور
ثم خلف الامير مباح الدين والده فى معارضة السلطان واسس
معارف بجمعية "التشبيث الشخصى واللامركزية" ، وأنشأ لها
صحيفة باسم "ترقى" ، غير أن افكار الامير مباح الدين أصبحت
معاكسة لبرنامج جمعية الاتحاد والترقى التى مارست ضده
كثيرا من الضغوط لينتهى به الأمر وبجمعيته الى السير فى
ركاب جمعية الاتحاد والترقى ، وبالتالي حل جمعية اللامركزية
والتشبيث الشخصى فى شهر شوال سنة ١٣٢٦هـ الموافق لشهر
(٢)
نوفمبر ١٩٠٨م .

أما جمعية تركيا الفتاة فقد كانت من مظاهر الخلل
الداخلى فى عصر السلطان عبد الحميد الثانى ورغم أنها
تكونت فى البداية من عدد قليل من تلامذة مدارس الطب
العسكرية ومن بعض الاتراك المناوئين للسلطان عبد الحميد
والذين هربوا الى أوروبا ومعظمهم من المسيحيين ، إلا أن
(٤)

-
- (١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٥٥ .
(٢) آرنست .إ. رامزور : تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨م ،
ص ١١٠، ٨٣ .
(٣) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٨٦-٨٧ .
(٤) آرنست .إ. رامزور : المرجع السابق ، ص ٥٥، ٤٩ .
أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .

هذه الجمعية سرعان ما انتشرت في أرجاء الروم ايلي ، وكونت لها خلايا بين ضباط الجيش ، ومن ثم اتفق مؤسوها على تحويل اسمها من "جمعية الحرية العثمانية" الى "جمعية الاتحاد والترقي العثماني" ، وكان الولاة في الروم ايلي يلتحقون بها تباعا ، ولها جواسيس وعملاء في قصر السلطان عبد الحميد يبعدون عنها الشكوك ويطلعونها على ما يدور في القصر .^(١)

كان السلطان عبد الحميد يدرك انه لا يستطيع ان يقف امام الدول الاوربية بمفرده ، إذأ فالسبيل الوحيد لسلامة دولته هو ان يعتمد على ما بين هذه الدول من تنافس وخصومات ويشرب بعضها ببعض ، ولكن الخطر الداهم جاء من داخل الدولة وكان السلطان عبد الحميد الثاني يعرف ذلك الخطر جيدا ، وهذا ما تاكد من خلال مذكراته حين قال : "... هؤلاء الذين اطلقوا على انفسهم اسم - تركيا الفتاة - كانوا في الاصل ثلاثة اشخاص او خمسة ، وهؤلاء عملوا احدى عدة سنوات في اوربا تكلموا ، خططوا ، كتبوا ، كل ذلك قبل ان يفكروا ان العمل ضد معنى ايها - العمل ضد الوطن ... استطعت ان اعرف من تحقيقاتي ان كلهم تقريبا من الماسون وانهم منتسبون الى المحفل الماسوني الانجليزى وكانوا يتلقون معونة مادية من هذا المحفل ...".^(٢)

تتابعت الاخطار على الدولة العثمانية في اواخر عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، وزاد في سرعتها ذلك الاجتماع الشهير الذى تم في ريفال - على بحر البلطيق - بين قيصر

(١) Mithat Şükrü Bleda : İmparatorlu Ğun Ğöküşü, pp.30-31.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ .

(٣) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، ص ٥٨، ٤٩ .

روسيا وملك انجلترا فى الحادى عشر من جمادى الاولى سنة ١٣٢٦هـ الموافق ١٠ يونيو سنة ١٩٠٨م ، الذى اشيع عنه اعتزام بريطانيا التخلّى عن معارضتها التقليدية للاطماع الروسية فى بعض املاك الدولة العثمانية ، حينئذ سارعت جمعية الاتحاد والترقى باشغال ثورة قام بها الجيش التركى الثالث فى الخامس والعشرين من جمادى الثانية سنة ١٣٢٦هـ ، المصادف للرابع والعشرين من يوليو سنة ١٩٠٨م ، اعاد السلطان بسببها الدستور ، او ما عرف بالمشروطية الثانية ، ومع هذا فان تلك الثورة زادت من اهتمام الساسة الروس بشئون المفاائق والبحث حولها .^(١)

وقد اختلف المؤرخون واختلفت مواقفهم ونظرياتهم حول تلك الاحداث المتتالية التى شهدتها الدولة العثمانية ، والتى انتهت بخلع السلطان عبد الحميد الثانى فى يوم الثلاثاء الموافق ٦ ربيع الآخر سنة ١٣٢٧هـ ، الموافق ٢٧ ابريل سنة ١٩٠٩م ، بناء على قرار مجلس المبعوثان الذى اجتمع فى سان ستيفانو فى شكل جمعية وطنية وبمقتضى فتوى من شيخ الاسلام ،^(٢) إلا أن مايلفت النظر هنا هو أن يكون من أعضاء اللجنة التى قامت بابلاغ السلطان عبد الحميد قرار خلعه شخصية يهودية معروفة بكرهاها للدولة العثمانية وللمسلمين

(١) حقى العظم : الحرب البلقانية أسباب ونتائج ، مقال بجريدة المقتبس عدد ١٠٥٦ فى ٢٨ ذى الحجة ١٣٣٠هـ ،
، ارنست . ا. رامزور : المرجع السابق ، ص ١٤٧ .
(٢) M.philips Price : AHistory of Turkey, From Empire to Republic, p. 82 .
(٣) Halford .L.Hoskins : The Middle East, p. 25 .
(٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٧٠٩-٧١٠ .

(١)
 بشكل عام ، وهو اليهودى ايمانويل قراصو ، ولقد كان
 السلطان عبد الحميد اول من تنبه الى ذلك حين رآه فى الوفد
 فسألهم قائلاً : " ألم تجدوا شخماً آخر غير هذا اليهودى لكى
 تبلغوا خليفة المسلمين قرار الحل ؟!! " .
 (٢)

هذا الحدث وما سبقه من أحداث فى أقل من عام دليل
 لايقبل الشك على أن الخلل الداخلى فى الدولة قد وصل الى
 درجة لاشفاء فيها وبطبيعة الحال كان الضغط الخارجى على
 الدولة يفوقه بمراحل ، ولقد عبر السلطان عبد الحميد عن
 ذلك أبلغ تعبير حين قال : " ماذا حدث عندما أعلنت
 المشروطية ؟ هل قلت ديون الدولة ؟ هل كثرت الطرق
 والموانئ والمدارس ؟ هل أصبحت القوانين الآن أكثر تعقلاً
 ومنطقاً ... هل أصبح الرأى العام العالمى الآن بجانبنا أكثر
 من ذى قبل ؟ وهكذا عديد من الاسئلة واذا زادت فليس من رد
 ايجابى يمكن أن يرد به عليها ، ... الدواء الناجح يصبح
 سماً زعافاً اذا كان فى يد غير الاطباء او من لايعرفون اصول
 استعماله " .
 (٣)

لقد جابه السلطان عبد الحميد تلك المصاعب فى الداخل
 والخارج ، وحاول أن تكون الجامعة الاسلامية دعامة تدفع الأمم
 الاسلامية للاتجاه نحو الدولة العثمانية ، وترفع مكانته لدى
 الشعوب الاسلامية الخاضعة للدول الأوروبية ليتمكن من حمل هذه
 الدول على تعديل سياستها بعض الشيء نحو دولته التى يؤمن
 أن العثمانية فيها ماهى الا رابطة تربط الشعوب التى تختلف

(١) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، ص ٦-٧ .

(٢) أورخان محمد على : المرجع السابق ، ص ٣٣٣-٣٣٤ .

(٣) محمد حرب عبد الحميد : نفس المصدر ، ص ٩٩ .

أصولها وفصولها ، وأن الحركات القومية فيها تملكها ولا تنفع
(١)
أهلها بشيء .

ولقد استطاع السلطان عبد الحميد أن يحافظ على تماسك
ما تبقى من الدولة العثمانية ويحتمسك بطابعها الاسلامى ، رغم
ما وجه له من التهم الباطلة والمفات السيئة ، سواء لشخصه
هو أو سياسته فى دولته ، ولم يعدم التاريخ العربى الحديث
بعض المنصفين الذين دافعوا عن سلوكيات السلطان الشخصية
وسلامتها من كل عيب الملق فيها ، كما دافعوا عن سياسته التى
انتهجها والتى كانت تعتبر مثلبا يرمى به السلطان ، وعيبا
(٢)
(٣)
ينفرد به فى نهجه السياسى .

هكذا كان عصر السلطان عبد الحميد الثانى ، وما كان
فيه من خلل داخلى أضر بالدولة العثمانية ، وأثر على
شعوبها ، وما صاحب هذا الخلل من ضغط خارجى ظهرت آثاره على
نفوذ الدولة فى أجزائها البعيدة عن مركز الخلافة ، كالبلاد
العربية فى المشرق العربى والتى هى مدار هذا البحث ،
والتي كان رد الفعل فيها واضحا حينذاك ، وهذا ما سنحطرق
اليه فى المبحث التالى من هذا التمهيد .

-
- (١) محمد شفيق غربال : المرجع السابق ، ص ١٠٦-١٠٧ .
(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ .
(٣) عبد الله بن الحسين : مذكراتى ، ص ٢٣ .
محمد شفيق غربال : نفس المرجع ، ص ١٠٧-١٠٨ .

(ج) رد الفعل عند العرب : الاصلاح ، معناه .

أدرك زعماء الاصلاح فى العالم العربى مدى خطورة الغزو الأوروبى الذى بدأ يتصاعد فى أجزاء مختلفة من بلدانهم فى وقت كان الخلل الداخلى والضغط الخارجى هو السمة البارزة فى حياة الدولة العثمانية .

ولأن العاطفة الدينية لديهم كانت من أقوى الروابط التى تشدهم الى الخلافة الاسلامية ، فقد كانوا يعتبرون ان دولة الاسلام هى دولتهم ، والسلطان المسلم هو حامى حمى الاسلام ، ورافع لواء الجهاد ضد الكفار ، ومع هذا فهم يسلمون بضرورة تحسين الحالة الداخلية فى البلدان العربية من خلال الرجوع الى الاسلام الحقيقى والى المؤسسات الاسلامية التى تبعدهم عن شبح الاستعمار الغربى وحضارته المتجهة الى العلمنة والبعد عن الدين .^(١)^(٢)

ولأن العثمانيين قد احتفظوا بالبناء الاجتماعى والاقتصادى الذى كان سائدا فى البلاد العربية قبل دخولها فى اطار الحكم العثمانى ، مما ساعد العرب على ان يحتفظوا فى ظل الدولة العثمانية بمقوماتهم الاساسية من لغة وثقافة ،

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ٥٠ .
(٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ، ص ١٣٤-١٣٥ .

= كلمة علمانى : أى Secularism : أى لادينى ، وليس مشتقة من العلم .
سفر عبد الرحمن الحوالى : العلمانية - نشأتها وتطورها وآثارها فى الحياة الاسلامية المعاصرة ، ص ٢١ .
(٣) محمد عبد اللطيف البحراوى : من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم ، مجلة الدارة ، العدد الرابع ، السنة الثالثة عشرة ، ص ٢٠٢ .

فقد كانت ملامح الإصلاح لدى الفئة المثقفة من العرب فى تلك الفترة هى الحصول على شئ من الاستقلال الذاتى الذى يضمن لهم حقوقهم ويوفر لهم العدالة الاجتماعية والحرية الذاتية فى ظل دولة الخلافة ، لكى يتأتى لهم النهوض فى ظل الاسلام الذى انطلق منه مجدهم ، وظهرت عزتهم ، انطلاقا من قوله تعالى : { كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ... } الآية .^(١)

ولاشك فى ان انتشار التعليم الغربى فى بلاد الشام وتزايد نشاط المدارس والكليات الاجنبية التى كانت تنمو فى كنفها الارساليات التنميرية قد زاد من قلق العرب المسلمين الذين ادركوا خطورة هذا الغزو الثقافى الاجنبى ، وحدث لديهم رد فعل قويا حيث بدأوا فى قيادة الحركة العربية ذات الاتجاه الاسلامى ، ليصل بهم الامر الى العزوف عن ادخال ابنائهم المدارس الاجنبية خوفا على عقيدتهم من سموم البعثات التنميرية .^(٢)

وبقى العرب المسلمون فى معزل عن المؤسسات التربوية المسيحية ، بل وانشأوا مدرسة اسلامية فى بيروت عرفت بالكلية العثمانية الاسلامية ، وهاجم بعض المفكرين العرب تلك التربية الغربية فى البلدان الاسلامية ، وقد رأى السيد محمد رشيد رضا ان هؤلاء "المخرجون من هذه المدارس .. هم الآلات التى يستعين بها الأجانب على ادارة أمر البلاد ، لانهم تربية مدارسهم ، او الجيش السلمى لثكناتهم ولا يتم لهم

(١) الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

(٢) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ٩٥-٩٦ .

(١)

مايسمونه الفتح السلمى بدونهم " .

لقد ظهرت الحركة العربية على مسرح الاحداث بعد انتهاء الحرب العثمانية الروسية فى اواخر عام ١٢٩٥هـ/منتصف سنة ١٨٧٨م ، الا ان رابطة الدين الاسلامى التى تربط العرب بالدولة العثمانية وحرص العرب على ارتباطهم بدولة الخلافة حد من بروز هذه الحركة ، وحين اجتمع السوريون لمناقشة وضع الدولة العثمانية المضطرب حينذاك بسبب تلك الحرب ، كان اتفاقهم على ان يظل ارتباطهم الروحى فى البلاد الشامية مستمرا مع الدولة العثمانية ، وان يبقى الخليفة العثمانى خليفة للمسلمين ، ولم يتجهوا للمطالبة بالاستقلال التام الا اذا تبين لهم ان الدول الاجنبية تهدف الى الاستيلاء على بلدانهم ، وهذا الاتجاه يتنافى بطبيعة الحال مع ماذهب اليه بعض المؤرخين فى العمور المتأخرة .

وفى الوقت الذى كانت اغلبيه العرب المسلمين تميل الى تاييد الخلافة ، لان فى ذلك تاييد لاسلام ، الا ان العرب المسيحيين الذين تعلموا فى مدارس البعثات التنميرية كانوا يميلون وبقوة فاعلة نحو الانفصال عن الدولة العثمانية ، تؤيدهم فى ذلك الدول الاوربية التى كان احتضانها للحركة العربية حينذاك هو تحقيق لآغراضها الخاصة واهدافها

(١) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، هامش ٢٢، ١٩ ، ص ١٨٩-١٩١ .

(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٣) مصطفى الشهابى : من ذكريات الحركة القومية العربية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٦ ، سنة ١٩٥٧م ، ص ٣ .

(٤) ارنست ا. رامزور : المرجع السابق ، ص ٢١ ؛ جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

(١)
الاستعمارية المبينة من خلال هذه الحركة ، وقد وجدت هذه
الدول بالفعل من نصارى الشام فريقا يرغب فى أن تحكمهم
فرنسا ، وفريق آخر يحبذ الارتباط مع بريطانيا .
(٢)

وقد كانت لبنان التى حصلت على قسط وافر من التعليم
الغربى وأخذت بكثير من الأساليب الغربية هى بؤرة ذلك
الاتجاه ضد الاسلام والخلافة الاسلامية ، إذ أن المسيحيين الموارنة
كانوا يطالبون بالانفصال عن الدولة العثمانية ، وهذا عائد
بطبيعة الحال الى شعورهم بالعزلة نتيجة لاعتناقهم للديانة
المسيحية ورغبتهم فى أن تحكمهم دولة تدين بدينهم ، الا
أنهم أدركوا أن بلوغ غايتهم فى الانفصال لن يتم الا
بتعاونهم مع المسلمين ، حينئذ لجأوا الى استخدام القاسم
المشترك وهو العروبة ، وتغنوا بذلك الشعار فى محاولة منهم
لتأليف جبهة عربية موحدة تقوم على فكرة العروبة ، لعلها
تستطيع أن تقف فى وجه الدولة العثمانية المسلمة ، وهذه
الافكار وتلك النظرية القاصرة التى أوجدت فكرة القومية
العربية كبديل للروابط الدينية ، هى فى الواقع النظرية
العامة والكاملة عند أعداء المسلمين حتى وقتنا الحاضر .
ولعلماء المسلمين القول الفصل فى تلك الدعوة ومصدرها
وغايتها حين أكدوا على أن "الدعوة الى القومية العربية
أحدثها الغربيون من النصارى لمحاربة الاسلام والقضاء عليه
فى داره بزخرف من القول وأنواع من الخيال واساليب من

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ٩٦، ٨٩ .

(٢) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ٢٤٠ .

(٣) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص ٦٠-٦١ .

(١)

الخداع فاعتنقها كثير من العرب من أعداء الاسلام " .

ولئن كان الشيخ محمد عبده يرى أن تطهير الاسلام من المؤثرات الفاسدة والدفاع عنه ضد الهجمات المسيحية ، لايتأتى الا بمعرفة المسلمين لدينهم ، ليتحقق لهم الوقوف فى وجه التيارات الثقافية الاوربية الفارة ، وفى وجه الحضارة المادية ، فانه كان يدعو الى نهوض الامة العربية المسلمة لتقف ضد الاستعمار الاوربى وحده دون الاصطدام بالدولة العثمانية المسلمة ، وهو بهذا يعارض افكار الكواكبي الذى تطرف كثيرا فى قوميته العربية ، وفى محاولته فصل العرب عن الترك ، بل وزرع الاحقاد بينهم والتنكر للدولة العثمانية ، معتبرا اياها دولة غير جديرة بالخلافة الاسلامية ، لانها لم تقدم للاسلام اى نفع على حد زعمه ، ولعل ذلك شئ غير مستغرب على الكواكبي الذى اتخذ من أحد مقاهى القاهرة قاعة لطرح آرائه وتخرصاته يوميا على اصدقائه وجلسائه من النصارى واليهود كما يؤكد ذلك أحد المؤرخين المعجبين به .

ولقد ظهر كثير من دعاة اصلاح العرب المسيحيين ، الا ان اشهرهم كان نجيب عازورى ، الذى أسس حزب قومى عربى صرف اسماء "حزب جامعة الوطن العربى" وذلك سنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م ، ثم قام بنشاط ثقافى مكثف مجد العرب من خلاله ، وصب جام غلبه وحقده على الاتراك ، ولأنه كان مسيحيا مارونيا فقد نشأ

-
- (١) الشيخ عبد العزيز بن باز : نقد القومية العربية على ضوء الاسلام والواقع ، ص ١٣ .
 (٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص ٧٠ .
 (٣) ابراهيم أحمد العدوى : قادة التحرير العربى فى العصر الحديث ، ص ٨٣ .
 (٤) عبد الرحمن الكواكبي : ام القرى ، ص ١٦٣-١٧٠ .
 (٥) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ١٦٨-١٦٩ .
 (٦) نجيب عازورى : يقظة الامة العربية ، ص ١٩ .

نشأة فرنسية ، وكان شديد الحب والميل الى فرنسا وحضارتها
وقد تنكر للعرب المسلمين واللغة العربية حين ألف كتابا
باللغة الفرنسية بعنوان "يقظة الامة العربية"

(١)
"Le Reveil de La Nation Arabe"

ويعتبر نجيب عازورى من أول دعاة العلمانية الذين
نادوا بفصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية ، ليس هذا
فحسب ، وإنما طالب بفصل البلاد العربية عن الدولة
العثمانية ، وأكد للدول الأوروبية أن العرب على أتم
الاستعداد لاحترام المصالح الأجنبية ومنح جميع الامتيازات
التي كانت تمنح من قبل الدولة العثمانية إذا تم لهم
الانفصال عن الدولة العثمانية ، وبصرف النظر عن نشأة صاحب
هذه الآراء ، وميوله ، فإن نشر أفكاره بلغة أجنبية غير اللغة
العربية وفى عاصمة بلاد أجنبية دليل كاف على انحرافه عن
طريق المصواب ، وتأثره بالأفكار الغربية ، وربما السعى
لتحقيق مطامع الاستعمار الأوروبى فى البلاد العربية من خلال
شعارات القومية والوطنية .

وإذا كانت حركة التنظيمات فى الولايات العربية قد
زادت من فكرة العثمنة بين العرب المسلمين ، فإنها قد زادت
من الوطنية اللادينية بين العرب المسيحيين ، وحينئذ لم
(٥)

(١) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية هامش
٤٧ ، ص ٢٠١ .

(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٣) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٤) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

(٥) البرأورطايلى : انفصال الولايات العربية الشرقية عن
الدولة العثمانية مقالة فى المجلة التاريخية
المغربية ، عدد ٣١-٣٢ ديسمبر ١٩٨٣ م ، ص ٥٤٤ .

يقتصر الإصلاح لدى العرب المسلمين على ولاياتهم وانما ارادوا من الإصلاح انقاذ الدولة ، وهذا ماظهر من خلال تأليف "جمعية الشورى العثمانية" فى القاهرة سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م ، والتي شارك فيها كثير من العثمانيين غير العرب .^(١)

وحين أعلن عن عودة المشروطة - الدستور - سنة ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م ، ظهرت الابعاد المنشودة للإصلاح لدى القوميات المختلفة التى تضمها الدولة العثمانية ومن ضمنها العرب ، ويذهب بعض المؤرخين الى أن الابتهاج والسرور الذى عم البلاد العربية كان مصدره شعور العرب بأنهم سيحصلون على بعض المناصب الوزارية ، وستكون المساواة بينهم وبين جميع العناصر فى الدولة من خلال انتمائهم الى جمعية الاتحاد والترقى ، التى لعبت دورا فى إعادة الدستور .^(٢)

بينما يؤكد البعض أن مطالب العرب تنحصر فى المساواة مع غيرهم من العناصر ليساهموا فى اصلاح الدولة ، وليس لهم طمعا فى الوظائف ، لاسيما أن بعض المسئولين العثمانيين قد أطلق تصريحات تؤكد المساواة وأنه بعد الدستور لافرق بين العرب والترك والروم وغيرهم فكلهم عثمانيون متساوون فى الحقوق والواجبات تحت راية الدولة العثمانية .^(٣)

انشئت أول جمعية عربية فى الآستانة بعد الدستور باسم جمعية "الاخاء العربى العثمانى" فى ٥ رجب سنة ١٣٢٦هـ ، الثانى من سبتمبر سنة ١٩٠٨م ، ومن أهدافها الرئيسية توحيد

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٥١-٥٢ .

(٢) ادوار عطية : العرب ، ص ٨٨-٨٩ .

محمد أسعد طلس : المرجع السابق ، ص ٤١ .

(٣) توفيق على برو : نفس المرجع ، ص ١٦٢، ٧٦ .

جميع العناصر في الولاء للسلطان ، واصلاح الولايات العربية
(١)
وتعليم اللغة العربية فيها ، وحين اذاعت الجمعية السورية
في باريس بيانها الذي دعت فيه الى استقلال سوريا استقلالا
اداريا ، سارعت الاغلبية العربية الى استنكار ذلك على
(٢)
مختلف المستويات ، واعربوا عن ولائهم للدولة العثمانية .
ولقد أدرك السفير البريطاني في الاسكندرية السير جيرارد
لوثر Sir, Gerard Lowther ، مايعنيه مفهوم الاصلاح عند
العرب ، ومدى اخلاصهم للسلطان العثماني والدولة العثمانية
مؤكددا في ذلك لوزير خارجيته انه رغم الشكوك التي تنحدر
العرب في امر هذا الاصلاح فان ولائهم للحكم العثماني ينطلق
من كونه حكما اسلاميا ، والسلطان العثماني هو الرئيس
(٣)
الروحي للدولة العثمانية .

ان دعاة الاصلاح من العرب المسلمين لم يفكروا بالاستقلال
عن الدولة العثمانية ومطالبهم الاصلاحية كانت تنحصر في
اجراء الاصلاحات في الولايات العربية من خلال التوسع في نظام
اللامركزية الادارية ، وتمثيل العرب في وظائف الدولة. تمثيلا
(٤)
يتناسب مع نسبتهم العددية ، وهذا عكس ماكان ينادى به
العرب المسيحيون الذين اختلفت تطلعاتهم الى الاصلاح ومعانيه
(٥)
فمنهم من يرغب في الاتجاه الى الغرب بحكم رابطة الدين ،
ومنهم من يدعو الى انشاء احزاب مسيحية داخل الدولة تحقق

-
- (١) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .
(٢) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ١٢١-١٢٢ .
(٣) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص ٧٣ .
(٤) محمد عزة دروزة : نشأة الحركة العربية الحديثة ،
ص ٣٠٦ .
(٥) حسان حلاق : بيروت المحروسة في العهد العثماني ،
ص ٢٩١ .

(١)

لعم القوة والاستقلال .

وقد أنشئ في القاهرة أواخر سنة ١٣٣٠هـ ، أواخر سنة ١٩١٢م حزب يدل دلالة واضحة على مايعنيه الإصلاح لدى العرب المسلمين هو "حزب اللامركزية الادارية العثمانى" ، وقراءة بيان هذا الحزب وبرنامجه تضع النقاط على الحروف حول أهداف واتجاهات الإصلاح عند العرب ، التى ترمى فى مجملها الى البقاء فى ظل الدولة العثمانية المسلمة والتحدى لطمع الطامعين الذين يهددون الدولة من كل اتجاه .^(٢)^(٣)

من كل ذلك يظهر لنا ان رد الفعل عند العرب كان يتمثل فى الإصلاح بمعناه الشامل ، والذي بموجبه يتم تطهير جميع مرافق الدولة العثمانية من كل خلل دخل فيها ، وبالتالى منح الولايات العربية نوعا من الاستقلال الذاتى فى اطار مايعرف باللامركزية ، على ان لاينفرد العرب بعقد أى معاهدات اواتفاقيات سياسية أو اقتصادية مع الدول الاجنبية الا بعد الرجوع الى الدولة العثمانية - دولة الخلافة - وعن طريقها .^(٤)

هذا الاتجاه الذى اخذ به غالبية العرب حينذاك يدحض بقوة تلك المفاهيم التى صاحبت عبارة "يقظة العرب" والتى شاعت كثيرا واسى فهمها واستخدامها ، لاسيما من أعداء الدولة العثمانية من الدول الأوروبية ومناصريها فى الوطن

-
- (١) جريدة المقطم ، عدد ٦٩٤٨ فى ١٧ صفر ١٣٣٠هـ .
(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ١١ ، ص ٨٨٠-٨٤٩ .
(٣) جريدة الاتحاد العثمانى ، عدد ١٣٤٧ فى ٢٧ ربيع الاول ١٣٣١هـ .
(٤) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٧ ، ص ٥٤٩ .

العربى ، الذين استغلوا ابتعاد بعض رجال الدولة عن أصول الدين الاسلامى ، الذى كان هو الرابطة القوية بينهم وبين العرب المسلمين ، لينفثوا سمومهم وأحقادهم ، ويفرقوا بين العرب والترك ، بشعارات رنانة .

فاليقظة العربية - عندهم - هى اسقاط الدولة والتنكر لها ، والقومية التركية - كما يزعمون - هى القاعدة القوية لبناء دولة علمانية جديدة - وهذا غاية ما يهدف اليه أعداء الاسلام والمسلمين .

وهكذا كان الحال الذى انتهى فى آخر الامر بأفول دولة الخلافة ، وسقوط أجزاء من المشرق العربى فى أيدي الاستعمار الغربى .

لقد كانت الحالة السياسية السائدة فى المشرق العربى قبيل فترة البحث ، شبيهة بفوهة بركان خامد لا يعرف كنهه ، فالغزو الأوروبى يكتنفه من كل جانب ، والخلل ينخر فى جسم الدولة ، ورد الفعل عند العرب لم يتحقق ولم يكتمل نموه بعد ، وهذا ما يدعونا فى المبحث التالى من هذا التمهيد للتعرف على تلك التيارات التى كانت تموج بها الدولة العثمانية حينئذ .

(د) فترة الاختلاط : الاتحاد والترقي ، الاتحاد الاسلامي ،

التقدم الاسلامي ، الاتحاد الطوراني .

كى تكون الصورة واضحة لما كان عليه الوضع التاريخي والسياسي فى العالم العربى والدولة العثمانية قبيل حروب البلقان ، حري^١ بنا أن نلقى شيئا من الضوء على تلك الأفكار والتيارات الدينية والسياسية التى كانت تهز كيان الدولة العثمانية وتؤثر بالتالى على مجريات الاحداث فى المشرق العربى .

لقد كان العثمانيون مؤلفين من عدة عناصر وملل شتى ، غير أن الدولة العثمانية ذات العنصر التركى قد ارتضت الدين الاسلامى مصدرا لها ودستورا لحكمها وعاملت أصحاب الملل المختلفة فى ضوء دستورها ونظام حكمها ومنحتهم حقوقهم ، وتركت لهم الحريات الكاملة فى عباداتهم ، لأنها^(١) وجدت فى الاسلام "تنظيم العلاقات بين الراعى والرعية ، وبين الرجل وأهله ، وبين الرجل وأقاربه ، وبين الرجل وأخوانه المسلمين ، وبين المسلمين والكفار ، بعبارات واضحة^(٢) وأساليب جلية " .

إن الاسلام هو أهم عامل يجمع بين العرب وغير العرب فى رابطة من أقوى الروابط ، وجامعة من أرقى الجامعات ، فالمسلم يشارك أخاه المسلم الآمال والآلام وأن نأت الديار بينهم ، واختلفت المنافع المادية والسياسية ، فتراه أكثر

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٤ ، ج ١١ ، ص ٨٣٣ .

(٢) الشيخ عبد العزيز بن باز : المرجع السابق ، ص ٤ .

حبا وعظفا وحنانا على أخيه المسلم ، وهذا تأكيد لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" ^(١) .

ولأن الشريعة الإسلامية كانت هي الدعامة التي ارتكزت عليها دولة الخلافة العثمانية المسلمة ، فقد كان توحيد العالم الإسلامي وإعادة مجد الخلافة الإسلامية هو الأمل الذي يراود أفئدة القادة المسلمين وعلمائهم ، وهذا ما حاول أن يقوم به السلطان عبد الحميد الثاني عندما تبنى الدعوة إلى الجامعة الإسلامية ، التي صادقت بعض النجاح ، لأن المسلمين في الدولة وفي مقدمتهم السلطان كانوا على اعتقاد كامل بأن السبب الكامن وراء ضعف الخلافة مرجعه ضعف الشعور الديني ، مما ساعد الدول المسيحية على التغلغل في أجزاء متفرقة من العالم الإسلامي ^(٢) .

وحين بدأ السلطان عبد الحميد في دعوته للجامعة الإسلامية وجد التأييد والعون من السيد جمال الدين الأفغانى الذى يعتبر أول من اشتغل بنشر فكرة هذه الجامعة لكن بريطانيا تصدت لها وأوقفت حركتها في مصر في بداية ظهورها ^(٣) .

واتجه الأفغانى إلى الاستانة ، وسعى لدى السلطان عبد الحميد ليجعل من اللغة العربية لغة للدولة باعتبارها لغة القرآن الكريم ، مؤكدا على أن هذا الاجراء سيرفع من مكانة

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج ١ ، ص ٤٦ .
 (٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص ٥٦-٥٧ .
 (٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٤٩ .
 (٤) مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج ٢ ، ص ١٢٩-١٣٠ .

الدولة العثمانية كدولة اسلامية ، ويزيد من هبة السلطان
 كخليفة للمسلمين ، غير أن جهود الاتفانى تلك لم يتحقق لها
 النجاح وانتهى به الامر أن يصبح من أعداء السلطان عبد
 الحميد رغم أن ظواهر افكارهما واتجاهاتهما واحدة ، ورغم أن
 الاتفانى "دعا الى توحيد كلمة الاسلام وجمع شتات المسلمين فى
 دولة واحدة تحت ظل الخلافة الاسلامية العثمانية" (١)
 (٢)

حين سعى السلطان عبد الحميد الثانى لتقوية فكرة
 الجامعة الاسلامية وزيادة الاتجاه الدينى ليحلا محل فكرة
 الجامعة العثمانية التى ينادى بها أنصار التنظيمات فى
 الدولة ، فإن ذلك كان عائدا الى شعور السلطان بثقل
 المسئولية الملقاه على عاتقه لكى يحاول إعادة الدولة
 لاصولها الاسلامية الاولى ، لاسيما وهو يدرك أن العثمنة التى
 يُدعى لها حينذاك "كانت تدعو لفكرة الوطن الام مع تساوى جميع
 الرعايا - ايّا كان جنسهم ودينهم - أمام القانون ، وولائهم
 للأسرة العثمانية الحاكمة" (٤) ، أى أن لفظة عثمانى ذات مدلول
 تاريخى يعنى "كل من كان فى الدولة العثمانية ايا كان جنسه
 أو دينه أو مذهبه أو لغته فى كل ممتلكات الدولة فى
 القارات الثلاث" (٥)

من هنا كان على السلطان عبد الحميد أن لايسمح بظهور
 الدعوات القومية ، سواء دعاء القومية الطورانية ، أو دعاء

-
- (١) محمد عبد الكريم الوافى : الطريق الى لوزان -
 الخفايا الدبلوماسية والعسكرية للغزو الايطالى لليبيا،
 ص ١٠٧ .
 (٢) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، ص ٦٧ .
 (٣) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ٧٩ .
 (٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٦٠ .
 (٥) محمد عبد اللطيف البحراوى : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .
 (٦) على حسون : العثمانيون والروس ، ص ١٥٢ .

(١) القومية العربية فى سوريا ، وهذا ماجعل رجال الاستعمار الاوروبى يشعرون بخطر سياسته الاسلامية تلك ، ويدعون الامم الاوربية لمراقبتها والحذر منها ، لانهم يؤكدون ان القصد منها هو تحدى قوات الدول المسيحية .^(٢)

لقد ارتبط العرب مع العثمانيين منذ دخولهم البلاد العربية برابطة الاسلام ، وكان الدين هو القاسم المشترك بينهم ، والدولة دولتهم ، وسلطان الدولة المسلم هو خليفتهم ، حتى ان عصر التنظيمات الذى بدا فى اخراج الدولة عن منهجها الاساسى ، والجنوح بها الى ما عرف بمرحلة التخريب هذا العصر او تلك المرحلة لم تغير فى ارتباط العرب المسلمين بالدولة ، لكونها دولة الخلافة الاسلامية ، بينما ظل المسيحيون العرب يشعرون بانهم غرباء عن الدولة ، وان عليهم التوجه للدول الاوربية التى تقوم على حمايتهم وتقديم المساعدات لهم ، وهذا ماأكده احد دعاة القومية العربية الذى يرى ان فكرة القومية العربية هى التغلب على هذين الاتجاهين ، وهما تحويل انظار المسلمين عن الدولة العثمانية ، وانظار المسيحيين عن الدول الاوربية .^(٣)

من خلال ماسبق يتبين لنا ان الفترة القصيرة التى سبقت مرحلة البحث قد شهدت بروز تيارات فكرية مختلفة عصفّت بالدولة العثمانية وبالتالى أثرت على المشرق العربى وهى

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .
 (٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٣٤ .
 (٣) ساطع الحمصى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٨٢-٨٣ ،
 ساطع الحمصى : محاضرات فى نشوء الفكرة القومية ، ص ١٢١ .

ما آثرنا تسميتها هنا بفترة الاختلاط ، وكانت جمعية الاتحاد والشرق ، والاتحاد الطوراني أبرز هذه التيارات التي سنلقى عليها في الصفحات اللاحقة شيئا من الايضاح الموجز ، لأن هذا الجزء بطبيعته هو تمهيد للبحث .

ظهرت الحركة الطورانية في الدولة العثمانية حين قوى الشعور القومي لدى الاتراك في اوائل القرن الرابع عشر الهجري ، وواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، ويعتبر المؤرخ الاوربي ليون كاهين L.Cahun ، أول من بشر بوجود الجنس الطوراني وأهميته في الحضارة الاوربية ، واصطلاح طوران^(١) بوجه عام هو اشارة الى مرتفعات طوران ، الواقعة شرقي وشمال شرقي ايران ، واستخدم علماء الجغرافيا اسم الطورانيين ، كأحد الاجناس البشرية نسبة الى تلك المرتفعات^(٢) .

وقد بدأ من يسمون الوطنيون الاتراك في احياء حركة جاهلية بعيدة عن الاسلام ، الذي كان فيه عزهم وقوة دولتهم ، حين اتجهوا الى احياء اصولهم الطورانية ، والبحث عن امجاد الاتراك الاوائل وربطهم بالاتراك المحدثين ، ومحاولة التخلص من الآداب والمؤثرات العربية والفارسية ، وأدى بهم هذا الاتجاه الى انشاء جمعيات كشفية كان يسمى المنتسب اليها باسم طوراني بدلا من اسمه الاسلامي وكذلك كانت هتافاتهم وأعلامهم^(٣) .

-
- (١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٦٠-٢٦٢ .
 - (٢) محمد عبد اللطيف البحراوى : المرجع السابق ، ص ٢٠١ .
 - (٣) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ، ص ٨٩ .
 - (٤) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ١٥١٤-١٩١٤ م ، ص ٢٦٠ .
 - (٥) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ، ص ٨٩ .

وقد ارتبطت الحركة القومية فى الدولة العثمانية بما عرف فى التاريخ الحديث بجمعية تركيا الفتاة "جون تورك (١) La Jeune Turquie " ، والتي كانت على اتمال بيهود الدونمة ولاشك أن انتمائهم الى المحافل الماسونية اشار كثيرا من الشكوك التي بدأت تحوم حولهم ، وحول اهدافهم التي يرمون من ورائها لهدم الدولة العثمانية المسلمة وتفتيتها ، وليس (٣) انقاذها كما تدعى شعاراتهم .

وقد تشكلت فى سنة ١٣٠٦-١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م نواة جمعية تركيا الفتاة من مجموعة من طلبة المدرسة الطبية العسكرية فى استانبول ، وقد وجدت هذه الجمعية مكانا لها فى اوربا (٤) واخذ اعضاؤها يمدرون صحفا فى فرنسا وسويسرا وبريطانيا ، ثم بدأت فى الانتشار وتكوين فروع لها فى انحاء متفرقة من الدولة ، وفى الاستانة ذاتها بل وفى قصر السلطان حتى أصبح كل مايجرى فى القصر يصل الى مركز الجمعية ، وفى ١٩ شعبان سنة ١٣٢٥هـ / ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٠٧م اتحدت فروع الجمعية فى سالونيك مع مركزها فى باريس تحت اسم "الاتحاد والشرق

- (١) آرنست . ا. رامزور : المرجع السابق ، ص ٥٥ .
- (٢) "هم أبناء اليهود اتباع اليهودى - سبتاي زفى - المسيح الدجال - الذى ولد فى ازميز فى شهر يوليو سنة ١٦٢٦م وادعى أنه المسيح الذى ينتظره اليهود ، وحين كشف علماء الدولة العثمانية زيف ادعاءاته امام السلطان العثمانى وشيخ الاسلام ، تراجع عنها وادعى الاسلام ، وقد تحول معه اتباعه للاسلام ظاهريا ، ومات سبتاي فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٦٧٥م ، وقد عرف اتباعه بالدونمة - وهى كلمة تستعمل كصفة مشتقة من المصدر التركى "دونمك - بمعنى العودة والرجوع" .
- محمد عمر : يهود الدونمة ، ص ٢٦٠-٢٦١-٢٦٢ .
- (٣) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، ص ٥٦٠-٤٩ .
- (٤) آرنست . ا. رامزور : نفس المرجع ، ص ٤٩ .
- (٥) احمد عبد الرحيم ممطفى : المرجع السابق ، ص ٢٥٩ .
- (٦) Bleda, op.Cit, pp. 30-31 .

العثماني" - عثمانلى ترقى واتحاد جمعيتى - " (١) .

واختلف المؤرخون فى آرائهم ومقاصدهم حين تحدثوا عن جمعية الاتحاد والترقى ، تبعا لاتجاهات هؤلاء المؤرخين ونظرتهم للأحداث التاريخية التى عاصرتها الجمعية حين ظهورها على مسرح الأحداث ، إلا أن مايمكننا تأكيدنا هنا أن تلك الجمعية التى كانت تتغنى فى شعاراتها بالحرص على النهوض بالدولة العثمانية واعادتها لسالف مجدها ، لم تستطع أن تعيد للدولة العثمانية تلك القوة الذاتية التى تجعل منها امتدادا للدولة الإسلامية الأولى التى قامت على أسس ودعائم مميزة أكسبتها تلك المكانة الدولية ، وإنما أصبحت عاملا من عوامل الخلل الذى بدأ يظهر فى جسم الدولة . استغلت جمعية الاتحاد والترقى أخبار ذلك الاجتماع الشهير الذى عقد فى ريفال بين ملك إنجلترا إدوارد السابع وقيصر روسيا نيقولا الثانى فى جمادى الأولى سنة ١٣٢٦هـ الموافق لشهر يونيو سنة ١٩٠٨م ، لاسيما وأن اصداء المعاهدة الروسية البريطانية المعقودة سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م كانت لاتزال تتردد فى نفوس العثمانيين ، وأحسوا بالخطر الروسى من الشمال يهدد دولتهم ، حينئذ توالى البرقيات من مختلف القطاعات العسكرية تطالب السلطان عبد الحميد الثانى (٢) بإعادة الدستور .

لم يجد السلطان بدا من الرضوخ لتلك الطلبات وسارع

(١) آرنت . أ. رامزور : المرجع السابق ، ص ١٣٨-١٣٩ .
 (٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .
 (٣) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ، ص ١١٦ .
 (٤) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٦١ .

بإعلان الدستور في ٢٥ جمادى الثاني سنة ١٣٢٦هـ الموافق ٢٤ يوليو سنة ١٩٠٨م ، وإعلان الدستور في الدولة العثمانية أو إعادته حينذاك تأكيد على تحول الدولة عن نظمها الإسلامية التي تعتبر مرتكزا للدولة والروح الحي الذي تتنفس من خلاله ويؤكد مذهبنا إليه هنا أن البرلمان الجديد الذي عقد أول جلساته في ٢٤ ذو القعدة ١٣٢٦هـ الموافق ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٨م تحت رعاية السلطان قد ضم ٢٦٠ عضوا منهم ٢١٤ من المسلمين ، و٤٢ من المسيحيين ، و٤ من اليهود ، فدخل هذه العناصر غير الإسلامية يعتبر "أخطر تحول في تاريخ الدولة العثمانية مما أثر تأثيرا كبيرا على أوضاع الدولة وخاصة في المنطقة العربية" ، وهو تأكيد على سقوط هيبة دولة الخلافة وبعدها عن خطها الإسلامي الأول .

انتهزت الدول الأوروبية وبشكل خاص روسيا ، وحكومة النمسا - المجر قيام ثورة الاتحاديين وسقوط السلطان عبد الحميد ، لتحقيق آمالها الاستعمارية في أطراف الدولة العثمانية ، ففي الوقت الذي كان يظن فيه زعماء الاتحاد والترقي أن في استطاعتهم كسب ثقة الدول الأوروبية ، وأن الدستور كفيل بإلغاء التمييز بين العثمانيين على اختلاف طبقاتهم وأديانهم وأجناسهم ، أعلنت حكومة النمسا - المجر

-
- (١) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ص ٣٥٠ .
 - (٢) زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، ص ٥٥ .
 - (٣) منيرة عبد الله العريشان : المرجع السابق ، ص ٦٢ .
 - (٤) محمد رفعت : التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة ص ٩٦ .
 - (٥) محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ٣١٦ .

عن ضمها لاقليمى البوسنة والمهرسك ، فيما كانت شئون المضايق
تستأثر باهتمام شديد وأولوية قصوى من وزير الخارجية
(٢)
الروسي .

أحدثت برجال الاتحاد والترقي صعوبات عدة ، وظهر فريق
آخر داخل الدولة ينافسهم السلطة هو حزب اتحاد الأحرار
العثماني ، ومع ذلك فإن الميل نحو العلمانية كانت السمة
البارزة في سياسة الاتحاديين الذين كانوا يتأرجحون بين
الاتجاهين العلماني والديني ، وهذا ما جعلهم يتخبطون في
سياستهم بين الجامعة العثمانية ، وحركة التحريك والحركة
(٤)
الطورانية ، والجامعة الإسلامية .

لم تكن الدولة العثمانية في هذه الفترة تتحمل تلك
المراعات وهذا التآرجح الذي يبعدها عن النظم الإسلامية ،
ولكن أعضاء الاتحاد والترقي وغالبيتهم من ضباط الجيش لم
يكونوا رجال سياسة يستطيعون من خلالها الوقوف أمام دهاء
ومؤامرات رجال السياسة في الدول الأوروبية ، ناهيك عن ذلك
خليط الأجناس والأديان الذي كان سمة بارزة لأعضاء جمعية
الاتحاد والترقي ، ويزيد من سيئات ذلك كله أن اليهود كانوا
أكثرية في الجمعية ، وكانوا أصحاب نفوذ وقوة .
(٦)

انطلقت الحركة العلمانية في الدولة العثمانية على
أيدي الاتحاديين تقليدا للحركة العلمانية في أوروبا ،

(١) Mahmud, Muhtar : Balkan Harbi, p. 181 .

(٢) Hoskins, op.cit, p. 25 .

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٧٠ .

(٤) توفيق علي برو : المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

(٥) محمد فريد بك : المرجع السابق ، ص ٧٢٩ .

(٦) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

أورخان محمد علي : المرجع السابق ، ص ٢٨٦ .

وكانت تستهدف عِلْمَنة التربية والقضاء ، وقد كان رد الفعل قويا لدى علماء المسلمين ، لاسيما أعضاء الاتحاد الاسلامى الذين يرون أن الاسلام لا يمكن له أن يتلاقى مع هذه الحركات ، وأن أى تقدم يحصل للعالم الاسلامى ومصدره الحضارة الاوربية فيما يختص بنظام الحكم ، أمر لا يمكن تحقيقه ولا يجب الاخذ منه ولكى يتم لهم تحقيق هذا الاتجاه قاموا بتأسيس جمعية "التقدم الاسلامى" ، فى محاولة منهم لتقوية الروابط بين مختلف الشعوب الاسلامية وتطوير حياتها الفكرية وتقدمها الاقتصادى فى ظل دولة الخلافة العثمانية .^(١)

وقام احد الشيوخ غير البارزين فى الدولة يعاونه مجموعة من أتباعه بتأسيس جمعية باسم "اتحاد محمدى" ، واصلوا صحيفة باسمها ، وكانوا يهاجمون من خلالها جمعية الاتحاد والترقى ، واصفين أعضائها بالاحاد والماسونية ، وهذا ماأكده بعد ذلك السفير البريطانى فى الأستانة فى رسالته السرية التى وجهها لوزير خارجيته ، حين أكد أن الاتجاه الاول لجمعية الاتحاد والترقى ليس "تعديل وتحديث الشريعة الاسلامية ... وإنما هدم أسس الشريعة وتحطيمها ... ،^(٢) لأن معظم قادة الجمعية هم صراحة علمانيون وعقلانيون" .^(٣)

وقد أصبحت الدولة العثمانية حينئذ مسرحا للأحزاب والجمعيات التى تقوم تباعا وبأسماء مختلفة ، فالاغريق أسسوا حزبا لهم فى مجلس المبعوثان ، والاتراك أسسوا حزبا

(١) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية فى العلاقات العربية التركية ، ص ٨٥-٨٩ .

(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٣) أورخان محمد على : المرجع السابق ، ص ٣٠٣ .

"ترك أوجاغى - الوطن التركى" و"ترك يورتى جمعيتى - جمعية المملكة التركية-" ، والمعارضين للاتحاد والترقى الفوا حزب الحرية والائتلاف" (١) ، وفى بعض فصول البحث سنتحدث بشئ من التفصيل عن بعض هذه الأحزاب التى لعبت دورا فى حرب البلقان وتاريخ الدولة العثمانية فى تلك الفترة ، والتى كان لها اثرا على المشرق العربى العثمانى وعلى الحركة العربية فيه .

وقد برزت الاتجاهات المتنافرة فى الدولة من خلال نواب مجلس المبعوثان . فمنهم دعاة العودة الى الاسلام ونظمه ، ومنهم المنادون بالخلافة الاسلامية التى هى مرتكز للدولة العثمانية ، ومنهم النصارى وطلاب الامتيازات من المسيحيين واليهود وغيرهم ، وبالتالي ظهر هذا التنافر على شكل قوميّات متباعدة ومتباغضة حين برزت من خلال هذا المجلس - التركية ، والعربية ، واليونانية ، والبلغارية ، والأرمنية (٢) وما الى ذلك .

وفى تقريره السنوى لوزارة الخارجية البريطانية اكد السفير البريطانى فى الاستانة ذلك الضعف الذى تمر به الدولة العثمانية ، وأن من يقومون على تدبير امورها السياسية لم يحددوا مسارهم الذى يرغبون السير فيه ، وهو يلقي باللوم فى ذلك على تباعد اتجاهاتهم واختلاف افكارهم . (٣)

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٣٢٦، ٣٠٧، ٣٠١ ، أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .

(٢) جريدة الاهرام عدد ١٠٦١٥ فى ٢٣ صفر ١٣٣١هـ .

(٣) F.O.424/250, Annual, Report, 1910. No. 103 "Sir, G. Lowther to Sir Edward Grey" 14.2.1911 .

ولقد كان دعاة التزمير الاوربيين يرقصون فرحا لقيام ثورة الاتحاد والترقى التى ازاحت السلطان عبد الحميد عن طريقهم ، ليصولوا ويجولوا فى مختلف جهات الدولة العثمانية ويقضوا على البقية الباقية من حركة الجامعة الاسلامية ،^(١) وهذا بطبيعة الحال تأكيد على أن عودة الدستور - المشروطية الثانية - لم تكن علاجاً لأمراض الدولة المزمنة ، وهو ما أكده السلطان عبد الحميد حين قال : "أقرض السلفات لاتصلح لكل مرض ، أو لكل بنية ، واظن أن أصول المشروطية لاتصلح لكل شعب ، ... كنت اظن انها غير مفيدة ، اما الآن فاننى مقتنع^(٢) بضررها " .

هكذا كانت سياسة أعضاء جمعية الاتحاد والترقى ، وهكذا كانت الحالة السياسية فى الدولة العثمانية بعد عودة الدستور - المشروطية الثانية - ، وقبيل حروب البلقان التى هى مدار هذا البحث ، وهذا يظهر لنا أن الدولة العثمانية تمر بفترة اختلاط سياسية وعقائدية متباينة ، ولكنها مع ذلك لم تعد المخلصين من ابنائها المسلمين الذين حاولوا مقاومة هذه الأخطار ، والابقاء على نظم الدولة الاسلامية ، ليستمر لها البقاء ، ولكن الأمراض والأزمات قد استشرت فى جسم الدولة ، وصعب الدواء أمام الداء ، وزاد على ذلك كله تتابع الأزمات الجسام التى أمست تحل على الدولة العثمانية بدءاً بحرب طرابلس الغرب ، التى زادت الجرح اتساعاً ،

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج ٨ ، ص ٦٠٥-٦١٦ .
(٢) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، ص ٢٩ .

ومرورا بحربى البلقان التى أفقدت الدولة اتزانها وظهرت
الى سطح الأحداث الكثير من المشاكل التى كانت تحت الرماد ،
وهذا كله ماسنعرفه من ثنايا هذا البحث الذى يدور محوره
حول تلك الحروب وآثارها ونتائجها على الدولة العثمانية
والمشرق العربى العثمانى .

الفصل الأول الحرب الطرابلسية ١٩١١ / ١٩١٢ م

- أ - حكومة الاتحاد والترقي ومعاهدة لوزان ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م.
- ب - دفاع العرب عن الدولة والخلافة .
- ج - صدّه حرب طرابلس في ولايات الدولة العثمانية في البلقان.
- د - حزب اللامركزية الإدارية العثماني .

(١) حكومة الاتحاد والترقي ومعاهدة لوزان ١٣٣٠هـ/١٩١٢م .

كانت طرابلس الغرب والاقاليم التابعة لها جزءاً من الدولة العثمانية منذ القرن العاشر الهجرى ، أواسط القرن السادس عشر الميلادى ، واستمرت على ذلك الولاء للدولة حتى غزاها الايطاليون فى اوائل القرن الرابع عشر الهجرى ، اوائل القرن العشرين الميلادى .^(١)

ورغم أن السلطان عبد الحميد الثانى اهتم بولاية طرابلس الغرب حيث عنيت حكومته بتعليم الاهالى النظام العسكرى وانشأت فيها فرقاً من الفرسان "اللايات الحميدية" ، إلا أن وسائل الدفاع قد ضعفت فى تلك الولاية منذ تولى جمعية الاتحاد والترقى مقاليد الأمور فى الدولة العثمانية .^(٢)

وإذا كانت ايطاليا قد استطاعت أن تلعب مع الدول الأوروبية لعبة دبلوماسية معقدة لتضمن موافقة أبرز تلك الدول على استيلائها على طرابلس الغرب ، فإنها كانت ومنذ سنين عدة تتبع سياسة اقتصادية وتجارية مع طرابلس ، دون معارضة العثمانيين ، مما سهل لها فى نهاية الامر تحقيق اطماعها الاستعمارية فى ذلك الاقليم .^(٣)

ولقد بذل الايطاليون محاولات جادة لدى الدول الأوروبية ،

(١) محمد فؤاد شكرى : ميلاد دولة ليبيا الحديثة - وثائق تحريرها واستقلالها ، ص ٩ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٤ ، ج ١٠ ، ص ٧٨١ ، حقى العظم : الحرب البلقانية - أسباب ونتائج ، جريدة المقتبس عدد ١٠٤٧ فى ٧ ذى الحجة ١٣٣٠هـ .

(٣) عبد المنعم حافظ البورى : الغزو الايطالى لليبيا دراسة فى تاريخ العلاقات الدولية ، ص ٢١-٢٢ .

(٤) J.A.R.Marriott : The Eastern Question, An Historical study in European Diplomacy, p.440.

ولدى الدولة العثمانية لكى يحملوا على تسهيلات أكثر ، فى تحقيق تطلعاتهم فى ذلك الاقليم ، ولكى يحولوا دون المعارضة المستمرة من رجال الدولة العثمانية تسهيلا للغزو العسكرى المرتقب .^(١)

لقد قام السفير العثمانى فى روما بتنبيه حكومته الى الاطماع المبيتة لدى الايطاليين ، والتدابير العسكرية المستمرة التى تقوم بها الحكومة الايطالية للاغارة على طرابلس الغرب ، ولكن التقليل السياسى الذى اتبعته الحكومة الايطالية مع المسؤولين العثمانيين ادى لمفعوله كاملا ، وفى اليوم الثالث من شهر شوال ١٣٢٩هـ الموافق للسّادس والعشرين من سبتمبر ١٩١١م ، استغلت الحكومة الايطالية احتفالات الدولة العثمانية بعيد الفطر المبارك ، وانشغال المسؤولين فيها بافراح العيد ، وتعطيل الحياة العامة فى الدولة ، لتبعث حينذاك وبشكل مفاجئ انذارها الشهير الذى أعلنت فيه عن عزمها احتلال اقليمى طرابلس الغرب وبنغازى ، وسلم الانذار الى حكومة الاستانة فى اليوم التالى وطلب الرد عليه خلال أربع وعشرين ساعة .^(٢)

ومن خلال قراءتنا للانذار الايطالى يتبين لنا ان الحثييات التى استندت اليها الحكومة الايطالية هى فى جوهرها وفى مجملها اهداف استعمارية مبيتة ، وتدخل فى شئون دولة أخرى ذات سيادة واستقلالية تامة ، غير ان ضعف الدولة

(1) F.O.424/226, No.32, "Sir, R.rodde to Sir, Edward Grey", Rome, 31.12.1910. p. 28 .

(٢) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٠ .

(٣) مجلة المنار ، المجلد ١٤ ، ج ١٠ ، ص ٧٨٢-٧٨٣ .
الطاهر أحمد الزاوى : المرجع السابق ، ص ٢٦-٢٧ .

العثمانية حينذاك ، وادراك الايطاليين لهذا الضعف ورغبتهم فى تحقيق مكسب استعماري لهم فى املاك الدولة هو مادفعهم لهذا الاتجاه ، وطلبوا من الدولة العثمانية قبول هذا الاحتلال والتنبية على السلطات التركية والقوات المسلحة عدم الاصطدام بهم .^(١)

سارعت الحكومة العثمانية بالرد على الانذار الايطالى بموجب مذكرتها الجوابية المؤرخة فى ٦ شوال ١٣٢٩هـ الموافق ٢٩ سبتمبر ١٩١١م ، والتي ابدت من خلالها رغبتها فى تسوية النزاع سلميا ، فى محاولة لفتح باب المفاوضات والمحافظة على ما اسمته صلات المداقة والثقة مع الحكومة الايطالية ، وتنملت من مسئولية اية اعمال كانت نتيجة للحكم الماضى .^(٢)

غير ان الحكومة الايطالية التى هيات كل شيء لخوض غمار الحرب ، وبعد اطلاعها على الرد العثمانى ، اعلنت الحرب على الدولة العثمانية فى نفس اليوم - الذى كتب فيه الرد العثمانى - وقطعت علاقاتها السلمية مع الدولة العثمانية وابلغت الدول الاوربية باعلانها الحرب على تركيا .^(٣)

قامت الدولة العثمانية بحملة دبلوماسية مكثفة عليها تستجلب عطف الدول الاوربية ومساندتها للوقوف امام الغزو الايطالى ، وحاولت ان تكون فى حملتها تلك على درجة كبيرة من الاعتدال ، غير انها مع شديد الاسف وجدت نفسها فى

(١) محمد عبد الرحمن برج : دراسة فى التاريخ العربى الحديث والمعاصر ، ص ٢٣ .
(٢) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٠-٤٣١ .
(٣) محمد عبد الكريم الوافى : المرجع السابق ، ص ٧٥-٧٦ ، محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ٣٢٦ .

(١)

الميدان تمارع وحدها عدة قوى .

فقد تخلت الدول الأوروبية كلها عن الدولة العثمانية ،
 بدءاً بفرنسا التي أصدرت بياناً أعلنت فيه حيادها وعدم
 قدرتها على التوسط لانتهاء الحرب في الوقت الراهن ، وسارت
 روسيا على نفس النهج ، أما بريطانيا فرغم حساسية موقفها ،
 لاسيما أمام رعاياها في العالم الاسلامي، فإنه لم يظل ترددها
 لتعلن هي الاخرى ما أسمته بالحياد ، ولكنه ليس حياداً
 بالمعنى الصحيح إذ أنها أرغمت مصر على الحياد وهذا فيه
 مساعدة لحكومة ايطاليا المعتدية ، لأن مصر بلد اسلامي
 ولا زالت تخضع للسلطان العثماني ، وبإمكان ارسال الاسلحة
 والمؤن عن طريقها ، وقد وقفت كل من المانيا والنمسا نفس
 الموقف الذي وقفته الدول الأوروبية سالفة الذكر ، رغم
 ما شيع على أعمدة المحف من قيام ممثلي الدول الأوروبية ،
 وبصفة خاصة المانيا - بإجراء مباحثات تمهيدية لانتهاء هذا
 الصراع بين الدولة العثمانية وايطاليا .^(٢)

وهكذا أصبحت حكومة الدولة العثمانية في عزلة سياسية
 وأصبح الأعداء يتربصون بها الدوائر ، وهي التي كانت تعتقد
 أن صداقتها للدول الأوروبية ذات مرتكزات ثابتة واحترام
 متبادل .^(٤)

ويذهب أحد المؤرخين الى أن الإعجاب الذي كان يحمله

(١) مصطفى كريم : مسألة غزو ايطاليا الاستعماري لليبيا ،
 المجلة التاريخية المغربية ، العدد السادس ، يوليو
 ١٩٧٦م ، ص ١٣٦-١٣٧ .

(٢) A.J.P.Taylor : The Struggle for Mastery in
 Europe, 1848-1918. p. 474 .

(٣) جريدة طنين التركية عدد ١١٣١ في ٤ ذي القعدة ١٣٢٩هـ

(٤) مذكرات لورد غراي : المصدر السابق ، ص ٦ .

اعضاء حكومة الاتحاد والترقى لاوروبا وحضارتها هو الذى جعلهم يشقون فى اوروبا ثقة عمياء ، وهو ماتبين من خلال ندائهم الذى وجهوه للرأى العام الاوروبى ، وأشاروا من خلاله الى أن "الجمعية تناشد روح العدالة والنزاهة التى تتميز بها اوروبا ، وتنتظر بصبر ذلك الحكم الذى سيصدره الرأى العام الاوروبى فى هذا الخصوص" (١) ، أما صحافة الاتحاديين فى الاخرى لم تخف اعجابها بموقف الرأى العام البريطانى ، الذى رأت أنه يزداد غضبا على الايطاليين ومسلكتهم فى طرابلس . (٢)

وعندما بدأت الحرب كانت القوات العثمانية المرابطة فى طرابلس لا تتجاوز ستة آلاف شخص هى مجموع الفرقة الثانية والاربعون وكان سلاحهم فى معظمه أسلحة قديمة وسيوف وخناجر ، فى حين كانت التجهيزات تفتقد الى المدفعية القوية التى تجابه الانزال الايطالى ، المؤلف من ثمانية آليات من المشاة وآليين من الجنود الراكبين ، وعشرة آلاف من الخيالة ورماة المدفعية والمهندسين ، حيث وصل مجموع افراد القوات العسكرية الى أربعة واربعين الفا . (٣)

ومع هذا سارع السفير الايطالى فى لندن بمقابلة السير ادوارد جراى Sir, Edward Grey وزير خارجية بريطانيا فى ١٨ شوال ١٣٢٩هـ / ١١ اكتوبر ١٩١١م ، مبديا له خوف الحكومة الايطالية من تحركات الاسطول العثمانى فى البحر الاحمر ، والذى بدأ يستقبل القوات العثمانية فى اليمن ويضمها اليه

(١) محمد عبد الكريم الوافى : المرجع السابق ، ص ٧٦-٧٧ .
(٢) جريدة طنين التركية ، العدد السابق فى ٤ ذى القعدة ١٣٢٩هـ .

(٣) ز.ب. ياخي موفتش : المرجع السابق ، ص ٧٤ .
(٤) الطاهر أحمد الزاوى : المرجع السابق ، ص ٤٩ .

فى محاولة منه لفك الحصار المفروض على سواحل طرابلس الغرب من قبل الاسطول البحرى الايطالى ، ولم يخف السفير الايطالى رغبته فى ان تلعب بريطانيا دوراً واضحاً فى تحييد البحر الاحمر فى هذه الحرب ، وان يكون نقل هذه الرغبة لرجال المياسة فى الاستانة باسم البريطانيين لى لا يؤخذ هذا العرض على انه ضعف فى الحكومة الايطالية .^(١)

اما الدولة العثمانية فقد كان الوضع المياسى فى داخلها لا يقل فى اضطراباته وصراعاته عن أزمة الحرب المستعرة مع ايطاليا ، فرغم ان المجلس النيابى فى الدولة العثمانية قد اسقط وزارة حقى باشا الاتحادية التى حامت حولها كثير من الشكوك والاشاعات فى تمكين ايطاليا من ولاية طرابلس ، الا ان تاليف وزارة اتحادية جديدة برئاسة سعيد باشا والابقاء على بعض الوزراء من الوزارة السابقة ، زاد من حدة التفتك السياسى داخل مجلس المبعوثان العثمانى وضاعف من شدة المراعات ، فى وقت كانت الدولة فيه تحتاج الى اللفة والاتفاق ، وهذا مظهر واضح على صفحات الصحف المادرة فى الاستانة والتى بدأت فى شن حملاتها على الحكومة الاتحادية الجديدة التى ألفها سعيد باشا ، حتى انها اتهمت الاتحاديين فى سياستهم التى يتبعونها بانها لن تقتصر فى تدميرها على الاتحاديين انفسهم وانما سيشمل تخريبها الدولة

(1) F.O.424/229, No.13, "Sir, Edward Grey to Sir, R.Rodd" Foreign office, 11.10.1911. p. 8 .

(٢) سليمان فيفى : فى غمرة النضال ، ص ١٠٠ .
(٣) حسين هادى الشلاه : السيد طالب النقيب ودوره فى تاريخ العراق الحديث ، ص ١٥٩ .

(٤) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٣٣٢ .

العثمانية بكاملها ، وهذا ناتج عن أن أعضاء جمعية الاتحاد والترقى لا يفكرون الا فى ما يحقق لهم البقاء فى الحكم كما تقول تلك الصحف .^(١)

ومع هذا لم تقف الدولة العثمانية مكتوفة الايدى تجاه هذا الغزو الايطالى ، فهى تدرك سوء النية المبيتة والاطماع المتزايدة فى املكها ، وفى الوقت الذى قامت فيه بطرد الموظفين والمستخدمين الايطاليين العاملين فى أجهزة الدولة ردا على ما قامت به القوات الايطالية من طرد للموظفين العثمانيين العاملين فى ادارات الدولة فى طرابلس وبنغازى فانها أعدت تجهيزات محمية كبيرة لاستقبال الجرحى والمرضى المتضررين من هذه الحرب .^(٢)

كما وضع رجال الدولة العثمانية خطة حربية خاصة تهدف الى ارسال مجموعة من الفباط بصورة سرية الى طرابلس الغرب عن طريق تونس او مصر ، ليكونوا من هناك جيشا محليا من الاهالى ثم يقومون بتدريبه ، أما الاسلحة فقد كانت تهرب لهم عن طريق مصر التى كانت تتساهل فى ذلك ان لم تكن تساعد عليه ، تأييداً لآخوانهم الطرابلسيين .^(٣)

وفى ١٤ ذى القعدة ١٣٢٩هـ الموافق ٥ نوفمبر ١٩١١م أقرت الدوائر الحاكمة فى ايطاليا مرسوما ملكيا أعلن سيادة

(١) جريدة المقطم عدد ٦٩٢٠ فى ١٣ محرم ١٣٣٠هـ ، وعدد ٦٩٢١ فى ١٤ محرم ١٣٣٠هـ .

(٢) F.O.424/250, Annual, Report, 1911. No. 100, "Sir, Glowthor to Sir, E. Grey", Constantinople, 31.1.1912. p. 52 .

(٣) مذكرات سليم على سلام ، تحقيق حسان على حلاق ، ص ١٢٦-١٢٧
ساطع الحمصى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ١٠٢ .

(١) المملكة الإيطالية الثامنة والشاملة على طرابلس الغرب وبرقة
 إلا أن الباب العالي رد على ذلك المرسوم باحتجاج شديد
 اللهجة موضحا فيه أن المرسوم يعتبر باطلا "سواء من الناحية
 القانونية أو من الناحية التطبيقية" ، ... ومخالف لأبسط
 مبادئ القوانين الدولية ، لأن تركيا وإيطاليا مازالتان في
 حالة حرب ، ولأن الحكومة التركية مصممة على الحفاظ وعلى
 الدفاع بقوة السلاح عن حقوقها في الأقليمين المذكورين
 اللذين لا يحق لأحد نزعهما عنها أو التصرف فيهما" (٢) .

ولقد شكل الغزو الإيطالي لطرابلس خطرا جسيما على
 الدولة العثمانية بشكل عام ، ولحكومة الاتحاد والترقي بشكل
 خاص ، وهذا ما جعل الياس يدب في نفوس المسؤولين ، فوزير
 الحربية العثمانية يصرح أمام مجلس الوزراء أن دولته قد
 فقدت طرابلس وبنغازي ، ولابدوى من التضحية بالجنود في قضية
 خاسرة كما قال ، في الوقت الذي يعترف فيه المدر الأعظم
 بعجز الدولة عن الاحتفاظ بهاتين الولايتين ، وهو حينئذ يرى
 عدم اشارة المسألة الشرقية بشكل عام (٣) .

ولعل مشاركة البعثات الأجنبية - ولاسيما البريطانية -
 في تقديم المساعدات الطبية والعلاجية للجرحى في معركة
 طرابلس الغرب بصورة نالت استحسان المسؤولين العثمانيين
 كانت دليلا على مرحلة الضعف والانحيار للدولة العثمانية على
 جبهات القتال (٤) .

-
- (١) ز.ب. ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص ١٠٤-١٠٥ .
 (٢) محمد عبد الكريم الوافي : المرجع السابق ، ص ١٠١ .
 (٣) ز.ب. ياخيموفتش : نفس المرجع ، ص ٧٥ .
 (٤) جريدة طنين التركية عدد ١٢٩٩ في ٢٥ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ .

من هنا كان جنوح حكومة الاتحاد والترقى لإبرام الصلح مع الحكومة الإيطالية ، وكان رئيس الوزراء العثماني مستعداً للقيام ببعض التنازلات على أن يأتى العرض من الدول الأوروبية إلا أن المشروع العثماني كان مختلفاً كل الاختلاف مع مشروع سفراء الدول الأوروبية المعروض فى أوائل ربيع ثانى ١٢٣٠هـ ،
(١)
الاسبوع الاول من ابريل ١٩١٢م .

فقد اقدمت ايطاليا على خطوة أكثر جراءة ، لتضع الدول الأوروبية والدولة العثمانية أمام الامر الواقع ، فقامت اساطيلها البحرية فى الثامن عشر من جمادى الاولى سنة ١٢٣٠هـ الموافق ٤ مايو سنة ١٩١٢م ، باحتلال الجزر العثمانية فى البحر المتوسط ، ومن أشهرها جزيرة رودس ، وأرخبيل الدوديكانيز Dodecanes فى بحر ايجه ، ثم قامت^(٢) بتهديد مدخل الدردنيل ، وقصفت ميناء بيروت على ساحل الشام وكأنها بذلك تدعو الى توسيع رقعة الحرب ، وهذا ما اشار الدول الأوروبية خاصة بريطانيا العظمى صاحبة الاشراف المباشر على الحركة البحرية المتجهة الى البحر الاسود وقناة^(٣) السويس .

وقد أقامت ايطاليا ادارة لهذه الجزر ، وأصدرت بها طوابع بريدي ايطالية ، واستبدلت بالبحارة الذين قاموا بعملية الاحتلال حاميات ايطالية من الجنود وحملة البنادق المفيرة ، كما استبدلت بالاعلام العثمانية أعلاما ايطالية ،

(١) محمد عبد الكريم الوافى : المرجع السابق ، ص ١٧٥-١٧٦
(٢) ز.ب. ياخييموفتش : المرجع السابق ، ص ١٥٠ .
(٣) بيير رنوتان : تاريخ العلاقات الدولية - القرن التاسع عشر ١٨١٥-١٩١٤م ، ص ٦٥٦ .

حينذاك سارعت الحكومة العثمانية الى اجراء بعض التحميمات لسواحل آسيا الصغرى خوفا من هجوم ايطالى جديد على تلك
(١)
السواحل .

فى هذه الفترة الحرجة من تاريخ الدولة العثمانية استقالت وزارة الاتحاديين فى اواخر شهر رجب ١٣٣٠هـ ، المصادف لشهر يوليو ١٩١٢م لتتولى الحكم وزارة اطلق عليها اسم "الوزارة الكبرى" وقد ألفها احمد مختار باشا الغازى ، وقد استلمت هذه الوزارة الحكم فى وقت كانت الحالة السياسية فى الدولة العثمانية قد بلغت من الحرج حدا لايمكن لهذه الوزارة أن تخرج منه دون تضحية كبيرة تقدم عليها ، وهو ماتحقق فى معاهدة الملح مع ايطاليا بعد ذلك ببضعة اشهر . حاولت الوزارة الاتحادية التى كان يرأسها سعيد باشا أن تفتح باب المفاوضات مع ايطاليا عن طريق بعض الدول الأوروبية ، وقد لعب بعض رجال الاعمال اليهود المؤيدين لجمعية الاتحاد والترقى دوراً بارزاً فى بدء هذه المفاوضات ، وكانت محاولات الملح تلك تجرى فى طى الكتمان ، بينما تعلن الحكومة عن شديد تمسكها بوحدة الدولة العثمانية وعدم التفريط فى ولايتى طرابلس وبنغازى .
(٢)

ولقد بين وزير خارجية بريطانيا لسفير دولته فى الاستانة مدى معارضة الحكومة الايطالية للمقترحات التى طرحها وزير الخارجية العثمانى فى حكومة الاتحاديين ،

(١) ز.ب. ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص ١٥١-١٥٢ .
(٢) Feroz Ahmad: Ittihat Ve Terakki, 1908-1914, p.184.
(٣) جريدة المقطم عدد ٦٩٧٥ فى ١٩ ربيع أول ١٣٣٠هـ .
(٤) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٤٠٤ .

واقترح الوزير البريطاني بدوره مشروع سلام ، يحول كثيرا دون اراقة ماء الوجه للسياسة التركية كما قال ، ويتلخص مشروعه هذا فى أن تعترف الدولة العثمانية بسيادة ايطاليا على الامور المدنية ، مقابل اعتراف ايطاليا بالسيادة الروحية للسلطان ، والسماح للمسلمين بممارسة عباداتهم الدينية بحرية تامة ، والبقاء على قوانينهم وعاداتهم ، وعلى أن تدفع ايطاليا مبالغ سنوية عن طريق شيخ الاسلام اعترافا بالخلافة الروحية .^(١)

وقد حاولت كل من حكومة النمسا - المجر ، والحكومة الفرنسية أن تقوموا بدور الوساطة لايقاف الحرب بين كل من الدولة العثمانية وايطاليا ، غير أن مساعيها لم تلق نجاحا يذكر فى كلا الدولتين ، ولكن الحكومة الائتلافية الجديدة التى ألغى مختار باشا الفازى كما أسلفنا ، لم تحاول المراوغة وكتمان المفاوضات مع الايطاليين وانما أعلنت فى برنامجها انها ستواصل الحرب مع ايطاليا ، ولن ترفض المفاوضات التى تؤدى الى صلح مشرف يحفظ للدولة العثمانية حقوقها وكرامتها .^(٢)

ويذهب بعض المؤرخين الى أن المفاوضات السرية بدأت فى مدينة لوزان فى سويسرا فى اوائل شهر رجب سنة ١٣٣٠هـ المصادف لشهر يونيو سنة ١٩١٢م ، وطرح فيها الجانب العثمانى استعداداه لاعلان استقلال طرابلس تحت رئاسة أمير

(١) F.O.424/231 و No.160, "Sir, Edward Grey to Sir, G.Lowther", Foreign office, 4.6.1912. p. 137 .

(٢) ز.ب. ياخي موفتش : المرجع السابق ، ص ١٦١، ١٥٨ .

(٣) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٣٩٦ .

(١)
مسلم تابع للسلطان العثماني ، الا أن ما اتفق عليه غالبية المؤرخين هو أن هذه المفاوضات قد بدأت بالفعل ابان حكومة الاتحاد والترقي ، وأن أول جلسة عمل عقدت بين الطرفين - العثماني والايطالي - كانت في الثامن والعشرين من شهر رجب ١٣٣٠هـ ، الموافق للثاني عشر من يوليو ١٩١٢م ، وقد قدم خلالها الوفد العثماني كثيرا من التنازلات لعقد الصلح ومن أبرزها منح ايطاليا قاعدتين بحريتين على الساحل ، فضلا عن امتيازات اقتصادية هامة ، إضافة الى منح الاستقلال الذاتي لطرابلس ، ولكن الطرفين وصلا الى طريق مسدود في هذه
(٢)
المباحثات .

بعد تلك المحاولات اليائسة التي حاولت من خلالها حكومة الاتحاديين أن تغلق المفائق ، وأن تزرع الالفام في مداخلها وبعد تدخل الدول الأوروبية للحيلولة دون ذلك ، لم يعد أمام حكومة أحمد مختار باشا الغازي - الجديدة ، والتي أصبحت تواجه مآزق سياسية وعسكرية في الداخل والخارج على حد سواء ، لم يعد أمامها حينذاك الا استئناف المفاوضات مع ايطاليا ، وهو ما يمكن أن نسميه بالمرحلة الثانية من المفاوضات العثمانية - الايطالية والتي بدأت في الأول من شهر رمضان المبارك ١٣٣٠هـ الموافق ١٣ أغسطس ١٩١٢م في ضاحية كوكا Caux التابعة لمدينة لوزان Lausanne السويسرية .
(٤)

-
- (١) جلال يحيى : العالم العربي الحديث - المدخل - ص ٤٥٧-٤٥٨ .
(٢) الطاهر أحمد الزاوي : المرجع السابق ، ص ٩٨ .
(٣) F.O.424/250, Annual, Report, 1912. No.315, "Sir, G.Lowther to Sir Edward Grey", Constantinople, 17.4.1913. p. 12 .
(٣) ز.ب. ياخيوفتش : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

وقد مثل الدولة العثمانية فى المفاوضات كل من :

- (١) محمد نابى بك ، مندوب فوق العادة ؛
- (٢) رومبيو غلو فخر الدين بك ، مندوب فوق العادة ووزير مفوض .

كما مثل الحكومة الايطالية كل من :

- (١) نائب البرلمان بييترو برتولينى Pietro Bertolini ،
- (٢) نائب البرلمان ومستشار الدولة قويدو فوزيناتو Guido Fusinato ،

- (٣) جومبى فولبى Giuseppe Volpi ، مستشار الدولة .^(١)

وقد انتقل الوفدان المتفاوضان الى ضاحية اوشى Ouchy

- من ضواحي لوزان منذ الثانى والعشرين من شهر رمضان

١٣٣٠هـ الموافق ٣ سبتمبر ١٩١٢م ، وطالت مفاوضاتهما لأكثر^(٢)

من شهر منذ ذلك التاريخ ، وكل منهما يحاول أن تكون المقترحات التى يطرحها هى الاساس لتوقيع المعاهدة المنتظرة

غير أن الأفكار والآمال كانت متباعدة لدى الجانبين .

ولقد حاول أعضاء جمعية الاتحاد والترقى الذين خرجوا

من الحكم بعد أن ساءت سيرتهم ، أن يستغلوا الاخبار التى

تشاع عن اعتزام الحكومة توقيع صلح مع ايطاليا ، فعقدوا

لهم مؤتمراً فى الاستانة ، وحولوا جمعيتهم الى حزب سياسى ،^(٣)

(1) Muahede name, Numorasi, 335. "Osmanli Arşivi Daire Başkanlığı. Ist .

J.C.Hure Witz : The Middle East and North Africa in World Politics, Vol,1. p.552 .

(2) F.O.424/250, Annual, Report, 1912. No.315, G.Lowther to E.Grey" Constantinople, 17.4.1913. p. 13 .

(٣) حقى العظم : اللامركزية أيضا ، جريدة المقتبس عدد ١٠١١ فى ٢ ذى القعدة ١٣٣٠هـ .

واعلنوا رفضهم لاي صلح مع ايطاليا والتنازل عن اى جزء من املاك الدولة فى طرابلس وبنغازى رغم انهم هم الذين فتحوا باب المفاوضات الداعية الى الصلح ولكنهم كانوا يريدون
(١) احراج الوزارة الجديدة التى اخرجتهم من الحكم .

اما الحكومة الايطالية التى عاث اسطولها البحرى فى البحر المتوسط وبدات اطماعها تتبلور فى جزر الدوديكانيز ، فقد وجدت فى الدول الاوربية وخاصة بريطانيا وفرنسا خصماً عنيدا ، تهمه تلك الجزر ولن يسمح لايطاليا بان تقوم باشراف مباشر عليها مالم يتم التوصل الى حل مرض لجميع القوى
(٢) الاوربية .

وقد لعبت بريطانيا دورا مباشرا لانهاء مفاوضات الصلح وتوقيع معاهدة السلام بين الدولة العثمانية وايطاليا ، وفى الوقت الذى الحث فيه على ايطاليا بترك التحركات الحربية فى بحر ايجيه وحصرها فى دائرة طرابلس وبنغازى ، حاولت ان تقنع المسئولين العثمانيين فى الاستانة عن طريق سفارتها هناك بان فرصة السلام التى تلوح الآن فى الافق لايجب التفريط فيها ، لاسيما امام التهديدات التى تتعرض لها الدولة
(٤) العثمانية من الداخل والخارج .

وامام هذه الازمات التى تمر بها الدولة العثمانية رأت

(١) محمود حسن صالح منسى : الحملة الايطالية على ليبيا - دراسة وثائقية فى استراتيجية الاستعمار - ص ١٦٧ .

(٢) F.O.424/234, No.488 , "Sir, Edward Grey to Sir, F.Bertie", Foreign office, 11.1.1912. p. 216
William, M.Sloane : Bir Tarih Laboratuori, Balkanlar, p. 198 .

(٣) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٤٠٠ .

(٤) F.O.424/234, No.585, "Sir, E.Grey to Sir, G.Lowther", f.o. 15.10.1912. p. 267 .

حكومة مختار باشا الغازى أن تصل بالمفاوضات الجارية فى سويسرا الى نتيجة حاسمة ، فأوفدت وزير الزراعة العثمانى وزودته بملاحظات واسعة ، وقد وصل المسئول العثمانى الى لوزان فى ١٦ شوال ١٣٣٠هـ الموافق ٢٧ سبتمبر ١٩١٢م ، وبوصوله أخذت المباحثات تدخل فى دور حاسم ويتفق الطرفان على الخطوط العريضة لتوقيع الصلح بينهما .^(١)

كانت العقبة التى لالتقى فيها آراء الطرفين المتفاوضين هى الاعتراف العثمانى بالحاق طرابلس بايطاليا ، وانتقال جزر الدوديكانيز الى ايطاليا ، فالعثمانيون لا يستطيعون الاعلان مراعاة عن الحاق طرابلس بايطاليا لان ذلك يؤثر على مكانتهم فى العالم الاسلامى والعربى ، أما جزر الدوديكانيز فالاهتمام الاوروبى بها ، وأهميتها لبعض الدول الاوربية يجعل التفاوض بشأنها أمرا عسيرا ، الا ان نذر الحرب فى البلقان جعل الدولة العثمانية تعقد هدنة للحرب الدائرة فى طرابلس ، وتتبعها بعقد معاهدة الصلح المعروفة بمعاهدة لوزان - أو شى - مع ايطاليا والتى منحت الدولة بموجبها الاستقلال لولايتى طرابلس وبنغازى ، ومن ثم أبدت استعدادها لسحب قواتها من هناك .^(٢)

لقد تم توقيع معاهدة الصلح بين الدولة العثمانية والحكومة الايطالية فى ٨ ذى القعدة ١٣٣٠هـ الموافق ١٨ أكتوبر ١٩١٢م ، وحررت مواده الاحدى عشرة فى لوزان بسويسرا

(١) الطاهر أحمد الزاوى : المرجع السابق ، ص ٩٨-٩٩ .

(٢) جريدة المقتبس ، عدد ١٠١٤ ، ٥ ذو القعدة ١٣٣٠هـ .

(3) F.O.424/234, No.582, "Mr. Dering to Sir Edward Grey". Rome, 15.10.1912. p. 266 .

ووقعه عن الدولة العثمانية كل من : محمد نابى بك، ورومبىو غلو فخر الدين ، وعن الحكومة الايطالية كل من : بييترو برتولينى ، وقويدو فوزيناتو ، وجوسبى فولبى .^(١)

ومن المفيد هنا ان نشير بصورة موجزة الى مضمون مواد المعاهدة كما وردت فى النسخة الاصلية المحفوظة فى الارشيف العثمانى فى استانبول تحت رقم ٣٣٥ :

المادة الاولى : تعهدت الحكومتان فيها بايقاف حالة الحرب بينهما وارسال مفوضين من الجانبين لتنفيذ ذلك حال توقيع هذه المعاهدة .

المادة الثانية : تعهدت الحكومتان باصدار امر بسحب القوات الحربية والضباط من جبهات القتال ، والدولة العثمانية تسحب قواتها من طرابلس وبرقة ، والحكومة الايطالية تسحب قواتها من الجزر التى احتلتها فى بحر ايجه .

المادة الثالثة : يتم تبادل اسرى الحرب بين الدولتين فى اسرع وقت ممكن .

المادة الرابعة : تتعهد الحكومتان بمنح عفو شامل لكل من ساهم باعمال عدائية او حامت حوله شبهات اثناء الحرب لصالح ايا من الدولتين .

المادة الخامسة : التزام الحكومتين بجميع المعاهدات والاتفاقيات التى كانت بينهما قبل الحرب ، والعودة بعلاقاتهما الى وضعها السابق .

(1) Muahede name, Numarasi, 335. "Osmanli Arşivi Daire BaşKanlığı. Ist.

المادة السادسة : تلتزم حكومة ايطاليا بما تفرضه الدولة العثمانية من زيادة فى الجمارك ، وماتقيمه من امتيازات فى اطار القانون التجارى الذى تلتزم به جميع الدول الاوربية تجاه الدولة العثمانية .

المادة السابعة : تتعهد الحكومة الايطالية بالغاء مكاتب البريد الايطالية فى الدولة العثمانية ، اذا عملت الدول الاوربية ذلك .

المادة الثامنة : تؤيد الحكومة الايطالية الدولة العثمانية فى مطالبتها الغاء نظام الامتيازات واستبداله بنظام القانون الدولى .

المادة التاسعة : استعداد الدولة العثمانية باعادة الموظفين الايطاليين الذين يعملون فى الدولة وفملوا من عملهم اثناء الحرب ، على ان تدفع لهم رواتب الفترة التى اوقفوا فيها عن العمل .

المادة العاشرة : تتعهد الحكومة الايطالية بدفع قسط سنوى للدولة العثمانية يعادل المبلغ المستوجب عن ايرادات الولاياتين - طرابلس الغرب وبنغازى - لكل سنة من السنوات الثلاث التى سبقت الحرب ، والذى لا يقل عن ٢ مليون ليرة ايطالية لكل سنة .

المادة الحادية عشرة : تدخل هذه المعاهدة حيز التنفيذ وسريان المفعول فى نفس يوم توقيعها ، واشباتا لذلك وقع المفوضون ذوو الملاحية المطلقة هذه الاتفاقية ،
(١)
وختموها باختامهم .

(1) Muahede name, Numarasi, 335. "Osmanli Arşivi Daire Başkanlığı" Ist .

وقد اشار أحد المؤرخين الى ان اعلان الحرب على دول
البلقان من قبل الدولة العثمانية قد تم فى الساعة الثانية
والدقيقة الاربعين من مساء اليوم السابق لتوقيع المعاهدة
التي وقعت فى الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر يوم ١٨
اكتوبر سنة ١٩١٢م^(١) ، وهذا تأكيد على ان الازمات التي عاشتها
الدولة العثمانية وخاصة اعلان الحكومات البلقانية للحرب ،
قد ساعدت على توقيع هذه المعاهدة التي اقتطعت اجزاء
غالية من املك الدولة العثمانية .

ويذهب البعض الى ان الدولتين العثمانية والايطالية قد
وقعتا اتفاقا تمهيديا فى ضاحية أوشى قبل توقيع المعاهدة
الرسمية آنفة الذكر بثلاثة ايام ، على ان يلتزم الطرفان
ببنوده سرا حتى يتم التوقيع النهائى على المعاهدة ، الا ان^(٢)
السفير البريطانى فى الاستانة اعتبر هذا الاتفاق بمثابة
معاهدة سلام ، حققت ايطاليا بموجبها سيادة كاملة على
طرابلس وبنغازى ، وانكرت كل اشكال السيادة للدولة
العثمانية هناك^(٣) .

وقد الحقت بالمعاهدة الرسمية المشار اليها بعاليه
اربعة ملاحق اعتبرها الموقعون على المعاهدة جزءاً مكملاً لها
واهم هذه الملاحق هو المنشور الموقع من السلطان العثمانى
والذى تم بموجبه منح الاستقلال الادارى التام لولايتى طرابلس

(١) الطاهر احمد الزاوى : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(٢) ز.ب. ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

لوتسكى : المرجع السابق ، ص ٣٧١ .

(3) F.O.424/250, Annual, Report, 1912. No. 315.

"G.Lowther to Sir, E.Grey", 17.4.1913. p. 10 .

(١) وبنغازى ، على أن تدار بقوانين جديدة من قبل الاهالى الذين يجب أن يساهموا بتقديم الوصايا والارشادات ، وانه سيعين نائب للسلطان لمدة خمس سنوات للمحافظة على المنافع العثمانية ، كما يعين قاض للولايتين من قبل السلطان ليقوم بتنفيذ احكام الشرع الشريف على أن يعين هذا القاضى بدوره ومن العلماء المحليين نوابا شرعيين له وفقا لاحكام الشرعية ، وتدفع الدولة العثمانية راتب القاضى من خزينتها اما رواتب نائب السلطان والموظفين الشرعيين غير القاضى فتصرف رواتبهم من مداخل الولاية المحلية . (٢)

كما أن الملحق الثانى لا يقل عن الملحق الاول اهمية ، لانه عبارة عن منشور من ملك ايطاليا على غرار منشور السلطان العثمانى ، الا انه يؤكد فيه خضوع ولايتى طرابلس وبنغازى لايطاليا ، وفيه منح ملك ايطاليا العفو العام لمن ساهم فى الحرب الى جانب جيوش الدولة العثمانية من اهل الولايتين ، وترك لهم الحرية باقامة شعائرهم الدينية وذكر اسم السلطان العثمانى فى خطبة الصلوات باعتباره خليفة للمسلمين ، وذكر أن هناك لجنة سيتم تشكيلها تضم فى عضويتها بعض الاهالى تقوم بوضع الانظمة المدنية والادارية على النمط الايطالى . (٣)

ان موافقة الدولة العثمانية على عقد معاهدة الصلح مع ايطاليا على تلك الصورة سالفة الذكر دليل قاطع على أن الدولة العثمانية كانت تعيش اسوأ مراحل تاريخها ، وان

(١) محمد عبد الكريم الوافى : المرجع السابق ، ص ٢١٣-٢١٤

(٢) جريدة المقتبس عدد ١٠٢٩ فى ٢٣ ذى القعدة ١٣٣٠هـ .

(٣) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٥-٤٣٦ .

(١)
الازمات العنيفة كانت تهدد كيانها ، وهو ما عبر عنه السفير
البريطاني في الاستانة الذي اعتبر شروط الملح التي تم
التوصل اليها بين الدولة العثمانية وايطاليا من "افضل
ما يمكن ان تحمل عليه الحكومة العثمانية في ظل الظروف
(٢)
القائمة " .

ورغم اعتراف الدول الاوروبية بحقيقة ضم طرابلس الغرب
(٣)
وبنغازي الى ايطاليا بعد يوم واحد من توقيع معاهدة لوزان
الا ان الاطماع الايطالية في جزر الدوديكانيز التي تنازلت
عنها الدولة العثمانية بمفعة مؤقتة لايطاليا ، لم تلق
القبول والتأييد من الدول الاوروبية ، لاسيما من قبل
(٤)
بريطانيا العظمى التي أضحت الساسة فيها يدركون المغزى
الحقيقي لهذه الاطماع الايطالية والتي ستكون قضية الجزر
منطلقا لها الى آسيا الصغرى وشواطئ البحر المتوسط .
(٥)

ومع ان السلطان العثماني حاول ان يثبت حسن النية مع
الايطاليين حين أصدر قانون العفو عن سكان الجزر التي تسيطر
عليها ايطاليا اعتبارا من ٢٠ صفر ١٣٣١هـ ، الموافق ٢٨
(٦)
يناير ١٩١٣م ، لكي تجلو القوات الايطالية عنها حسبما نمت

(١) ماري ملز باتريك : سلاطين بنى عثمان - صفحات من تاريخ
تركيا ... ، ص ١٥٢ .

(٢) محمود حسن صالح منسى : المرجع السابق ، ص ١٦٦ .
(٣) الطاهر أحمد الزاوي : المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(٤) F.O.424/235, No.754, "Sir, E.Grey to Sir,
F.Bertie", F.o, 26.11.1912. p. 347 .

(٥) F.O.424/235, No.575, "Sir, R.Rodd to Sir, E.Grey"
Rome, 20.11.1912. p. 256
, F.O.424/250, Annual, Report, 1913, "Mr. Beaumont
to E.Grey", 4.12.1914 .

(٦) دستور "ترتيب ثانی" مجلد ٥ ، ص ٤٧ ، "قوانين ونظامات
ومعاهدات آيله عمومہ عائد مقاولات وارادات سنیه
محتوياتی" .

عليه بنود معاهدة لوزان التي تؤكد ان الاحتلال الايطالى للجزر العثمانية فى بحر ايجه سيكون مؤقتا ، ^(١) الا ان المسئولين الايطاليين رفضوا الجلاء عن هذه الجزر بحجة ان الدولة العثمانية لازالت تحتفظ بقوات فى طرابلس الغرب ^(٢) وتؤيد الاهالى هناك لاشارة المتاعب ضد الايطاليين .

وقد حاولت اليونان ان تجد لها موطئ قدم فى تلك الجزر ، ونشب بينها وبين ايطاليا اشكال حولها ، واكد بعض الايطاليين حينذاك انه ينبغى لاطاليا الاحتفاظ ببعض هذه الجزر كقاعدة للبحرية الايطالية فى بحر ايجه . ^(٣)

هكذا كانت حرب طرابلس الغرب ، وهكذا كانت نهايتها على يدى الحكومة العثمانية ، التي وقعت معاهدة لوزان مع حكومة ايطاليا ، وتنازلت بموجبها عن جزء غال وعزيز من اجزاء الدولة العثمانية ، التي باتت تتلقى الطعنات من الداخل والخارج ، والتي ارغمت على هذا الصلح ارغاما ، وحاولت باقضى جهودها ان تحتفظ بما يمكن الاحتفاظ به من حقوق لاهل طرابلس اولا وللسلطان العثمانى والدولة العثمانية ثانيا ، ولكن كيف يكون لها ذلك وحكومات البلقان تعلن الحرب على الدولة ، والدول الاوربية تبارك كل خطوة فيها اذلال وتحطيم لهيبه وقوة الدولة العثمانية المسلمة ، مما يعد بمثابة حربا صليبية ضد دولة الخلافة .

-
- (١) جريدة الاصلاح ، عدد ٢٣-١٤١٨ فى ١ رجب ١٣٣١ هـ .
(2) F.O.424/235, No.815, "Sir, E.Grey to Sir, R.Rodd", F.o, 28.11.1912. p. 377 .
F.O.424/242, No.21, "Sir, E.Grey to Sir, R.Rodd", F.o, 1.2.1913. p. 13
F.O.424/248, No.414, "Sir, R.Rodd to Sir, E.Grey" 19.8.1913. p. 234 .
(3) William, Miller : The Ottoman Empire and Its Successors, 1801-1927, p. 510 .

(ب) دفاع العرب عن الدولة والخلافة .

كانت علاقات العرب بالدولة العثمانية منذ هم العثمانيين للمشرق العربى علاقة حب وولاء ، وكان الدين الاسلامى هو الرابطة القوية التى تربط العرب بالدولة العثمانية ، لذا كان العرب يدركون أن اخلاصهم للدولة العثمانية سيعزز مكانة الاسلام ، ويحمى الاقطار العربية من الاعتداءات الاجنبية لاسيما أن الدولة العثمانية هى دولة الخلافة المسلمة التى ملأت ذلك الفراغ الكبير الذى تركته دولة بنى العباس بعد ما حل بها التجزؤ والانحيار .

وكان العثمانيون يبادلون العرب ذلك الاحترام والتقدير وينظرون الى تلك الولايات العربية نظرة تقدير واحترام لان اللغة التى يتحدثون بها هى لغة القرآن الكريم مصدر الدين الاسلامى والغالبية العظمى من العرب يدينون بالدين الاسلامى ، بخلاف كثير من الشعوب التى دخلت تحت راية العثمانيين^(١) .

وقد لعب العرب دورا بارزا فى تاريخ الدولة العثمانية طوال القرون الاربعة الماضية ، سواء فى مشاركاتهم فى الادارة الداخلية للدولة ، او فى وضع النظام القضائى لها بمشاركة هيئة العلماء فى الدولة العثمانية ، كما أن الجيوش العربية التى حملت السلاح تحت العلم العثمانى ، والقباط العرب الذين وصلوا الى مراكز عسكرية قيادية فى الجيش العثمانى ، قد برهنوا على قدرتهم الفائقة فى

(١) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص ٢٧ .

(٢) محمود صالح منسى : حركة اليقظة العربية فى الشرق الاسيوى ، ص ٣٩ .

(١) الممارك وولائم الصادق للدولة العثمانية .

ولقد كان السلطان عبد الحميد الثانى مدركا لاهمية العرب والولايات العربية ، حيث نراه يقربهم اليه ويضمهم الى حرسه ، ويومل بعضهم الى مراكز قيادية فى الدولة ،^(٢) حينئذ ندرك العلة التى جعلت العرب لا ينظرون الى الدولة العثمانية على انها دولة اجنبية ، ولا ينظرون الى الحكم العثمانى على انه استعمار ، وظلت هذه الفكرة السياسية الدينية مسيطرة على اذهان الغالبية من العرب ، غير ان قيام حرب طرابلس وما عقبه من تنازل الدولة العثمانية عنها ثم ماتبع تلك الحرب من أحداث جسام هزت مكانة الدولة العثمانية فى نفوس العرب المسلمين ، وأحدثت نوعا من الانقسام فى تكوين الدولة .

لقد وقف العرب من الحكم الدستورى "عودة المشروطية" سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م موقفا يعبر عن الاخلاص الصادق للدولة العثمانية ، ويؤكد حرصهم على الرابطة الاسلامية ، وولائم للخلافة العثمانية ، فقد شكل اهالى بيروت حرسا وطنيا لمساعدة الجيش عند الضرورة ، واشترى طالب النقيب - نائب البصرة - مركبا بخاريا من ماله الخاص ، واهداه للدولة لتدافع به عن شط العرب .^(٥)

ولان العرب كانوا شديدي الولاء للدولة العثمانية ،

(١) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ص ٢٦

(٢) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٣) عبد العزيز محمد الشناوى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٩٤٥-٩٤٦ .

(٤) منيرة عبد الله العرينان : المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٥) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ١١٩ .

ولديهم رغبات صادقة فى اصلاح الدولة ، وتنظيم الوضع السياسى والاقتصادى والاجتماعى فيها فقد سارع كثير منهم فى الانضمام الى جمعية الاتحاد والترقى ، وايدوها فى برنامجها الاملاحي الذى وعدت بتنفيذه فى داخل الدولة العثمانية .^(١)

ومعما قيل عن مواقف بعض النواب العرب فى مجلس المبعوثان غداة الغزو الايطالى لطرابلس ، وتحميلهم للحكومة العثمانية تبعات هذا الغزو وماتج عنه من استيلاء على ارض عربية ،^(٢) الا ان ذلك لا يقيم دليلا على عدم الولاء للدولة ، فامحاب المواقف والمطالب القومية قليلون جدا ، بينما الاكثرية من العرب المسلمين "تعتبر الدولة العثمانية المسلمة دولتها ، ودولة الخلافة الاسلامية الواجب عليها الطاعة لها دون انفعال بالتيارات السياسية والقومية"^(٣) .

واذا وجدنا عكس ذلك الولاء بين العرب فلن يعدو ان يكون من العرب المسيحيين ، الذين يخضعون للدولة العثمانية كسائر رعاياها غير المسلمين ، والذين لا يشتركون فى الجيش ولا يدخلون الحروب التى تخوضها الدولة ضد الكفار ، كما قضت بذلك النظم العثمانية ، فهم بذلك لا يبالون بانتصارات الدولة او انكساراتها وبالتالى فلن يكون لديهم اى ولاء لها .^(٤)

-
- (١) جريدة الاصلاح عدد ٣٩-١٤٣٤ فى ٢١ رجب سنة ١٣٣١هـ ك
عبد الرزاق احمد النصيرى : نوري السعيد ودوره فى
السياسة العراقية حتى عام ١٩٣٢م ، ص ٣٣ .
(٢) ساطع الحمصى : البلاد العربية والدولة العثمانية ،
ص ١١٨ .
(٣) محمد عزة دروزة : المصدر السابق ، ص ٣٤٠ .
(٤) ساطع الحمصى : محاضرات فى نشوء الفكرة القومية ،
ص ١٢٠-١٢١ .

ويؤكد أحد المؤرخين أن أهل المغرب العربى ينكرون وصف
 الخلافة العثمانية بالاستعمار التركى ، ويرون فى الخلافة
 العثمانية جمعا لشملى هذه الاقطار فى مواجهة اعداء الاسلام ،
 وانها السد المنيع الذى انحسرت عنده المؤامرات المليبية
 الاستعمارية ، مما يوحى بأن البعض فى المشرق العربى كان^(١)
 ينظر الى دولة الخلافة ، كدولة استعمارية ، ولكن أحد زعماء
 المشرق العربى كان يؤكد عكس ذلك تماما حين قال : " أن
 العرب المسلمين يعتبرون شركاء للاتراك ، كانوا يشتركون
 معهم فى الحقوق والواجبات بدون تمييز عنصرى ، وكانت
 الوظائف العليا فى الدولة سواء العسكرية أم المدنية
 مفتوحة للعرب ، وقد كان للعرب ممثلون فى مجلسى البرلمان
 العثمانى ، أصبح كثيرون منهم رؤساء وزارة ، ومنهم من كان
 شيخ الاسلام ، ومن أصبح قائدا عسكريا أو واليا " ، ولقد^(٢)
 اثبتت الاحداث التاريخية أن المشرق العربى قد احتفظ
 بمقوماته الحضارية ، وثقافته الدينية تحت ظل دولة الخلافة
 الاسلامية ، ولم يقع فى ظل الاستعمار الغربى الا بعد افول
 الدولة العثمانية .

وعندما تعرضت ولايتا طرابلس الغرب وبنغازى للعدوان
 الايطالى أوائل شهر شوال ١٣٢٩هـ ، أواخر شهر سبتمبر ١٩١١م
 هب العرب المسلمون للدفاع عن الدولة وخاضوا المعارك ضد
 الايطاليين جنبا الى جنب مع اخوانهم من جند الدولة

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ٤١-٤٢ .
 (٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ،
 ص ٢٦-٢٧ .

(١)
العثمانية هناك ، ولقد ازداد شعور العالم العربى حماسا
وطاعة للدولة العثمانية بعد هذا العدوان الغادر الذى قامت
به ايطاليا ضد املاك الدولة ، فالكتاب والمفكرون العرب فى
مصر والشام يحثون الناس ويدعونهم الى التبرع بارواحهم
وأموالهم لمساعدة الدولة ضد هذا العدوان ، الذى يستهدف
القفاء على الاسلام والمسلمين ، والذى يجب التعدى له من
جميع المسلمين كل حسب قدرته ، فاما ان يجاهد بنفسه ويدافع
عن امته ، واما ان يدفع المال والسلاح ليساعد المجاهدين
الذين يخوفون المعارك على جبهات القتال .
(٢)

اما الحكام والامراء العرب فقد كان رد الفعل لديهم
قويا ، فهذا هو الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود
الذى ينشئ دولته فى وسط الجزيرة العربية ، ويخوض غمار
الحرب مع المنافسين والطامعين فى ملك آبائه واجداده ،
ولكن ذلك لم ينمه واجبه الاسلامى تجاه دولة الخلافة الاسلامية
حيث ارسل الى الصدر الاعظم برقيته المؤرخة فى ١٢ شوال
١٣٢٩هـ الموافق ١٥ اكتوبر ١٩١١م ، والتى يظهر فيها
انزعاجه من اعتداء ايطاليا على املاك الدولة العثمانية
ويؤكد استعداداته وقبائل نجد الخاضعة له لخوض المعركة ضد
اعداء الاسلام والمسلمين حينما تاذن له دولة الخلافة بذلك .
(٣)

-
- (١) امين شاكى وآخرون : تركيا والسياسة العربية من خلفاء
آل عثمان الى خلفاء اتاتورك ، ص ٨٣ .
جريدة الاصلاح عدد ٣٩-١٤٣٤ فى ٢١ رجب ١٣٣١هـ .
(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٤ ، ج ١٢ ، ص ٩٤٩ .
مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج ١٤ ، ص ٤٠ .
(٣) عبد العزيز محمد الشناوى : المرجع السابق ، ج ٣ ،
ص ١٢٢٣ .

وكذلك السيد محمد الادريسي رغم عداوته لجمعية الاتحاد والترقي وشدة الخلاف بينهما الا انه أكد في خطاب بعثه للامام يحيى حميد الدين في ١٦ ربيع الاول ١٣٣٠هـ الموافق ٤ مارس ١٩١٢م ، انه استجاب لايقاف الحرب العدائية بينه وبين جنود الدولة العثمانية منذ قيام الحرب الايطالية في طرابلس ، على امل ان يتوصل معهم الى وفاق يخدم الاسلام والمسلمين ، وتستطيع الدولة العثمانية التفرغ لمجابهة المعتدين الايطاليين حسبما يقول ، الا ان ذلك العدو بينهما لم يستمر طويلا ، لان الدولة العثمانية لا ترغب في التعامل مع الادريسي ولا في عقد صلح معه لعدة اعتبارات من أهمها انه غريب عن المنطقة ، وليس له جذور تاريخية ، وبالتالي فاتباعه ومؤيدوه قليلون جدا مما يسهل على الدولة العثمانية التخلص منهم دون اية تبعات لذلك ، وهذا ما جعل الادريسي يقلب للدولة العثمانية ظهر المجن ويتحالف مع الايطاليين ضدها ، كرد فعل لاحتقار الدولة العثمانية له ، ولكن ايطاليا تخلت عنه بعد معاهدة لوزان لان الغرض من الحلف معه قد انتهى .^(١)

اما الامام يحيى حميد الدين امام اليمن ، فقد بعث بدوره برقية تاييد للدولة العثمانية جاء فيها : "علمت ان بعض الاجانب يهاجمون الحديدة وطرابلس الغرب ، فاني مستعد للقيام بمائة الف جندي تحت قيادتي بين محارب ومتطوع ، وانني اقدم نفسي فداء في سبيل الله " .^(٢)

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٤ ، ص ٣١٠-٣١١ ، مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٧٢-١٨٠ .
 (٢) منيرة عبد الله العريشان : المرجع السابق ، ص ٨٦ .
 (٣) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ٢١٨-٢١٩ .
 (٤) عبد العزيز محمد الشناوي : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٢٣ .

حتى الشعراء العرب لم ييخلوا فى الدفاع عن طرابلس الغرب وعن دولة الخلافة ، فهذا احمد شوقى يهتف للعثمانيين قاطبة ، فى ذلك الحفل الذى اقامته جماعة الغلال الاحمر المصرية لجمع التبرعات للمقاتلين فى طرابلس الغرب من الجيش العثمانى حيث قال :

يا قوم عثمان - والدنيا مداولة -

تعاونوا بينكم يا قوم عثمان

كونوا الجدار الذى يقوى الجدار به

فالله قد جعل الاسلام بنيانا

فى ذمة الله - او فى ذمة - نفـر^(١)

على طرابلس يقفون شجعانا

لقد كان حماس العرب ودفاعهم عن دولة الخلافة ابان

العدوان الايطالى على طرابلس الغرب ، مغرب المثل ، فاللجان

تشكلت لجمع التبرعات المادية لمساعدة المجاهدين ، والشباب

يخطوعون للقتال ، حتى من كان فى بعثة دراسية فى اوربا ترك

دراسته وعاد ليحمل المسئولية ويدافع عن دولته ووطنه .^(٢)

وانهالت التبرعات وارسلت الاموال وتدفق المتطوعون ،

من مختلف الاقطار العربية من تونس ، ومن مصر والشام ، ومن^(٣)

اهالى الخليج العربى فى الكويت وقطر والبحرين واهالى

(١) احمد شوقى : الشوقيات ، ج ١ ، ص ٢٤٥ .

(٢) محمد جلال كشك : السعوديون والحل الاسلامى ، ص ٤٤٥ .

(٣) محمد كرد على : خطط الشام ، ج ٣ ، ص ١٢٦ .

(١)
البصرة وأعيانها ، وارتفعت الأصوات فى مختلف أنحاء العالم
الاسلامى وفى البلدان العربية تطالب بالوقوف الى جانب دولة
الخلافة فى وجه العدوان الاوربى المسيحى الذى تتعرض له
طرابلس الغرب وبنغازى .

لقد اكد أحد أعيان طرابلس الغرب أهمية بقاء
الدولة العثمانية ، ووجوب مناصرتها والوقوف الى جانبها
لانقاذ العالم الاسلامى من خطر الاستعمار الاجنبى ، مشيرا الى
انه بعد تجربة الغزو الايطالى لطرابلس فان أى محاولة
للافصال معناها الوقوع فى ايدي المستعمر الاوربى .
(٢)

هكذا تحولت حرب طرابلس الغرب ضد العدوان الايطالى الى
حرب جهاد اسلامى عربى كامل ، وتدفق المجاهدون على
المعسكرات العثمانية ، وهاجمت الفمائل العربية الكبيرة ،
الوحدات الايطالية فى ضواحي طرابلس ، وأجبرتها على اخلاء
عدة مراكز محصنة ، كما اظهر السكان المحليون مقاومة شديدة
للقوات الايطالية فى ضواحي بنغازى وفى المدينة ذاتها ،
ليصبح نضال العرب عاملا مهما لتحديد سير هذه الحرب التى
كان الايطاليون يعتقدون انها نزهة بحرية قصيرة المدى لن
تستغرق بضعة ايام .

(١) عبد العزيز محمد الشناوى : المرجع السابق ، ج ٣ ،
ص ١٢٢٥ ،
جمال زكريا قاسم : النزاع البريطانى العثمانى فى
الخليج العربى قبل نشوب الحرب العالمية الاولى ،
المجلة التاريخية المغربية ، العدد ٢٩-٣٠ يوليو
١٩٧٣ م ، ص ٣٦١ .

(٢) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٥٨ .

(٣) ز.ب. ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص ٧٧-٨٨ ،
لوتسكى : المرجع السابق ، ص ٣٧٠ .

وحين منحت الدولة العثمانية الاستقلال لولايتى طرابلس وبنغازى ، وانسحبت القوات العثمانية منها وفق بنود معاهدة لوزان الموقعة فى ٨ ذى القعدة ١٣٣٠هـ / ١٨ أكتوبر ١٩١٢م ، انفرد العرب بالمقاومة ضد الاحتلال الايطالى ، وكانت الجيوش الايطالية لم تحتل هضبة برقة موطن السنوسيين وزعيمهم السيد احمد السنوسى ، ورغم قلة سكانها الا ان وجود السنوسيين بها اكسبها قيمة سياسية وعسكرية .^(١)

وقد كان السيد احمد بن السيد محمد الشريف بن السيد على السنوسى قد وجه منشورا الى كافة قبائل طرابلس الغرب وبنغازى يحثهم فيه على جهاد الايطاليين ، حيث قال : "... ان الموت فى الجهاد هو منتهى ارب اللبيب ، اذ هو الحياة الحقيقية ... فكيف بمن به يكون خلاصه من اسر الاعداء وسبيهم نساءه واولاده ... ولا تمدنكم عن جهادكم كثرة عدد ولا عدد ، فان قوة الايمان تتلشى فى جنبها كل عدد ، فجمعهم المعسكرة مكسرة ... وقد وعد الله ناصره بالنصر والتثبيت .. فالحل لله عباد الله ، خلموا انفسكم واعراضكم من ايدى الكفار ، واغسلوا يادوى العثم ملابى مروءتكم من العار وجاهدوا بالانفس والاموال ... وليكن هم كل منكم وهواه قتالهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله " .^(٢)

وكان وقوف السنوسيين الى جانب الدولة العثمانية للدفاع عن طرابلس الغرب تأكيدا لولايتهم للدولة العثمانية ،^(٣)

(١) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٩ .
(٢) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ١٩٩ .
(٣) مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج ٢ ، ص ١٠٩-١١١ .
(٤) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .

والرغبة فى الحفاظ عليها ، وهو خلاف ماكان يعتقد الساسة
الايطاليون من وجود خلافات بين الدولة العثمانية والسنوسيين^(١)
وهو مااعترف به قائد الحملة الايطالية ضمنا حين قال : " ان
القبائل العربية دون استثناء معادية لنا وجميعها مسلحة
بهذه الدرجة او تلك " ، وهو مازاد من درجة التشاؤم لدى^(٢)
رئيس الوزراء الايطالى جوفانى جوليتى G. Giolitte حيث اشار
الى ان الاحتفاظ بالسيادة الاسمية للسلطان العثمانى فى
طرابلس الغرب وبرقة سيؤدى الى نتائج عكسية على الوجود
الايطالى وسيقلل من سيطرة ايطاليا على الاهالى الذين
سيعتبرون السلطان خليفة عليهم ويكونون له الولاء كزعيم دينى
وهذا بطبيعته سيحدث قلقا واضطرابات لايطاليا كما يقول .^(٣)

وقد تزعم الضابط العربى المعروف عزيز على المصرى جيش
المقاومة العربى ضد العدوان الايطالى ، ووضع يده فى يد
السيد احمد السنوسى ، ونظم القوى العربية التى قامت
بمقاومة عنيدة ضد الايطاليين ، كما شارك فى تلك المعارك^(٤)
عدد من الضباط المتطوعين من سوريا والعراق ، ولم تكن^(٥)
مشاركة عزيز المصرى فى حرب طرابلس هى الدليل الوحيد على
ولائه للدولة العثمانية ودفاعه عنها ، وانما سبق له ان ادى
خدمات جليلة للدولة العثمانية حين استطاع اقناع الامام
يحيى حميد الدين بضرورة عقد المصالح مع الدولة العثمانية
لحتفرغ للعدو المشترك فى طرابلس الغرب الذى يترقب بالعرب

(١) منيرة عبد الله العرينان : المرجع السابق ، ص ٩٣ .
(٢) ز.ب. ياخيوسفتش : المرجع السابق ، ص ٨٠ .
(٣) محمد عبد الكريم الوافى : المرجع السابق ، ص ١٥٠ .
(٤) محمد عبد الرحمن برج : المرجع السابق ، ص ٢٥ .
(٥) منيرة عبد الله العرينان : نفس المرجع ، هامش ٢ ، ص ٩٤ .

(١)
والمسلمين الدوائر .

وقد توجه بعض أعيان بيروت في شهر صفر ١٢٣٠هـ/فبراير ١٩١٢م الى مصر وطلبوا من الخديوى عباس حلمى باشا ان يدعم الجيش العثمانى الذى يقاتل فى طرابلس الغرب ويسمح بمرور الاسلحة والجنود عبر الاراضى المصرية ، ووعدهم الخديوى بتحقيق مايمكن من المساعدة .^(٢)

وحين حاولت ايطاليا ان تلجأ الى المكر والخداع ، وتبث الفرقة بين العرب والدولة العثمانية ، وتدعو العرب الى الانفصال عن العثمانيين عن طريق المنشورات التى تلقىها الطائرات الايطالية على المعسكرات العربية ، حين حاولت ذلك سارع العرب لاثبات ولائهم للدولة وارسلوا برقية للحكومة فى الاستانة نقلتها بالنص جريدة صباح التركية ، جاء فيها : "نحن العرب ابناؤ هذا الوطن العثمانى المقدس نفديه بالمعج ولانفصل عنه ، ولو اراد هو الانفصال عنا ، وانا لمدينون فى حياتنا القومية واتحادنا للجنود العثمانيين وغباطهم البواسل ، على ان مانبذله وماسنبذله ايضا من المعج والمال فى الذب عن حوضنا لم نبذله طوعا لاوامر اخواننا الجنود ، بل رغبة فى الاحتفاظ بكياننا واننا نجل هذه الرغبة ، لانها كانت سببا فى شد اوامر الاخوة بيننا وبين اخواننا العثمانيين ، فلماذا نعلن لحكومة الاستانة وسائر اخواننا العثمانيين اننا مستعدون لبيع ارواحنا وارواح ابنائنا على بساط هذه السهول والرمال المحرقة دفاعا عن بلادكم التى هى

(١) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٥٧ .
(٢) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، ص ١٨ .

بلادنا ، ... لاننا متأهبون للموت حتى لايبقى منا فرد ،
(١)
والله لا يهدى كيد الخائنين".

ولقد فاخرت جريدة طنين التركية بهذه البطولات التي
تتفجر من العرب في حرب طرابلس ، مشيرة الى ان "اخواننا
العرب فعلوا المعجزات ، فبيضوا صفحة تاريخنا ، وعجز
ايطاليا في الحال وفي الاستقبال بات امرا محققا ، ... بعد
ماحالف النصر العرب الذين ابلوا بلاء الحسن ، ... فلتعلم
(٢)
اوربا هذا والسلام" .

ان السلطان عبد الحميد الثانى كان يدرك مدى الولاء
الذى يحمله العرب في طرابلس للدولة العثمانية وفي
مقدمتهم السيد أحمد السنوسى ، لهذا كان متفائلا جدا في
تصريحه الصحفي الذى أدلى به لمجلة نوراندسون الالمانية ،
واكد فيه ان الايطاليين سيجدون مقاومة عنيفة من قبل
السنوسيين وأتباعهم ، وستكون خسائرهم فادحة وحساباتهم
خاطئة ، لان العرب هناك لن يسلموا طرابلس بسهولة ، وان
الدولة قد امنت لهم مايكفيهم من البنادق والمدافع لكى
يقووا على المقاومة والدفاع عن وطنهم ، وهذا القول هو
(٣)
ماأكده السفير البريطانى في الاستانة السير جيرارد لوثر في
التقرير السنوى لسنة ١٩١٢م ، الذى بعثه لوزير خارجيته في
(٤)
١٧ ابريل ١٩١٣م .

(١) جريدة المقطم عدد ٦٩٤١ في ٩ صفر ١٣٣٠هـ .
(٢) جريدة المقطم عدد ٦٩٨٠ في ٢٥ ربيع الاول ١٣٣٠هـ .
(٣) جريدة الاهرام عدد ١٠٦١٣ في ٢١ صفر ١٣٣١هـ ؛
جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٢٣ في ١٧ صفر ١٣٣١هـ .
(٤) F.O.424/250 . Annual, Report, 1912 No. 315, "Sir,
G.Lowther to E.Grey", Constantinople, 17.4.1913.
p. 12 .

ولقد قدم العرب فى حرب طرابلس الغرب هروبا من الاستبسال والشجاعة جعلت أحد مكاتبى الصحافة الغربية والذى كان على جبهات القتال يؤكد فى مقالة لجريدة الديلى تلغراف البريطانية أن العالم لم يشهد من البطولات والتفحية مثلما تشهده ساحات الحرب فى طرابلس ، وأن العرب يؤدون فنون الحرب ويعلمونها للايطاليين الجلاء ، الذين أصبحوا مدافعين عن مواقعهم رغم أنهم هم المهاجمون .^(١)

كانت معارضة العرب للملح مع ايطاليا قوية ، فالمقالات تتصدر صفحات الجرائد مستنكرة على دولة الخلافة هذا الملح ، ومؤكدة أن العرب لن يرضوا بالتنازل عن طرابلس وسيدافعون عنها بالمال والانفس ، أما النواب العرب فى عاصمة الدولة فقد وقف احدثهم معلنا معارضة العرب لاي فرمان سلطانى يلحق طرابلس بايطاليا .^(٢)

وبالفعل كان العرب غير مقتنعين بالفرمان السلطانى ، وفسر الطرابلسيون ذلك التنازل على أنه منح للاستقلال الذاتى واعتراف بحقوقهم واخلاصهم للدولة العثمانية ، لذا فقد واصلوا النضال ضد القوات الايطالية بعد توقيع معاهدة "اوشى" لوزان وحاولت بعض القيادات الطرابلسية أن تنسق مع القادة الايطاليين لمنح المجاهدين الاستقلال الذاتى الذى منح لهم من قبل الدولة العثمانية ، ويذهب أحد القادة العسكريين فى ذلك الى القول أنه اذا لم تعترف ايطاليا بهذا الاستقلال

-
- (١) جريدة المقتبس عدد ٩٧٨ فى ١٩ رمضان ١٣٣٠هـ .
 - (٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٤٠٧ .
 - (٣) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ١٤٣-١٤٤ .
 - (٤) الطاهر أحمد الزاوى : المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

"فلا تنتظر منا الا القتال حتى ننال الاستقلال رغما عن انفسنا ،
وأُبشِّرُ اخواننا المسلمين عموما والعثمانيين خصوصا باننا
اتفقنا على قتال عدونا مادام فينا الدم العربى يجرى فى
(١)
عروقنا".

هكذا كان اخلاص العرب للدولة العثمانية ، وهكذا كان
دفاعهم عن دولة الخلافة ضد الغزو الايطالى لطرابلس الغرب ،
واذا نظرنا بشئ من الادراك والواقع الى تاريخ الدولة
العثمانية ، لوجدنا انها هى الدولة الاسلامية التى رفعت
رايات الاسلام عالية فى اجزاء متفرقة من اوربا المسيحية ،
وهى التى وقفت حملا منيعا فى وجه اطماع اوربا المسيحية فى
الشرق العربى الاسلامى ، وهذا ما جعل العرب المسلمين يفخرون
بتلك الدولة وينظرون لها نظرة تقدير واحترام ويدافعون
عنها بالغالى والنفيس .

(١) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٥٣ فى ٤ ربيع الثانى
١٣٣١ هـ .

(ج) مدى حرب طرابلس في ولايات الدولة العثمانية في البلقان

لقد كان النزاع المسلح بين الدولة العثمانية وايطاليا في طرابلس الغرب ذا ابعاد خطيرة على السياسة العثمانية والوجود العثماني في اقاليمها الاوربية ، ويمكن القول ان تلك الحرب التي شنتها ايطاليا على ممتلكات العثمانيين في شمال افريقيا هي مقدمة لحروب البلقان التي تفجرت قبل انتهاء هذه الحرب الايطالية .

وكان السفير البريطاني في الاسكندرية اول من ذهب الى هذا القول حين رأى في تقريره السنوي لحكومته ان الحرب الايطالية ستنتهي في البلقان ، وان دول البلقان ستنتهز هذه الفرصة لتعلن الحرب على الدولة العثمانية ، وذهب الى نفس الرأي احد المسئولين العثمانيين حين أكد في تصريح صحفي الى ان وقوف بريطانيا وفرنسا على الحياد في حرب طرابلس عمل معنوي له بعد غير منظور لدى الحكومات البلقانية التي ستتحرك اطماعها ضد الدولة العثمانية ، وربما تعلن الحرب عليها قبل انتهاء حرب طرابلس .^(٢)

ان الحرب الطرابلسية كانت مظهرا من مظاهر الفتن والمؤامرات التي عصفت بالدولة العثمانية لتزيدها ضعفا على ضعف ، وتجعلها واهنة القوى ، في وقت لم تتقدم فيه حكومة الاتحاد والحرقي بالقوة العسكرية العثمانية الى الامام ،

(1) F.O.424/250, Annual, Report, 1912, No. 315, "Sir, G.Lowther to Sir E.Grey", 17.4.1913. p. 14 .

(٢) جريدة المقطم عدد ٦٩٦٦ في ٩ ربيع الأول ١٣٣٠ هـ .
(٣) هـ.ج.ولز : معالم تاريخ الانسانية ، المجلد ٤ ، ص ١٤٣٠ .

ولم تطف لها أى تحسين مما جعلها تمنى بالمعزائم المتكررة
على جبهات القتال فى طرابلس الغرب .^(١)

لقد كان مدى الحرب الطرابلسية فى ولايات الدولة
العثمانية فى البلقان قويا ومؤثرا بدرجة اعتبرها الكثير
من الكتاب والمؤرخين أنها هى التى فتحت باب المسألة
البلقانية ، واتاحت فرصة ذهبية للحكومات البلقانية التى
كانت فى السابق تدعم العمادات الارهابية فى مقدونيا لحقوم
بالتصفية الجسدية للمسلمين وتذهب أموالهم ، غير أن وقوع
الحرب بين الدولة العثمانية وايطاليا فى طرابلس الغرب ،
ووصولها الى الجزر العثمانية فى بحر ايجة ، ومضيق
الدردنيل اضاء الفوء الاخضر امام الحكومات البلقانية لتعلن
العداء صراحة ، وتظهر نواياها المبيتة تجاه الدولة
العثمانية مستغلة فى ذلك قيام هذه الحرب التى زادت من
مخاطب الدولة والمطرابات .^(٢)

بدات حركات العصيان والتمرد فى مقدونيا قبيل حرب
طرابلس الغرب ، ووجدت تاييدا ودعمًا من الحكومات البلقانية
حيث لعب رئيس الوزراء اليونانى فينيزيلوس Venizelos ،
دورا بارزا فى دعم هذه الحركات ، غير أن فكرة الحرب
البلقانية والتحالف بين حكومات البلقان لم تمتد وتنتشر الا
بعد نشوب الحرب الطرابلسية ، التى تعتبر اول حرب تخوضها

(1) Taylor, op. cit, p. 484 .

(2) L.S.Stavrianos, The Balkans Since 1453, p.534

جريدة المقتبس ، عدد ٩٧٠ فى ٩ رمضان ١٣٣٠ هـ ،
على حسون : العثمانيون والبلقان ، ص ٢٥٨ ،
مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج ١٢ ، ص ٩٥٨ .
(٣) بيير رنوفان : المرجع السابق ، ص ٦٦٢ .

الحكومة العثمانية بعد اعادة الدستور "المشروطة الثانية" ولقد كان لحرب طرابلس الغرب انعكاسات واضحة لدى الساسة البلقانيين ، وهو ما تمثل فى ارسال بعض المندوبين البلقانيين الى العاصمة الايطالية للتباحث حول مدى استفادة دول البلقان من هذه الحرب ، لاسيما وان بعض معتمدى بلغاريا فى بعض الدول الاوربية قد راوا ضرورة الاستفادة من هذه الحرب وعدم الهامة الفرصة التى هياها لهم ايطاليا بحربها للدولة العثمانية .^(١)

ففى الوقت الذى اصابت الجيش العثمانى انواعا من الفوضى ، حين ذهب احسن فباطه للمشاركة فى العمليات الحربية فى طرابلس الغرب ، غمر الفرخ والسورور البلدان المسيحية فى البلقان ، وجرت مفاوضات سرية اولية فى مدينة صوفيا بين الصرب وبلغاريا ، تهدف الى ايجاد حلف دفاعى بين الدولتين ضد الدولة العثمانية .^(٢)

وسارع وزير خارجية الصرب بارسال منشور سرى الى كل من دول الاتفاق الثلاثى - روسيا وفرنسا وبريطانيا - ذكر فيه ان الحالة التى نشأت عن الحرب العثمانية الايطالية من شأنها ان تحدث تاشيرا فى البلقان ، وان دولة الصرب عقدت العزم على فعل ما تراه واجبا لحماية مصالحها عند حدوث مشاكل ، ويذهب احد المسئولين فى وزارة الخارجية الصربية الى القول ان اثر حرب طرابلس الغرب قد وصل الى البلقان فى اليوم

(1) Miller, op. cit, p. 499 .

(2) Stavrianos, op. cit, p. 533 .

، هارولد .ف. يعقوب : ملوك شبه الجزيرة العربية ، ١٧٩٠

(١)
الثانى من اعلانها .

وقد زاد من تاثير الحرب الطرابلسية فى البلقان
مناشدة الملك نيقولا لاصدقائه ملوك بلاد البلقان الاخرى
بالاستعداد لحرب الدولة العثمانية ، حين قامت ايطاليا
بحربها فى طرابلس الغرب ، مما حدا بالدولة العثمانية الى
اجراء التعبئة العسكرية العامة فى منطقة ادرنة ، وحشد
قواتها الحربية فى البلقان ، ادراكا منها الى ان حرب
طرابلس الغرب سيكون له مدى قويا فى البلاد البلقانية ،
واثبتت الاحداث التالية لرجال الدولة صدق توقعاتهم .

وانساق السفير البريطانى فى الاستانة السير جيرارد
لوشر ، وراء اعتقاداته السياسية حين اشار الى ان الهجوم
الايطالى على طرابلس الغرب سيدفع الدولة العثمانية لمهاجمة
اليونان كنوع من الانتقام ، ولم يلحظ ان اليونان هى التى
باتت تنتهز الفرصة الذهبية التى هياها لها هذا الهجوم
الايطالى ، والذى اصبح صداه فى اليونان وفى سائر دول
البلقان ينشر الفرخ والمرور لدى حكومات هذه الدول .

ولقد أسر المسئولون اليونانيون الى سفير بريطانيا فى
اثينا ببعض مطالبهم التى يرغبون فى الحصول عليها من
الدولة العثمانية ، خاصة تلك الجزر التى تدعى اليونان
ملكيتها ، لاسيما بعد سقوطها فى ايدى الايطاليين ، وليس هذا

(١) يوسف .ف. البستاني : تاريخ حرب البلقان الاولى بين
الدولة العلية والاتحاد البلقانى ... ، ص ٥٢-٥٤ .

(2) Sloan, op. cit, p. 160 .

(٣) ز.ب. ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(4) F.O.424/250, Annual, Report, 1911. No. 100,
"G.Lowther to E.Grey", 31.1.1912. p. 13 .

فحسب وانما عبروا عن رغبتهم تحقيق الآمال التى يطلبها
المسيحيون الخاضعون للدولة العثمانية فى أوربا ، مشيرين
من طرف خفى الى ان تلك المطالب يجب تحقيقها عن طريق
التنازل السلمى من قبل الدولة العثمانية قبل ابرام معاهدة
الصلح مع ايطاليا ، والا فان الدول البلقانية الاربع وفى
مقدمتها اليونان ستضطر الى الحمول على آمالها ورغباتها
بالقوة المسلحة ، لان هناك تفاهم بين تلك الدول البلقانية
(١)
حول ذلك .

اما معتمد المرب فى بلغاريا فقد اعلنها صريحة حين
ذكر ان الحكومات البلقانية تود من صميم القلب ان تفشل
الدول الكبرى فى التوسط بين الحكومة العثمانية وايطاليا ،
لان الحرب بينهما قد اعطت فرصة فريدة للدول البلقانية كي
تعلن الحرب ضد العثمانيين ، وتمضى نهائيا منازعاتها
(٢)
القديمة مع الدولة العثمانية .

وهذا ما ادركته الحكومة الايطالية التى اشارت خوف
الدول الاوربية عندما اشارت الى ان ايطاليا ستقدم
المساعدات للدول البلقانية اذا لم يوقع الصلح مع الدولة
العثمانية ، واذا نشبت الحرب بين البلقانيين والدولة
العثمانية قبل التوصل الى توقيع الصلح فان ايطاليا لن
تترك دول البلقان المسيحية لتعرض لهجوم المسلمين
(٣)
العثمانيين .

واسرعت الدول الاوربية وفى مقدمتها فرنسا فى

(1) F.O.424/234, No.222, "Mr. Beaumont to Sir, E.Grey",
Athens, 11.9.1912. pp. 111-112 .

(٢) يوسف ف. البستاني : المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٣) ز.ب.ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

التدخل فى محادثات الملح الجارية بين ايطاليا والدولة العثمانية ، حيث منح رئيس الوزراء الفرنسى ريمون بوانكاريه المسئولين العثمانيين بضرورة التعجيل بعقد الملح مع ايطاليا ، لأن ذلك سيمهل على الدول الاوربية الضغط على البلدان البلقانية كي تكف عن تحرشاتها العدائية ضد الدولة العثمانية ، فى حين رأت الدوائر الحاكمة فى روسيا (١) ان انتهاء الحرب العثمانية الايطالية ، سيقبل من خطر التعقيدات غير المستحبة فى البلقان التى ربما تقدم عليها الحكومات البلقانية ، مستغلة انشغال الدولة العثمانية بحرب طرابلس والصعوبات التى تواجهها بسبب تلك الحرب . (٢)

وقد تركت الحكومة البريطانية لمساعد وزير خارجيتها السير آرثر نيكولسون Sir, Arthur Nicolson مهمة ابلاغ السفير العثمانى فى لندن ، وجهة نظر بريطانيا ، التى تأمل فيها من حكومة الباب العالى سرعة توقيع معاهدة السلام مع ايطاليا دون تاخير ، لأن ذلك سيكون له اثره فى تهدئة الاوضاع غير المستقرة فى البلقان ، الا ان المسئول البريطانى لم يشر الى أى دور ستقوم به بريطانيا مع الدول البلقانية ، رغم حرصه على اظهار تعاطف بريطانيا مع (٣) البلقانيين ومطالبهم الاصلاحية كما يقول .

أخذت الدول الاوربية تمارس ضغوطها على الحكومة العثمانية ، وتبدى لها انواعا من النصح لى تسرع فى عقد

(١) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٠١ فى ١ صفر ١٣٣١ هـ .

(٢) ز.ب. ياخيملوفتش : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(٣) F.O.424/234, No.344, "E.Grey to G.Lowther", F.o, 2.10.1912. P. 165 .

الصلح مع ايطاليا ، خوفا من ان تضع ايطاليا تهديداتها
(١)
بمساعدة دول البلقان ضد الدولة موضع التنفيذ .

وكانت الحكومة العثمانية قد شرعت فى مفاوضات الصلح
مع ايطاليا منذ اندلاع الثورة الداخلية فى البانيا ،
وبدأت اول جلسات المفاوضات العثمانيين مع المفاوضين
الايطاليين فى مدينة لوزان فى سويسرا فى الثامن والعشرين
من شهر رجب سنة ١٣٣٠هـ ، الثانى عشر من يوليو سنة ١٩١٢م ،
ولكن الموقف فى البلقان ازداد خطورة ، واصبحت الازمات
تتتابع على الدولة العثمانية ، فبينما كان الجيش العثمانى
فى طرابلس الغرب يخوض حربا شرسة ويحتاج الى المساعدة
والدعم ، اصبحت الجبهة البلقانية شغرة مفاجئة للقوات
المسلحة العثمانية ، لاسيما وان الايطاليين قد نقلوا
(٢)
المعركة مع الدولة العثمانية الى بحر الادرياتيك وبحر ايجيه
وقاموا باغراق بارجتين عثمانيتين ، واحتلوا ثلاث عشرة
جزيرة للدولة منها جزيرة رودس ، وهذا مما زاد من انزعاج
الدول الاوربية وخشيتهما من انتقال الحرب الى البلقان .
(٣)

ان الحصار الايطالى وانتقال المعركة بين روما
والاستانة من ارض طرابلس الغرب الى الموانئ العثمانية فى
بحرايجه ومضيق الدردنيل قد نبه البلقانيين ولفت نظرهم الى
استحالة وصول امدادات الجيوش العثمانية عن طريق البحر ،
مما يجعل التفوق العسكرى فى جانبهم بسبب استمرار هذه

(١) محمد عبد الكريم الوافى : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

(٢) الطاهر احمد الزاوى : المرجع السابق ، ص ٩٧-٩٨ .

(٣) Ahmad, op. cit, p. 192 .

(٤) محمد جميل بيهم : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٠ ؛
بيير رنوفان : المرجع السابق ، ص ٦٥٦ .

(١)
الحرب .

ورغم أن أحد المؤرخين يذهب الى أن الاجراءات التي اتخذتها الدولة العثمانية في مقدونيا حول ربطها بالدولة وتطبيق النظام المركزي عليها عن طريق حركة استيطان اسلامية جديدة كما يقول ، قد ساهمت في تحزب الدويلات البلقانية ضد الدولة العثمانية لاستشعارها بالخطر المحدق بها ، إلا أن (٢) الشيء المؤكد والذي اثبتته القرائن التاريخية وذهب اليه كثير من المؤرخين هو أن الانتماءات الايطالية في الحرب الطرابلسية وانتقال العمليات العسكرية الى الشفور العثمانية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط وفي بحر ايجة كل ذلك كان له مدى كبير لدى دويلات البلقان حيث بدأت في اقامة الاحلاف والمعاهدات فيما بينها لتحقيق اطماعها في ظل الضعف الذي تعيشه الدولة العثمانية من جراء هذه الحرب . (٣)

لقد كانت البلقان تموج بحركات قومية واضطرابات مستمرة ضد الدولة العثمانية قبل نشوب حرب طرابلس الغرب ، إلا أن هذه الحرب قد اظهرت في الافق نذر حرب ستقدم عليها الحكومات البلقانية ، وهذا ما أكدته الصحف الأوروبية حين ذاك والتي كانت تشير بين الفينة والأخرى على صدر صفحاتها الى الاهتمام الأوربي بالحرب العثمانية - الايطالية ، وحرص الحكومات الأوروبية على عقد صلح بين الجانبين لتحويل بذلك

(١) ساطع الحمري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ١٠٣ .

(٢) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٦٠١ .

(٣) محمد شفيق غربال : المرجع السابق ، ص ٥٤ ، ز.ب. ياخيموفتش : المرجع السابق ، ص ١٦٩ ، عبد الحميد البطريق : التيارات السياسية المعاصرة ، ١٨١٥-١٩٦٠م ، ص ١٥٠ .

(١)

دون نشوب حرب فى شبه جزيرة البلقان .

كان التوتر السياسى والعسكرى يسود منطقة البلقان ، فى حين كانت المفاوضات تجرى بين ايطاليا والدولة العثمانية فى اوشى احدى ضواحي مدينة لوزان السويسرية ، وكان المفاوضون العثمانيون يتشددون فى شروط الملح مع ايطاليا فى محاولة منهم لحفظ كرامة السلطان العثمانى ، ولإبقاء على بعض حقوق الدولة العثمانية فى طرابلس الغرب لى تحافظ على مكانتها فى العالم العربى والاسلامى .^(٢)

وعندما تجمعت سحب الحرب فوق البلقان ، أدركت الحكومة العثمانية ان الخطر أصبح وشيكاً ، وانها ستخوض الحرب مع البلقانيين لامحالة ، مما يشكل عبئاً آخر على قدراتها المالية والعسكرية ، حينذاك سارع صانعو القرار السياسى فى الحكومة العثمانية ، وأبلغوا تعليماتهم الى وفد المفاوض فى سويسرا ليتنازل عن بعض شروطه ، ويقبل المطالب الايطالية اذا دفعت ايطاليا تلك المكوس والايرادات التى كانت ترد الى الدولة من ولايتى طرابلس وبنغازى وانقطعت خلال فترة الحرب .^(٣) لقد اضطرت الحكومة العثمانية للتراجع عن شروطها فى مفاوضاتها مع الايطاليين بعد ان داهمتها اخطار الحرب البلقانية ، وبعد أن خاب أملها فى الحصول على مساندة الدول الأوروبية لمواجهة الحكومات البلقانية فى تهديداتها^(٤)

(١) جريدة المقطم عدد ٦٩٧٤ فى ١٨ ربيع الاول ١٣٣٠هـ .

(٢) توفيق على بزو : المرجع السابق ، ص ٤٠٤-٤٠٥ .

(3) F.O.424/250, Annual, Report, 1912, No.315, "G.Lowther to E.Grey", Constantinople, 17.4.1913. p. 13

Miller, op. cit, p. 498 .

(٤) عبد المنصف حافظ البورى : المرجع السابق ، ص ١٩٨-١٩٩

(5) Ahmad, op. cit, p. 190 .

لتجد نفسها أمام الامر الواقع ، وتبرم معاهدة الملح مع ايطاليا مع اندلاع حرب البلقان ، تلك المعاهدة التى كانت لها فائدة كبيرة للعثمانيين والتى اعتبر البعض أن توقيع ايطاليا عليها بمثابة صدقة للسلطات العثمانية التى ستتمكن من تحريك قواتها من آسيا الصغرى الى البلقان دون مفايكة (١) من القوات الايطالية بعد تلك المعاهدة .

ورغم ادراك الحكومة العثمانية أن التخلي عن طرابلس الغرب بهذه السهولة سيسقط هيبتها فى نظر الشعوب الاسلامية ، الا أن مدى الحرب الايطالية كان مؤثرا بدرجة كبيرة فى ولايات الدولة البلقانية ، والتى تعتبر فى نظر الساسة العثمانيين الحاجز الاخير للدولة من جهة أوروبا ، وسقوطها يعتبر تهديدا مباشرا لعاصمة الدولة .

لقد لعبت حوادث البلقان دورا مؤثرا وفاعلا فى انهاء المفاوضات وعقد الملح مع ايطاليا ، لاسيما وأن التعبئة العامة فى الجيش العثمانى على الجبهة البلقانية أصبحت على قدم وساق ، مما يؤكد الحقيقة التاريخية التى ذهبنا اليها هنا فى أن مدى حرب طرابلس فى ولايات الدولة العثمانية فى البلقان كان له رجوع قوى على الدولة العثمانية ذاتها وهو ماتحقق بالفعل فى تزامن اعلان الحرب على الدولة العثمانية من قبل حكومات البلقان مع توقيع معاهدة الملح مع ايطاليا . (٢)

(1) F.O.424/250, Annual, Report, 1912. No.315,
"G.Lowther to E.Grey", Constantinople, 17.4.1913.
p. 10 .

(٢) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٤٠ ،
Taylor, op. cit, p. 489 ,
محمد قاسم واحمد نجيب هاشم : التاريخ الحديث
والمعاصر ، ص ٢٥٢ .

ويرى أحد المؤرخين أن الحرب بين الدولة العثمانية وإيطاليا فى طرابلس الغرب كان لها مدى قويا لدى حكومة النمسا - المجر ، صاحبة المصالح الاقتصادية والسياسية فى البلقان ، وقد وجدت هذه الحكومة نفسها فى موقف حرج عند اعلان الحرب ، ولكنها ايدت إيطاليا شريطة أن لا تؤثر هذه الحرب على الوضع القائم فى البلقان ، وحين وصول مدى الحرب الى البلقان صار رد الفعل فى الصحافة المجرية عنيفا جدا .^(١)

على أننا نرى أن جميع الدول الأوروبية التى وافقت على الاحتلال الإيطالى لطرابلس الغرب كانت تدرك أن مدى ذلك الاحتلال سيميل الى البلقان ، لهذا كانت موافقتها أو حيادها رغم ما كان يفرقها من تناقضات ينطلق من شرط أساسى هو أن لاتتم تلك الحرب الوضع القائم فى البلقان ، ومع ذلك فإن الدبلوماسية الإيطالية قد حاولت أن تضم إليها حكومتى بلغاريا والصرب فى الحرب ضد الدولة العثمانية عندما توسعت الحرب ولم تستطع إيطاليا حسمها .^(٢)

غير أن الساسة الإيطاليين قد أبدوا انزعاجهم عند قيام الحرب البلقانية من الاطماع الصربية التى تطمح فى الحصول على ميناء بحرى على الأدرياتيك ، وبدأت الصحافة الإيطالية ، ووزارة الخارجية فى حكومة إيطاليا بإشارة الراى العام الإيطالى ، وتنبيهه الى الأضرار التى قد تميب البلاد من جراء

(١) لسو ناجى : مدى الحرب الإيطالية التركية بطرابلس الغرب فى الصحافة المجرية ، المجلة المجرية ، عدد ٢٣-٢٤ ، نوفمبر ١٩٨١م ، ص ٤١٩ .

(٢) ز.ب. ياخي موفتش : المرجع السابق ، ص ١٧١، ٧٢ .

(١)
احتلال مربيا لجزء من شاطئ بحر الادرياتيك ، وهو عكس
سياستها سالف الذكر أثناء حربها مع الدولة العثمانية .
وإذا كانت الآمال قد داعبت اليونانيين في ضم جزيرة
كريت ، حينما قامت حرب طرابلس الغرب ، كرد فعل لهذه الحرب
لدى تلك الدولة البلقانية ، فإن حكومة روسيا كانت شديدة
القلق على مفيقي البوسفور والدردنيل كي تآمن مرور سفنها
الحربية بهما بدون تأثر من هذه الحرب ، مما يعنى أن مدى
حرب طرابلس الغرب كان شديدا في الولايات العثمانية في
البلقان وفي غيرها .

في المشرق العربى العثمانى كان هناك مدى لحرب طرابلس
الغرب ، إلا أنه ليس بثلث القوة التى حدثت في ولايات الدولة
العثمانية في البلقان ، ففي بلاد الشام دارت أنواع من
النقاشات السياسية حول مصير البلاد والميغ المستقبلية التى
تنتظرها ، وأضحت القنصليات الفرنسية في المدن السورية
مرتعا لأعداد التقارير ونقلها عن ردود الفعل تلك .
(٤)

أما في اليمن فقد اتجه القادة العثمانيون هناك الى
اللين والتساهل مع امام اليمن ، حيث توصل الطرفان الى عقد
صلح دعان في ذى القعدة ١٣٢٩هـ / أواخر أكتوبر ١٩١١م ، لتخجه
(٥)

(1) F.O.424/235, No.452, "R.Rodd to E.Grey", Rome, 9.11.1912. pp. 203-204 .

(2) Miller, op. cit, p. 510

جريدة الاتحاد العثمانى ، عدد ١٣٤٧ في ٢٧ ربيع الأول ١٣٣١هـ .

(٣) محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ٣٢٧ .

(٤) وجيه كوشرانى : السلطة والمجتمع والعمل السياسى من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام ، ص ١٩٦ .

(٥) هارولد ف. يعقوب : المرجع السابق ، ص ١٨٤ .

(٦) عبدالواسع يحيى الواسعى : تاريخ اليمن - المسمى فرجة العموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن ، ص ٣١٨-٣٢٠ .

الدولة العثمانية الى ميدان الجهاد ضد الغزو الايطالى
(١)
لطرابلس الغرب ، ورغم أن الادريسي سبب ازعاجا للدولة
العثمانية ، وتحالف مع الايطاليين ضدها ، إلا أن انشغال
الدولة فى حرب طرابلس حال دون محاسبته من قبل القوات
العثمانية ، وقد فتح ثغرة استغلها الايطاليون لاحداث قلاقل
(٢)
ضد الدولة تضعف من قوتها وتشتت جهودها العسكرية
(٣)
والدبلوماسية .

وموقف الادريسي هذا يتعارض تماما مع شعور العالم
العربى الذى " اتجه الى مساعدة الدولة ماديا ومعنويا
للقوف امام الخطر الاجنبى بجمع التبرعات فى كافة البلدان
العربية بما فيها مصر التى كانت اكثرها حمسا وامكانية
(٤)
وارسال المتطوعين " ، لجبهات القتال .

هكذا يظهر لنا جليا أن اصداء حرب طرابلس الغرب فى
ولايات الدولة العثمانية فى البلقان كانت مؤثرة جدا ، وكان
أكبر رد فعل لهذه الحرب هو اعلان دويلات البلقان الحرب ضد
الدولة العثمانية ، وهو ما حدا بالمفاوضين العثمانيين أن
يحتازلوا عن كثير من حقوق الدولة فى طرابلس الغرب وبنغازى
ليتفرغوا للخطر الاكبر وهو حرب البلقان .

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ٢١٦ .
(٢) منيرة عبد الله العريشان : المرجع السابق ، ص ٨٦ .
(٣) محمد عبد الكريم الوافى : المرجع السابق ، ص ١٣٣ .
(٤) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٣٦٧ .

(د) حزب اللامركزية الادارية العثمانى .

شهدت الدولة العثمانية فى النصف الاول من القرن الرابع عشر العبرى ، اواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، ظهور تيارات سياسية جديدة كان لها عظيم الاثر على مجرى الاحداث التاريخية التى مرت بها الدولة ، خاصة فى تلك الفترة التى هى مدار البحث ، والتى كان ابرز الاحداث فيها حرب طرابلس الغرب وحرب البلقان .

ولقد كانت اللامركزية الادارية Decentralisation Administrative - هى ابرز تلك التيارات ، لاسيما وانها لعبت دورا مؤثرا فى الشرق العربى العثمانى ، وحاول دعاة الاصلاح من العرب أن يأخذوا بهذا الاتجاه حين اسسوا حزب اللامركزية الادارية العثمانى فى مصر واقاموا له عدة فروع فى البلدان العربية بعد ذلك .

ان اول من اثار قضية اللامركزية ودعى اليها هو الامير صباح الدين ابن الداماد محمود جلال الدين ، والذى لجأ مع والده الى باريس سنة ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م ، وصار يدعو الى مشروطة تقوم على اساس اللامركزية ، لايجاد اتحاد عثمانى يكون لمختلف شعوب الدولة العثمانية فيه قسطا كبيرا من الحكم الذاتى ، وتبقى فيه الاسرة الحاكمة هى الرابطة بين تلك الشعوب .^(٢)

وسميت الجمعية التى انشاها الامير صباح الدين جمعية

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ١١٦ .
(٢) آرنيست . ا. رامزور : المرجع السابق ، ص ٩٩ .

"التحشيد الشخصي وعدم المركزية والمشروطية" ، وقد تعارضت مبادئ هذه الجمعية مع مبادئ جمعية الاتحاد والترقي "تركيا الفتاة" حينذاك ، والتي اتجه أعضاؤها الى المركزية يؤيدهم في ذلك مسيحيو الدولة العثمانية مما قوى من حركة القومية التركية التي ترعاها جمعية الاتحاد والترقي .^(١)

عاد الامير صباح الدين الى الاستانة في اعقاب ثورة الاتحاد والترقي سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م ، واسس جمعية اللامركزية في ١٨ شعبان سنة ١٣٢٦هـ الموافق ١٤ سبتمبر ١٩٠٨م والتي تدعو الى حصول الولايات العثمانية على نوع من الاستقلال الذاتي في ظل الدولة العثمانية ، ثم اخذ يشرح مبادئ جمعيته هذه ، وينفي عنها التهم التي ترمى بها من معارضيها مؤكدا انه لا يهدف من فكرة اللامركزية "الى خلق ولايات مستقلة ذات امتيازات خاصة ، بل ان وحدة السلطنة لا يمكن ان تكون موضع جدل ، وان القضية لاتعدو ان تكون ادارية صرفة" ، لكن المخطوط السياسية دفعت بالامير صباح الدين لان يتنازل عن اهدافه ويعلن في حفل عام ان برنامج اللامركزية ، لا يختلف عن مبدا توسيع الماذونية التي تنادي بها جمعية الاتحاد والترقي ، وهكذا حلت جمعية اللامركزية في شهر شوال ١٣٢٦هـ / نوفمبر ١٩٠٨م ، رغم ان دعاة الاصلاح العرب كانوا قد اسسوا شعبا لهذه الجمعية في دمشق واللاذقية وعالية .^(٢)

ويذهب أحد المؤرخين الى القول ان جمال الدين الافغانى

(١) احمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٦٠ .
 (٢) احمد عبد الرحيم مصطفى : نفس المرجع ، ص ٢٧٠ .
 (٣) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٨٦ .
 (٤) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ، ص ٩٣ .

كانت لديه اتجاهات اللامركزية ، واقترح ذلك على السلطان عبد الحميد الثانى ، مستشهدا فى ذلك بما تعيشه مصر حينذاك من شبه استقلال ذاتى ، اتاح لها نوعا من الازدهار الاقتصادى والتطور الادارى ، الا ان افكار الانغاضى تلك لم تتحقق .^(١)

لقد حاولت جمعية الاتحاد والترقى ان توفق بين مدلولى اللامركزية ، وتوسيع المادونية عن طريق الاهتمام بالمؤسسات الادارية المحلية ، مع الاخذ فى الاعتبار احتياجات الاهالى ، وهذا يدل على ان الجمعية بدأت بالتسليم المحدود باللامركزية ، الا ان عدم وجود حدود واضحة تفصل بين المبدأين السياسيين - اللامركزية وتوسيع المادونية - بحيث ان تضيق حدود اللامركزية يحدث خلطا والتباسا بمفهوم المادونية الواسع ، هذا التقارب دفع بحكومة الاتحاديين الى التشدد فى المركزية فى محاولة منها الى صهر القوميات المختلفة فى بوتقة واحدة ، اى الاتجاه بالدولة الى العثمنة بمفهومها الشامل ، وهو ما اشار مشاكل كثيرة فى المجلس النيابى ، لتدخل الاحزاب المعارضة التى تتجه الى اللامركزية فى صراع مع جمعية الاتحاد والترقى ، ويظهر حزب المعارضة المعروف بحزب "الحرية والائتلاف" الى ارض الواقع ، وليستجلب الى عضويته كثيرا من نواب الاقاليم غير التركية .^(٢)

ان اعادة الدستور - المشروطة الثانية - فى الدولة العثمانية قد صاحبه ظهور مبدئين سياسيين هما : المركزية ،

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ٨٣-٨٤ .
 (٢) توفيق على بزو : المرجع السابق ، هامش ١ ، ص ٩٠ .
 (٣) ساطع الحميرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ١٠٧ .

واللامركزية ، ولأن قبلت العناصر غير التركية كلها بمبدأ اللامركزية ، فإن العنصر التركي الذى يدير شئون الدولة قد انقسم الى قسمين ، منهم من يقول بالمركزية ، ومنهم من ينادى باللامركزية^(١) ، وربما لدى دعاة المركزية شيء من التبرير ، نظرا للاوضاع المتردية التى تعيشها الدولة والتى خرجت للتو من حرب طرابلس الغرب ، وتجه الى حرب البلقان الشرسة ، مما يتطلب وجود قوة مركزية تسيطر على الدولة ومقدراتها .

لكن دعاة اللامركزية من الاتراك كان لهم اتجاه آخر من خلال هذا المبدأ السياسى ، الذى يرون أنه مرادف للحرية ، وأن الدولة العثمانية اذا ارادت الحرية بمعناها الواسع فلتأخذ باللامركزية التى سترتقى الدولة من خلالها وتتحقق الى مصاف الأمم المتطورة ، وقد صنف اللامركزية عند هؤلاء على صور ثلاث :

- اللامركزية السياسية - وهى التى تسلب من يد المركز والحكومة وشورى الأمة كل ما يتعلق بالحربية والبحرية والسياسة الخارجية والتوظيف والمالية .

- اللامركزية الادارية - ، التى تُطْلَق للحكومات المحلية فى الولايات والالوية والاقضية والنواحي يدها فى تدبير شئون تلك البلاد على ما يوافق حالها وتقتضيه حاجتها الخاصة بها .

- اللامركزية العلمية ، ومن البديهي كما يقول اصحاب

(١) جريدة الاهرام عدد ١٠٧٧٦ فى ١١ اغسطس ١٩١٣ م ، نقلا عن جريدة عزم التركية .

هذا الرأى ان الصورتين الثانية والثالثة من هذه الصور هما اللذان تناسبان الدولة العثمانية فيجب اعتناقهما والاخذ بهما لتنهض الدولة وتحتطور .^(١)

وقد دافع الصدر الاعظم عن مبدأ المركزية فى الدولة حين قال : "أما الحكومة اللامركزية فتحتاج الى قانون الولايات قبل كل شىء ، ويسوءنى ان أقول لكم ان سن هذا القانون لم يتم بعد" ، وهو بهذا يبرر بقاء المركزية فى الدولة حتى مدور قانون الولايات - أى توسيع الماذونية ، وهذا التصادم والاختلاف بين رجال الدولة فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخها دليل واضح على وجود اضطراب فكرى وسياسى تعيشه الدولة العثمانية حينذاك .

وكان دعاة الإصلاح العرب يرون حينئذ أن المركزية هى عبارة عن تولى رجال الحكومة العليا فى العاصمة لكل شئون الدولة من سياستها الخارجية الى ادارتها الداخلية ، ليصبح بيدهم الحل والعقد والنصب والعزل ، بينما اللامركزية هى جعل الادارة الداخلية لكل ولاية من الدولة فى ايدى اهلها ، وتكون رابطتهم بمركز الحكومة العام فى الامور العامة كالسياسة الخارجية والحربية ، لذا فهم يرون أن اللامركزية هى الإصلاح للدولة العثمانية ، ولإصلاح لها بغيرها .^(٣)

ان الحرب الايطالية قد كانت عبثا على الحكومة الاتحادية ذات الاتجاه المركزى فى الحكم ، مما جعلها تتعرض

(١) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٠٥ فى ٦ صفر ١٣٣١هـ نقلًا عن جريدة أقدام التركية .

(٢) جريدة المقطم عدد ٦٩٢٣ فى ١٨ محرم ١٣٣٠هـ .

(٣) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٥ ، ص ٣٤٤-٣٤٥ .

للغفوط من المعارضين لها ، كما أن الانقسام قد بدا يظهر في صفوف الاتحاديين أنفسهم ، حينئذ تشكل حزب جديد هو حزب الحرية والائتلاف "حرية وائتلاف فرقة سي" في السابع عشر من ذي القعدة ١٣٢٩هـ الموافق ٨ نوفمبر ١٩١١م ، وقد انضم الى هذا الحزب كثير من مبعوثي العرب والارمن والاليان وغيرهم من العناصر العثمانية المعارضة لسياسة الاتحاديين المركزية ، لأن الحزب الجديد يدعو الى منح الولايات العثمانية استقلالاً ادارياً ، وأن تدار شئون المملكة على أساس اللامركزية ، وهذا الاتجاه يتفق كثيراً مع رغبات العناصر غير التركية والتي تدعو الى اصلاح الدولة العثمانية على مبدأ اللامركزية وأهم هذه العناصر بطبيعة الحال كان دعاة الاصلاح من العرب . وقد كانت ملامح برنامج حزب الحرية والائتلاف تعطى دليلاً على رغبة مؤسسيه في الاحتفاظ بسياسة الجامعة العثمانية ، والابقاء على مبدأ رابطة العثمنة بين رعايا الدولة ، وشجب الاعتماد على الفكرة القومية والاسلامية في آن واحد ، وزيادة سلطة رؤساء الحكومات المحلية وتوسيع سلطة المجالس المحلية للولايات ، وهذا البرنامج ساهم الى حد كبير في تأييد سكان الولايات العربية والاوربية والارمنية التابعة للدولة العثمانية لهذا الحزب واتجاهاته .

-
- (١) عبد الوهاب الانكليزي : زمن الفترة ، جريدة المقتبس ، عدد ٩٦٠ في ٢٧ شعبان ١٣٣٠هـ .
 (٢) عبد العزيز محمد الشناوي : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٦٠٥ .
 عبد العزيز محمد عوض : الادارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤-١٩١٤م ، ص ٥٠ .
 (٣) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٤ .
 سليمان فيض : المصدر السابق ، ص ٨٦-٨٧ .
 (٤) حقي العظم : الاتحاد والنفوس في سورية ، جريدة المقتبس ، عدد ٩٩٣ في ١٠ شوال ١٣٣٠هـ .
 (٥) آرنست ا. رامزور : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

لقد استطاع حزب الحرية والائتلاف أن يتسلم السلطة من الاتحاديين في شهر رجب ١٣٣٠هـ/يوليو ١٩١٢م ، ويعلن القانون العرفي في البلاد بعد أقل من شهر من تسلمه للسلطة^(١) ، لأن الوضع السياسي والعسكري في الدولة العثمانية قد بلغ مرحلة من الضعف والانحيار ، فالحرب في طرابلس الغرب لم تكن قد انتهت ، وحركات التمرد العسكري في منطقة الروميلي على أشدها ، والثورة في البانيا ، والتحالفات في البلقان تزداد تعقيدا^(٢) ، لكن أحد المؤرخين يذهب إلى أن مجيء حزب الحرية والائتلاف إلى السلطة يعتبر نجاحا للدبلوماسية الانجليزية والفرنسية التي تحف وراء قيادة هذا الحزب ، الذي يميل في اتجاهاته إلى دولتي الوفاق الودى^(٣) .

غير أن جمعية الاتحاد والترقي بادرت في ٢٤ رمضان ١٣٣٠هـ الموافق ٥ سبتمبر ١٩١٢م إلى تشكيل حزب تركي قومي هو "الحزب القومي الدستوري" "مللى مشروطية فرقة سي" ، ومن أهم اتجاهاته عدم قبول مبادئ اللامركزية سواء في ذلك المعتدلة والمتطرفة ، والاحتجاج على حكومة الائتلافيين لمنحها الامتيازات اللامركزية للالبانيين والتي قررت تعميمها في جميع ولايات الدولة^(٤) .

وقد اتهمت إحدى الصحف المادرة في بغداد اللامركزية ، متهمة إياها بإفساح المجال للتدخل الأجنبي في شئون الولايات

(١) Ahmad, op.cit, pp.184-188 .

(٢) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٥ .
 (٣) ز.ب. ياخي موفتش : المرجع السابق ، ص ١٩٧-١٩٨ .
 (٤) توفيق علي برو : المرجع السابق ، ص ٣٩١-٣٩٢ .
 (٥) حقي العظم : اللامركزية أيضا ، جريدة المقتبس عدد ١٠١١ في ٢ ذي القعدة ١٣٣٠هـ .

(١) العثمانية ، وهذا الصراع بين الاتحاد والترقى ، والحرية والائتلاف ، أو بين المركزية واللامركزية فى عاصمة الدولة العثمانية وفى تلك المرحلة من تاريخها تأكيد على أن الصراع السياسى على السلطة قد بلغ درجة تنذر بالخطر ، سيما وأن جراح الحرب فى طرابلس الغرب لازالت تنزف دما ، ونذر الحرب فى البلقان تنذر بشر مستطير يقترب من الدولة العثمانية .

وتأثر المشرق العربى العثمانى بهذا الصراع السياسى فى الدولة وقويت عزيمتهم بانتقال السلطة الى دعاة اللامركزية ، لأنهم يؤمنون بذلك المبدأ ، ويدركون أن اتساع الدولة وتباعد أطرافها ، أضافة الى اختلاف الشعوب العثمانية فى لغاتها وعاداتها وتقاليدها ، كل تلك التركيبات المعقدة للدولة العثمانية تدعو للاخذ بنظام اللامركزية فى ظل الجامعة العثمانية ، وخرج كثير من نواب العرب من حزب الاتحاد والترقى لينضموا الى حزب الحرية والائتلاف ، واقفلت نوادى جمعية الاتحاد والترقى فى البلدان العربية (٢) .

وفى شهر محرم ١٣٣١هـ ، أواخر شهر ديسمبر ١٩١٢م ، ألقى دعاة الإصلاح من العرب فى القاهرة حزبا سياسيا علنيا هو حزب اللامركزية الادارية العثمانى ، وسمح لكل مواطن عثمانى سواء (٤)

-
- (١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .
 (٢) مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج ١ ، ص ٤٣ .
 زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ، ص ٩٥ .
 سليمان فيفى : المصدر السابق ، ص ١٠١ .
 (٤) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٤٣٤ .

كان عربيا ام غير عربى ان ينضم الى الحزب شريطة ان تحقق اتجاهاته السياسية مع اتجاهات الحزب واهدافه ، وكان مؤسس الحزب من السوريين المقيمين فى مصر ، لكن الشيء الغريب (١) والجديد فعلا فى تاريخ الدولة العثمانية فى المشرق العربى هو ذلك النشاط المكثف للمسيحيين العرب الذين شاركوا فى تاسيس هذا الحزب بتأثير فاعل .

وقد نشر الحزب المذكور بيانا للامة العثمانية ، اشار فيه الى ان المركزية التى اتبعتها الحكومة فى الدولة العثمانية كانت سببا رئيسيا فيما اصاب ولايات الدولة فى طرابلس الغرب والبلقان من حروب واضرار أدت الى انحزاعها من الدولة ، وان افضل علاج يمكن القيام به لتحتماسك اطراف الدولة مع مركزها هو نظام اللامركزية الذى سيقوم عليه هذا الحزب . (٢)

ووضع حزب اللامركزية الادارية العثمانى برنامجا له فى ست عشرة مادة نصت المادة الاولى منها على ان : الدولة العلية العثمانية دولة دستورية نيابية ، وكل ولاية من ولاياتها تعد جزءا من السلطنة لاينفك عنها بحال من الاحوال ، وانما تبنى ادارة هذه الولايات على اساس اللامركزية الادارية والسلطان هو الذى يعين الوالى وقاضى القضاة .

اما المادة الرابعة فقد اعطت لكل مركز ولاية - مجلس عمومى ومجلس ادارى ومجلس معارف ومجلس اوقاف ، وان تكون

(١) محمد جميل بيهم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤ .
(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٣ ، ص ٢٢٦-٢٢٩ ك
جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٣٨ فى ١٦ ربيع الاول ١٣٣١هـ .

قرارات المجلس العمومي نافذة كما تذكر المادة الخامسة من برنامج الحزب .

أما المادة السادسة فقد اشارت الى انه : من حقوق المجلس العمومي للولاية المراقبة على حكومتها والنظر في جميع شئون الادارة المحلية من تقرير ميزانية الولاية وامور الامن العام والمعارف والنافعة والاوقاف والبلدية وتقرير مايراه فيها وسن النظمات لها ، اما ماكان من امور النافعة يتعلق بالامور العسكرية او السياسة الخارجية او السكك الحديدية فيرفعه بعد ابداء رايه فيه الى العاصمة .

أما المادة الرابعة عشر فتقول : يكون في كل ولاية لغتان رسميتان الترككية واللفة المحلية ، في حين طالبت المادة الخامسة عشر بوجوب تعميم التعليم في كل ولاية بلغة اهلها ، بينما ألزمت المادة السادسة عشرة والاخيرة من مواد الحزب : اهل كل ولاية بتأدية الخدمة العسكرية في ولايتهم ويكون عسكريها على قدم الاستعداد للدفاع عنها زمن السلم ، واما سوق الجنود في زمن الحرب فهو منوط بنظارة الحربية وحينئذ يجب على المجلس العمومي ان يتخذ الوسائل للدفاع عن (١) الولاية .

تلك المواد التي المحضا اليها هي ذات الملة بالاتجاه المياسى لحزب اللامركزية الادارية العثمانى وربطه بمركز الدولة في الاستانة ، اما المواد الاخرى فتنطوى على التنظيم الداخلى للحزب والواجبات التي يجب ان تقوم بها مجالس

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٣ ، ص ٢٢٩-٢٣١ ،
جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٣٨ في ١٦ ربيع الاول
١٣٣١ هـ .

الولاية في ظل النظام اللامركزي الذي ينشده الحزب .
وانفرد أحد المؤرخين بذكر ثلاث وثلاثين مادة على انها
هي قانون حزب اللامركزية الادارية العثمانى الذى اشرنا اليه
غير ان قراءة تلك المواد ، ومقارنتها بالمواد سالفة الذكر
يظهر لنا ان ما اشار اليه ذلك المؤرخ لا يعدو ان يكون تنظيما
داخليا للحزب يبين مهمات العاملين به ونظام العمل الواجب
اتباعه فى الحزب .^(١)

لقد عهد الحزب بإدارته الى هيئة تحالف من عشرين
عضوا مركزها مصر ، وهيئة تنفيذية مكونة من ستة اعضاء ،^(٢)
وانشأ له فروعاً فى مدن الشام ، واقام اتصالات وثيقة مع
الجمعيات العربية الأخرى فى الشام والعراق والأتانة ،
ليصبح هذا الحزب ذا أهداف واضحة تهدف من خلال اللامركزية
التي يتبنّاها الى حماية الولايات العربية العثمانية من
الضغط الخارجى والمنازعات الداخلية ، وهذا يعنى ان حزب^(٣)
اللامركزية الادارية العثمانى كان اول تجربة تخوضها الحركة
العربية فى ميدان العمل المنظم ، ويمثل الأهداف والتطلعات
العربية فى ظل الخلافة العثمانية .

ولقد عبر أحد زعماء حزب اللامركزية الادارية العثمانى
عن تلك المطالب والأهداف فى ظل اللامركزية الادارية ، التي
لادخل لها فى السياسة الخارجية ولا فى الحربية ، وليس هناك
أحد ينازعها العاصمة ، غير ان "طلاب اللامركزية موقنون^(٤)

(١) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٧-٩٣ .

(٢) لوتسكى : المرجع السابق ، ص ٤٠٧ .

(٣) خيريه قاسمية : الحكومة العربية فى دمشق ١٩١٨-١٩٢٠م

ص ٢٠ .

(٤) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٣ ، ص ٢٣٨ .

بأنهم لا يعرفون طريقة لبقاء الدولة وحفظ البلاد ثم عمرانها
الاما يطلبونه ، وحجتهم ناهضة يزعم لها المنصفون من غيرهم ،
وهم يطلبون من كل ذى رأى ان يقنعهم بطريقة يمكن بها حفظ
البلاد العربية من استيلاء الدول الطامعة فيها عليها ، ولما
(١)
يجدوا مقنعا " .

حاولت الحكومة الجديدة التى شكلها حزب الحرية
والاكتلاف فى عاصمة الدولة ان تمنح اللامركزية الادارية
للولايات العثمانية ، خاصة ولايات المشرق العربى العثمانى ،
وهذا ما اشار اليه المدر الاعظم كامل باشا حين استلم الحكم
من سلفه الاكتلافى مختار باشا حيث اكد عزم حكومته "على
معاملة عناصر الدولة معاملة مساواة مطلقة بحيث ستحترم
لغاتهم وتقاليدهم ، وستزيد فى حقوق الولايات وتحرك لها
(٢)
مزيدا من الحكم الذاتى" .

وكانت الصحافة العثمانية المادرة فى الاستانة تدرك
الايثار التى تعدد ولايات الدولة العثمانية فى الشرق العربى
فهذه جريدة اقدام التركية ترد على خطاب رئيس الوزارة
الفرنسية ريمون بوانكاريه الذى القاه فى مجلس الشيوخ
الفرنسى ، واظهر من خلاله اطماع حكومته فى سوريا ، حيث
حذرت الصحيفة من تلك الاطماع ، ووجوب التمدى لها عن طريق
اجراء الاصلاحات الفعلية فى ولايات الشام عن طريق نظام
اللامركزية الادارية ، لان النظام المركزى قد اثبت فشله ،
واكدت الصحيفة على ان الدولة العثمانية فى وضعها الراهن

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٧ ، ج ٥ ، ص ٣٩٧ .

(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٤١٩ .

وانشغالها بحرب البلقان لاستطيع رد هجمات الاعداء عن ولاياتها بالمدفع والسيف ، ولكن بهذه السياسة الحكيمة سياسة اللامركزية تستطيع ان ترد فرنسا عن سوريا ، والدول الاخرى عن بقية ولايات الدولة ، مشيرة الى انه اذا لم تقم الدولة بذلك فلن تتمكن من الدفاع عن ولاياتها تلك ولن تستطيع الاستعانة بالمانيا ضد فرنسا .^(١)

وحين عاد الاتحاديون الى الحكم في ١٥ صفر ١٣٣١هـ / ٢٣ يناير ١٩١٣م ، حاول وزير الداخلية ان يهدى من ردة الفعل لدى المطالبين باللامركزية حيث ذكر ان حكومته ترغب في " ان تنظر الولايات في كل الامور التي تخصها كأمور التعليم وتقدم الولاية للاقتصاد والصناعي ، وأعمال النافعة كانشاء الطرق والجسور ... وسيكون لكل ولاية ميزانية خمومية ، اما المسائل التي تتعلق بالعسكرية والمالية فتعود الى الحكومة المركزية " .^(٢)

لقد كان دعاة الإصلاح العرب يرفضون المركزية المطلقة التي تجعل كامل السلطة محصورة في عاصمة الدولة ، لانها بذلك تجرد الولاة من كامل ملاحياتهم ، وتجعل أمور ولاياتهم مربوط بالعاصمة حتى في الأشياء البسيطة التي لاتعنى حكومة العاصمة في شيء ، اما الإصلاح الحقيقي الذي يدعون اليه فهو في منح اللامركزية بمفهومها الواسع لولايات الدولة العثمانية ، لتنظر كل ولاية في شئونها وتسعى لرقائها دون تعرضه للتأخير أو المعاكسة من عاصمة الدولة ، والغاية من

(١) جريدة الاهرام عدد ١٠٥٩٦ في ١ صفر ١٣٣١هـ .
 (٢) جريدة الاهرام عدد ١٠٦١٣ في ٢١ صفر ١٣٣١هـ .
 (٣) جريدة الاتحاد العثماني عدد ١٢٨٦ في ١٤ محرم ١٣٣١هـ .

ذلك كله هو رقى الدولة العثمانية ، لتصبح دولة قوية وقادرة مملوءة بالحياة والتطور ، كى تفوز فى معترك المصراعات الدولية المحيطة بها .^(١)

ان الاصلاح عند العرب كان فى بدايته ينطلق من المبدأ السياسى المتمثل فى اللامركزية ، والذى تمثل فى تأسيس حزب اللامركزية الادارية العثمانى ، كحزب سياسى على ليصبح فيما بعد افضل سلطة تحدثت عن امانى العرب ورغباتهم فى ظل دولة الخلافة^(٢) ، وهذا ما عبر عنه السيد محمد رشيد رضا احد المؤسسين لحزب اللامركزية الادارية العثمانى حين قال : " ان الحزب قد اصبحت اقوى مما كان ، فقد كثر فروعها فى الولايات وانتظمت ، وقويت الثقة به وثبتت ، ... طوره الاول كان طور تمهيد للعمل باعداد الافكار ، ثم بتأليف اللجان ، وقد انتهى الآن بطور القيام بالاعمال ، وان قيامه بالعمل واخطاؤه بالسعى هو خير خدمة للدولة قبل الامة ، ... فكانت المصلحة فى ان يدير هو الحركة ، لئلا تفضى الى الفوضى ، او يتغلب عليها الغلاة المتطرفون ، الذين ظهرت فى مدة سكوتهم اصواتهم بنفخة الثورة ، وتوزيع منشورات اقلقت الحكومة وعقلاء الامة " .^(٣)

هذا هو الاصلاح عند العرب المتمثل فى اللامركزية فى ظل الخلافة الاسلامية فى الدولة العثمانية ، وهو تأكيد على ان حرب طرابلس الغرب وما أعقبها من تحالفات حكومات البلقان ضد

(١) جريدة الاصلاح عدد ٢٤-١٤١٩ فى ٢ رجب ١٣٣١هـ من حديث رفيق العظم - رئيس اللجنة العليا اللامركزية الادارية العثمانية لمدير جريدة - الجون تورك - العثمانية .
(٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ، ص ٩١ .
(٣) مجلة المنار ، المجلد ١٧ ، ج ٣ ، ص ٢٣٩ .

الدولة العثمانية ، انما كانت دافعا قويا للعرب المسلمين
ليقفوا الى جانب دولة الخلافة ، ووجدوا حينذاك ان خير
وسيلة لاملاح ولاياتهم والنهوض بدولتهم هو نظام الامركزية ،
الا ان حرب البلقان طورت الاحداث في الدولة العثمانية
والمشرق العربى وهو ما سنعرفه فى الفصول اللاحقة .

الفصل الثاني حروب البلقان

- أ- نشاط الدول الأوروبية ضد الدولة العثمانية في ولاياتها البلقانية .
- ب - حرب البلقان الأولى : مقدماتها ، معاهدة لندن ١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م .
- ج - الحرب واللامركزية ، وسلامة الدولة في المشرق العربي .
- د - حرب البلقان الثانية ، معاهدة بخارست ١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م . فقد الدولة الجزء الأكبر من أقاليمها الأوروبية ؛ تخير بنية الدولة ، الأكثرية العربية .

(١) نشاط الدول الأوروبية ضد الدولة العثمانية
فى ولاياتها البلقانية .

لعبت الدول الأوروبية دورا فعلا ضد الدولة العثمانية فى ولاياتها البلقانية ، ولم يكن هذا الدور طارئا او غريبا على تاريخ الدولة العثمانية المسلمة ، التى أصبحت فى نظر الدول الأوروبية خطرا جسيما يهدد أوربا من الشرق ، وباتت المسألة الشرقية عند الساسة الأوربيين هى ازالة هذه الدولة المسلمة من القارة الأوروبية .

ان تحامل أوربا ضد الدولة العثمانية ضد الاسلام ، ليس معناه مراعاة احوال مسيحيى الدولة فى شبه جزيرة البلقان ، ولا الحيلولة دون قيام الثورات والغتن فيها ، وانما يعود الى تلك الفترة التى فتح فيها العثمانيون اجزاء كبيرة من القارة الأوروبية ، لتبدأ المسألة الشرقية عند أوربا منذ ذلك الحين ، وتمبح امانى الدول الأوروبية بأسرها هى اجلاء العثمانيين عن القارة الأوروبية وازالة^(١) آثارهم منها .

ومعما اختلفت مصالح الدول الأوروبية فى املاك الدولة العثمانية ، الا ان العداء للاسلام والمسلمين ، هو القاسم المشترك بينهم والقاعدة المتفق عليها ، وهذا ماأكده اللورد سالسبورى Salisbury حين قال : "ماأكذه الصليب من الهلال لايعود الى الهلال ، وماأكذه الهلال من الصليب يجب ان

(١) صلاح الدين القاسمى : نبا الحرب ، جريدة المقتبس ، عدد ١٠٠٩ فى ٢٨ شوال ١٣٣٠هـ .

(١)

يعود الى المليب" .

غير ان نظرية زعيم حزب الاحرار البريطانى وليم
غلاستون William , E.Gladston كانت اكثر صراحة ووضوحا ،
حيث تنادى بوجوب طرد العثمانيين من اوربا ، وتأييد
الشعوب البلقانية المسيحية فى نغالها للتحرر من الحكم
الاسلامى العثمانى على حد زعمه .^(٢)

انعقد فى الاستانة ١٢٩٣ - ١٢٩٤هـ / ١٨٧٦ - ١٨٧٧م مؤتمر
لسفراء الدول الاوربية لاعداد منجع للاصلاحات الواجب على
الدولة العثمانية اتخاذها فى شبه جزيرة البلقان ، ورغم
صدور قرارات عن المؤتمر ، الا ان السلطان العثمانى رفض تلك
القرارات والمطالب التى حاول السفراء ان يملوها على
الدولة العثمانية ، ويذهب بعض المؤرخين الى ان اعلان^(٣)
الدستور - المشروطة الاولى - حينذاك قطع على السفراء
المؤتمرين ماكانوا يهدفون اليه ، واوقف قراراتهم الداعية
للاصلاح على طريقته فى ولايات الدولة الاوربية .^(٤)

زرعت اوربا فى شبه جزيرة البلقان مشكلات قومية
استخدمتها لتفصل تلك البلاد عن الدولة العثمانية ، فروسيا^(٥)
التي تبنت ودعمت الروح القومية السلافية ، لعبت دورا بارزا
فى منح الاستقلال لبلغاريا ، واتفقت مع النمسا لتأييد
بلغاريا وارسال جيش مختلط لنمرتها ان هى حاربت الدولة

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج ١١ ، ص ٨١٨ .
(٢) عبد العزيز محمد الشناوى : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٠٠ .
(٣) منيرة عبد الله العرينان : المرجع السابق ، ص ٤٧ .
(٤) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ٧١ .
(٥) على حسون : العثمانيون والبلقان ، ص ٢٦٣ .

العثمانية ، بينما قامت المحف الروسية بنشر الاخبار المتتابعة عن وجود حلف بين الصرب وبلغاريا ورومانيا واليونان ضد العثمانيين ، ولكن السلطان عبد الحميد أكد ان "هذه الشعوب فى عدااء ونزاع وانقسام والحق يقال ان سيادتنا فى أوربا مؤسسة على هذا الانقسام بين الامم البلقانية ، والمحف الروسية تحاول عبثا ، ... ومشروع الروس صائر الى الفشل التام" ^(١) .

كانت هناك آمال روسية فى ايجاد مملكة سلافية فى شبه جزيرة البلقان ، تجاور الدولة العثمانية ، وتستطيع روسيا من خلالها تحقيق اهدافها المستقبلية ، وحين وضعت الحرب الروسية - العثمانية أوزارها ، كان أهم بنود معاهدة سان ستيفانو San Stefano الموقعة فى ٢٨ صفر سنة ١٢٩٥هـ الموافق ٢ مارس ١٨٧٨م بين الدولتين والمؤلفة من ٢٩ بنداً اقامة مملكة بلغارية وتوسيع رقعتها لتمتد من البحر الاسود حتى بحر ايجيه ، ومنحها استقلالاً تاماً ، بحيث لا ترتبط بالدولة العثمانية الا برباط لفظى ، كما منحت تلك المعاهدة الاستقلال لكل من اماره الصرب والجبل الاسود ورومانيا . ^(٢)

ورغم أن الدول الأوروبية قد فزعت من مقررات معاهدة سان ستيفانو ، وسارعت الى تعديلها وفق قرارات مؤتمر برلين الذى رأسه المستشار الالماني الشهير بسمارك Bismarck ، الا أن بنود معاهدة برلين رغم تخفيفها لبعض بنود معاهدة سان

(١) جريدة الاهرام عدد ١٠٦١٣ فى ٢١ صفر ١٣٣١هـ ؛
 جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٢٣ فى ٢٧ صفر ١٣٣١هـ .
 (٢) جريدة الإصلاح عدد ٦٥-١٤٦٠ فى ٢١ شعبان ١٣٣١هـ .
 (٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ ؛
 أورخان محمد على : المرجع السابق ، ص ١٣٨-١٣٩ .

ستيفانو بتقليص الأراضي المعطاة لبُلغاريا ، واعتبار
 بُلغاريا تابعة للدولة العثمانية على أن تعطى استقلال ذاتي^(١)
 رغم ذلك كله فإن مؤتمر برلين يؤكد أن نية روسيا كانت
 متجهة الى ايجاد دولة بلغارية شاسعة ولكنها ضعيفة تقوم من
 تلقاء نفسها بخدمة المصالح الروسية وكذلك الحال مع اماره
 الصرب .^(٢)

وازداد قلق الدول الأوروبية بعد انتماء الدولة
 العثمانية في حربها مع اليونان سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م ، حيث
 تدخلت في شئون الدولة وولاياتها البلقانية ، وكفلت لجزيرة
 كريت الاستقلال ، ومنحتها حكما ذاتيا تحت زعامة امير يوناني^(٣)
 ويذهب البعض الى أن مطالبة الدول الأوروبية للدولة
 العثمانية بتنفيذ الإصلاحات في شبه جزيرة البلقان إنما هو
 ترجمة لسياستها الداعية الى المحافظة على كيان الدولة
 العثمانية في أوروبا خوفا من الاستقلال البلقاني ومن ثم
 التدخل الروسي ، وهذه السياسة عكس ماكانت تتبعمه تلك الدول
 تجاه أملاك الدولة في آسيا وأفريقيا والتي تبيح لها اقتطاع
 واستعمار أجزاء كبيرة من تلك الممتلكات .^(٤)

ويرى أحد المؤرخين أن ألمانيا والنمسا قد قامتا بدور
 المحرض في دول البلقان ضد روسيا ، لأنه ليس لهاتين
 الدولتين صلات عرقية بشعوب البلقان ، كذلك التي تربط روسيا

(١) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، هامش ٢٩ ، ص ١٤٣ .

(٢) مذكرات لورد غراي : المصدر السابق ، ص ١٠٩-١١٠ ،
 فؤاد المرسى خاطر : الصراع الروسي - العثماني ... ،
 المجلة التاريخية المصرية ، المجلدان ٢٨-٢٩ ، سنة
 ٨١-١٩٨٢م ، ص ٢٠٤ .

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٥٩ .

(٤) منيرة العرينان : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(١)
بمقابلة البلقان ، وبصرف النظر عن اخذنا بهذا الراى من
عدمه ، فان الاهداف الروسية كان يدعمها اهتمام من نوع آخر
هو الاهتمام بالمفائق وسواحل البحر الاسود مما يلى البلقان
الضافة الى تزعمها حركة الجامعة المقلبية فى شبه جزيرة
البلقان ، وهى حركة روسية قومية كان من اهدافها جمع
مقابلة البلقان الارثوذكس وتخليصهم من الدولة العثمانية
(٢)
المسلمة .

وكانت هناك اهداف توسعية لدى حكومة النمسا ترغب فى
تحقيقها على حساب الدولة العثمانية فى ولاياتها البلقانية
وسنحت لها الفرمة حين اعلان الدستور - المشروطية الثانية -
سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م لتستغل التطورات الداخلية فى الدولة
وتعلن ضم البوسنة والهرسك الى املاكها ، ورغم أن هذا
الاجراء قد فعل الامارتين السلافيتين - الصرب والجبل الاسود -
عن بعضهما ، ومنع الصرب من تحقيق احلامها التوسعية فى
الوصول الى بحر الادرياتيک ، الا ان النمسا كانت قد ضمنت
مساندة روسيا لها فى مقابل عدم معارضة النمسا لفتح
المفيقين فى وجه السفن الحربية الروسية ، كما امنت جانب
بلغاريا ، اذ انها شجعتها على اعلان استقلالها عن الدولة
(٣)
العثمانية .

لقد أدرك وزير خارجية فرنسا أهمية المكاسب التى حصلت

-
- (١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٣٥١ .
(٢) Taylor, op. cit, p. 483 .
(٣) عبد العزيز محمد الشناوى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٦٠ .
(٤) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٤٥ .
(٥) احمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .

عليها النمسا في أملاك الدولة العثمانية في البلقان حين قال : " ان الربح الذي نالته النمسا بغم البوسنة والعربك الى أملاكها ذو قيمة كبيرة ، فانها ضمت اليها اوسع ارض نالتها دولة اوربية عظيمة منذ سنة ١٨٧٠م من غير ان تطلق رصاصة او تمشق سيفاً ، ... ثم أرادت ان تتوج تلك السياسة البلقانية بفوز آخر ، فنالت من اوربا ترصية عظيمة وجديرة بالنظر ، وهى تأسيس البانيا مستقلة ، فوطدت مطامعها في قلب شبه الجزيرة وعلى العباب التى تحرف عليها من كل جانب ، ولاغرو فان انشاء البانيا جديدة تحت حماية النمسا يجعل للنمساويين النفوذ الاكبر في البلاد (١) البلقانية " .

لم يكن نشاط الدول الاوربية في البلقان سرا لايعرفه احد ، ولم يكن مقتصرأ على روسيا والنمسا ، وقد أظهرت ثورة الالبانيين مدى هذا النشاط ، اذ ان سفراء تلك الدول في الاستانة قد سارعوا الى الباب العالى محذرين اياه من الخطر الناجم عن هذه الثورة ومدافعين عن المطالب التى ينشدها الالبانيون ، (٢) اما وزير الخارجية البريطانى فقد نصح المصدر الاعظم للدولة العثمانية بتسريح الجيوش التى يتم حشدها في البانيا لان ذلك يخفف الاعباء عن الخزانة العثمانية ، والدول الاوربية لن تتحرك احدا يهاجم الدولة او يجردها (٣) السلاح من الدويلات البلقانية كما يقول الوزير البريطانى .

(١) يوسف .ف. البستانى : المرجع السابق ، ص ٢٤٥-٢٤٦ .

(٢) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٤٢ .

(٣) مذكرات لورد غراى : المصدر السابق ، ص ٧ .

وإذا كانت روسيا تسعى دائما الى أن تذكى الهياج فى الصرب وبين السلافيين من رعايا النمسا ، فإن فهم النمسا لمقاطعتى البوسنة والهرسك قد جعلها تبذل جهودا ضخمة من أجل قيام تحالف بين دول البلقان بزعامة الصرب لتصفية ماتبقى من الممتلكات العثمانية فى البلقان ، وشاركت كل من بريطانيا وفرنسا فى تشجيع إقامة ذلك التحالف .^(١)

وحين خطب وزير خارجية روسيا ايزفولسكى Izvolsky فى الثانى من محرم ١٣٢٧هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٩٠٨م فى المجلس الروسى - الدوما Duma - محبذا تكوين كتلة بلقانية واحدة ، لتحتمدى للاخطار التى تجابه تلك البلدان كما يقول ، كتب السير ادوارد غراى Sir, Edward Grey وزير خارجية بريطانيا ، مثنيا على الحديث الذى قال به الوزير الروسى ومعبرا عن سروره الكبير بهذا الاتجاه ، مؤكدا على حاجة المجتمع للشعور المشترك بين دول البلقان وتوحيدها دفاعا عن المصالح المشتركة ، لانه - كما يقول - فى جانب هذا الراى ويشجعه اينما كان .^(٢)

وبعد عام واحد من تصريحات وزير خارجية روسيا ، وقعت محالفة عسكرية سرية بين روسيا وبلغاريا ، اكدت روسيا من خلالها تعاطفها الكامل مع الامانى الكثيرة التى تجيش فى صدور الشعوب السلافية ، وابدت استعدادها لخوض اى حرب تقوم بها المانيا او النمسا ضد تلك الشعوب ، وهذا يعنى ان^(٣)

(١) محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ٣٣٧-٣٣٨ .
(٢) Stavrianos, op.cit, p.532 .
(٣) مذكرات لورد غراى : المصدر السابق ، ص ١٩ .

تشجيع روسيا للدول البلقانية ، ومن ثم حرب الدول البلقانية للدولة العثمانية قد أيقظ التنافس بين النمسا وروسيا ، وزاد من نشاطهما في شبه جزيرة البلقان على حساب ولايات الدولة العثمانية فيها ، وفي أوائل سنة ١٣٢٩هـ/ أوائل سنة ١٩١١م أعطى السفير الروسي في الأستانة تعهدات باسم حكومته لملك بلغاريا تلتزم فيها بعدم السماح بحدوث أية تغييرات في الموقف على الساحة البلقانية ، وإن شئون البلقان بين روسيا والمانيا ستتم تسويتها قريباً ، وبعد ثلاثة أشهر وفي نفس العام طلب السفير الروسي في الأستانة من الحكومة العثمانية عدم اظهار أية نوايا عدوانية ضد امارة الجبل الاسود ، ويذهب المراقبون السياسيون في عاصمة الدولة حينذاك الى ان هذا التدخل من السفير الروسي ذو طبيعة تهديدية ، غير ان عباراته المغلفة بالفاظ ودية حالت دون اشارة الغضب في الدوائر الرسمية هناك .^(٣)

لقد كانت الحرب الطرابلسية بين الدولة العثمانية وايطاليا ذات اثر فعال لمواقف الدول الاوربية في البلقان فالإيطاليون يؤكدون ان سياستهم هي المحافظة على الوضع الراهن الاقليمي في شبه جزيرة البلقان ، أما الدبلوماسيون الروس فكان الاتجاه لديهم غير موحد ، فالبعض منهم أراد ان تفتح المفاصل أولاً ، بينما رغب البعض في تنظيم التحالف

- (١) بيير رونوفن : تاريخ القرن العشرين ، ص ٢٩-٣٠ .
 (2) F.O.424/226, No.86, "Mr. Lindley to Sir, E.Grey", Sophia, 1.2.1911. p. 77 .
 (3) F.O.424/250, Annual, Report, 1911, No. 100, "G.Lowther to E.Grey", constantinople, 13.1.1912. p. 13 .
 (4) محمد عبد الكريم الوافي : المرجع السابق ، ص ٩٨ .

البلقاني ليشمل الدولة العثمانية ، فى حين كان اتجاه البعض الآخر هو ايجاد حلف بلقاني بمعزل عن الدولة العثمانية .^(١)

ورغم ان السفير الروسى فى الاستانة ووزير خارجيته لم يتمكنوا من تنظيم حلف عملى بين دول البلقان عند نشوب الحرب الايطالية ، الا ان السياسة الروسية اخذت فى اتجاه اكثر الى تكوين حلف يكون لها فيه النفوذ القوى على الدول الموقعة على الحلف ، وقد قام السفيران الروسيان هارتوج Hartwig فى بلغراد ، ونيكلودوف Nekloudof فى صوفيا بانهاء هذه المهمة ، حيث وقعت المعاهدة الصربية البلغارية فى ٢٥ ربيع الاول سنة ١٣٣٠هـ الموافق ١٣ مارس سنة ١٩١٢م ، وانضمت اليها اليونان فى ٤ جمادى الثانى سنة ١٣٣٠هـ الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩١٢م ، وكان وزير خارجية روسيا المسيو سazonof اول المؤيدين لهذه التحالفات حيث قال : "حسنا ، ان هذا شئ ممتاز ، وان هذا سوف يمد الطريق للابد امام الاختراق الالماني والغزو النموى" ، اما المدر الاعظم فى الدولة العثمانية فكان يرى ان اليونان اصبحت آلة فى يد روسيا او بالاصح العنصر السلافى كما يقول ، ومصلحة اليونان كما يرى المسئول العثماني هى مع الدولة العثمانية لامع روسيا .^(٥)

هكذا لعبت السياسة الروسية دوراً بارزاً فى دفع الدول

(١) جريدة المقطم عدد ٦٩٨٥ فى ١٠ ربيع الثانى ١٣٣٠هـ ؛

Stavrianos, op. cit, p. 533 .

(2) Taylor, op. cit, p. 484 .

(٣) بيير رونوفان : تاريخ العلاقات الدولية - القرن التاسع عشر - ص ٦٦٣ .

(4) Taylor, Ibid : p. 484 .

(٥) جريدة الاهرام عدد ١٠٦٢٦ فى ٧ ربيع الاول ١٣٣١هـ .

البلقانية الى التحالف ضد الدولة العثمانية وقد بعض الدول الأوروبية ، ولم يكن النشاط الروسى فى الولايات العثمانية البلقانية ينفرد بالدعم والمؤازرة ، لحكومات البلقان وانما لعبت الدول الأوروبية الاخرى ادواراً مشابهة ، تهدف فى مجملها الى دعم الدويلات البلقانية ضد الدولة العثمانية ويذهب بعض المؤرخين الى ان الحكومة البريطانية ايدت سرا تحالف الحلف البلقانى ، لأن الساسة العثمانيين اتجهوا الى (١)
الامان دون بريطانيا .

اما رئيس وزراء فرنسا ريمون بوانكاريه فقد ابدى كامل اعجابه وتأييده للحلف البلقانى ، حين اطلعه عليه وزير خارجية روسيا ، بينما حث وزير خارجية بريطانيا سفير الدولة العثمانية فى لندن ليطلب من حكومته اتخاذ اجراءات ترضى دول البلقان ، وتعيد الطمأنينة الى الشعوب المسيحية فيها ، (٢)
اما الحكومة الايطالية فقد تقربت الى قادة الحركات المعادية للدولة العثمانية فى البانيا والجبل الاسود وجهزتهم بالسلاح والذخيرة ، كما اظهر رئيس الوزراء الايطالى رهاه الكامل عن تفاقم النزاع بين الدولة العثمانية والبلقانيين عند مقابلته للسفير البريطانى فى روما ، (٣)
استخدام الطائرات لأول مرة فى حرب البلقان وبعض الاسلحة

-
- (١) محمد قاسم واحمد نجيب هاشم : المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .
(٢) هارولد تمبرلى و- ا.ج.جرانت: أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٢ ، ص ١٤٧ .
(٣) F.O.424/234, No. 147, "E.Grey to Sir, G.Buchanan" F.O, 2.9.1912. PP. 69-70 .
(٤) ز.ب. ياخيوفتش : المرجع السابق ، ص ٤٥ .
(٥) F.O.424/235, No. 452 "R.Rodd to Sir, E.Grey", Rome, 9.11.1912. pp. 203-204 .

الحديثة فهو دليل واضح على أن الدول الأوروبية كانت تدعم
البلقانيين بالعتاد والسلاح بالإضافة إلى الدعم السياسي
سالف الذكر .

وقبيل إعلان الحرب على الدولة العثمانية من قبل
حكومات البلقان حاول الماسة الأوروبيون أن يظهروا بمظهر
الحريص على عدم الرغبة في قيام الحرب ، حيث ابلى وزير
خارجية فرنسا سفارة بلاده في بلغاريا لتطلب من الحكومة
البلغارية عدم الإقدام على الحرب ضد تركيا لأنها لن تحمل
على التأييد من أحد ، أما المسيو سazonوف وزير خارجية
روسيا فقد اتجه إلى الدول الأوروبية مناشداً إياها كي تحول
دون نشوب الحرب التي أصبحت وشيكة الوقوع ، وساد الدوائر
الألمانية والنمساوية شيء من هذا الاضطراب ، أما مساعد وزير
خارجية بريطانيا فقد حاول مع الحكومات البلقانية كي تمنع
انفجار الحرب ، خوفاً من أن يكون لروسيا والنمسا دور في
ذلك ، هذا الوضع الذي عاشته الدول الأوروبية يوحي بأن
انفجار الحرب في بلاد البلقان سيجعل الدول الأوروبية ملتزمة
الحياد ولن تتدخل فيها ، بينما كان الرأي العام لدى شعوب
البلقان يرى أن الدول الأوروبية ستقف إلى جانب الحكومات
البلقانية ، وهذا هو الواقع الذي اثبتته الوقائع
التاريخية .

-
- (١) على حسن : العثمانيون والبلقان ، ص ٢٥٩-٢٦٠ .
(2) F.O.424/234, No. 164, "Sir, E.Grey to Sir,
F.Bertie", F.O, 4.9.1912. P. 75 .
(3) F.O. 424/234, No.223, "Earle Granville to Sir,
E.Grey", Berlin, 17.9.1912. p. 112 .
(4) F.O. 424/234, No. 343, "Sir, E.Grey to Mr.
T.Russell" , f.o. 2.10.1912. p. 165 .
(5) Sloane, op. cit, p. 196 .

وحين كان الاعتقاد السائد لدى الدول الأوروبية هو تفوق الدولة العثمانية عسكرياً على البلقانيين ، فقد مرحت تلك الدول مجتمعة على أن هذه الحرب لن تغير شيئاً من الحالة الحاضرة ولا من خارطة البلقان ، وقد أصدرت روسيا والنمسا في (١) ٢٧ شوال ١٣٣٠هـ الموافق ٨ أكتوبر ١٩١٢م قراراً تحذر فيه دول البلقان بأنه حتى إذا أفلحت دول البلقان في هزيمة الدولة العثمانية فلن يسمح لها بإضافة أى حدود جديدة لأراضيها ، غير أن الطريف فى الأمر أن تعلن إمارة الجبل الأسود الحرب على الدولة العثمانية فى نفس اليوم هذا .

وبعد أن اشتعلت الحرب بين الدول البلقانية والدولة العثمانية ، صرح الكونت ليوبولد برشتولد Count, Leopold Berchtold وزير خارجية النمسا - المجر ، وبعد أقل من ثلاثة أسابيع من قرار حكومته وروسيا الموجه للبلقانيين صرح قائلاً : "ليست سياستنا فى البلقان سياسة فتح ، وليس معنى هذا أننا لانهتم بالحوادث التى تجرى فى تلك الأنحاء فإن لنا فى شبه جزيرة البلقان مصالح حيوية ونحن مزمعون أن ندافع عنها مهما كلفنا ذلك" (٣) .

وبينما كان رئيس وزراء المرب يعلن للصحافة النمساوية استعداد روسيا للتدخل الى جانب حكومته فى حالة تدخل أى

(١) F.O. 424/250, Annual, Report, 1912 No. 315
 "G.Lowther to Sir, E.Grey", 17.4.1913. pp. 15-16
 مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ١ ، ص ٧١
 ، حقى العظم : الحرب البلقانية - أسباب ونتائج - ،
 جريدة المقتبس عدد ١٠٥٦ فى ٢٨ ذى الحجة ١٣٣٠هـ .

(٢) Stavrianos, op. cit, p. 534 .

(٣) محمد كرد على : أوروبا والحرب ، جريدة المقتبس عدد ١٠٢٣ فى ١٦ ذى القعدة ١٣٣٠هـ .

(١) دولة اوروبية ، كانت وكالات الانباء العالمية تؤكد على ان المساعدات الروسية لحكومات البلقان لم تنقطع ، وان كثيراً من الروس من بينهم عدد من ضباط الجيش الاحتياطي قد انضموا الى جيش بلغاريا والصرب ، وهذا ما اعترف به مראה السفير الروسي في لندن حين قال لوزير الخارجية البريطاني : " انه من الصعب كبح جماح الراى العام الروسى ، اذا كان هناك اعتقاد ان النمسا والمانيا تفكران فى منع الحلفاء البلقانيين من الاحتفاظ بما كسبوه " ، اما الحكومة الايطالية فقد اعلنت انها ستُرسل فرقة من جيشها الى البانيا اذا ارسلت النمسا قواتها الى هناك .

هكذا زاد نشاط الدول الاوروبية فى ولايات الدولة العثمانية فى شبه جزيرة البلقان ، وكشفت كل دولة من تلك الدول عن اهدافها واطماعها المبيتة فى املاك الدولة العثمانية فى اوربا ، وزاد الامر سوءا ان تلك الدول الاوروبية قد تنكرت لمواقفها السابقة المعلنة قبل الحرب ، وقررت بشكل جماعى انه ليس من العدل والانصاف ان يحرم البلقانيون من ثمرة انتصارهم .

ولقد اعلنها رئيس الوزراء البريطانى اسكويث Asquith فى ٣٠ ذى القعدة ١٣٣٠هـ الموافق ٩ نوفمبر ١٩١٢م ، مريحة حيث قال : " انه ينبغى على هذه الدول - يعنى بذلك الدول

-
- (١) جريدة المقتبس عدد ١٠٢٦ فى ١٩ ذى القعدة ١٣٣٠هـ .
 (٢) جريدة الاهرام عدد ١٠٦١١ فى ١٩ صفر ١٣٣١هـ .
 (٣) F.O.424/235, No. 814, "Sir, E.Grey to Sir, F.Bertie", F.o, 28.11.1912. p. 376 .
 (٤) جريدة الاهرام عدد ١٠٥٩٤ فى ٢٩ محرم ١٣٣١هـ .
 (٥) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ١ ، ص ٧١ .
 ، توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٤٢٢ .

الأوربية - أن تعترف بالحقائق الجديدة ، وترفض التغييرات
الاقليمية التي كان الدم والتفحيط سبيل الفوز بها " ، مشيراً^(١)
الى أن خريطة أوربا يجب أن تعدل ، ويجب ألا نسرق شمار
الانتصار من البلقانيين التي كلفتهم كل عزيز على حد قوله .^(٢)
أما رئيس الوزراء الفرنسي فقد ذهب الى أبعد من ذلك
فى خطابه لمجلس النواب الفرنسي ومجلس الاعيان ، حيث قال :
" ان اتحاد الشعوب البلقانية بقصد الاستقلال يعتبر عملاً عظيماً
فى حد ذاته ، وفرنسا تنظر الى عملها هذا بعطف وولاء ، فليكن
البلقان بعد اليوم للبلقانيين من بلغار ويونان وصرب
والبانيين وجبليين ، فهذا هو الحل الوحيد الطبيعى العادل
للمسألة البلقانية " .^(٣)

وإذا كان وزير خارجية إيطاليا قد قال ان نظرية
- البلقان للبلقانيين - هى أحسن حل يرضى إيطاليا وبقيّة
الدول الأوربية ، فإن الحكومة الألمانية التى كانت قادرة
على مساعدة الدولة العثمانية فى أن تتجنب هذه المصائب ،
لم تقم بأى دور ايجابى لمصلحة الحكومة العثمانية ، بل
كانت الصحف الألمانية تقدم التهانى للبلقانيين على
انتصاراتهم ، وتردد القول أنها خير صديقة لهم ، وكذلك كان^(٤)
الموقف الروسى لا يختلف عن موقف سائر الدول الأوربية ، فقد

(١) هارولد تمبرلى و- أ.ج. جرانت : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٨-١٤٩ .

(٢) F.O.424/250, Annual, Report, 1912, No. 315,
"G.Lowther to Sir, E.Grey" Constantinople,
17.4.1913. p. 17 .

(٣) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٠٢ فى ٢ صفر ١٣٣١هـ .

(٤) الاسكندر ايكونوف : ما وراء التحالف البلقانى - جريدة
الاتحاد العثمانى عدد ١٣٤٤ فى ٢٣ ربيع الاول ١٣٣١هـ .

جاء فى المذكرة الرسمية التى نشرها وزير خارجية روسيا ،
والتى ابان فيها موقف حكومته من الازمة البلقانية " ان
الفرض الاول الذى وضعته روسيا نصب عينيها بعد فوز
البلقانيين هو ان ينال هؤلاء البلقانيون ثمرة فوزهم " .^(١)

ولقد قامت فرنسا بارسال باخرة تحمل عدة بطاريات من
المدافع وكمية كبيرة من القنابل والذخائر ، لمساعدة الصرب
مستغلة فترة مفاوضات المصلح الجارية فى لندن ، اما الحكومة^(٢)
البريطانية فقد احتجزت الباخرة العثمانية - مرمريس - فى
ميناء بومباى بحجة املاحها ، ولم تفرج عنها الا بعد توقيع^(٣)
معاهدة لندن بين الدولة العثمانية ودول البلقان .

وحين سقطت مدينة ادرنة فى ايدى البلغاريين ، بعد
تعثر مفاوضات المصلح فى لندن ، واستئناف الحرب ، قوبل هذا
الخبر فى مجلس النواب الروسى - الدوما Duma - بعاصفة
من التصفيق ، ومادف ان كان معتمد البلغار فى روسيا موجودا
فى المجلس ، فحمل على الاكتاف من قبل النواب ووكلائهم وهم^(٤)
يرددون النشيد الوطنى الروسى والنشيد الوطنى البلغارى .

هكذا كان موقف الدول الاوربية ضد الدولة العثمانية
فى ولاياتها البلقانية قبيل نشوب حرب البلقان الاولى التى
اعلنتها الدول البلقانية ضد الدولة العثمانية ، واثناء

(١) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٩٠ فى ١٨ جمادى الاولى
١٣٣١هـ .
(٢) جريدة الاهرام عدد ١٠٦١٣ فى ٢١ صفر ١٣٣١هـ .
(٣) خالد حمود السعدون : الاوضاع القبلية فى ولاية البصرة
العثمانية ... ، ص ٢٩٢-٢٩٣ .
(٤) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٧١ فى ٢٥ ربيع الثانى
١٣٣١هـ .
يوسف ف. البستاني : المرجع السابق ، ص ٤٤-٤٥ .

هذه الحرب ، وبعد ان وضعت الحرب اوزارها وعقدت معاهدة لندن بين الجانبين ، لم توقف الدول الاوربية نشاطها فى شبه جزيرة البلقان ضد الدولة العثمانية ، ولم تخف تعاطفها مع الحكومات البلقانية .

وحين قامت حرب البلقان الثانية بين البلقانيين بعضهم البعض ، عبر وزير خارجية بريطانيا للقائم بالاعمال البلغارى عن انزعاج حكومته والدول الاوربية من تلك الحرب التى بدلت التعاطف والاستحسان والاعجاب لدى الدول الاوربية الى خيبة امل شديدة من جراء تلك الحرب التى حولت حلفاء الامن الى اعداء الداء ، و اضاف الوزير البريطانى مؤكدا ان الدول العظمى لن تتدخل لحماية اى منهم ، ولكنه لم يلتزم بما قال وانما وجه تحذيراً الى حكومة الاستانة محذراً اياها عدم القيام باى اعمال استفزازية على حد قوله ضد دول البلقان تتعارض مع مبادئ معاهدة لندن ، وان اى اجراء تقوم به الدولة العثمانية سيجلب عليها نتائج وخيمة .^(١)

وقد اجتمع سفراء الدول الاوربية فى الاستانة بمقر السفارة النمساوية ، لمناقشة الصيغة المثلى للخطاب المزمع رفعه للباب العالى ، بشأن عدم الخروج على معاهدة لندن ، ومحاولة استرداد المناطق التى اخذها الحلفاء فى الحرب

-
- (1) F.O. 424/247, No. 33, "E.Grey to H.Bax-Ironside",
F.O., 2.7.1913. P. 17
, F.O. 424/247, No. 246, "E.Grey to H.Bax-Ironside",
F.O., 11.7.1913. Pp. 114-115 .
(2) F.O. 424/247, No. 390, "E.Grey to H.Bax-Ironside",
F.O., 17.7.1913. P. 174 .

(١)
البلقانية الاولى ، ثم قام هؤلاء السفراء بزيارة الصدر
الاعظم وابلاغه باعتراض حكوماتهم على التحركات العسكرية
العثمانية التي تخل بمقررات معاهدة لندن .^(٢)

وبالرغم من أن وزير خارجية فرنسا قد حذر الدولة
العثمانية بأن لاتطمع في استرداد شبر واحد من الاراضى التي
فقدتها في حرب البلقان الاولى ، الا أن رئيس الوزراء^(٣)
البريطانى كان أكثر حزمًا وطرفًا عندما استعاد العثمانيون
مدينة ادرنه ، إذ حملهم سوء العواقب التي ستلحق بهم ان هم
اصروا على الاحتفاظ بتلك المدينة ، وهدد بايقاف المستشارين
البريطانيين المتفق على ارسالهم للعمل لدى الدولة
العثمانية فى الاناضول .^(٤)

لقد واجهت الدولة العثمانية فى ولاياتها الاوربية
مما عجب جمّة ، لم تنحمر فى الثورات والقلقل التي كان يقوم
بها البلقانيون ، ومن ثم اعلانهم الحرب على الدولة
العثمانية ، وانما أصبح التدخل الاوربى فى ولايات البلقان
العثمانية يمثل عبئًا آخر يضاف الى تلك المماعب التي
واجهتها الدولة ، ولم يقف التدخل الاوربى فى البلقان عند
حد معين ، ولا زمن محدود ، وهذا يؤكد مذهبنا اليه فى هذا
الجزء من البحث من أن حرب البلقان قد سبقها نشاط اوربى
كبير ضد الدولة العثمانية فى ولاياتها البلقانية ، مما

(1) F.O. 424/248, No. 302, "Mr. Marling to Sir, E.Grey" Constantinople, 8.8.1913. p. 181 .

(٢) جريدة الاهرام عدد ١٠٧٥٩ فى ١٧ رجب ١٣٣١ هـ ، ص ٤ .
جريدة الاصلاح عدد ٨٩-١٤٨٤ فى ١٩ رمضان ١٣٣١ هـ .
جريدة الاهرام عدد ١٠٧٧٤ فى ٦ رمضان ١٣٣١ هـ ، ص ٣ .
(٣) جريدة الاصلاح عدد ٥٩-١٤٥٤ فى ١٤ شعبان ١٣٣١ هـ .
(٤) مذكرات لورد غراى : المصدر السابق ، ص ٩ .

ترتب عليه بروز عوامل فعالة في قيام تلك الحرب ونتائجها .
ويرى البعض من المؤرخين والكتاب أن دوافع حرب
البلقان كانت في معظمها من دول أوربا التي حولت تلك
الحرب إلى حرب صليبية حديثة ، الهدف منها طرد المسلمين
العثمانيين من شبه جزيرة البلقان المسيحية ، وهذا الرأي^(١)
يدعم كذلك ما قصدناه سلفا .
وهكذا لعب التدخل الأوربي في الولايات البلقانية دورا
مؤثرا ساهم في اشعال نار حرب البلقان الاولى التي كانت
نتائجها جد خطيرة على الدولة العثمانية والمشرق العربي
العثماني ، كجزء هام من هذه الدولة .

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج ١٢ ، ص ٩٣٨-٩٤٣ ،
محمد فريد بك : المرجع السابق ، ص ٧١٦ .

(ب) حرب البلقان الاولى : مقدماتها ،

معاهدة لندن ١٣٣١هـ / ١٩١٣م .

الحديث عن حرب البلقان الاولى ، التى قامت بين الدولة العثمانية والدول البلقانية الاربع التى شاركت فى تلك الحرب وهى كل من : بلغاريا ، والصرب ، واليونان ، والجبل الاسود - والتى انتهت بمعاهدة لندن ١٣٣١هـ / ١٩١٣م ، يعتبر الحديث عنها محورياً اساسياً ، لما لهذه الحرب من آثار كبيرة على مجريات الاحداث فى الدولة العثمانية والمشرق العربى العثمانى ، فهذه الحرب التى اعترفت للبلقانيين بقوميتهم ، دلت دلالة واضحة على أن هزيمة الدولة العثمانية فيها قد فجرت الروح القومية التركية ، وحدثت تبعات كثيرة دفعت الدولة ثمنها فى ولاياتها الاخرى .

ولقد كان مؤتمر برلين فى ١٣ رجب ١٢٩٥هـ الموافق ١٣ يوليو ١٨٧٨م يشكل المنعطف الاول والخطير فى علاقات البلقانيين مع الدولة العثمانية ، اذ انه ترك كثيراً من مواضع الخلل السياسى ، وفتح الابواب على مصراعيها للدول البلقانية لتزداد طمعاً فى التوسع والاستقلال ، غير أن السلطان عبد الحميد الثانى قد حال دون تلك الاهداف والغايات طوال فترة حكمه ، كما يقول جمال الدين الافغانى ، عندما كان يصف سياسة السلطان عبد الحميد : "كلما حاولت اوربا أن تجمع كلمة دول البلقان للخروج عن الدولة بحرب ، كان السلطان يسارع بدهائه العجيب لحل ماربطوه وتفريق (٢) ماجمعوه من كلمة وكيد" .

(١) محمد فريد بك : المرجع السابق ، ص ٦٩٧ .
(٢) أورخان محمد على : المرجع السابق ، ص ٢٣١ .

ورغم أن سكان البلقان كانوا منقسمين الى شعوب وقوميات متعددة ، ويختلفون عن بعضهم البعض فى اللغة والتاريخ ، إلا أن الحقد الصليبي فى نفوس هؤلاء كان يوحد بينهم فى عدائهم للدولة العثمانية حتى صار غرس هذا العداء واجبا من واجبات التربية للأبناء ، وعلامة من علامات الوطنية والانتقام^(٢) ، والدول الأوروبية لاتزيد هذا الحقد والعداء الاتشجيعا ودعمما مستمرا ، ولعل مؤتمر برلين وموقف تلك الدول فيه دليل واضح على موقف الدول الأوروبية ، وقد أفصح أحد المؤرخين الأوروبيين عن هذا الاتجاه حين قال : "حركات الاحتجاج بدأت فى مقدونيا منذ سنة ١٩١٠م ، وكان من المنطقي أن تعمل الدول المسيحية فى البلقان على تأييد هذه الحركات حتى تحرر الأراضى الخاضعة " .^(٣)

أما السفير البريطانى فى الأستانة السير جيرارد لوشر فقد أعطى صورة واضحة عن علاقات الدول البلقانية مع الدولة العثمانية فى تلك الفترة ، حيث أشار فى التقرير السنوى الذى بعث به الى وزير الخارجية البريطانى السير ادوارد جراى ، الى أن الساسة العثمانيين يخشون من تدخل بلغاريا فى مقدونيا ، وهؤلاء الساسة منقسمون على أنفسهم فالبعض منهم يفضل سياسة المصالحة مع المسيحيين فى مقدونيا ، بينما يرى البعض الآخر أن سياسة القوة هى الأفضل ولا بد من سياسة استيطانية عن طريق ارسال أسر مسلمة لتلك القرى

(١) ساطع الحصرى : محاضرات فى نشوء الفكرة القومية ، ص ٥٨ .

(٢) يوسف ف. البستاني : المرجع السابق ، ص ٣٧، ٣٣ .

(٣) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية - القرن التاسع عشر ١٨١٥-١٩١٤م ، ص ٦٦٢ .

المسيحية لتقف هذه العملية في وجه قيام بلغاريا الكبرى ،
ومع أن تقرير المسئول البريطاني أشار الى توتر في علاقات
بلغاريا مع الدولة العثمانية نتيجة لسياسة نزع السلاح من
المقدونيين ، إلا أنه وصف علاقات رومانيا والمرب مع
العثمانيين بأنها جيدة ، وأن هناك اتفاقات بين رومانيا
والدولة العثمانية لزيادة المداقة بينهما ، وكان لملك
المرب زيارة ناجحة للاستانة ، وأشار السفير البريطاني الى
وجود تهديدات خفية وازعاج لعلاقات اليونان مع العثمانيين .^(١)

وكانت شخصية رئيس الوزراء اليوناني فينيزيلوس
Venizelos ، ذات أثر فعال في دفع الحكومات البلقانية لعمل
تحالف دفاعي ضد الدولة العثمانية والدفاع عن المسيحيين
العثمانيين في البلقان ، وقدم أول عرض له لقيام تحالف بين
بلغاريا واليونان في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٢٩هـ /ابريل
١٩١١م ، إلا أن الشك وعدم الثقة من جانب البلغاريين أخر هذا
التحالف بعض الوقت ، أما إمارة الجبل الاسود التي تعكر صفو
المصلات السياسية بينها وبين الباب العالي بعد ذلك التاريخ
بشهر واحد ، فقد كانت خطتها تهدف الى اشراك كل البلقانيين
في ذلك الحلف وهو ما تحقق بالفعل .^(٢)

وقد شهدت العلاقات السياسية والاقتصادية بين الدولة
العثمانية وكل من بلغاريا واليونان والمرب والجبل الاسود
طوال عام ١٣٢٩هـ /١٩١١م نوعا من الهدوء والتحسن الحذر بين

(1) F.O.424/250, Annual, Report, 1910, No. 103,
"G.Lowther to Sir, E.Grey" Constantinople,
14.2.1911. pp. 6-7 .

(2) Miller, op. cit, p. 499 ,
، ماري ملزباتريك : المرجع السابق ، ص ١٥٦-١٥٧ .

الطرفين ، وجددت الدولة العثمانية المعاهدة التجارية مع بلغاريا ، وعينت سفيرا جديدا لها فى أثينا تعبيراً عن حسن العلاقات وأملأ فى تطويرها ، أما امارة الجبل الاسود فلم يؤثر على علاقاتها مع الدولة العثمانية طوال تلك السنة الا لجوء بعض الشائرين الالبان اليها ، مما حدا بالسلطات العثمانية الى تقديم شكوى الى المسئولين الجبليين ، مهددة اياهم بالانتقام ان لم تنزع السلاح من هؤلاء اللاجئين وتوقف المساعدة التى يتلقونها على أيدي ضباط من الجبل الاسود .^(١)

ورغم جهود رئيس الوزراء اليونانى فينيزيلوس التى بذلها للتأليف بين الدول البلقانية ، الا ان التشجيع الروسى لكل من المرب وبلغاريا ، ودفعهما لتوقيع معاهدة تضمن تعاونهما المشترك ، ساعد بصورة حاسمة وسريعة على قيام تحالف مربى - بلغارى وتوقيع معاهدة بين الدولتين فى ٢٥ ربيع الاول سنة ١٣٣٠هـ - ١٣/ مارس ١٩١٢م ، ومن أهم بنود تلك المعاهدة المادة السرية الملحقة بتلك المعاهدة ، والتى أعلن الطرفان فيها أنه "فى حالة حدوث أية اضطرابات داخلية فى تركيا مما يعرض المصالح القومية أو الوطنية للدولتين المتعاقدتين أو احدهما للخطر ، أو فى حالة قيام مصاعب داخلية أو خارجية فى تركيا مما يعرض الحالة الراهنة

(1) F.O.424/250, Annual, Report, 1911, No. 100, "G.Lowther to Sir, E.Grey" Constantinople, 31.1.1912. pp. 12-13 .

(2) F.O.424/250, Annual, Report, 1912, No. 315, "G.Lowther to Sir, E.Grey" Constantinople, 17.4.1913. p. 14

، هارولد تمبرلى و.أ.ج. جرائت : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٦-١٤٧ .

فى شبه جزيرة البلقان للخطر وجب على الدولتين المتعاقبتين ان تسارعا الى تبادل الآراء لاتخاذ الخطوات العاجلة لمنع الخطر^(١) ، كما ان الطرفين اتفقا على تقسيم مقدونيا الى منطقتين - صربية وبلغارية - على ان تلجأ الدولتان الى تحكيم قيصر روسيا فى حل كل خلاف يقع بينهما .^(٢)

ورغم ان رئيس الوزراء اليونانى كان قد فوض سفير حكومته فى بلغاريا بفتح باب المحادثات الرسمية قبل توقيع المعاهدة - الصربية - البلغارية ، بأقل من شهر ، الا ان تلك المحادثات انتهت بتوقيع الاتفاقية اليونانية - البلغارية فى ١٣ جمادى الثانى ١٣٣٠هـ / ٢٩ مايو ١٩١٢ م ، والتي تعهد فيها الفريقان بتقديم المساعدات لبعضهما البعض اذا هوجمت احدهما من قبل الدولة العثمانية ، وعلى ان يؤمنا سلامة وجود السكان من البلغار واليونان الاتراك ، وان يتعاونوا على تأمين حقوق تلك القوميات .^(٣)

اما امارة الجبل الاسود فقد حاولت ان تنضم الى هذه التحالفات ، وتم لها الاتصال شفويا مع تلك الدول ، لتنتهى هذه الاتصالات بعقد معاهدات تحالف بين الجبل الاسود من جهة وبلغاريا والصرب من جهة اخرى ، وذلك فى شهر شوال ١٣٣٠هـ /^(٤) اواخر سبتمبر واول اكتوبر ١٩١٢ م ، لتنتهى بذلك كامل نظام التحالف البلقانى ضد الدولة العثمانية ، سيما وان اليونان وبلغاريا قد وقعتا حلفا عسكريا فى ١٤ شوال ١٣٣٠هـ الموافق

(١) عبد الحميد البطريق : المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٤١٠ .

(3) Miller, op. cit, pp. 500-501
Sloane, op.cit, p.161 .

(4) Stavrianos, op. cit, o. 533 .

٢٥ سبتمبر ١٩١٢م نص على تعهد بلغاريا بارسال ثلاثمائة ألف جندي الى ميدان المعركة ، وتعهد اليونان بارسال مائة وعشرين ألف جندي ، وان توحد الدولتان قواتهما للدفاع المشترك اذا هاجمت الدولة العثمانية احدى الدولتين .^(١)

واذا كان الواقع قد أكد ان اتفاق الجبل الاسود مع بلغاريا والمرب بمثابة الحلقة النهائية في الحلف البلقاني فهو يؤكد ايضاً ان دول البلقان كانت تخطط لمهاجمة الدولة العثمانية ، بعد ان اصبح الراي العام لتلك الشعوب مهياً للانقضاض على العثمانيين ، واخراجهم من شبه جزيرة البلقان وليس ذلك بمستغرب على تلك الدويلات التي كانت تدعم العميات الارهابية في مقدونيا ، لتعيث فيها فساداً ، وتريق دماء المسلمين ، وتعتمد على اموالهم واعراضهم دون رادع او خوف .^(٢)

وبينما كانت اخبار التحالف البلقاني تتوالى على اسماع الساسة العثمانيين ، كانت اوضاع الدولة العسكرية والسياسية تمر بمرحلة من التفكك والضعف ، فالجيش العثماني لم تعد معنوياته وقوته كما كانت في سالف عهدها ، وقياداته اصبحت تلعب ادواراً سياسية ليست من مهماتها الاساسية ، مما حدا بالمسؤولين في الحكومة العثمانية الى اتخاذ بعض الاجراءات في الجيش تحت مفعوم التطهير الشامل .^(٣)

(١) Sloane, op. cit, p. 165 .

(٢) F.O.424/234, No.221, "Mr. Beaumont to Sir, E.Grey", Athens, 9.9.1912. p. 111 .

(٣) جريدة المقتبس عدد ٩٧٠ في ٩ رمضان ١٣٣٠هـ .

(٤) Stavrianos, op. cit, p. 534 .

أما الوضع السياسى فى الحكومة العثمانية فكان اسوا وأمر ، وتمثل فى الصراع بين حزب الحرية والائتلاف الذى كان على سدة الحكم وعاصر قيام حرب البلقان الاولى ، وبين جمعية الاتحاد والترقى الطامعة فى العودة الى الحكم ، مما جعل القرارات السياسية فى الدولة ابان اشتعال تلك الحرب تفقد قيمتها المؤثرة والفاعلة على المعيددين السياسى والعسكرى (١) فى الدولة .

أخذ التوتر يسود منطقة البلقان ، وأعلنت كل من بلغاريا والمرب تعبئة جيوشهما فى اواخر شهر شوال ١٣٣٠هـ /
 اوائل اكتوبر ١٩١٢م ، ثم قدمت الحكومات البلقانية الى الحكومة العثمانية مذكرة على شكل انذار شديد اللجة فى مضمونه العام ، وقد تضمنت هذه المذكرة اجراء اصلاحات فى الولايات البلقانية بالاتفاق مع الدول الاوربية طبقا للمادة ٢٣ من معاهدة برلين ، وطالبت المذكرة البلقانية بمنح الاستقلال الادارى للولايات البلقانية واعادة رسم حدودها حسب جنسيات السكان العرقية ، وتعيين حكام عموميين لهذه الولايات من البلجيكيين والسويسريين ، وتكوين شرطة لهذه الولايات تحت اشراف هؤلاء الحكام ، كما طالبت بحرية التعليم وان تكون المجالس العمومية لهذه الولايات موزعة بالتساوى بين المسلمين والمسيحيين ، على ان تتم هذه اصلاحات تحت مراقبة سفراء حكومات البلقان الاربع بالاستانة . (٣)

- (١) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٥-٨٦ ؛
 مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج ١١ ، ص ٨٧٧ .
 (٢) F.O.424/234, No. 340, "Earl Granville to Sir, E.Grey", Berlin, 2.10.1912. p. 164 .
 (٣) مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج ١١ ، ص ٨٧٥-٨٧٦ ؛
 يوسف .ف. البستاني : المرجع السابق ، ص ٦٢-٦٤ ؛
 Ahmad, op. cit, p. 89 .

وقد سارعت حكومة الجبل الاسود فى السابع والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٣٠هـ المصادف للثامن من شهر اكتوبر سنة ١٩١٢م لتعلن الحرب على الدولة العثمانية ، فى الوقت الذى ارسلت كل من حكومات بلغاريا والصرب واليونان منشورا الى الدول الاوروبية تعلن فيه انما لاتهدف من وراء تلك الحرب الى اى توسع اقليمى ، وانما تهدف الى اصلاحات التى تمنح تلك الولايات البلقانية استقلالها الذاتى .^(١)

ورغم ان نذر الحرب من جميع حكومات البلقان كانت تلوح فى الافق للماسة العثمانيين ، الا ان آمالهم كانت معلقة بشكل كبير على الدور الذى يمكن للدول الاوروبية ان تلعبه فى ايقاف هذه الحرب ، ومعالجة القضايا التى يثيرها البلقانيون بالطرق الدبلوماسية التى تحقق لهم اصلاحات المطلوبة .^(٢)

وفى الثامن من شهر ذى القعدة ١٣٣٠هـ الموافق للثامن عشر من شهر اكتوبر ١٩١٢م اعلنت بلغاريا والصرب واليونان الحرب على الدولة العثمانية ، ليكتمل بذلك عقد الدول البلقانية المتحالفة على حرب الدولة العثمانية وهى : الجبل الاسود ، وبلغاريا ، والصرب ، واليونان .^(٣)

(1) F.O.424/250, Annual, Report, 1912, No. 315, "G.Lowther to Sir, E.Grey" 17.4.1913. p. 15
 هارولد تمبرلى و.ا.ج. جرائد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٨ .

(2) F.O.424/234, No. 447, "Sir, R.Paget to Sir, Edward Grey", Belgrade, 9.10.1912. p. 202 .

(3) F.O.424/234, No. 485, "Sir, Edward Grey to Sir, G.Lowther", F.o. 11.10.1912. p. 214 .

جريدة المقتبس عدد ١٠١٤ فى ٥ ذى القعدة ١٣٣٠هـ .
 (٤) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ١١٦ ،
 Taylor, op. cit, p. 490 .

وقد ظهرت فى هذه الحرب روح الحقد والكراهية ضد المسلمين من خلال المنشورات التى بدأت تظهر من الحكومات البلقانية والتى لقبوا فيها هذه الحرب - بالحرب المليبية - وممارسة المليب للهلال ، فى الوقت الذى كان السلطان العثمانى يدعو الى الرفق بالنساء والشيوخ والاطفال ولم يشر الى النواحي الدينية فى هذه الحرب ، رغبة منه فى عدم اشارة التعصب داخل دولته المليئة بالاديان المختلفة ، ويذهب احد المؤرخين الى ان الجيش العثمانى الذى كان يخوض الحرب ضد الحلفاء البلقانيين ، قد ضم كثيراً من الجنود ذوى الامول البلغارية والمربية واليونانية ، وكانوا يطلقون نيران اسلحتهم فى الغناء اثناء سير المعارك ، وعندما لاحتم لهم بوادر انتصار اخوانهم فى الجنسية والدين طاروا اليهم ورموا الطرابيش العثمانية ، ووضعوا بدلا منها القبعات على رؤوسهم .^(٢)

اشتعلت حرب البلقان الاولى ، والتى سارت احداث معاركها فى غير صالح الدولة العثمانية ، وكان النصر حليف البلقانيين الذين استخدموا الطائرات لأول مرة بمساعدة من الدول الاوربية ، وفى اقل من شهرين حقق البلقانيون انتصارات حاسمة ، اذ انتصر البلغاريون فى معركة قرق كليسا ومعركة جتالجه ولوله بورغاز ، بينما حقق اليونانيون والمربيون انتصاراتهم فى كومانوفو ومناستير ، والاصونا ،

(١) يوسف .ف. البستاني : المرجع السابق ، ص ٦٩ ،
على حصون : العثمانيون والبلقان ، ص ٢٥٨ .
(٢) يوسف .ف. البستاني : نفس المرجع ، ص ٧٥ .
(٣) على حصون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٣٣ .

وفى معركة ينيجه واردار التى سلمت بعدها سالونيك لليونان ليدخلها ملك اليونان منتحرا فى ٣ ذى الحجة ١٣٣٠هـ الموافق الثانى عشر من نوفمبر ١٩١٢م ، بينما دخل ولى عهده ولى عهد المرب مناستير فى ١٦ ذى الحجة ١٣٣٠هـ الموافق ٢٥ نوفمبر ١٩١٢م ، أما عسكر الجبل الاسود ، التى تعززهم القوات المربية فقد زحفت على سنجق نوى بازار ، والبانيا لتسيطر فى منتصف شهر ذى الحجة ١٣٣٠هـ /اواخر شهر نوفمبر ١٩١٢م على منطقة درواز ، وبذلك فقدت الدولة العثمانية سيطرتها على معظم اراضيها فى اوربا عدا شريط صغير حول
(١)
العاصمة .

ولقد سارعت الدول الاوربية بارسال قطع من اساطيلها رابطت فى القرن الذهبى امام الاستانة بناء على طلب من سفراء تلك الدول فى عاصمة الدولة العثمانية ، واخذت هذه البوارج ترفع راياتها المختلفة فوق مياه البوسفور ، واخذ هذا الاسطول المختلط ينزل الى العاصمة ماثحين من بحارته بعد ظهر كل يوم ، وحينما زاد قلقهم انزلت تلك البوارج جنودا لحماية الاحياء والمصارف والسفارات والقنصليات ،
(٢)
ولكنها لم تلبث ان سحبتها ، كما عبر المسؤولون فى الولايات المتحدة عن انزعاجهم من تلك الاوضاع التى تعدد عاصمة

-
- (1) F.O.424/234, No.872, "Sir F.Elliott to Sir E.Grey", Athens, 30.10.1912. p. 407
, F.O.424/235, No.333, "Foreign office to Admiralty", F.o, 11.11.1912. p. 157
, F.O.424/235, No. 362, "Sir Edward Grey to Sir, R.Rodd", F.o. 12.11.1912 . p. 168 .
(2) F.O.424/250, Annual, Report, 1912, No. 315, "G.Lowther to Sir, E.Grey" Constantinople, 17.4.1913. p. 16 .

الدولة ، وبالتالي تهدد أمن رعاياهم وهم لا يشاركون في الاسطول الاوربي سالف الذكر ولن يتمكنوا من ارسال اى سفينة حربية الى هناك خلال تلك الفترة ، الا ان المسؤولين البريطانيين ابدوا استعدادهم للقيام بتلك المهمة عن طريق البارجة البريطانية المرابطة هناك .^(١)

وحين ادرك المدر الاعظم كامل باشا صعوبة الموقف جمع مجلس وكلاء الدولة وقرر ان يطلب تعهد اوروبا في ايقاف رحى الحرب ، التي وصلت الى مشارف القسطنطينية ، وغيّرت حسابات الاوربيين انفسهم ، وأُرسلت برقيات من الحكومة العثمانية الى تلك الدول تطلب التدخل المباشر وانهاء هذه الحرب ، وبينما كان رجال السياسة في اوروبا يتباحثون في كيفية التوصل الى وقف هذه الحرب دون ان تتأثر مصالحهم الاستراتيجية والاقتصادية ، كان الوزير اليوناني للشئون الخارجية يقترح تدويل مدينة القسطنطينية مع قطاع صغير على كلا الجانبين لمضيق البسفور .^(٢)^(٣)^(٤)

وفي الرابع والعشرين من ذى الحجة ١٣٣٠هـ الثالث من ديسمبر ١٩١٢م وقعت اتفاقية للهدنة على أن تتبعها مفاوضات للملح بين كل من الدولة العثمانية وبلغاريا والصرب والجبل

-
- (1) F.O.424/235, No.151, "Mr. Bryce to Sir E.Grey", Washington, 4.11.1912. p. 69 .
(2) F.O.424/235, No. 332, Sir Edward Grey to Sir, F.Bertie, f.O, 11.11.1912. p. 157
، يوسف .ف.أليستانى : المرجع السابق ، ص ١٠٨ .
(3) F.o.424/235, No. 127, Sir E.Grey to Sir G.Buchanan" F.O, 4.11.1912. P. 56
F.O.424/235, No. 129, Sir E.Grey to sir F.Bertie, F.o, 4.11.1912. p. 56 .
(4) F.O.424/235, No. 577, Sir E.Grey to E.Guchen, F.o, 20.11.1912. p. 257 .

الاسود ، على ان تبقى الهدنة مابقيت مفاوضات الملح وتنتهى عند قطع المفاوضات ، كما نمت اتفاقية الهدنة على ان تجرى مفاوضات الملح فى لندن بعد التوقيع على هذه الهدنة بعشرة ايام وان تبقى جنود كل فريق من المتحاربين فى مواقعها الحاضرة ، وقد غابت اليونان عن هذه الهدنة لعاملين اساسيين احدهما الامل لدى القادة اليونانيين فى سقوط مدينة يانينا ، وثانيهما تمكين الاسطول اليونانى من محاصرة بحر ايجيه مدة مفاوضات الملح للحيلولة دون ارسال المؤن والذخائر للجيش العثمانية المحاصرة فى المدن التى لم تسقط بعد فى ايدى البلقانيين .^(١)

ثم عينت الحكومة العثمانية وحكومات البلقان مندوبيها الى مؤتمر الملح ، وتأخر عقد المؤتمر ثلاثة ايام عن المدة التى حددت فى الهدنة ، حيث افتتح فى قصر - سنت جيمس - فى لندن يوم الاثنين السابع من محرم ١٣٣١هـ الموافق ١٦ ديسمبر ١٩١٢م ، بكلمة ترحيبية القاها وزير خارجية بريطانيا اللورد ادوارد غراى Lord Edward Grey وقد حضرت اليونان^(٢) هذا المؤتمر رغم انها لم توقع على الهدنة .

-
- (1) F.O.424/236, No.68, Sir, G.Lowther to Sir E.Grey, Constantinople, 4.12.1912. p. 52
 , F.o.424/236, No.67, dated, 4.12.1912. London, p.51
 , F.o.424/236, No.72, Sir, R.Paget to Sir E.Grey, Belgrade, 4.12.1912
 , F.o.424/250, Annual, Report, 1912, No. 315, Sir, G.Lowther to Sir E.Grey, 17.4.1913. p. 16 .
 (2) F.O.424/250, Annual, Report, 1912. No. 315, pp. 16-17
 ، جريدة الاتحاد العثمانى ، عدد ١٢٨٢ فى ٩ محرم ١٣٣١هـ .

وقد وصلت المباحثات التي استمرت أكثر من شهر الى طريق مسدود ، ان أن العثمانيين كانوا يصرون على الاحتفاظ بالمدن التي بقيت تحت سيطرتهم ومن أهمها أدرنة و يانينا وسكوتارى ، فى حين كان البلقانيون يطالبون بانسحاب القوات العثمانية من هذه المدن ، وتسليمها للحلفاء البلقانيين ، مما حدا بسفراء الدول الأوروبية فى الاستانة وبتكليف من حكوماتهم الى تقديم مذكرة الى الباب العالى يطالبونه فيها بالتنازل عن مدينة أدرنة للدول البلقانية ، وتحكيم الدول الأوروبية فى ممر جزر بحر ايجه ، عندئذ جمع الصدر الاعظم كامل باشا ديوانا كبيرا من عظماء الامة وأعيانها للنظر فى هذه المذكرة ، وجنح المجتمعون الى ضرورة عقد صلح مع الدول البلقانية ، مما اتاح الفرصة لأعضاء جمعية الاتحاد والترقى كى يزيحوا الائتلافيين من السلطة بحجة أن حكومتهم ستتنازل عن أجزاء غالية من الدولة ، وهذا يعطينا برهانا آخر على مدى ما خلفته حرب البلقان من مراعات سياسية فى الدولة العثمانية هى حينئذ أعجز من أن تتحملها ، وجعلت الساسة العثمانيين من أعضاء الاتحاد والترقى يتجهون الى أصولهم التركية فى حالة اليأس هذه ، أملا فى أن سياسة التحريك لعناصر الدولة هى العلاج الناجع للخروج من هذه الحرب بالنصر .

لقد استثمر الاتحاديون انكسار الجيش العثمانى فى حرب

(1) Stavrianos, op. cit, p. 537

، مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٢٥-٢٦ .

(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٤٢٤-٤٢٥ .

(٣) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٤١ .

البلقان ، ليقوموا بالدعاية لحزبهم ، ويحملوا حكومة الائتلافيين مسؤولية الهزيمة ، وحين اجتمع مجلس الوزراء برئاسة الصدر الاعظم كامل باشا ، فى الباب العالى لكتابة الرد على مذكرة سفراء الدول الاوربية سالفة الذكر ، فى الخامس عشر من شهر صفر ١٣٣١هـ الموافق ٢٣ يناير ١٩١٣م ، هجم الاتحاديون على المجتمعين وقتلوا وزير الحربية ناظم باشا ، وارغموا الصدر الاعظم على الاستقالة ، وتشكلت حكومة اتحادية جديدة برئاسة محمود شوكت باشا .^(١)

وسارعت الوزارة الجديدة بارسال الرد على مذكرة الدول الاوربية ، مشيرة الى ان حكومة الباب العالى راغبة فى السلام ، اما "ادرنه فانها اسلامية محضة وهى العاصمة الثانية للسلطنة ، والاشاعة فقط عن التنازل عنها افقت الى سقوط الوزارة" ، وارتأت الوزارة فى مذكرتها تلك ان تقسم ادرنه الى قسمين ، تحتفظ الدولة بالجهات التى فيها آثار واماكن اسلامية وهى الواقعة على الضفة اليسرى لنهر مارتيزا كما امرت على المحافظة على جزر بحر ايجيه لاهميتها الحربية للدولة العثمانية على ان تقوم الدول الاوربية بتعيين شكل الحكومة فى تلك الجزر ، وهذا الرد بطبيعة الحال لا يختلف كثيرا عن الرد الذى كانت الحكومة السابقة تنوى ارساله للدول الاوربية ، الا انه اعطى الفرصة للدول البلقانية

(1) F.O.424/241, No.447, Sir, G.Lowther to Sir, E.Grey Constantinople, 25.1.1913. p. 263

، مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٢ ، ص ١٤٨-١٥١
 ، مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٣ ، ص ٢٣٤-٢٣٥
 (٢) جريدة الاهرام عدد ١٠٦١٥ فى ٢٣ صفر ١٣٣١هـ .
 (٣) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٢٥ فى ٢٩ صفر ١٣٣١هـ .

(١)

لحقطع مفاوضات الملح وتستأنف الحرب .

وإذا كان النواب اليونانيون والبلغار والمربيون في مجلس النواب العثماني قد شكلوا النواة الأولى لبلورة الاتحاد البلقاني من خلال تفاهمهم وتعاونهم في المجلس ، فان مما يوجب الملاحظة وجود ثلاثة وزراء يهود في الحكومة الاتحادية الجديدة ، التي زادت من تمسكها بالمركزية والقومية التركية .

ولقد دارت مفاوضات حاسمة في مؤتمر السفراء المنعقد في لندن حول رد الحكومة العثمانية ، وكاد المؤتمرون ان يتفقوا على ايجابية الرد العثماني وواقعيته ، الا ان القائد العام للجيش البلغاري ارسل الى المدر الاعظم برقية ينبئها فيها بقطع المفاوضات وعودة الحرب اعتباراً من مساء يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر صفر ١٣٣١هـ الموافق ٣ فبراير ١٩١٣م طبقاً للمادة الرابعة من اتفاقية الهدنة ، وقد رد عليه المدر الاعظم العثماني ، مبلفا اياه تلقية لهذه البرقية ومعرفة مضمونها .

قامت روسيا باجراء مشاورات مكثفة مع الحكومة الفرنسية والبريطانية لوضع حد لهذه الحرب ، كما يقول وزير الخارجية الروسي ، لكن بريطانيا وفرنسا كانتا قلقتين من

-
- (١) Stavrianos, op. cit, p. 537
، يوسف ف. البستاني : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .
(٢) جريدة الاهرام عدد ١٠٦١٥ في ٢٣ صفر ١٣٣١هـ .
(٣) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٤٦٢ .
(٤) F.O.424/242, No.20, Sir, E.Grey to Sir, F.Cartwright, F.O, 1.2.1913. PP. 12-13 .
(٥) جريدة الاهرام عدد ١٠٦١٥ الجمعة ٢٣ صفر ١٣٣١هـ .
(٦) F.O.424/242, No.204, Sir, E.Grey to Sir, G.Buchanan, F.o, 12.2.1913. p. 112 .

أطماع الصرب فى الساحل الادرياتي مما يدفع حكومة النمسا - المجر ، للتدخل كطرف رئيسى فى الحرب ، وهو ما لا يتفق مع استراتيجية تلك الدولتين ، ومع هذا اقترح اللورد ادوارد غراى ، وزير خارجية بريطانيا على الدولة العثمانية ان تستأنف مفاوضات الملح ولو بشكل شبه رسمى .^(١)

وتجدد القتال على جميع الجبهات ، وسقطت المواقع العثمانية المحصنة ، ولم تستطع الحكومة الاتحادية الجديدة تدارك الموقف ، حيث سقطت يانينا فى يد اليونانيين فى ٢٨ ربيع الاول ١٣٣١هـ / ٦ مارس ١٩١٣م ، ثم سقطت مدينة ادرنة - درة البلقان - فى ايدى البلغاربيين فى الثامن عشر من ربيع الثانى ١٣٣١هـ المصادف ٢٦ مارس ١٩١٣م ، واخيرا^(٢)

استطاع الجبل الاسود ان يسيطر على سكوتارى "اشقودره" فى السابع عشر من جمادى الاولى ١٣٣١هـ الموافق ٢٣ ابريل ١٩١٣م^(٣)

ورغم ان سيطرة الجبلين على سكوتارى قد جعل من هذه المدينة قضية عالمية بسبب رغبة الدول الاوربية فى جعل هذه المدينة تابعة للدولة الالبانية الجديدة التى اوجدتها اوربا ، لتحفظ التوازن فيما بينها وتبعد الصرب عن سواحل الادرياتيک^(٤)

رغم ذلك كله فان سقوط مدينة ادرنة على وجه الخصوص كان له رنة اسى عميق فى نفوس العثمانيين قاطبة ، وزاد من سخط

(١) F.O.424/242, No.205, Sir, E.Grey to Sir, F.Bertie, F.o, 12. 2.1913. p.113 .

(٢) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٣٣ فى ٩ ربيع الاول ١٣٣١هـ .

(٣) يوسف ف.البستاني : المرجع السابق ، ص ١٣٠-١٣١ ، ص ١٥٨-١٦٠ .

محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ .

(٤) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٤٤ .

(5) Taylor, op.cit, p.496 .

(١)

الشعب العثماني على حكومة الاتحاد والترقي .

لقد اظهرت حرب البلقان الاولى مطامع الدول الاوروبية في املك الدولة العثمانية ومواقفها الذاتية التي تسعى من خلالها الى تحقيق مصالحها الاستراتيجية والسياسية على حساب الدولة العثمانية ، فروسيا لن تسمح لبلغاريا بالتقدم الى الآستانة والتحكم في مفيق البوسفور ، والنمسا - المجر ، ستقاوم المرب لكي لا تسيطر على البانيا وتصل الى سواحل الادرياتيك ، اما الالمان فانهم لن يسمحوا لروسيا ببسط حمايتها على الآستانة ، التي كان وزير خارجية بريطانيا يرى جعلها مدينة حرة اذا انهارت الدولة العثمانية وقسمت املكها ، وهذا الرأي لا يحبذه الروسيون بطبيعة الحال ، وهو ماتنبه له رئيس الوزراء الفرنسي ، الذي رأى فيه تحطيما للتحالف الروسي الفرنسي ودعمًا للتحالف النمساوي - الالمانى الذى ستمبح المانيا من خلاله سيدة لاوروبا كما قال .^(٢)

وسارعت وزارة الخارجية فى الحكومة العثمانية الى ابلاغ السفير البريطانى فى الآستانة رغبتها فى السلام ، وتأييدها للجهود التى تبذلها الدول الاوروبية لوضع نهاية لهذه الحرب القائمة بين الدولة العثمانية ودول البلقان ،^(٣)

(1) F.O.424/244, No.14, Sir, G.Lowther to Sir, E.Grey, 31.3.1913. p.9 .

(2) F.O.424/244, No.206, Sir, E.Grey to Sir, G.Buchanan, F.o, 8.4.1913. p.119
, F.O.424/244, No.260, Sir, E.Grey to Sir, F.Bertie, F.o, 10.4.1913. p.141
, Taylor, op.cit, p.492 .

(3) F.O.424/244, No.15, Sir, G.Lowther to Sir, E.Grey, Constantinople, 1.4.1913. p.9 .

وتم التوصل الى معاهدة هدنة ثانية بين العثمانيين ودول التحالف البلقاني ، في ١٠ جمادى الاولى ١٣٣١هـ الموافق ١٦ ابريل ١٩١٣م ، بعد ان وافقت الاطراف المتنازعة على القواعد التمهيدية لعقد الملح والمتمثلة في ان يكون خط التحديد بين الدولة العثمانية وبلغاريا ممتد من اينوس على بحر ايجيه ، الى ميديا على البحر الاسود ، وان يمنح الاستقلال لآلبانيا كما قرر في مؤتمر سفراء الدول الاوربية ، وان يفوض أمر الجزر في بحر ايجيه للدول الاوربية ، على ان تتنازل الدولة العثمانية عن كامل حقوقها في جزيرة كريت .^(١)

واستؤنفت مفاوضات الملح في لندن ، وحاول المندوب البلغاري ان يؤثر على وزير خارجية بريطانيا لاجراء تعديلات على خط الحدود بين بلغاريا والدولة العثمانية يخالف القواعد التمهيدية المتفق عليها ، لكنه لم يستطع تحقيق مآربه ، لان الوزير البريطاني استطاع بدبلوماسية المعروفة اقناع المسئول البلغاري بعرض ذلك الموضوع في اجتماع السفراء ومناقشته .^(٢)

وقد تم توقيع معاهدة السلام بين الدولة العثمانية والحكومات البلقانية الاربع في لندن في الرابع والعشرين من جمادى الثاني ١٣٣١هـ ، الموافق ٣٠ مايو ١٩١٣م والتي اشارت الى رغبة الجانبين الاكيدة في انتهاء حالة الحرب الحاضرة

(١) Stavrianos, op.cit, p.537 .

(٢) جريدة الاتحاد العثماني عدد ١٣٧٥ في ١ جمادى الاولى ١٣٣١هـ .

يوسف .ف. البستاني : المرجع السابق ، ص ٢٣٨ .

(٣) F.O.424/245, No.184, Sir, E.Grey to Sir, H.Bax-Ironside, F.o, 8.5.1913. p.97 .

واقامة علاقات تحمف بالسلام والمداقة بين حكوماتهم ورعاياهم
كما تلمنت سبع مواد هى :

المادة الاولى : اقرار السلام والمداقة بين السلطان
العثمانى من جانب وحكام الدول البلقانية من جانب آخر ،
وكذلك بين ورشتهم وخلفائهم وحكوماتهم وشعوبهم مدى
الحياة .

المادة الثانية : يتنازل السلطان العثمانى لحكام
الدول البلقانية عن كل اراضى دولته الواقعة فى القارة
الأوربية غرب الخط الواصل من اينوس Enos على بحر ايجه ،
الى ميديا Midia على البحر الاسود ، مع استثناء البانيا
Albanie ، وسيتم التحديد الدقيق لخط الحدود من اينوس حتى
ميديا بواسطة لجنة دولية .

المادة الثالثة : تترك للدول الأوربية مسألة تسوية
تعدد حدود دولة البانيا وجميع القضايا الأخرى المتعلقة
بها .

المادة الرابعة : يتنازل السلطان العثمانى لحكام
الدول البلقانية عن جزيرة كريت Crete ، كما يتنازل
لمالحهم عن كل حقوق السيادة وكل ماكان يملك على هذه
الجزيرة .

المادة الخامسة : ياتمن السلطان العثمانى وحكام
الدول البلقانية - الدول الأوربية - فى البت فى تحديد مصير
كل الجزر العثمانية فى بحر ايجه ، وشبه جزيرة - جبل اثوس
Athos - باستثناء جزيرة كريت .

المادة السادسة : يترك السلطان العثمانى وحكام

البلقان العناية بتسوية المسائل المالية الناتجة عن حالة الحرب ، والناتجة عن التنازلات عن الاراضى المذكورة عاليه الى لجنة دولية تنعقد فى باريس ، ويفوضون ممثلهم فيها .
المادة السابعة : تحم تسوية القضايا المتعلقة باسرى الحرب والقضاء والجنسية والتجارة من خلال اتفاقيات خاصة بها .^(١)

وقد سارع وزير خارجية بريطانيا الى التاكيد على ان معاهدة لندن هذه قد تركت بعض المسائل لكى تناقش ، ويتم الوصول بها الى حلول نهائية ، سيما وان هذا الملح يخدم مصالح الدول الاوربية ، التى تدرك الاهمية الحربية والاستراتيجية لبعض المواقع والمدن التى انتزعتها الحلفاء البلقانيون من الدولة العثمانية ، وهكذا فقدت الدولة العثمانية بموجب تلك المعاهدة كافة ممتلكاتها الاوربية باستثناء العاصمة القسطنطينية وشريط ضيق يمتد من العاصمة الى خط يسمير من اينوس على بحر ايجه الى ميديا على البحر الاسود .^(٢)

ورغم ان حرب البلقان الاولى قد افقدت الدولة العثمانية ٨٣% من الاراضى و٦٩% من السكان فى الولايات الاوربية ، واتاحت الفرصة للدول الاوربية كى تتدخل بصورة

(1) Muahede Name, Numarasi, 333, Osmanli Arşivi Daire Başkanlığı, Ist.

(2) جريدة الاصلاح عدد ٢٢-١٤١٨ فى ٢٩ جمادى الثانية ١٣٣١هـ
مذكرات سفير اميركا فى الاستانة المستر هنرى مورغنتو
تعمير فؤاد صروف ، ص ١٨ .

(3) جريدة الاصلاح عدد ٢٩-١٤٢٤ فى ٨ رجب ١٣٣١هـ
محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٤٥ .

(4) على حصون : العثمانيون والبلقان ، ص ٢٦١ .

واضحة فى شئون الدولة العثمانية ، الداخلية منها
والخارجية على حد سواء ، رغم هذا كله الا ان تلك الحرب^(١)
التي فملت الولايات الاوربية عن الدولة ، قد قضت على اتجاه
العثمنة ، والجامعة الاسلامية فى اوساط الحكومة العثمانية ،
واتاحت الفرصة لدعاة الجامعة الطورانية ، كي يدعون الى
تدعيم الوطنية المتطرفة ، الداعية الى تفوق القومية
التركية على غيرها من القوميات ، لتفجر هذه الحرب الروح
القومية التركية ، المتمكنة حينذاك فى نفوس اعضاء جمعية
الاتحاد والترقى ، وتزيد من قيمة تلك الجمعيات التي انشأها
الاتحاديون والتي تغلب عليها الميعة القومية المتطرفة مثل
جمعية "ترك اوجاغي" وفروعها المتعددة .^(٢)

غير ان هذا التغيير فى نهج الحكومة العثمانية قد
احدث ردة فعل عنيفة فى المشرق العربى العثمانى ، الذى كان
ينظر الى الدولة العثمانية نظرة تقدير واحترام ،
باعتبارها دولة الخلافة ، والتي تعتبر سلامتها فى المشرق
العربى من اولويات اهتماماته ، ومع ان البعض يرى ان ادخال
بعض العناصر العربية فى الحكومة الاتحادية التي شكلت بعد
معاهدة لندن ، يعتبر استرقاء للعرب وكسب مودتهم ، الا ان^(٣)
العزيمة فى البلقان والاعتراف للبلقانيين بقوميتهم زاد فى

-
- (1) F.O.424/247, No.599, Sir, E.Grey to Sir,
C.Spring-Rice, F.o, 25.7.1913. p.265 .
(٢) احمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٨٠ ؛
مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٢٠١-٢٠٥ ؛
توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٣٢٦-٣٢٧ .
(3) F.O.424/246, No.286, Sir, G.Lowther to Sir,
E.Grey, Constantinople, 19.6.1913. pp.166-167 .

النزعة القومية لدى الترك وشد من ساعد الاتجاه الطوراني ،
وهذا بطبيعة الحال يفرض علينا الإجابة على السؤال الحتمي
البارز على مسرح الأحداث حينذاك وهو ماهية الموقف العربي
في المشرق العربي العثماني ، ومدى استمرار حرص العرب على
سلامة الدولة في ظل نظام الإصلاح المرغوب لديهم والمعروف
- باللامركزية - وهو ما سنتطرق له في الفقرة التالية من
البحث .

(ج) العرب واللامركزية ، سلامة الدولة فى المشرق العربى .

بينما كان تأثير الحرب الايطالية فى طرابلس الغرب قويا ومؤثرا فى شئون البلقان وفى مختلف ولايات الدولة العثمانية فى المشرق العربى العثمانى ، كانت الهزيمة التى تعرضت لها الدولة العثمانية فى حرب البلقان الاولى ذات اثر فعال فى شئون المشرق العربى العثمانى كذلك ، وبرزت على سطح الاحداث التاريخية بعد هاتين الازمتين فكرة اللامركزية الادارية ، التى اخذت مجراها القوى بين دعاة اصلاح العرب ، سيما وان الخوف من انهيار الدولة العثمانية فى المشرق العربى بدأ يزداد لديهم بعد هزائهما فى البلقان .

وبظهور فكرة اللامركزية عند الاملاحيين العرب أصبح المشرق العربى قطب الرحى فى السياسة العثمانية ، وبرز الى حيز الوجود ما عرف بـ "قضية عربية" التى تتضمن بمفهومها الصحيح والواقعى "اللامركزية الكاملة" التى تحفظ للولايات العربية استقلالها ضمن الرابطة العثمانية وفى ظل دولة الخلافة الاسلامية .

وقد كان المفكرون العرب يدركون المؤامرات والاطماع التى تقوم بها الدول الاوربية ضد الدولة العثمانية ، والتى تهدف فى مجملها الى تجزئة الدولة وبالتالي الى انفعال العرب عنها ، مما يسهل من مهمة الاستعمار الاوربى فى تحقيق اطماعه الاستعمارية فى المشرق العربى ، لذا فهم يرون ان اللامركزية هى اصلح شئ لحياة الدولة العثمانية ، وانه

(١) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ، ص ٥٨ .

لاصلاح للدولة بغيرها فهي التي تحفظ كيائها وتقيها شرور
التجزئة والانهييار .^(١)

ورغم أن أحد المؤرخين كان يرى أن الأفكار القومية
واللامركزية كانت تسير جنباً إلى جنب ، في نفوس الغالبية
العظمى من الاملاحيين العرب ، إلا أن القرائن التاريخية تؤكد^(٢)
أن تلك الحقبة الزمنية التي ظهرت فيها فكرة اللامركزية ،
كان الاسلام هو الرابطة الاقوى ، والعرب في غالبيتهم الساحقة
مسلمون ، واتجاههم نحو اللامركزية يهدف في المقام الاول الى
النهوض والمحافظة على سلامة الدولة الاسلامية في المشرق
العربي ، ويعتبر موقف الامام عبد العزيز بن سعود ، الذي^(٣)
وقفه ابان الاعتداء الايطالي على طرابلس الغرب ، حين اظهر
استعداده الكامل لنصرة الدولة العثمانية ، تأكيداً لما
ذهبنا اليه ، سيما وأنه كان يرى أن الدولة العثمانية هي
دولة الخلافة الاسلامية .^(٤)

ثم كانت حرب البلقان الاولى لتؤكد بما لا يدع مجالا للشك
أن العرب يبذلون النفس والنفيس في اعلاء شأن الدولة
العثمانية والخلافة الاسلامية ، وهو ماتمثل في الاقبال
المنقطع النظير الذي شهدته مدن الشام وغيرها ، استجابة^(٥)
لنداء الجهاد الذي وجهه السلطان العثماني حين بدأت الحرب ،

-
- (١) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٥ ، ص ٣٤٤-٣٤٥ .
(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ١٦٣ .
(٣) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ،
ص ١٣٩ .
(٤) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٧١ .
(٥) فوزي أسعد نقيطي : العلاقات السعودية البريطانية
١٩٠١-١٩٤٦ م ، ص ٤٩ .
(٥) جريدة المقتبس عدد ١٠١٢ في ٣ ذي القعدة ١٣٣٠ هـ .
(٥) جريدة المقتبس عدد ١٠١٣ في ٤ ذي القعدة ١٣٣٠ هـ .

وحيث كان الحماس ظاهراً على المسلمين العرب في أثناء توجيههم الى ساحات القتال ، كان المسيحيون في الشام لا يعبأون كثيراً بتلك الحرب او بنتائجها المحتملة ، لان ولاءهم للدولة العثمانية لم يكن بذلك العمق الذي لدى العرب المسلمين ، ولكن الاعمال الوحشية التي ارتكبها البلقانيون ضد المسلمين أثناء الحرب زادت من فزع المسيحيين العرب الذين لجأوا الى مصر ولبنان خوفاً من انتقام العرب المسلمين ، وهو ما لم يحدث بالفعل ، الا ان ذلك الفزع والخوف اتاح الفرصة لرئيس وزراء فرنسا كي يطلب من الحكومة العثمانية تحمل المسؤولية تجاه حماية المسيحيين في الشرق التي يقول عنهم ان فرنسا تعتبر نفسها حامية لهم .^(١)

ومع ان الجنود العرب القادمين من البلاد العربية قد وصلوا الى جبهات القتال ، تأكيداً لولائهم المادق للدولة العثمانية ، الا ان الاحداث الجارية في ولايات الدولة الاوربية ، كان لها مدى عميق لدى رجال الاصلاح العرب ، الذين باتوا يتوجسون خيفة من معيبرهم المنتظر اذا تمزقت الدولة العثمانية بعد هذه الحرب ، مما اوجد لدى تلك الفئة حساً طبيعياً مشتركاً هدفه اتقاء الخطر ، والدفاع عن كيان الدولة العثمانية وتقويتها بتقوية الولايات العربية ، على قاعدة الاصلاح الحقيقي المنطلق من فكرة اللامركزية .^(٢)

-
- (1) F.O.424/236, Enclosure in No.249. Consul Devey to Sir, G.Lowther, Damascus, 14.11.1912. pp.156-157.
 (2) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٤٢٥ .
 (3) جريدة المقتبس عدد ١٠٥٣ في ٢٤ ذي الحجة ١٣٣٠هـ .
 (4) F.O.424/236, No.182, Sir, G.Lowther to Sir, E.Grey, Constantinople, 4.12.1912. p.118.
 (5) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، ص ١٩ .

ومع أن أحد المفكرين العرب قد أبدى انزعاجه الشديد من آثار حرب البلقان على المشرق العربي ، التي تمثلت في البداية بتدخل إحدى الدول الأوروبية فيما أسمته المسألة السورية ، إلا أنه أكد على أن "سورية عثمانية ، ولن تزال كذلك مادام في الدولة العثمانية دماء من الحياة تستطيع بها الذب عن سورية وغيرها ، ... واكثر أبناء البلاد العربية اليوم جنود مدربون في الجيش العثماني" (١) ، لكن دعاة الإصلاح العرب كانوا يرون أن الوحدة العثمانية ، والحفاظ على سلامة الدولة وممتلكاتها الآسيوية لن تكون تكميلاً صحيحاً تماماً إلا بالإصلاحات المنطلقة من قاعدة اللامركزية ، والتي تمنح الولايات العثمانية نوعاً من الاستقلال الذاتي الذي يتيح لها (٢) إيجاد قوة دفاعية أهلية لكل قطر وولاية .

وقد تبلورت حقيقة مطالبة العرب بإجراء الإصلاح على قاعدة اللامركزية منذ أواخر سنة ١٣٣٠هـ وأوائل ١٣٣١هـ في شهر ديسمبر ١٩١٢م ، من خلال مطالبة الوالي العثماني في بيروت لحكومته بإجراء الإصلاحات السريعة لتلك الولايات لكي لا تخرج عن الدولة ، في ظل المؤثرات والتيارات العديدة التي تتجاذبها ، وليس هذا فحسب ، وإنما في تأليف حزب اللامركزية الإدارية العثماني ، الذي أسسه مجموعة من رجالات العرب السوريين في القاهرة في تلك الفترة ، على أثر المخاوف

(١) رفيق العظم : سورية للدولة ، جريدة المقتبس عدد ١٠٥٨ في ٣٠ ذي الحجة ١٣٣٠هـ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج ١١ ، ص ٨٣٤ ؛ مجلة المنار ، المجلد ١٥ ، ج ١٢ ، ص ٩٥٤ .

(٣) محمد كرد علي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٧ ؛ زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية هامش ٤٢ ، ص ٢١٠ .

التي احاقت بقلوبهم على ممير بلادهم حين بدأت الانكسارات في الجيش العثماني الذي يخوض حرب البلقان .^(١)

ومن خلال القراءة المتأنية والواعية للبيان الذي نشرته اللجنة العليا لحزب اللامركزية الادارية العثماني في القاهرة يتبين مدى حرص العرب على سلامة الدولة العثمانية في المشرق العربي ، وانهم لا يهدفون من وراء هذا الحزب الا الحفاظ على كيان الدولة وولاياتها التي يخشى عليها من العدوان الاجنبي كما حدث في طرابلس الغرب ، وقاعدة اللامركزية ستزيد من تماسك اجزاء الدولة التي بدأت في التفكك بسبب قوتى الجذب والدفع بين المركز والاطراف كما يقول البيان ، واللامركزية خير وابقى لهذه الدولة ، وان لم تبادر لها اضمحلت اضمحلالا وانحلت انحلالا لا يرضاه العثمانيون قاطبة .^(٢)

وحيثما اكد رئيس الوزراء الفرنسي تطلع حكومته الى سوريا ولبنان مدعيا ان لها مصالح خطيرة فيهما ، لم يتردد المفكرون العرب في الرد عليه ، مؤكدين ان خير علاج لهذا الداء العفال هو سير الحكومة "على قواعد اللامركزية التي لاعز للخلافة الاسلامية ولاحياة لدولتنا العثمانية ولاقيام لميثقتنا الاجتماعية بغيرها فهي تنقذنا من الموت والانقراض المحققين ، فطالبوا حكومتنا الحاضرة ولا تحسبوا اني اقول لكم ثوروا وارفعوا علم العميان في وجهها ، كلا ثم الف كلا ،

(١) محمد جميل بيهم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣-٢٤ ؛
آرنست. ا. رامزور : المرجع السابق ، ص ٢٦ .
(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٣ ، ص ٢٢٦-٢٢٩ ؛
جريدة الاتحاد العثماني عدد ١٣٣٨ في ١٦ ربيع الاول ١٣٣١ هـ .

لأن حركة مثل هذه تعجل باحتلال الأجانب الواقف امام بيروت لبلادنا ، وانما اقول طالبوا باللامركزية التى يتوقف عليها صلاح دولتنا بسكون وتؤده دون الخروج عن طاعة اولى الامر^(١) ، وهذا الاتجاه يؤكد ارتباط العرب المسلمين بدولة الخلافة الاسلامية ، وهو على النقيض تماما من اتجاه فريق من المسيحيين العرب ، الذين نزعوا الى طلب المساعدة من الغرب والاستقلال عن الدولة العثمانية باى شكل كان .^(٢)

وقد تنبه القنصل الأمريكى فى بغداد الى مشاعر القلق التى كانت تعم العراقيين حين سماعهم لغزائم الجيوش العثمانية فى حرب البلقان ، مبدىا قلقه من ان تُقدم بريطانيا على احتلال تلك البلاد فى تلك الفترة التى شُغِلَتْ فيها الدولة العثمانية ، مما يسهل المهمة البريطانية ، وزادت آثار القلق والخوف عند العرب حينما عاد الاتحاديون الى السلطة ، سيما وان معارضتهم لاصلاحيات المحلية على قاعدة اللامركزية كانت معروفة من ذى قبل ، ويرى القنصل البريطانى فى بيروت حينذاك ان رجوع حزب الاتحاد والحرقي الى الحكم سيوجد آشراً بارزة للأفكار الانفصالية عن الدولة خاصة وان العرب فى بيروت قد شعروا باليأس من تحسن وضعهم ، وان احتلال القوى الأجنبية لهذه المنطقة ماهى الا مسالة وقت

-
- (١) حقى العظم : مقال فى جريدة الاتحاد العثمانى ، عدد ١٣٠٢ فى ٢ صفر ١٣٣١هـ .
 (٢) وجيه كوشرانى : السلطة والمجتمع والعمل السياسى من تاريخ الولاية العثمانية فى بلاد الشام ، ص ١٧٢ .
 جريدة الاهرام عدد ١٠٦٠١ فى ٧ صفر ١٣٣١هـ .
 (٣) خالد حمود السعدون : المرجع السابق ، ص ٣٢١ .

(١) ليس إلا ، ويذهب السفير البريطاني في الاستانة الى نفس الأفكار التي قال بها قنصل حكومته المشار اليه آنفاً ، رغم انه اشار الى وجود لجنة في العاصمة العثمانية تناقش الاصلاحات في الولايات الآسيوية على قاعدة اللامركزية ، لكن اجتماعاتها لاتوحى بالثقة لدى العناصر غير التركية كما يقول ، لان هدفها من ذلك هو كسب التأييد لتقوية مركزها عند تجدد الحرب مع الدول البلقانية .^(٢)

اما الوقائع التاريخية فقد أثبتت صدق ولاء العرب للدولة العثمانية وتمسكهم بالوحدة العثمانية رغم اختلافهم مع جمعية الاتحاد والترقي ، ففي الوقت الذي كان يخوض فيه الجنود العرب معارك حاسمة في البلقان دفاعاً عن الدولة والخلافة ، كان المفكرون العرب ورجال الإصلاح يدعون الى المحافظة على الدولة ، ويؤكدون على أن الهدف من الإصلاح الذي ينشدونه هو قطع الطريق على طمع الطامعين في ولايات الدولة العربية ، وأن بلادهم السورية ستبقى عثمانية يخفق فوقها العلم العثماني الى ما شاء الله ، وكان العرب في الشام قد اثبتوا حسن علاقتهم بالدولة العثمانية حين قرروا

(١) F.O.424/242, Enclosure in No.253, Consul-Generall Cumberbatch to Sir, G.Lowther, Beirout, 20.1.1913. p. 135 .

(٢) F.O.424/242, No.253, Sir, G.Lowther to Sir, E.Grey Constantinople, 7.2.1913. p.135 .

(٣) عبد العزيز سليمان نوار : مصر والعراق - دراسة في تاريخ العلاقات بينهما حتى نشوب الحرب العالمية الاولى ص ٢٧٥ .

(٤) جريدة الاتحاد العثماني عدد ١٣٤٨ في ٢٨ ربيع الاول ١٣٣١هـ .

(٥) جريدة الاتحاد العثماني ، عدد ١٣٤٧ في ٢٧ ربيع الاول ١٣٣١هـ .

، مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٣ ، ص ١٩٢ .

الغاء حزب الحرية والائتلاف فى بيروت فى الرابع عشر من ربيع الأول ١٣٣١هـ - ٢٠/ فبراير ١٩١٣م بعد استئناف الحرب مع الدول البلقانية ، موضحين فى بيان الالغاء حرصهم على سلامة الدولة وتوحيد الجهود فى الاتجاه الصحيح الداعى الى اصلاح البلاد العثمانية^(١) ، وهذا ما أكده أحد المؤرخين على لسان واحد من رجال الحركة العربية اذ قال : " ان فكرة القومية العربية لم تكن قوية بين جموع العرب ، وان كل ما كانوا يطالبون به المساواة مع الترك فى الحقوق والواجبات داخل نطاق الامبراطورية [الدولة العثمانية] ، واقصى ما طالبوا به الاستقلال الذاتى مع استمرار الخضوع للخليفة العثمانى"^(٢) .

لقد أصبحت فكرة الاصلاح على قاعدة اللامركزية قضية شائكة فى السياسة العثمانية ، فمنذ ظهورها على مسرح الأحداث التاريخية مع قيام حرب طرابلس الغرب ومروراً بحرب البلقان ، وحتى قيام الحرب العالمية الاولى ، وهى تستأثر بالحوار الحاد والجاد معا بين مؤيدى هذا الاتجاه ومعارضيه وفى الوقت الذى تهاجم فيه صحيفة بغدادية اللامركزية وتتهمها بأنها تتعارض مع العقيدة الاسلامية ، وتدعو الى تفكك الدولة الاسلامية ، وأنها ستمكن الأجانب من الدخول الى البلاد العربية^(٣) ، كان أحد دعاة الاصلاح العرب يؤكد على أهمية اللامركزية للدولة العثمانية ، نظراً لاتساع مساحتها وتباعد أطرافها وصعوبة المواصلات بين العاصمة والولايات ، ونظراً

(١) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٣٨ فى ١٦ ربيع الأول ١٣٣١هـ .

(٢) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

(٣) محمود صالح منسى : نفس المرجع ، ص ١٦٩ .

لاختلاف اللغات والاديان بين سكان ولايات الدولة العثمانية ، سيما وان من تسند لهم أمور الوظائف القضائية والادارية بعد تخرجهم من مدارس العاصمة هم ابعد الناس عن معرفة احوال تلك الولايات التي يوجهون للعمل بها ، وقد وقفت بعض المحف^(١) العثمانية الى جانب العرب المطالبين باللامركزية ، مؤكدة على ولائهم للدولة وحرصهم على سلامتها وبقائها في المشرق العربي ، وطلبهم للاصلاح انما ينبع من اخلاصهم للدولة ، وخوفهم من ان تتمزق اطرافها وتصبح هدفا سغلا للاجانب .^(٢)

وقد كتب أحد المفكرين العرب المطالبين باللامركزية قبيل معاهدة لندن بين الدولة العثمانية وحكومات البلقان مقالا صريحا يعبر فيه عن خوف العرب من تبعات هذا الملح على البلاد العربية التي قد تجد نفسها ميدا سغلا امام اطماع الدول الاوربية التي يخشى منها ان تعطى حقوقا وامتيازات من قبل حكومة الاتحاديين في عاصمة الدولة ، لتتوسع بالتالى دائرة نفوذهم ويحققوا مآربهم في الولايات العربية .^(٣)

وقد شارك المفكرون الاتراك عبر الصحف التركية بمقالات تدعو الحكومة المركزية في الاستانة بضرورة المسارعة الى حل القضية العربية على قاعدة اللامركزية لكي يستمر ولاء العرب للدولة العثمانية ، وتتم حمايتهم من التدخلات الاجنبية التي قد تجعلهم يقلبون ظهر المجن لدولة الخلافة ويساعدون على

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٥ ، ص ٣٤٥-٣٤٧ .
 (٢) جريدة الاتحاد العثماني عدد ١٣٧٦ في ٢ جمادى الاولى ١٣٣١هـ نقلا عن جريدة اقدام التركية .
 (٣) محمد رشيد رضا : مقال بمجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٥ ص ٣٥٢ .

(١)
تغلغل الاطماع الاوربية فى البلاد العربية ، ومن طرائف الامور
ان نجد فرنسا فى تلك الفترة الزمنية التى يدور فيها هذا
الحوار السياسى - تفرس احد عملائها المسيحيين فى وسط دعاة
الاصلاح العرب المطالبين بفكرة اللامركزية ، لىبدى حماسة
كبيرة فى الحل الفردى الذى يقضى باقتطاع سورية من الدولة
العثمانية والالتجاء الى فرنسا ، الا ان المفكرين العرب
تنبهوا لماحب هذا الاتجاه وامثاله ، وحاولوا التنبيه اليهم
وانهم لايمثلون مطالب العرب واتجاهاتهم التى يدعمون اليها ،
حتى ان بعض المسيحيين اكد للمحافة العثمانية ان غالبية
المسيحيين السوريين لايفكرون فى الانسلاخ عن الدولة
العثمانية ، ولا يريدون الا دعمها وتقويتها بادخال الاصلاحات
الى الولايات العربية على قاعدة اللامركزية ، واتفاقهم مع
المسلمين العرب تاكيد لذلك ، وهو يدرك وابناء عقيدته ان
القوى الاجنبية تتخذ من حماية المسيحيين ستاراً للتدخل .
(٢)
وحين رأى زعماء العرب ان الخطر على الدولة العثمانية
اصبح كبيراً بعد خسارتها للولايات الاوربية ، واندحار جنودها
فى ميادين القتال فى حروب البلقان ، وان هجوم اى دولة
قوية على اطرافها سيمكنها من انتزاع اجزاء اخرى من الدولة
حينئذ سارع زعماء الاصلاح الى تدبير الامر للحيلولة دون

-
- (١) جريدة الاصلاح عدد ١٠-١٤٠٥ فى ١٥ جمادى الثانية ١٣٣١هـ .
(٢) وجيه كوشرانى : بلاد الشام المكان الاقتصاد والسياسة
الفرنسية فى مطلع القرن العشرين ، ص ٢٩٣-٢٩٥ .
(٣) مجلة المنار ، المجلد ١٧ ، ج ٣ ، ص ٢٣٧ ؛
حسان حلاق : المرجع السابق ، ص ٢٩١ .
(٤) من حديث رزق الله ارقش - احد اعضاء الجمعية الاصلاحية
البيروتية - لمدير جريدة الجون تورك ، ترجمته عنها
جريدة الاصلاح عدد ٢٧-١٤٢٢ فى ٦ رجب ١٣٣١هـ .

انهيار الدولة العثمانية ، وتفتت أجزائها ، ووجدوا خير وسيلة لذلك هي القيام بالاصلاحات الفعلية التي تطبق على مبدأ اللامركزية في مصالح الولايات الداخلية المحفة كالادارة والقضاء والتعليم والزراعة والصناعة ، لانها تزيد من عمران الولايات وترقية اهلها ، بحيث تصبح كل ولاية عفوياً قوياً في بنية الدولة ، وتوقف بالتالى التدخلات الاجنبية التي هي بمثابة الاستعمار وتسمى الفتح الملمى ، وهم مع ذلك كله يؤكدون انهم من اشد العثمانيين تمسكا بالجامعة العثمانية واقواهم ارتباطاً بها ، ويرون " ان اللامركزية هي التي تشد اواخى اخاء العرب والترك ، وعدمها هو الذى يُخشى ان يؤدي في اقرب وقت الى شقاق عظيم وفتن خطيرة " .^(١)

وبعد معاهدة لندن التي افقدت الدولة العثمانية معظم اجزائها في اوربا ، تسارعت الاحداث على الدولة العثمانية ، واصبح المشرق العربى مهدداً بالتدخل الاجنبى من قبل الدول الاوربية ، وهذا ما أدركه حينذاك الامام عبد العزيز بن سعود والشيخ مبارك الصباح اللذان كانا شديدى الولاء والتعلق بالدولة العثمانية الاسلامية رغم ما عرفاه عن سلوك جمعية الاتحاد والترقى حينذاك ، غير ان الاطماع والتحركات البريطانية في الخليج العربى ، التي أصبحت معروفة حتى في الاستانة غيرت من موقف هذين الزعيمين .^(٢)

وقد اثبت دعاة اللامركزية من رجال الاصلاح العرب انهم

(١) جريدة الاصلاح عدد ٢٩-١٤٢٤ في ٨ رجب ١٣٣١هـ .
 مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٦ .
 (٢) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٥ ، ص ٣٥٠ .
 (٣) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٧ ، ص ٥٥٩ .

لا يريدون من ذلك النظام الانفعال عن الدولة ، او الدعوة الى عقيدة او جنس او اتجاه سياسى يضعف من كيان الدولة العثمانية ، وانما كان هدفهم الاساسى هو اعطاء الولايات العربية استقلالاً داخلياً فى نطاق الدولة العثمانية على قاعدة اللامركزية كى تمنح الدولة نهضة شاملة تقف من خلالها امام اعدائها وتكسب محبة رعاياها ، وكان بيان حزب اللامركزية الذى اعلنه فى ٩ ذى القعدة ١٣٣١هـ الموافق ٩ اكتوبر ١٩١٣م تأكيداً صادقاً على رغبة العرب فى البقاء تحت راية الدولة العثمانية ، وان الهدف من فكرة اللامركزية هو المحافظة على سلامة العرب بل وسلامة الدولة نفسها ، ولعله من المفيد هنا ان نورد الاصول الاساسية من المطالب العربية التى اشار اليها ذلك البيان :

(١) حرية الشعب فى هيئاته النيابية ، واهمها حريته فى انتخاب اعضاء مجالس الولايات العمومية ومجالس المبعوثان وغيرها ، وجعل جميع قرارات المجالس العمومية نافذة فيما هو داخل فى اختصاصها وهو كل مايتعلق بمصلحة الولايات التى لاتتعلق بالسياسة الخارجية ولاالحربية .

(٢) حريته فى امور المعارف ، واهمها ان يكون التعليم كله باللغة العربية ، وان تناط ادارته بالمجالس المحلية .

(٣) حريته فى امور النافعة والشؤون الاقتصادية بان تكون جميع اعمالها بايدى المجالس المحلية ، الا مايتعلق

(١) جريدة الاصلاح عدد ٤١-١٤٣٦ فى ٢٣ رجب ١٣٣١هـ ؛
جريدة الاصلاح عدد ٥١-١٤٤٦ فى ٥ شعبان ١٣٣١هـ ؛
محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٥٧ .

بالسياسة الخارجية أو الحربية ، فللمجالس العمومية
فى هذا حق الرأى المحترم فقط ، وأما حق التنفيذ فمن
خصائص الحكومة العليا فى العاصمة .

(٤) اعتبار اللغة العربية رسمية فى جميع الولايات العربية
بأن تكون جميع معاملات الحكومة بها فى هذه الولايات ،
فلا يقبل فيها موظف الا من اهلها الذين يحسنونها قولا
(١)
وكتابة .

وكان وزير الداخلية العثمانى طلعت بك قد صرح أمام
الوجهاء العرب ودعاة الإصلاح الذين قدموا الى الاستانة بعد
انتهاء أعمال مؤتمرهم فى باريس ، صرح قائلا : " ان موقفنا
من نظام اللامركزية كان مبنيا على أوضاع الشعوب البلقانية
اننا كنا نعلم نزعات تلك الشعوب ونواياها ، وكنا نخشى ان
يؤدى النظام اللامركزى الى تسهيل وتسريع انفصالهم عنا ،
ولكن الآن وقد انفصلت تلك الشعوب عن الدولة فعلا ، لم نعد
نرى ما يستوجب الاستمرار فى سياسة المركزية التى كنا نتبعها
قبلا ، لاننا نعرف نزعاتكم الحقيقية ، فلانتردد فى المضى
معكم الى آخر حدود التساهل فى سبيل تطمينكم على صيانة
حقوقكم ، لاننا نعتمد على اخوتكم فنستطيع ان نتفاهم معكم
فى جو من المودة المحيطة على سياسة جديدة " .
(٢)

هكذا كان موقف العرب من فكرة اللامركزية التى تنطلق
أساسا من حرصهم الشديد على سلامة الدولة فى المشرق العربى
وتأثرهم بالوحدة الاسلامية التى تربط العرب بالترك فى ظل

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ١١ ، ص ٨٤٩-٨٥٩ .
(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٥٤١-٥٤٢ .

دولة الخلافة ، اضافة الى خوفهم من الوقوع تحت السيطرة الاوربية التى تحاول الاستحواذ على ممتلكات الدولة فى المشرق العربى ، وهذا الموقف يختلف عما نادى به البعض بالقومية العربية دون ربطها بالاسلام ، مما يختلف كل الاختلاف عن الموقف العربى الرئيسى كما عرفناه .

والسؤال الذى فرض نفسه فى هذه الآونة هو : هل مبدأ اللامركزية الذى يطالب به العرب لن تنطوى عليه نحتاج سياسية خطيرة فى املاك الدولة العثمانية فى آسيا كما حدث فى املاكها الاوربية ؟

وقد اجاب على ذلك السيد محمد رشيد رضا احد مؤسسى حزب اللامركزية الادارية فى القاهرة واشهر المفكرين العرب المنادين باصلاح الدولة العثمانية على قاعدة اللامركزية حين قال : " ان طلاب الادارة اللامركزية انما يطلبونها لانهم يعتقدون انها هى المنجية لدولتهم ولبلادهم من الخطر الاجنبى وان البلاد لاتعمر الا بها ، وليس فى مطالبهم شئ يمنع ان تكون مقاليد القوة البرية والبحرية والسياسية للدولة وان تكون فى يد العاصمة " ، وقال : "... وماحضر العرب فى هذه المواضع واهاب بهم الى طلب الاصلاح والدولة تثنى من اثقال الحرب البلقانية التى غلبت فيها على امرها الا لخوفهم ان يكون بقاء الخلل السابق سببا لانحلال الدولة وتقسيم الدول

-
- (١) محمد شفيق غربال : المرجع السابق ، ص ١٤٦ .
 (٢) مجيد خدورى : الاتجاهات السياسية فى العالم العربى ، ص ٣٠-٣١ .
 ، وجيه كوشرانى : بلاد الشام السكان الاقتصاد والسياسة الفرنسية فى مطلع القرن العشرين ، ص ٢٥٤ .
 (٣) مجلة المنار ، المجلد ١٧ ، ج ٥ ، ص ٣٩٨ .

(١)
لها بالفتح السلمى الاقتمادى او الاحتلال العسكرى" .

هكذا اذا كان موقف العرب من الدولة العثمانية حين
برزت القضية العربية الى سطح الاحداث مع حرب البلقان الاولى
وبعدها ، فلم تكن حركتهم فى اطارها العام تدعو الى
الجنسية العربية او الانسلاخ عن الدولة العثمانية ، ولكن
حروب البلقان افقدت الدولة العثمانية الجزء الاكبر من
اقاليمها الاوربية واصبح العرب هم الاكثرية فى الدولة مما
غَيَّرَ البُنْيَةَ الاساسية للدولة العثمانية ، وهو تحول جد خطير
فى تاريخ الدولة .

(د) حرب البلقان الثانية ، معاهدة بوخارست ١٣٣١هـ / ١٩١٣م ؛
فقد الدولة الجزء الأكبر من أقاليمها الأوربية ؛
تغير بنية الدولة ، الاكثرية العربية .

حين أرغمت الدولة العثمانية على خوض غمار حرب
البلقان الأولى ، كانت الدول البلقانية المتحالفة تقف
جميعها ضد الدولة العثمانية ، في محاولة منها لاقتطاع
الولايات الأوربية من أملاك الدولة ، وعندئذ شعر العرب في
المشرق العربي أن اصلاح الدولة على قاعدة اللامركزية سيماعد
بدون أدنى شك على سلامة دولة الخلافة ويزيد من تماسكها
وقوتها أمام الاخطار التي باتت تهددها في أمنها وكيانها .
ولقد تحققت أهداف البلقانيين في معاهدة لندن الموقعة
في ٢٤ جمادى الثانية ١٣٣١هـ / ٣٠ مايو ١٩١٣م التي أنهت
الحكم العثماني في أوربا وأعطت الاستقلال للدويلات البلقانية^(١) ،
تلك المعاهدة التي كان لها شأن كبير في تقسيم الأراضي التي
انتزعت من الدولة العثمانية أثناء حرب البلقان الأولى ،
لتغير من كيان الدولة وبنيتها الأساسية وتفقدتها جل أملاكها^(٢)
الأوربية .

وبدأت الحكومة العثمانية في الاتجاه نحو المشرق
العربي ، ووضع قواعد الاصلاح موضع التنفيذ حيث صدرت
ارادة سنية برقم ١٥٩ في ١٢ جمادى الأولى ١٣٣١هـ تقضى
بالاستمرار في قبول اللغة العربية في المحاكم والمدارس
والمكاتبات في جميع المناطق ذات الاكثرية العربية ، على أن

(1) Barbara, Jelavich : History of The Balkans, Vol,2.
p.95 .

(2) Roderic. H.Davison : Turkey, Ashort History. p.110.

يتعلم الطلاب اللغة التركية ليتمكنوا من تولى الوظائف الحكومية التي تسند اليهم مستقبلا ، كما صدرت ارادة سنية أخرى برقم ١٦٠ وتاريخ ١٢ جمادى الاولى ١٣٣١هـ بتأسيس مدرسة لتخريج العلماء والدعاة والقضاة في المدينة المنورة ، تتولى وزارة الاوقاف بالتعاون مع اعيان المدينة المنورة مهمة انشائها والاشراف عليها ، ويختب المدرسون لها من العلماء المحليين ، على أن يكون التدريس فيها باللغة العربية .^(٢)

أما دول البلقان التي منحتها معاهدة لندن المذكورة اجزاء غالية من ممتلكات الدولة العثمانية في أوروبا ، فقد مزقت الاطماع حلفها وتفرقت كلمتها ، واصبحت مشاكلها تزيد من قلق الدول الأوروبية التي تسعى جاهدة لمساعدة تلك الدويلات على الاستقرار والتعاون ، وكان تلك المعاهدة التي اقتطعت الولايات الأوروبية من الدولة العثمانية جلبت معها تمزيقا لحلف البلقان .^(٣)

سرعان ما دب الخلاف والحسد بين البلقانيين ، وظهر النزاع بينهم على تقسيم غنائم الحرب ، فسارعت اليونان والمرب الى ابرام محالفة بينهما ، أشارت بعض المصادر الى انها دفاعية بحتة ، بينما اشار بعضها الآخر الى انها

(١) دستور - ترتيب ثانى - قوانين ونظامات ومعاهدات ... وإرادات سنية محتويات ، ص ٣١٨ .

(٢) دستور - ترتيب ثانى - ... ص ٣١٩-٣٢٢ .

(3) F.O.424/242, No.206, Sir, E.Grey to Sir, E.Goschen, F.o, 12.2.1913. p.113 .

(4) F.O.424/247, No.34, Sir, E.Grey to Sir, H.Bax-Ironside, 2.7.1913. p.17 .

, Taylor, op.cit, p.496 .

دفاعية هجومية ، وان من بنودها اتاحة الفرصة لرومانيا للدخول فيها ،^(١) أما حكومة الجبل الاسود فقد اكدت على لسان وزير خارجيتها أنها ستنتقم الى جانب الصرب واليونان في حالة قيام حرب بينهما وبين بلغاريا انطلاقا من معاهدتها السابقة مع الصرب ،^(٢) أما العثمانيون فرغم ما قيل من أنهم حاولوا الدخول في هذا التحالف الجديد كي يتمكنوا من استعادة ادرنة من يد البلغار ، الا ان الدلائل التاريخية تؤكد ان اتجاههم الى اوربا لم يعد بترك الاهمية التي كانت لديهم قبل الحرب ، وان اهتمامهم أصبح منصبا على المشرق العربي الذي اضحى يمثل الاكثية العثمانية ، والمستند^(٣) القوى للدولة .

ولقد عم الذعر والفزع العواصم الاوربية حين رأت ان الحلفاء البلقانيين أصبحوا اعداء لبعضهم البعض ، وان الحرب بينهم ستقع في اقرب لحظة ،^(٤) حينذاك اتفقوا على تحديد نطاق الحرب كي لا يتجاوز شبه جزيرة البلقان ، وان تلتزم كافة الدول الاوربية بمبدأ الحياد كي لاتتسع هذه الحرب وتعم اضرارها القارة الاوربية ، سيما وان للحكومات البلقانية^(٥) مكانة خاصة لدى الدول الاوربية .

- (١) جريدة الاصلاح عدد ٢٦-١٤٢١ في ٥ رجب ١٣٣١هـ .
 يوسف .ف. البستاني : المرجع السابق ، ص ٢٩٦ .
 هـ.ج.ولز : المرجع السابق ، المجلد الرابع ، ص ١٤٣٠ .
 (٢) Stavrianos, op.cit, p.538 .
 (٣) جريدة الاصلاح عدد ٤٠-١٤٣٥ في ٢٢ رجب ١٣٣١هـ .
 (٤) F.O.424/246, No.345, Sir, E.Grey to Mr, Carnegie, F.o, 26.6.1913. p. 196 .
 (٥) F.O.424/246, No.353, Sir, E.Grey to Sir, G.Buchanan, F.o. 27.6.1913. p.200 .

وفى ٢٥ رجب ١٣٣١هـ الموافق ٢٩ يونيو ١٩١٣م شنت بلغاريا الحرب على اليونانيين والمربيين بعد منتصف الليل مما جعل الغضب يستبد باليونان والمرب على حليفهما الغادر فحاصر ملك اليونان على رأس جيشه البلغاريين فى سالونيك ، وقام بالتعاون مع المرب بشن حملات ناجحة على الجيوش البلغارية ، حينئذ اشتدت عزائم الحكومة العثمانية ، واستغلت هذه الفرصة وهاجمت أدرنة واستردتها من الجيش البلغارى المنكسر ، أما رومانيا التى كانت تهدف الى تعديل حدودها مع بلغاريا وفق مملحتها ، اضافة الى رغبتها فى حفظ التوازن بين قوات الدول البلقانية فقد حشدت جيوشها على الحدود البلغارية واصلت الحرب الى جانب اليونان والمرب ، وهددت العاصمة صوفيا ، وهكذا وجدت بلغاريا نفسها تقف وحيدة فى وجه حلفائها السابقين اضافة الى الدولة العثمانية ورومانيا ، واستمر القتال اكثر من ثلاثين يوما منيت فيه الجيوش البلغارية بهزائم كبيرة وخسارة فادحة فى العتاد والارواح ، مما حدا بها الى طلب المساعدة من الدول الاوروبية خاصة بريطانيا ، كى تقوم بدور فعال لايقاف هذه الحرب التى لم تعد تتحمل نتائجها بلغاريا بعد ان تدخلت

(١) هارولد تمبرلى و.أ.ج. جرائت : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٥٢

، Taylor, op.cit, p.497 .

(2) Sloane, op.cit, p.199 .

(3) F.O.424/247, No.33, Sir, E.Grey to Sir, H.Bax-Ironside, F.o, 2.7.1913. p.17

، F.O.424/250, Annual, Report, 1913, Mr, Beaumont to Sir, E.Grey, 4.12.1914. p.23 .

(٤) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية - القرن التاسع عشر ١٨١٥-١٩١٤ ، ص ٦٦٤ .

(١)

فيها رومانيا كطرف اساسى .

وكانت الدول الاوربية قد أدركت ان سياسة الحياد وعدم التدخل فى شئون البلقان سيتحرك آثارا سيئة على التوازن الدولى فى القارة الاوربية ، فمن الاولى ان تتفق هذه الدول مع بعضها ، لتحمنح شيئا من الاستقرار لممالحها الاستراتيجية (٢) وعندما تجاوز الجيش العثمانى خط اينوس - ميديا ، الذى قررته معاهدة لندن ، واستعاد العثمانيون مدينة ادرنة تغيرت مواقف أوروبا من تلك الحرب ونتائجها ، رغم ادراكها الكامل ان بلغاريا هى العنصر الاساسى الذى أحدث الارتباك بين المتحاربين ، وهى أول من تذكر لتلك المعاهدة هى وحلفاؤها ، والمخ وزير خارجية بريطانيا الى ذلك الموقف الاوربى الذى يحتم على الدولة العثمانية البقاء محصورة داخل نطاق مقررات معاهدة لندن التى مزقها الحلفاء البلقانيون بانفسهم قبل الدولة العثمانية ، وهو ما حاول ان يشير اليه سفير الدولة العثمانية فى لندن فى رسالته الموجهة الى وزير خارجية بريطانيا حينذاك والتى أكد فيها تصميم حكومته فى المحافظة على عاصمة الدولة وحدودها الآمنة (٣) التى تضمن لها أكبر قدر من السلامة . (٤)

-
- (1) F.O.424/247, No.246, Sir, E.Grey to Sir, H.Bax-Ironside, F.o. 11.7.1913. p.114 .
F.O.424/247, No.245, Sir, E.Grey to Sir, H.Bax-Ironside, F.o. 11.7.1913. p.114 .
(2) F.O.424/247, No.244, Sir, E.Grey to Sir, F.Cartwright, F.o, 11.7.1913. p.114 .
(3) F.O.424/247, No.390, Sir, E.Grey to Sir, H.Bax-Ironside, F.o. 17.7.1913. p.174 .
(4) F.O.424/247, No.460, Tewfikpasha to Sir, E.Grey, Londres, 20.7.1913. p.202 .

وقد أكد سفير روسيا فى الأستانة للمدر الأعظم النزاع حكومته من اقدم الدولة العثمانية على استرداد أدرنة ، فى الوقت الذى قام فيه سفراء الدول الأوربية بإبلاغ المدر الأعظم مواقف دولهم التى تتوافق مع موقف روسيا ، لكن الباب العالى وجه مذكرة الى تلك الدول يلقي فيها تبعة الحرب على بلغاريا ،^(١) والحقيقة التى لا تقبل الجدل هى ان حرب البلقان الثانية ليست الا اكمالاً للحرب الاولى التى اشيرت فى سبيل ايجاد التوازن فى تلك المنطقة ، ولأوروبا علاقة وثيقة بشبه جزيرة البلقان ، جعلها تؤيد مامن شأنه توطيد اركان التوازن فيها ، وهو مادفعها الى عدم التوسط بين المتحاربين .

عقدت الهدنة فى اواخر شهر شعبان ١٣٣١هـ/نهاية يوليو ١٩١٣م على أن تجرى مفاوضات الملح بين كل من بلغاريا من جهة ورومانيا واليونان والمرب والجبل الاسود من جهة أخرى ،^(٢) سيما وأن الحرب قد أوصلت بلغاريا الى مرحلة جعلت الحكومة الرومانية تتعاطف معها وتسعى الى عقد معاهدة الملح التى تنقذها من الدمار كما يقول السفير الرومانى فى لندن .^(٣)

وقد بدأت أعمال مؤتمر الملح فى بوخارست عاصمة رومانيا ، وطلبت الدولة المضيغة من الدول الأوربية العظمى ممارسة نفوذها لإرغام الدولة العثمانية على الانسحاب من

(١) جريدة الأهرام عدد ١٠٧٥٩ فى ١٧ رجب ١٣٣١هـ ؛
يوسف ف. البستاني : المرجع السابق ، ص ٢٩٨ .
(٢) فؤاد المرسى خاطر : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ ؛
محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ٣٤٦ .
(٣) F.O.424/247, No.597, Sir, E.Grey to Sir, G.Barclay,
F.o, 25.7.1913. p.263-264 .

(١)
أدرنة والالتزام بمقررات معاهدة لندن ، فى الوقت الذى كان
رئيس الوزراء اليونانى يطلب من سفير بريطانيا فى بوخارست
أن يلتمس باسم حكومته من كافة الدول الأوروبية عدم التدخل
فى بنود التصوية التى سيقراها مؤتمر الملح لأن ذلك سوف يطيل
حالة القلق فى شبه جزيرة البلقان ويزيد من التفكك والاختلاف
بين المؤتمرين ، وهو ما أخذت به كل من بريطانيا وفرنسا
حينذاك ، لأن رغبتهما كما عبر عنها المسؤولون فى الحكومتين
هى استتباب الأمن والسلام فى البلقان وحفظ التوازن بين
الدول الأوروبية فيها .^(٢)

اجتمع سفراء الدول الأوروبية فى الاستانة فى مقر
السفارة النمساوية ، واتفقوا على مخاطبة الباب العالى
بضرورة إعادة المناطق التى تم استرجاعها من وراء خط
أينوس - ميديا ، مهددين الدولة العثمانية إذا أمرت على
موقفها ، بسحب الوعد الأوروبى بتقديم مساعدات مالية للدولة
العثمانية ، ولكن الباب العالى سارع بإرسال مذكرة الى تلك
الدول أعلن فيها أن الحكومة العثمانية قد قررت الاحتفاظ
بمدينة أدرنة .^(٣)

- (١) جريدة الاهرام عدد ١٠٧٧١ فى ٣ رمضان ١٣٣١هـ .
(2) F.O.424/248, No.124, Sir, G.Barclay to Sir,
E.Grey, Bucharest, 7.8.1913. p.63 .
(3) F.O.424/248, No.135, Sir, E.Grey to Sir, F.Bertie
F.o, 7.8.1913. p.66 ,
F.O.424/248, No.136, Sir, E.Grey to Sir,
G.Barclay, F.o, 7.8.1913. p.66 .
(4) F.O.424/248, No.302, Mr, Marling to Sir, E.Grey,
Constantinople, 8.8.1913. p.181 .
جريدة الاهرام عدد ١٠٧٧٤ فى ٦ رمضان ١٣٣١هـ .

فى الساعة العاشرة والنصف من صباح اليوم الثامن من شهر رمضان ١٣٣١هـ الموافق للعاشر من أغسطس ١٩١٣م ، وقعت معاهدة بوخارست بين ملك البلغار من جهة وملكوك الصرب واليونان والجبل الاسود ورومانيا من جهة أخرى ، منهيّة بذلك حرب البلقان الثانية ، وتضمنت هذه المعاهدة عشر مواد أرغمت بلغاريا بموجبها على التنازل عن كثير من مكتسباتها فى حرب البلقان الاولى ووضعت حدوداً جديدة بينها وبين الدول البلقانية الاخرى التى فازت بنصيب الأسد فى هذه الحرب .^(١)

ويذهب احد المؤرخين الى أن بلغاريا كانت تعلق الآمال على اختلافات الدول الاوربية ، وتمنى نفسها بتعديل هذه المعاهدة ، ولكن آمالها ذهبت ادراج الرياح ، واذا نظرنا الى آفاق الجو السياسى الذى عاشته أوروبا حينذاك نجد أن هذا الاتجاه كان هو المسيطر على أجواء السياسة الاوربية ، حيث دارت مكاتبات عدة بين الساسة الاوربيين ، وامتلات العواصم الاوربية بالمناقشات والحوار الجاد حول ضرورة اعادة النظر فى معاهدة بوخارست من عدمه ، غير انها لم تترجم على أرض الواقع الملموس .^(٢)

-
- (1) F.O.424/248, No.312, Mr. C.Barclay to Sir, E.Grey Bucharest, 14.8.1913. pp.191-192
, F.O.424/248, Enclosure in, No.312, Treaty of Peace pp.192-195 .
(٢) يوسف .ف. البستاني : المرجع السابق ، ص ٢٩١، ٢٨٨ .
(3) F.O.424/248, No.218, Sir, E.Grey to G.Buchanan, F.o, 11.8.1913. p.108
, F.O.424/248, No.219, Sir, E.Grey to Mr. Crackan Thorpe, f.O. 11.8.1913. P.108
, F.O.424/248, No.264, Sir, G.Buchanan to Sir, E.Grey, St. Peters burgh, 14.8.1913. p.152 .

لقد خلقت معاهدة بوخارست مشاكل جديدة لأوروبا ، وزادت من مشاعر القلق لديها ، فكل دولة تحاول أن تعدل هذه المعاهدة وفق مصالحها الخاصة وأهدافها المحددة ، إلا أن تلك المعاهدة تركت لبلغاريا المرارة والجراح وسلبتها ماكانت تعتقد أنه يخصها ، فهي إذا لا تتوقع أن يكون هناك سلام دائم مادامت تلك المعاهدة باقية ، أما الدولة العثمانية التي لم تشترك في تلك المعاهدة أصلا فإنها تشعر بمرارة أكثر لأن تلك المعاهدة سلبت ونهبت أملاك الدولة في أوروبا حيث دعت إلى تطبيق معاهدة لندن على الدولة العثمانية وحدها ، أما الدويلات البلقانية الأخرى فقد زادت مكتسباتها مع تلك المعاهدة .^(١)

وفي ٢٨ شوال ١٣٣١هـ الموافق ٢٩ سبتمبر ١٩١٣م وقعت الدولة العثمانية مع بلغاريا معاهدة القسطنطينية المعروفة والمشملة على عشرين مادة وخمسة ملاحق ، استعادت الدولة بمقتضاها جزءاً من منطقة تراقية يشتمل على أدرنة وقرق كليسا وخط آينوس - ميديا ومايليها من ضواحي الآستانة^(٢) وليس هناك من شك في أن توقيع الدولة العثمانية لمعاهدة القسطنطينية يعتبر كسبا كبيرا لها ، خاصة أنها أنهت تلك الشروط القاسية التي فرضتها عليها معاهدة لندن ، ودعمتها معاهدة بوخارست ، ومهما كان مقدار الكسب المادي الذي حصلت عليه الحكومة العثمانية باسترجاع بعض أراضيها في منطقة

(1) Stavrianos, op.cit, p.540-541
 , Taylor, op.cit, p.498 .
 (2) Muahede Name, Constantinople,
 , Osmanli, Arşivi Daire Başkanlığı, Ist .

تراقية ، فان مكسبها الحقيقي هو ارتفاع مركزها الادبي لدى الدول الاوربية ، ولدى العثمانيين انفسهم .

وعندما تسارعت الاحداث على الدولة العثمانية في اجزائها الاوربية الباقية ، وبدأت اليونان تحرشاتها العسكرية ، دارت مفاوضات في اثينا بين الجانبين في الفترة من ٢ - ١٥ ذى الحجة ١٣٣١هـ الموافق ١ - ١٤ نوفمبر ١٩١٣م انتهت بتوقيع معاهدة اثينا بين الدولة العثمانية واليونان وقد التزم الطرفان بموجب المادة الخامسة عشر من هذه المعاهدة بالمحافظة على نصوص معاهدة لندن التي وقعتها الدولة العثمانية مع الحلفاء البلقانيين في حربهم الاولى ، ولعل في ذلك دلالة واضحة على مدى الضعف الذي وصلت اليه الدولة العثمانية التي أصبحت المعاهدات التي توقعها تُملَن عليها من اعدائها وهذا ما لم يكن في عصر القوة من تاريخ الدولة .

لقد كانت حروب البلقان كارثة عظيمة حلت بالدولة العثمانية حيث فقدت فيها الجزء الاكبر من ممتلكاتها الاوربية ، اذ انسلخت منها ولايات - قوصوه ، واشقودره ، ويانينا ، ومناستير ، وسالونيك ، لتصبح الدولة العثمانية هي الدولة الوحيدة الخاسرة في حروب البلقان ، اذ فقدت من

(1) F.O.424/250, Annual, Report, 1913, Mr, Beaumont to Sir, E.Grey, 4.12.1914. p.22

، جريدة الاملاح عدد ١٣٦-١٥٣١ في ٢٠ ذى القعدة ١٣٣١هـ .
(2) Muahede Name, Numarasi, 234. Osmanli Arşivi Daire Başkanlığı. Ist .

(٣) محمد كرد علي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٧
، محمد رفعت: تاريخ حوض البحر المتوسط وثاراته السياسية ، ص ٨٣ .

(١) الناحية السكانية ٤٢٣٩٢٠٠ وبقي لها ١٠٨٨٢ ميلا مربعا ، اى ان نسبة ما فقدته العثمانيون من املكهم الاوربية وفق التقارير الدولية التى صدرت عن حروب البلقان بلغ ٨٣% من الاراضى ، و٦٩% من السكان ، وهكذا اقتصرت املك الدولة العثمانية فى اوربا على منطقة صغيرة حول العاصمة استانبول بينما بقى لها فى آسيا الاناضول وبلاد الشام والعراق والحجاز مع اعتراف اسمى بسيادتها على جنوب وشرق الجزيرة العربية ، وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه هنا من ان بنية الدولة العثمانية بعد حروب البلقان قد تغيرت واصبحت الاكثرية للولايات العربية .

وعندما حولت حروب البلقان الدولة العثمانية الى دولة ذات اكثرية عربية كما اوضحنا فان ذلك يعنى ظهور نتائج عدة من اهمها التركيز على ممتلكات الدولة فى المشرق العربى ، وظهور ردود فعل مختلفة لدى العرب للمحافظة على بلدانهم وعلى مابقى من الدولة العثمانية وهو ما تمثل فى الجمعيات العربية التى تطالب بالاصلاح داخل الدولة وفى الولايات العربية ، وبدأت مطالب العرب الاصلاحية تزداد قوة حتى ان البعض كان يرى وجوب تحول الدولة العثمانية الى دولة ثنائية "تركية - عربية" على غرار دولة النمسا - المجر ، (٤) والهدف من ذلك بطبيعة الحال هو المحافظة على دولة الخلافة

(1) Marriott, op.cit, p.466 .

(2) Stavrianos, op.cit. p.540 .

(٣) عبد الكريم رافق : المرجع السابق ، ص ٥٤٤ .

(٤) ساطع الحمصى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ١١٠ .

محمد جميل بيهم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥ .

الاسلامية فى المشرق العربى ، مع منح العرب نوعا من الاستقلال الذاتى على قاعدة اللامركزية ^(١) ، اذ كان اهم مايشاه العرب حينذاك هو ان يحل النفوذ الاجنبى الاستعمارى محل الدولة العثمانية ^(٢) ، التى كانت ترتبط مع العرب برابطة الدين والتاريخ المشترك .

اما العناصر المسيحية التى طالبت بحماية فرنسا ووضع ولاية بيروت تحت المراقبة الفرنسية وماالى ذلك من المطالب التى تحررهم من سيادة الدولة العثمانية كما يقولون فى رسالتهم الموجهة الى قنصل فرنسا فى بيروت ، فانهم لايمثلون ^(٣) الراى الغالب فى المشرق العربى ، الذى لم يهدف فى جميع مطالبه الاصلاحية الى الخروج عن الدولة العثمانية ، والوحدة الاسلامية ^(٤) ، وانما كان هدف الغالبية العظمى من العرب هو اصلاح الدولة على قاعدة اللامركزية ، سيما وان العرب اصبحوا هم العنصر الاكثر والفعال فى تكوين الدولة ، بعد انسلاخ الولايات البلقانية من الدولة فى حروب البلقان .

وقد لعبت الجمعيات العربية والهيئات الفكرية دوراً بارزاً فى اظهار مطالب العرب ، وهو مااستحدث عنه فى الفصل القادم .

-
- (١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٥٥٧-٥٥٨ ،
آرنست .ا. رامزور : المرجع السابق ، ص ٢٧-٢٨ .
(٢) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٥٨ .
(٣) وجيه كوثرانى : بلاد الشام السكان الاقتصاد والسياسة
الفرنسية فى مطلع القرن العشرين ، ص ٢٦٩-٢٧٣ .
(٤) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ١٧٨ ، ١٨٣ .

الفصل الثالث

دور الفعل المباشرة لحروب البلقان

- أ - جمعية بيروت ، برنامجها .
- ب - جمعية العربية الفتاة ، باريس ، بيروت ، دعوتها لمؤتمر باريس .
- ج - مؤتمر باريس ١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م : إجتماعاته ، برنامجها ، قراراتها .
- د - حركة البصرة .
- هـ - تزايد أخطار التمزق الداخلي في الدولة والأنشطة المناوئة للدولة الإسلامية .

(١) جمعية بيروت ، برنامجها .

كانت اشار حرب البلقان على الدولة العثمانية خطيرة جدا ، اذ انها اظهرت الخلل والضعف فى ادارة الجيش العثمانى ، وكشفت للامة العثمانية ان الانحلال والتفتت فى اجزاء الدولة العثمانية بات وشيكا ، مما يعنى كثرة الاطماع الاجنبية فى الدولة العثمانية وولاياتها وخاصة اطرافها ، فهى لم تستطع ان تحافظ على الولايات البلقانية التى تعتبر سياجا وخط دفاع اخير لعاصمة الدولة العثمانية من التهديد الاوروبى ، فكيف بها والحال هذه - تستطيع ان تدافع عن الولايات البعيدة عن العاصمة - كالولايات العربية فى المشرق العربى العثمانى .

وكان دعاة الاصلاح فى الولايات العربية قد انتهزوا فرصة انتقال مقاليد الحكم فى عاصمة الدولة الى حزب الحرية والائتلاف قبيل حرب البلقان ، وطالبوا باصلاح ولايات الدولة على قاعدة اللامركزية ، لأن ذلك ادعى الى عمران تلك الولايات واستعدادها للدفاع عن نفسها حين الحاجة ، وكانت اتجاهات الحكومة تؤيد هذه الفكرة وترغب فى تطبيقها فى جميع ولايات الدولة العثمانية .^(٢)

وكتب الوالى العثمانى فى بيروت الى المدر الاعظم فى شهر محرم ١٣٣١هـ / ديسمبر ١٩١٢م كتابا يؤكد فيه تآثر العرب بنتائج حرب البلقان الاولى وهزائم الدولة فيها ، مشيراً الى

(١) آرنست . ا. رامزور : المرجع السابق ، ص ٣٢ ؛
مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٦ .
(٢) عبد العزيز محمد عوض : المرجع السابق ، ص ٥١ .

ان الاطماع البريطانية والفرنسية أصبحت واضحة تجاه الولايات العربية ، وان ردود الفعل لحروب البلقان لدى العرب يخشى ان تؤدى بهم الى الارتقاء فى أحضان الغرب ان لم تسارع الدولة باجراء الاصلاحات فى تلك الولايات على قاعدة اللامركزية ، وكان رد المصدر الأعظم ايجابيا ، حيث طلب من الوالى دعوة مجلس الولاية للاجتماع وتقديم مطالبهم الاصلاحية الى الحكومة ، وعقد المجلس العام لولاية بيروت جلسته الاولى فى ٤ صفر ١٣٣١هـ الموافق ١٢ يناير ١٩١٣م ، فى مقر بلدية بيروت ، وفى نهاية اجتماعات المجلس تشكلت لجنة عاملة من ٢٥ عضواً ، سميت باسم الجمعية العمومية الاصلاحية ، وتحددت مهمتها فى صياغة لائحة المطالبات الضرورية لاصلاح الولاية ^(١) .

وكانت اللجنة العاملة مؤلفة من اثنى عشر مندوباً من الطائفة الاسلامية واثنى عشر آخرين من الطوائف المسيحية ، ونائب من الطائفة الاسرائيلية ، لوضع لائحة بالاصلاح اللازم للولاية وملاحقة تنفيذها بعد عرضها على الجمعية العمومية ^(٢) ، ولعل مايلفت النظر فى ذلك هو تساوى عدد الاعضاء المسيحيين مع المسلمين فى اللجنة العاملة ووجود عضو اسرائيلى من اعضائها ، وهذا بطبيعة الحال شئ طارىء ودخيل على الدولة وعلى نظمها الاسلامية ، وحدث غريب فى المشرق العربى الاسلامى .

(١) محمد كرد على : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٧ ، مصطفى الشهابى : القومية العربية - تاريخها وقوامها ومراميها - ، ص ٨٢ ،
 زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ، ص ٩٨ ،
 (٢) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٠٥ ، ص ١-٢ ، فى ٦ صفر ١٣٣١هـ ،
 جريدة الاهرام عدد ١٠٦٠٣ فى ٩ صفر ١٣٣١هـ .

استمرت اجتماعات الجمعية العمومية الإصلاحية تلك طوال الفترة من ٦ - ٢٠ صفر ١٣٣١هـ ، الموافق ١٤ - ٢٨ يناير ١٩١٣م ، لتضع لائحته الإصلاحية المطلوبة والمشملة على خمس عشرة مادة ، ومادة أساسية استهلكت بها تلك اللائحة ومؤكدة فيها أن الحكومة العثمانية حكومة دستورية نيابية .^(١)

وقد قرئت هذه اللائحة على الهيئة العمومية للجمعية الإصلاحية ، واقرتها وصدقت عليها بالاجماع فى اجتماع عام عقد فى الثالث والعشرين من شهر صفر ١٣٣١هـ الموافق ٣١ يناير ١٩١٣م ، وكانت مواد هذه اللائحة التى هى عبارة عن البرنامج الكامل لجمعية بيروت تمثل الاتجاهات والمطالب الإصلاحية التى يسعى اليها العرب على قاعدة اللامركزية ، والتى زادت حروب البلقان وانكسارات الدولة فيها من اصرارهم عليها ، والمطالبة بتطبيقها عمليا ، لأنها ستساعد ولايات الدولة على التمدد للاخطار التى تهددها .

وقد نمت المادة الاولى على تقسيم الولاية الى قسمين ، قسم يتعلق بكيان السلطة وشئوننا الاساسية كالخارجية والعسكرية فهذه من مهمة الحكومة المركزية ، أما القسم الثانى وهو مايتعلق بالاعمال المحلية والشئون الداخلية للولاية ، فيكون من مهمة مجلس الولاية العمومى ، أما المادة الثانية فقد تحدثت عن الوالى وحقوقه ووظائفه ، حيث منحت الوالى مفتحين قانونيتين هما تمثيل الحكومة المركزية ، وتمثيل حكومة الولاية التى يراسها ، ومنحته خمسة حقوق من

(١) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، ص ١٣٨ ، جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٢٤ فى ٢٨ صفر ١٣٣١هـ .
(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٤ ، ص ٢٧٥ .

أهمها الاعتراض على قرارات المجلس العمومى وفق شروط محددة وتعيين المتصرفين والقائمقامين والمديرين بعد عرض أسمائهم على الحكومة المركزية .

أما المادة الثالثة فقد نمت على حقوق ووظائف المجلس العمومى للولاية الذى سيؤلف من ثلاثين عضواً ينتخب نصفهم من المسلمين ونصفهم الآخر من غير المسلمين لمدة أربع سنوات على أن ينتخب رئيسهم من بينهم بالاقتراع السرى ، ومن أهم حقوق المجلس العمومى ، تقرير جميع أعمال الولاية الداخلية ، ووضع الأنظمة الداخلية بشرط أن لاتمس شئون السلطنة العامة ، وعقد القروض التى لاتتجاوز قيمتها نصف الواردات المختمة بالولاية ، أما القروض التى تتجاوز هذا فيلزم لها مصادقة الحكومة المركزية ، على أن لايتدخل المجلس العمومى فى الشئون السياسية العامة مطلقاً .

فى حين أعطت المادة الرابعة لقرارات المجلس العمومى حق التنفيذ ما لم يعترض عليها الوالى بمصادقة مجلس المفتشين - الذى سيجىء ذكره فى المادة الثالثة عشرة - خلال أسبوع من تاريخ تبليغه إياها ، بينما أعطت المادة السادسة للحكومة المركزية حق تعيين الوالى وحاكم الشرع ورؤساء العدلية من مركز الولاية وقومندان الجندرية ، وهباطها ، أما بقية الموظفين فقد نمت نفس المادة على أن يكونوا من أهالى البلاد ويتم تعيينهم وفق شروط محددة .

وطالبت المادة السابعة من برنامج الجمعية الإصلاحية فى بيروت ، الحكومة المركزية بتعيين مستشارين ومفتشين من الأجانب على شرط معرفتهم إحدى اللغات الثلاث العربية أو

التركية او الفرنسية ، وعينت لهم مراكز وادارات خاصة يعملون بها ، على أن يكون لكل لواء من ألوية الولاية مفتش اجنبي يحق له تفتيش اية دائرة فى اللواء ، ويكون مرجعه مستشار مركز الولاية ، على أن يلبس هؤلاء المستشارون الشعار العثمانى فى اوقات العمل ، بينما نصت المادة الثالثة عشرة على تأليف مجلس يسمى مجلس المفتشين يشكل اعضاءه من رئيس المجلس العمومى وجميع مستشارى الدوائر فى مركز الولاية ، وللمجلس اربع وظائف من أهمها : تفسير مواد النظام الذى تضعه الحكومة المركزية - بناء على هذه اللائحة - كدستور لحكومة الولاية ومجلسها العمومى ، وتفسير القرارات والانظمة التى يضعها المجلس العمومى .

اما المادة الرابعة عشرة فقد اكدت على أن اللغة المحلية تعتبر اللغة الرسمية فى جميع المعاملات داخل الولاية ، وتعتبر اللغة العربية لغة رسمية كاللغة التركية فى مجلس النواب والاعيان ، فى حين كانت المادة الخامسة عشرة تنص على تخفيض الخدمة العسكرية الى سنتين ، وتقضى (١) الخدمة فى أيام السلم فى الولاية .

ومن خلال قراءتنا لبرنامج جمعية بيروت ، يتبين لنا أن اللامركزية هى الأساس الذى ارتكزت عليه مطالب واضعى البرنامج ، وأن الولاء للدولة العثمانية كان هو السمة المميزة لمواد البرنامج ، وأن الانسلاخ عن الدولة لم يراود

(١) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٢٤ فى ٢٨ صفر ١٣٣١هـ ،
جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٢٥ فى ٢٩ صفر ١٣٣١هـ ،
مجلة المنار المجلد ١٦ ، ج ٤ ، ص ٢٧٥-٢٧٩ ،
مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، ص ١٣٨-١٤٤ ،
محمد عزة دروزة : المصدر السابق ، ص ٤٠٠-٤٠٥ .

اعضاء الجمعية المطالبين بالاصلاح ، رغم ماأخذ عليهم من اعطاء المستشارين الاجانب كثير من الحقوق التى ستفتح لهم المجال للتدخل فى شئون الولاية وتنظيماتها ، وكان السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار والعضو البارز فى حزب اللامركزية الادارية فى مصر ، اول المنتقدين لبعض بنود برنامج الجمعية الاصلاحية فى بيروت خاصة فيما يتعلق باعطاء المستشارين الاجانب بعض الحقوق التى لاتخدم الولايات المطالبة بالاصلاح ، ولاتخدم الدولة العثمانية باى شكل من الاشكال ، وهذا مالفت نظر القنصل البريطانى فى بيروت الذى قال فى رسالة بعثها الى حكومته حينذاك : " اطرف مطلب من مطالب الاصلاح استقدام خبراء ومستشارين ومفتشين من الاجانب" .^(١)

والحقيقة التى لاتقبل الجدل ان الحركة التى قامت فى بيروت بواسطة - الجمعية الاصلاحية - كانت شبيهة الى حد كبير بحزب اللامركزية الادارية العثمانى فى القاهرة ، فكلاهما ينشد الاصلاح للولايات العربية على قاعدة اللامركزية ، والدوافع التى حفزتهم الى ذلك واحدة ، وهى قيام حرب البلقان ، وتقهقر الجيوش العثمانية فيها ، مما زاد خوف رجال الاصلاح العرب ، الذين يعرفون اطماع اوربا فى المشرق العربى العثمانى .^(٢)

وقد شكل الوالى العثمانى لجنة خاصة تحت رئاسته لتضع لائحة اصلاحية للولايات على قاعدة اللامركزية ، ووضعت اللجنة

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٤ ، ص ٣١٢-٣١٤ .
 (٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ، ص ٩٨ .
 (٣) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

تلك لائحة اصلاحية مماثلة لتلك اللائحة التي وضعتها اللجنة
الاصلاحية فى جمعية بيروت ، الا انها تختلف عنها فى بعض
البنود ، حيث انها تتكون من اثنتى عشرة مادة فقط ، تختلف
فى الالفاظ وبعض المعانى عن برنامج اللجنة الاصلاحية ، اذ
انها حصرت المستشارين الاجانب فى رعايا الولايات المتحدة
والدول الثانوية التى لاممالح لها فى البلاد ، وحدت من
ملاحيات البلديات ، وقصرت اللغة الرسمية على اللغة التركية
مع اجازتها لاستعمال اللغة المحلية فى نفس الولايات ،
ولم تخطر البتة الى قضية الخدمة العسكرية .^(١)

وموافقة الحكومة العثمانية على برنامج الاصلاح الذى
يطالب به العرب يؤكد مذهبنا اليه من ان ردود الفعل
المباشرة لحروب البلقان فى المشرق العربى العثمانى لم تعد
تقتصر على دعاة الاصلاح من العرب وانما تجاوزت ذلك لتؤثر فى
الوالى العثمانى نفسه وفى الحكومة العثمانية ذاتها لتحتم
الاستجابة السريعة لمطالب العرب الاصلاحية على قاعدة
الامركزية ، لان فى ذلك حماية لتلك الولايات من الاخطار
الاجنبية بعد ان ظهر ضعف الدولة وتأثرها من حروب البلقان .
وقد قام الوالى العثمانى فى دمشق بدعوة الاعيان ورجال
الاصلاح فيها لانتخاب لجنة تقوم باعداد لائحة مماثلة تحدد
المطالب الاصلاحية فى تلك الولاية ، وتم تقديم اللائحة التى
تضمنت ايجاد مجلس عمومى منتخب له حق الاشراف على جميع
اعمال الادارة المحلية ، كما تضمنت فصل البلديات عن الادارة

(١) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣١٢ فى ١٤ صفر ١٣٣١هـ ؛
جريدة الاهرام عدد ١٠٦١١ فى ١٩ صفر ١٣٣١هـ ؛
مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، ص ١٤٤-١٥٠ .

المحلية ، وأن يعين موظفو الولاية من أبناء البلاد تحت مراقبة المجلس العمومي ، ومن لا يعرف اللغة العربية وجب عليه تعلمها لأنه لا يجوز استعمال غيرها في المحاكم كما نصت
(١)
اللائحة .

ولكن الأحداث تطورت سريعاً في الدولة العثمانية إذ عاد الاتحاديون إلى الحكم في ١٥ صفر ١٣٣١هـ الموافق ٢٣ يناير ١٩١٣م قبيل الانتهاء من إعداد اللوائح الخاصة بولاية بيروت، مما دفع المعنيين بالأمر إلى الإسراع في إعداد لائحهم ، وتقديمها إلى الوالي العثماني الجديد الذي ينتمي إلى جمعية الاتحاد والترقي ، والتي لا تشجع بطبيعتها الإصلاحات على قاعدة اللامركزية ، ولكن الوالي الجديد وعد رجال الإصلاح العرب بدراسة اللوائح التي تعبر في شكلها العام عن ولاء العرب للدولة العثمانية ، وخوفهم من الاحتلال الأجنبي ، كما قال الأعفأ عند مقابلتهم للوالي .
(٢)

ومع أن الصحافة البيروتية حينذاك أرسلت إلى المسيو بوانكاريه تهنئتها له بمناسبة تسلمه رئاسة الجمهورية في فرنسا تعبيراً منها لمواقفه من مسألة الإصلاح في لبنان ، إلا أن الأعفأ المسيحيين في الجمعية الإصلاحية في بيروت كانوا يقومون باتصالات سرية مع فرنسا ، يطلبون فيها فرض سيطرتها على البلاد السورية عامة ، حيث قدم مجموعة منهم
(٣)
(٤)

-
- (١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٤٥٦ .
عبد العزيز محمد عوض : المرجع السابق ، ص ٥٠-٥١ .
(٢) محمد عبد الرحمن برج : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .
حسان حلاق : المرجع السابق ، ص ٢٨١ .
(٣) جريدة الاتحاد العثماني عدد ١٣١٢ في ١٤ صفر ١٣٣١هـ .
(٤) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، ص ٢٣ .

خطابا الى قنصل فرنسا العام فى بيروت يظهرون فيه حبهم لفرنسا التى يعتبرونها حامية المسيحيين العثمانيين ووطنهم بالتبلى ، ثم عرضوا على القنصل الفرنسى ما اسموه بوضع المسيحيين العثمانيين ، الذى سيتفاقم بشكل هائل على اثر الحرب البلقانية والهزائم العثمانية فيها والتى ستكون عواقبها المباشرة فى نظرهم هى : زيادة الضرائب ، التى ستعتمد لها الدولة العثمانية بسبب خسارتها لولاياتها الاوربية ، ومعظم هذه الضرائب ستقع على كاهل المسيحيين؛ وتشجيع هجرة مسيحيى سورية ، نظرا لقدم أعداد هائلة من المسلمين فى مقدونيا وتراقية منذ اندلاع حرب البلقان ، والدولة العثمانية تشجعهم على الهجرة الى سورية ، مما سيؤدى الى اختلال فى التوازن بين عدد المسلمين وعدد المسيحيين فى سورية ، وما اسموه التعصب الاسلامى سيما وان حرب البلقان تعتبر حربا دينية صليبية ، او انها حرب المسيحية المتحالفة ضد الاسلام ، لذلك فهم يرون ان الحلول المناسبة تتمثل فى ثلاثة بنود هى : اما بسط الحماية الفرنسية على سورية ، واما الحكم الذاتى لولاية بيروت تحت حماية فرنسا ورقابتها الفعليتين ، واما ضم ولاية بيروت الى لبنان على ان يوضع معا تحت الرقابة الحقيقية الفرنسية .^(١)

هكذا كانت ردود الفعل لحرب البلقان ظاهرة على المسيحيين العرب وقالوا بها مراحة ، ولكنهم مع الاسف الشديد خرجوا عن اتفاقهم مع العرب المسلمين ، الذين كانوا

(١) وجيه كوثرانى : بلاد الشام ... ، ص ٢٦٩-٢٧٣ ، نقلا من أرشيف الخارجية الفرنسية ، مجلد ١٢٠ ، ص ٥٩-٦٢ .

ينشدون الإصلاح فى ظل الدولة العثمانية ، كى يامنوا على بلادهم من التدخل الأجنبى بعد أن ظهر عجز الدولة وضعفها فى حرب البلقان ، بينما كان المسيحيون يبحثون عن التدخل الأجنبى والخضوع له ، لأنه فى نظرهم أفضل من الدولة العثمانية المسلمة ، وهذا الاتجاه لدى المسيحيين عكس مذهب اليه القنصل الأمريكى فى بيروت الذى رأى أن الوحدة بين المسلمين والمسيحيين أمر لم يسبق له مثيل ، وأى رفض لمطالبهم من قبل الدولة العثمانية سيؤدى الى أزمة خطيرة على حد قوله .^(١)

تطورت الدعوة الى الإصلاح اللامركزى فى سورية وبيروت تطورا سريعا ، ورفض بعض أعيان العرب العمل فى الحكومة مالم توافق الدولة على الإصلاح الذى أقر فى برنامج الجمعية الإصلاحية ، بينما أوضح لهم الوالى العثمانى أن بنود اللائحة الإصلاحية التى تطالب بالاعتماد على المستشارين الأوربيين ستكون لها نتائج سلبية على الدولة والولايات العربية ، أما المساواة بين المسلمين والمسيحيين فى داخل الجمعية الإصلاحية فهو انتهاك لحقوق المسلمين لأن عدد المسلمين أكثر من المسيحيين ، كما أوضح أن انقاص مدة الخدمة العسكرية تضعف سياسة الدولة العثمانية .^(٢)

وفى يوم الثلاثاء الثانى من جمادى الأولى ١٣٣١هـ

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ١٦٤-١٦٥ .
 (٢) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٦١ ، ص ٢ فى ١٣ ربيع الثانى ١٣٣١هـ .
 (٣) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، ص ٢٤ ،
 ممطفى الشهابى : القومية العربية - تاريخها وقوامها ،
 ومرامياها ، ص ٨٤ .

الموافق ٨ ابريل ١٩١٣م صدر عن الوالى العثمانى فى بيروت
بلاغ رسمى بمنع اجتماع الجمعية العمومية الاصلاحية فى بيروت
واقفال ناديتها ، وهذا نصه :

"بما أن الجمعية التى تشكلت منذ شهرين ونصف من بعض
الذوات فى بيروت باسم الجمعية العمومية الاصلاحية والتى
اتفق أن اعطى لها علم وخبر من مقام الولاية ، قد كان
تشكيلها مغايراً اساساً للمنوعية المريحة التى نص عليها
قانون الجمعيات فغلا عن أن بعض المطالب التى أخذ هؤلاء
يطالبون بها باسم الاصلاحات هى منافية ايضاً لاحكام القانون
الاساسى وبناء عليه فقد صار من الطبيعى منع دوام واجتماع
هذه الجمعية .

هذا وقد شرع بتطبيق قانون ادارة الولايات الذى نظمته
الحكومة السنية وفقاً لقاعدة توسيع المادونية وتفريق
الوظائف التى نمت عليها المادة المائة والثامنة -١٠٨- من
القانون الاساسى وصدرت ارادة الحفرة السلطانية بمراعاة
احكامه فجاء جامعاً للمساعدات الواسعة التى تتطلبها
الاصلاحات المطلوبة لبيروت ولسائر الولايات العثمانية
ومتضمناً الاحكام المخصوصة التى تؤمن الاحتياجات الخصوصية
لكل ولاية .

على انه من الشابت فعلاً بنشر مثل هذا القانون المخصوص
المتكفل بحمول الاصلاحات التى تود الحكومة السنية انفاذها
بصورة جديدة ، انه اذا وجدت بعض النواقص عند تطبيق احكامه
الفرعية فلاشك ان الحكومة السنية تنتم هذا النقص بالاشتراك
مع مجلس المبعوثان الذى سيجتمع قريباً ان شاء الله ، وبناء

عليه نعلن انه قد منع بموجب القانون اجتماع الجمعية المذكورة التي ليس لها ذاتاً - كيان قانونى - ولم يبق محل حاجة لدوامها بعد الآن ، واذا تصدى القائمون بها للاجتماع خلافا للمامول فتفطر الحكومة لاجراء ما يقتضيه القانون بحقهم من المعاملات" (١) .

وقد طلب الوالى العثمانى مقابلة بعض زعماء الجمعية الاصلاحية فى نفس اليوم الذى أصدر فيه البلاغ الرسمى سالف الذكر ، وابلغهم بقرار الحكومة قفل النادى ومنع اجتماع الجمعية الاصلاحية ، ودار حول ذلك جدال طويل ، حسمه الوالى بالتاكيد على مراجعة الاستانة فى اى اعتراض على القرار ، وقد رأت ادارة الجمعية ارسال برقيات احتجاج للسلطان العثمانى والمدر الاعظم ، وصدرت المحف البيروتية فى اليوم التالى بيضاء خالية من الاخبار والافكار ، مكتفية كل واحدة منها بنشر البلاغ المشار اليه على صدر صفحتها الاولى محاطا باطار اسود ودون اى تعليق او تعقيب . (٢)

وعمت الاضطرابات والاحتجاجات مدينة بيروت والمدن السورية ، وارسل اعضاء الجمعية الاصلاحية احتجاجا للوالى العثمانى يؤكدون فيه ولاءهم للدولة العثمانية ويرفضون مبدا العنف والقوة فى فرض رأى الحكومة على الجمعية التي تعتبر جمعية فكرية فى المقام الاول ، بينما أرسلت برقيات احتجاج الى المدر الاعظم ونظارة الداخلية وبعض المحف العثمانية ،

(١) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٧٧ فى ٣ جمادى الاولى ١٣٣١هـ .

(٢) جريدة الاتحاد العثمانى ١٣٨٥ فى ١٢ جمادى الاولى ١٣٣١هـ .

توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٤٧٣ .

وفى اليوم الخامس لبلاغ الوالى المذكور اقلت المحال التجارية فى بيروت ابوابها احتجاجا على الغاء الجمعية الاملاحية ، ولم تجد تحذيرات الوالى اية استجابة من الاهالى حتى تدخل بعض اعضاء الجمعية الاملاحية لدى التجار ، واقتنعوهم بفتح محالهم التجارية .^(١)

وقد زاد الامر سوءاً ورود برقية جوابية لبرقية الاهالى من المدر الاعظم وناظر الحربية محمود شوكت باشا ، موجهة للوالى العثمانى فى بيروت جاء فيها : " اخذنا تلفراف من بيروت محتويماً على كثير من التواقيع بخصوص طلب الترخيص للجمعية الاملاحية بالاجتماع مجدداً ، اذا كان للاهالى افكار ومطالبات بحق الاملاحات فيقتضى طبعاً ان يطلب ذلك المبعوثون فى مجلس المبعوثان حتى اذا حاز طلبهم الاكثرية يوضع موضع التطبيق ، ان تشكيل الاهالى جمعيات لهذه الغاية وتمديهم لمثل هذه المطالب مغاير للقانون ومن الضروري عدم اصفاء الحكومة لذلك قطعياً ... الخ " .^(٢)

وعندما بلغت هذه الأنباء حزب اللامركزية الادارية العثمانى فى مصر ارسل البرقية التالية الى المدر الاعظم العثمانى : " ان مصادرة والى بيروت لجمعيةها الاملاحية فى عملها القانونى استبداد منكر مغيح لآمال الامة وموجب للتقاطع بين الهيئتين ، فتداركوا سوء العاقبة بعزل الوالى ونقض عمله ، ولا تسنوا للشعب سنة سيئة بمخالفة القوانين " .^(٣)

(١) حسان حلاق : المرجع السابق ، ص ٢٨٢ و
وجيه كوشرانى : السلطة والمجتمع والعمل السياسى من
تاريخ الولاية العثمانية فى بلاد الشام ، ص ١٧٧-١٧٩ .
(٢) مذكرات سليم على سلام : المدر السابق ، ص ١٦٣ .
(٣) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ،
هامش ٥٠ ، ص ٢١٢ .

هكذا عم الاضطراب اجزاء الولايات العثمانية في المشرق العربي العثماني ، وخرج مجموعة من رجال الاصلاح العرب من بيروت في طريقهم الى القاهرة وبازيس ، وربما كانوا سيتوجهون الى لندن وبعض العوامم الاوربية كما يقول القنصل البريطاني في بيروت ، وهم بعملهم هذا يتيحون الفرصة وباسهل الطرق للتدخلات الاجنبية في شئون الدولة ، وهذا ماعبرت عنه احدى الصحف البيروتية التي حملت رجال الحكومة العثمانية في الاستانة مسئولية توجه العرب الى البلاد الاجنبية حين قاموا بمصادرة الجمعية الاصلاحية في بيروت ، رغم ان العرب يهدفون من انشاء هذه الجمعية صيانة البلاد السورية من الخطر الذي حاق بغيرها من ولايات الدولة والذي اخذ يهددها في عقر دارها .^(١)

ولقد حاول بعض اعضاء الجمعية الاصلاحية في احاديث ادلوا بها الى جريدة - الجون تورك - العثمانية ، ان يؤكدوا للحكومة العثمانية والشعب العثماني ، ان جميع المنتهين الى هذه الجمعية شديدو التعلق والاخلاص بالدولة العثمانية وحبهم الشديد واخلاصهم الصادق لايرقى اليه الشك ، وتلك الجمعية التي ينتمون لها لا ترتبط سياسيا باى حزب في عاصمة الدولة ، وانما ستعقد الحزب الذي يسعى لانقاذ الدولة من الاخطار التي تهددها وبرنامج الجمعية خير شاهد لذلك كما

(1) F.O.424/238, Enclosure, in No.359, Consul...batch to Sir, E.Grey, Beirout, 30.5.1913. p.287 .

(٢) جريدة الاصلاح عدد ٢٣-١٤١٨ في ١ رجب ١٣٣١ هـ ؛
جريدة الاصلاح عدد ٢٧-١٤٢٢ في ٦ رجب ١٣٣١ هـ .

(١)
قالوا .

ان الغاء الجمعية الاصلاحية فى بيروت من قبل حكومة الدولة العثمانية قد ساعد على انتشار حركة الاصلاح التى يطالب بها العرب ، واصبح المؤيدون لهذه الجمعية يمثلون الغالبية من ابناء العرب فى الشام ، والعراق ، وكثير من الجاليات العربية فى اوربا وامريكا ، اما فى بيروت فقد اوصلت بعض المصادر عدد المؤيدين الى مائة وستين الفا ، وهو عدد يكاد يمثل جميع سكان المدينة .^(٢)

ومما يؤسف له ان جمعية بيروت التى اعلنت برنامجها كرد فعل مباشر لحروب البلقان ، تهدف من خلاله الى انقاذ الولايات العربية العثمانية من الاحتلال الاجنبى ، الا انها اقحمت العنصر الاجنبى فى هذا البرنامج من خلال مطالبتها بالمستشارين والمفتشين الاجانب ، واذا قبلنا هذه المطالبة من منطلق الاستعانة بالخبرات المدربة من اوربا ، فان نقطة الضعف الواضحة جاءت مع وجود عملاء لفرنسا اندسوا فى اعفاء الجمعية ، وافسدوا عليها اهدافها وغايتها ، وشوهوا سمعتها وطعنوا زملاءهم المسلمين فى ظهورهم ، وهذه الدلائل الساطعة تؤكد ان غرض الكثيرين من دعاة القومية العربية المتطرفة

-
- (١) جريدة الاصلاح عدد ٢٧-١٤٢٢ فى ٦ رجب ١٣٣١هـ ، نقلا عن الجون تورك .
(٢) جريدة الاصلاح عدد ٢٩-١٤٢٤ فى ٨ رجب ١٣٣١هـ ، نقلا عن الجون تورك .
(٣) جريدة الاصلاح عدد ٣٩-١٤٣٤ فى ٢١ رجب ١٣٣١هـ ، نقلا عن الامانيته - الفرنسية المادرة فى باريس فى ٣ يونيو ١٩١٣ م .
(٣) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، ص ٣٤ .

هو إضعاف أحكام الاسلام فى المجتمع العربى المسلم ، وفصل الدين عن الدولة وغير ذلك من أفكار هدامة يرقص لها الاستعمار طربا ، ولكن العرب عامة والمسلمين منهم خاصة كانوا حينذاك يهدفون الى حماية بلدانهم من التدخل الأجنبى سيما وهم يرون هزائم الدولة العثمانية فى البلقان تتوالى ولكن ردود الفعل المباشرة كانت بطبيعة الحال متباينة لديهم ، والمنهج العملى كان مختلفا أيضا .

(١) الشيخ عبد العزيز بن باز : المرجع السابق ، ص ١٠ .

(ب) جمعية العربية الفتاة ، باريس ، بيروت ،
دعوتها لمؤتمر باريس .

معها كانت اتجاهات المؤرخين وآراؤهم فى قيام الجمعيات العربية التى ظهرت بعد اعلان الدستور العثمانى سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م ، فان الحقيقة التى لا تقبل الجدل هى ان العرب كانوا يطالبون بالاصلاح على قاعدة اللامركزية ، وتحت سيادة الدولة العثمانية ، ولم تراود احداً من دعاة الاصلاح العرب ومؤسسى تلك الجمعيات فكرة الانفصال عن الدولة العثمانية ، وجمعية العربية الفتاة واحدة من تلك الجمعيات .^(١)

والحديث عن جمعية العربية الفتاة هنا شئ لابد منه ، لان تلك الجمعية - رغم سريتها الكاملة منذ تاسيسها وحتى قيام الحرب العالمية الاولى - رغم ذلك فعلى قد لعبت دوراً حاسماً فى الحركة العربية فى المشرق العربى العثمانى ابان فترة البحث ، كما ان تلك الجمعية تأثرت بحروب البلقان وانكسارات الدولة العثمانية فيها ، مما جعلها تغير من سياستها الاصلاحية وتخوض تجربة النقاش السياسى حين ساهمت فى انعقاد مؤتمر باريس العربى .

وقد اتاح اعلان الدستور العثمانى فرساً لظهور النشاط السياسى ، فارسلت الولايات العربية ممثلها الى الاسخانة للمشاركة فى مناقشات مجلس المبعوثان العثمانى للدفاع عن مصالح تلك الولايات والبدء ببرامج الاصلاح فيها لتكون عنبر

(١) مصطفى الشهابى : القومية العربية - تاريخها وقوامها ومراميها ، ص ٧٧ .

(٢) نجلاء عز الدين : العالم العربى ، ص ١٣٣ .

قوة فعال فى كيان الدولة العثمانية .

وكانت المناقشة فى مجلس المبعوثان تدور حول جدوى المادة الرابعة من نظام الاجتماعات العامة الذى وضعته حكومة الاتحاد والترقى حينذاك ، وكان نص المادة هو : "ممنوع قيام الجمعيات ذات الاهداف السياسية والتسمية القومية فى الدولة العثمانية" ^(١) ، حينئذ كان العرب اول من التحزم بنص هذه المادة ، ولكن زعماء جمعية الاتحاد والترقى لم يلتزموا بنص هذه المادة حين انشأوا أحزاب وجمعيات ذات تسميات قومية واضحة ، ليجد العرب أنفسهم وجها لوجه مع الاتحاديين ، وتتحول العلاقات الى جمعيات عربية صرفة مضافة للطورانية ، ومن أهمها جمعية العربية الفتاة ، التى أسست كرد فعل على تأسيس جمعية تركيا الفتاة ^(٢) ، ولعل هذه العوامل كانت من الاسباب التى جعلت هذه الجمعية من الجمعيات السرية التى حافظت على سريتها فترة من الزمن .

ولقد تعددت الأقوال فى أمر تأسيس جمعية العربية الفتاة ، وتاريخ تأسيسها ، إلا أن الرجوع الى مؤلفات المعاصرين لهذه الجمعية ومن انتسبوا اليها سهل من مهمة البحث للوصول الى هذه الحقائق .

انبثقت فكرة قيام الجمعية فى أذهان مجموعة من شباب العرب كانوا يواصلون دراستهم فى الأستانة بُعِيدَ اعلان الدستور العثمانى ، وكانت الفكرة فى أساسها انشاء جمعية عربية سرية على غرار جمعية تركيا الفتاة "جون تورك" ،

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٢٥٩ .

(٢) منيرة العريضان : المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٣) أحمد السقاف : فى العروبة والقومية ، ص ٩٠ .

تنهض بواجب الدفاع عن حقوق العرب ، غير أن الأمر بقى فى حيز الفكر دون الاقدام على تنفيذه بشكل ملموس ، وعندما تهيأت الفرصة لهؤلاء الشباب ووصلوا الى باريس لغرض الدراسة اقدموا على تنفيذ تلك الفكرة التى راودتهم فى الاستانة ، واقاموا "جمعية العربية الفتاة" فى باريس سنة ١٣٢٩هـ الموافق سنة ١٩١١م ، وجعلوا غايتها "النهضة بالعرب وايمالهم الى مصاف الأمم الحية" ، وسموها "العربية الفتاة" وبدأوا فى الاتصال برفاقهم فى السن والدراسة فى الاستانة والبلاد العربية ، فانضم اليهم عدد كبير خلال السنتين (١) اللاحقتين .

ويذهب أحد المؤرخين الى أن تأسيس جمعية العربية الفتاة قد تم فى باريس بالفعل ولكنه تم فى الثانى من ذى القعدة سنة ١٣٢٧هـ الموافق ١٤ نوفمبر سنة ١٩٠٩م ، وأن فكرة تأسيس الجمعية نشأت بالفعل فى أحاديث بعض الشباب العرب عندما كانوا فى الاستانة بُعيد إعلان الدستور العثمانى واختمرت الفكرة فى بيروت ثم تحققت فى باريس ، ومع أن هناك منشورين وبرنامج للجمعية اعتمد عليهما المؤرخ لاثبات التاريخ الذى قال به سلفا ، إلا أن أحد مؤسسى الجمعية أكد فى مقابلة خاصة معه أن فكرة الجمعية لم تتحقق الا فى باريس سنة ١٣٢٩هـ الموافق سنة ١٩١١م ، كما أن كتاب - ايضاحات - (٣) أورد نص أحد هذين المنشورين معزواً الى حزب اللامركزية ، (٤)

(١) محمد عزة دروزة : المصدر السابق ، ص ٤٨١-٤٨٢ .
 (٢) مصطفى الشهابى : القومية العربية ، ص ٧٢-٧٣ .
 (٣) خيرية قاسمية : المرجع السابق ، هامش ٣ ، ص ٢٠ .
 (٤) محمد عزة دروزة : نفس المصدر ، ص ٤٨٣ .

وهذا معناه تأكيد على أن الأرجح هو تأسيس جمعية عربية الفتاة في باريس سنة ١٣٢٩هـ الموافق سنة ١٩١١م وهو ما نذهب إليه في هذا البحث .

ويرى بعض المؤرخين أن اسم الجمعية كان في بادئ الأمر "جمعية الناطقين بالفارسي" ثم أصبح اسمها - الجمعية العربية الفتاة - ، وكانت الجمعية تهدف إلى النهوض بالامة العربية داخل اطار الدولة العثمانية ، وقد أخذ العرب المسلمون زمام المبادرة في جمعية العربية الفتاة ، حيث كان مؤسوها الاوائل من الشباب العرب المسلمين الذين كانوا يواصلون دراستهم العالية في العاصمة الفرنسية باريس .^(١)

وكان للجمعية تنظيم خاص لاختيار الاعضاء وضمهم اليها ، حيث كانت شديدة الحرص على أن لاتضم اليها الا من عرف بحسن الخلق ، والامانة وكتمان السر وقوة التحمل والجرأة ، فكان لابد للعضو الجديد أن يمر بفترة اختبار طويلة قبل أن يتم قبوله ، وكل مرشح لابد أن يكون تقديمه للجمعية عن طريق عضو قديم ، ويتم اختباره بالمحادثة ، وإذا اقتنع باهليته للجمعية يحال للمفاتيحة ، ومن ثم أداء القسم ، حيث يقسم العضو الجديد على "بذل كل جهد لايصال الامة العربية الى مصاف الامم الراقية الحرة المستقلة الكبرى ، وعلى التفضحية في سبيل هذا المبدأ بالنفس والمال وكتمان اسرار الجمعية ،

(١) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ص ٩١ ، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٢٤٩

آرنست . ا. رامزور : المرجع السابق ، ص ٣٠ .
(2) George E.Kirk, Ashort History of The Middle East, p.121 .

(٣) محمد عزة دروزة : المصدر السابق ، ص ٥٠٣ .

(١)

واطاعة القرارات التى تصدرها هيئتها المركزية " .

وكان التكتّم فى هذه الجمعية شديدا ، حتى أن العضو المنظم اليها كان لايعرف إلا اسم الجمعية والشخص الذى أدخله الجمعية^(٢) والذى حلّقه اليمين^(٣) ، ومع هذا فقد وصل عدد أعضائها قبل الحرب العالمية الأولى ستين ألفا^(٤) .

وقد أورد أحد المؤرخين برنامجا لجمعية العربية الفتاة وفق وشيقتين مختلفتين عثر عليهما فى مركز الجمعية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ، وكل منهما يشتمل على عدد من المواد التى تحدد مسار وأهداف الجمعية ، غير أن ذلك المؤرخ يشك فى هذين البرنامجين ويغلب عليهما الظن فى أنهما وضعاً من قبل العاملين فى الحركة العربية قبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وبعد خروج الدولة العثمانية من المشرق العربى ، لأنه يلمح وجود تداخل وتكرار فى مواد هاتين الوشيقتين التى تشتمل أولاهما على أربع وعشرين مادة^(٤) ، وتشتمل الثانية على ثمانين مادة ، ومن المؤكد أن هاتين الوشيقتين وما اشتملتا عليه من مواد ليستا برنامجا لجمعية العربية الفتاة فى نشأتها الأولى ، وحتى قيام الحرب العالمية الأولى ، لأن المواد فى الوشيقتين لم تشر مطلقا للدولة العثمانية ، ولا إلى الإصلاح فى ظل الدولة وهو ما كان ينشده العرب حينذاك ، إضافة إلى ذلك فإن المادتين الأولى والثانية من الوثيقة الثانية اكدتا

-
- (١) مصطفى الشهابى : القومية العربية ... ، ص ٧٣ .
(٢) إبراهيم أحمد العدوى : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .
(٣) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٣١٩ .
(٤) محمد عزة دروزة : المصدر السابق ، ص ٤٨٥-٥٠٠ .

ما ذهبنا اليه مع ذلك المؤرخ فمياغتهما كانت تختلف تماماً عن مطالب العرب التى يبحثون عنها مع الدولة العثمانية ، فالمادة الاولى هى "غاية الجمعية استقلال البلاد العربية استقلالاً تاماً بجميع معانيه الحقوقية والسياسية وتأييد ذلك الاستقلال بجعل الأمة العربية فى مصاف الأمم الحية " ، بينما المادة الثانية هى "تبقى الجمعية سرية الآن نظراً للحالة السياسية العمومية" ^(١) ، ولاشك أن هاتين المادتين بل وجميع المواد التى تضمنتها الوثيقتان قد صيغت بأسلوب واتجاه مخالف لأهداف ومطالب العرب وفى مقدمتهم أعضاء جمعية العربية الفتاة ، مما يؤكد تأخر مياغة هذا البرنامج ، الذى ان صحت نسبته الى تلك الجمعية فهو متأخر جداً عن فترة بحثنا هذا ولم يكن من ضمن برامج الجمعية حين نشأتها وحين كانت تتأثر وتؤثر فى أحداث الدولة العثمانية فى المشرق العربى .

كانت ردود الفعل المباشرة لحرب البلقان فى المشرق العربى العثمانى واضحة فى الجمعيات العربية وفى رجال الفكر والإصلاح العرب الذين باتوا يخشون من نتائج هذه الحرب على ولاياتهم العربية ، وتأثرت جمعية العربية الفتاة ومؤسسيها بما يجرى على مسرح الأحداث ويهدد بلدانهم العربية التى أقاموا جمعيتهم من أجل صيانتها والمحافظة عليها ، لذا كان من أهم مظاهر نشاط الجمعية دعوتها لعقد مؤتمر عربى فى باريس ، حيث مقر الجمعية هناك ووجود أعضائها وهيئتها المركزية ، وبعدها عن سطوة الدولة العثمانية التى

(١) محمد عزة دروزة : الممدر السابق ، ص ٤٨٩ .
 (٢) عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربى ١٥١٦-١٩٢٢م ، ص ٤٣٢ .

لم تحقق للجمعية الإصلاحية فى بيروت مطالبها التى قدمتها فى لائحتها الإصلاحية التى أشرنا إليها فى صفحات سابقة .

ولأن جمعية العربية الفتاة جمعية سرية ، ولا تريد الكشف عن هويتها حينذاك ، فإن خير طريقة لعقد هذا المؤتمر هو الاتصال بالجمعيات العلنية ، وكان حزب اللامركزية الادارية العثمانى هو خير من يقوم بهذه المهمة التى ستكون علنية بطبيعة الحال ، فكتبوا فى ٢٧ ربيع الثانى ١٣٣١هـ ، الرابع من ابريل ١٩١٣م الى لجنة حزب اللامركزية فى القاهرة ، كى تشارك فى المؤتمر وتراس جلساته وتدعو اليه رجال الفكر والاصلاح من العرب .^(٢)

وقراءتنا لنص الدعوة الموجهة الى ابناء الامة العربية من لجنة المؤتمر فى باريس قبل انعقاده ، تؤكد مذهبنا اليه من ان رد الفعل لنتائج حروب البلقان كان من اهم الاسباب التى دعت الى عقد هذا المؤتمر ، وان جمعية العربية الفتاة رغم سريتها وعدم تعاملها المباشر مع رجال السياسة فى الحكومة العثمانية حينذاك الا انها لا ترغب فى الانفصال عن الدولة العثمانية ، ومما جاء فى تلك الدعوة : "نحن الجالية العربية فى باريس قد أوقفنا مناظرات الجرائد الاوربية ومغامز السياسة فى الاندية العمومية على استقراء مايجرى من المخابرات الدولية بشأن البلاد العربية ، واطعنا زهرة الوطن سورية ، ... فجرى البحث عن التدابير الواجب اتخاذها لوقاية الارض ... واصلاح امورنا الداخلية على

(١) لوتسكى : المرجع السابق ، ص ٤١٠ ،
جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ١٩١ .
(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٥ ، ص ٣٩٤ .

ما يتطلبه أهل البلاد من قواعد اللامركزية حتى يشتد بها
ساعدنا وتستقيم قناتنا فينقطع بذلك خطر الاحتلال أو الاضمحلال
... ونصارح الدولة العثمانية بأن اللامركزية قاعدة حياتنا
وأن حياتنا أقدم حق من حقوقنا وأن العرب شركاء في هذه
المملكة ، شركاء في الحزبية ، شركاء في الإدارة ، شركاء في
السياسة ، وأما في داخلية بلادهم فهم شركاء أنفسهم" (١) .

وقد وضعت الجمعية خطة للمؤتمر والمسائل التي سيدور
حولها البحث خلال جلسات المؤتمر وهذه المسائل هي : ضرورة
الإصلاح على قاعدة اللامركزية ، وحقوق العرب في المملكة
العثمانية ، والحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال ، والمهاجرة
من سورية والى سورية (٢) ، ويدل ذلك على أن جمعية العربية
الفتاة حاولت استقطاب المثقفين ورجال الفكر من دعاة الإصلاح
العرب ، ولو أن تأثير العناصر المسيحية بدا واضحا من خلال
طرح المسائل آنفة الذكر لمناقشتها في المؤتمر الذي دعت
إليه في باريس مع أن أحد المؤرخين يؤكد أن معظم أعضاء
الجمعية كانوا من المسلمين وقلة قليلة من المسيحيين (٣) .

ولما أنهى مؤسسو الجمعية العربية الفتاة دراستهم في
باريس وعادوا إلى بلادهم ، نقلوا مركز الجمعية إلى بيروت
سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م بعد أن أمضوا السنتين الأوليتين في باريس
وساهموا مساهمة فعالة في الدعوة إلى عقد مؤتمر باريس
العربي ، كما تم تأسيس فرع لها في دمشق ، ثم انتقل مقرها (٤)

(١) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، ملحق رقم ٥ ، ص ٢٤٩ .

(٢) مصطفى الشهابى : القومية العربية ، ص ٨٦ .

(٣) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ١٨٨ .

(٤) محمد عبد الرحمن برج : المرجع السابق ، ص ١٣٧ ،
عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق ، ص ٤٣٢ .

العام الى دمشق بعد اعلان الحرب العالمية الاولى ، نظراً
لانتقال معظم اعضاءها الى تلك المدينة ، حيث زاد عددهم
ليصل الى مئتي عضو كما تقول بعض المراجع (١) .

ومع ان هذه الجمعية كانت من ابرز الجمعيات السياسية
العربية ، لما امتازت به من وضوح في الاهداف ، ووعى بين
اعضاؤها ودقة في نظامها ، الا ان اعمالها في بادئ الامر لم
تتعد نشر الدعاية الوطنية في الصحف وغيرها ، والتحرى عن
اعضاء جدد كما قال بذلك احد مؤسسي هذه الجمعية ، وهذا (٢)
تاكيد على ان دعوتها لمؤتمر باريس هو دعم لوجهة نظرنا في
ما اشرنا اليه في هذا البحث بان لحروب البلقان ، وانكسار
الدولة العثمانية فيها ردود فعل مباشرة عند العرب تمثلت
بشكل واضح في اعمال الجمعيات السياسية العربية ، وفي
مواقف دعاة الإصلاح العرب حينذاك ، اما فكرة الدعوة لمؤتمر
باريس فهي بلا ريب فكرة جمعية العربية الفتاة ، حيث اتصل
اعضاء الجمعية باخرين من شباب العرب في باريس وفاتحوهم
بالفكرة ، التي لقيت استحساناً منهم وتحققت بانعقاد (٣)
المؤتمر .

من خلال ماتقدم يتبين لنا ان جمعية العربية الفتاة
التي تأسست في باريس ودعت للمؤتمر العربى الاول الذى عقد
هناك ، ثم عادت الى بيروت ثم دمشق ، قد تآثرت بشكل مباشر

(١) عبد الكريم رافق : المرجع السابق ، ص ٥٣٩ ؛
ابراهيم خليل احمد : المرجع السابق ، ص ٤١٧ .
(٢) آرمنت ١٠ . رامزور : المرجع السابق ، ص ٣١ .
(٣) محمد عزة دروزة : المصدر السابق ، ص ٤٢١-٤٢٢ .

وواضح بالعزائم التي تعرضت لها الدولة العثمانية في حرب
البلقان ، وحاولت حينئذ أن تلعب دوراً ايجابياً في اجراء
الإصلاح الذى يطالب به العرب على قاعدة اللامركزية ، إلا ان
وضعها كجمعية سرية حال دون بروزها في هذه الاحداث حيث
اتخذت من حزب اللامركزية الادارية العثمانى واجهة لها
ليقوم بمهمة الدعوة لعقد مؤتمر باريس ، وفعلت لها ذلك ،
وبهذه الطريقة شارك معظم اعضائها فى اعمال المؤتمر
وبرامجه .

(ج) مؤتمر باريس ١٣٣١هـ / ١٩١٣ م ،

اجتماعاته ، برنامجه ، قراراته .

لم يكن المؤتمر العربى فى باريس تكتلا ضد الدولة العثمانية يقوم به العرب للانفصال عن الدولة ، او الصدام معها ، وانما كان اشرا وانها من آثار حروب البلقان التى اظهرت لرجال الاصلاح العرب ضعف الدولة العثمانية ، ولم يعد امامهم من حل إلا الاعراب عن مطالبهم فى بلد بعيدة عن سلطة الدولة ، لتظهر قضيتهم على الصعيد الدولى ، سيما وان جمعية الاتحاد والترقى التى عادت الى السلطة فى اثناء حرب البلقان ، وقفت ضد مطالب العرب الاصلاحية واقفلت الجمعية الاصلاحية فى بيروت ، ورفضت برنامجها كما تحدثنا عنه فيما سبق .

بدات فكرة المؤتمر عن طريق اعضاء جمعية العربية الفتاة السرية فى باريس ، ولم يلبث ان انضم اليهم مجموعة من العرب الموجودين هناك ، واستقرت فكرة المجتمعين على اسناد اعمال هذا المؤتمر الى حزب اللامركزية الادارية العثمانى فى القاهرة ، باعتبار انه حزب علنى ، ويمثل جوهر المطالب العربية التى تنطلق من الاصلاح على قاعدة اللامركزية واغراض المؤتمر هى اغراض الحزب نفسها ^(١) ، وتالفت لجنة تحضيرية للمؤتمر ، ثم ارسلت كتاباً الى اللجنة العليا للحزب المذكور فى ٢٧ ربيع الثانى ١٣٣١هـ / ٤ ابريل ١٩١٣ م تعرض عليه ان يكون الحزب قدوة المؤتمر ومصدر عمله وان

(١) مصطفى الشهابى : القومية العربية ... ، ص ٨٥-٨٦ .

يرأس المؤتمر أحد ممثلى الحزب الذين يتم ايفادهم الى
(١)
باريس .

أما الجمعية الإصلاحية فى بيروت التى تم اقبال ناديها
حينذاك ، فقد اتفق أعضاؤها على المشاركة فى المؤتمر
العربى فى باريس وتم ايفاد ممثلين لها من نفس الأعضاء ،
(٢)
وقد أذاعت لجنة المؤتمر بياناً أشارت فيه الى انه "بعد
المدافلة تقرر عقد مؤتمر للعرب يقوم به السوريون فتحد
اليه وفود اكابر من البلاد العربية وعقلاء افاضل من
السوريين المهاجرين ... فتحتمل فيه الامة العربية المنتشرة
فى اقطار الارض وتحق كلمة التضامن الاجتماعى والسياسى لهذه
الامة فى هذا المؤتمر ... فاننا ندعو كل من يخفق قلبه لامة
العرب صغيراً او كبيراً ان يلبى داعى الوطن ، لاسيما ارباب
الزعامات فى مقاعد الجمعيات ، فعليهم نعتد واليهم نتجه ،
فاما ان يتضاموا الى وفود المؤتمر واما ان يبعثوا اليه
بالرسائل البرقية او الكتابية يظهرون فيها ارتياحهم لنيل
الغاية واشتراكهم فى شريف المقصد حتى يدلى المؤتمر لدى
الامم بحجته ، وتستوثق قوته بقوة امته ... " ، ولعلنا لانعدو
(٣)
الحقيقة اذا قلنا هنا ان أكثر ماقام به القوميون العرب من
الدعاية حينذاك هو عقد هذا المؤتمر ، الذى يعتبر من اول
المؤتمرات الداعية الى القومية العربية المرفقة .
(٤)

وبعد عشرة أيام فقط أجابت اللجنة العليا لحزب

(١) توفيق على برو: المرجع السابق ، ص ٥٠٥ .
(٢) حسان حلاق : المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .
(٣) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، الملحق رقم ٥
ص ٢٤٩ .
(٤) الشيخ عبد العزيز بن باز : المرجع السابق ، ص ١٥ .

اللامركزية بالقبول فى المشاركة فى المؤتمر ، وقررت ارسال مندوبين من قبلها لحضوره على أن يكون لهم حق المشاركة فى موضوعات المؤتمر كى تكون موافقة لمبادئ الحزب وبرنامجه ،^(١) وبالفعل مثل اللجنة السيد عبد الحميد الزهراوى مبعوث حماه سابقا ، وصاحب جريدة الحفارة العربية فى القسطنطينية ، والذى ترأس المؤتمر بهذه الصفة ، كما مثلها وكيل رئيس لجنة الحزب فى القاهرة المحامى اسكندر بك عمون ، الذى شارك فى أعمال المؤتمر بخطاب تحت عنوان : الاصلاح على قاعدة^(٢) اللامركزية .

وقد حاولت حكومة الاتحاد والترقى أن تؤثر على هذا المؤتمر أو تحول دون انعقاده ، الا أن الحكومة الفرنسية لم تمنع فى عقد المؤتمر على أرضها ، لأن التعاطف مع القوميين العرب ودعم هذه الاتجاهات ينسجم مع الاطماع والاهداف الفرنسية فى سورية ولبنان ، والصحافة العثمانية التى قامت بحملة اعلامية مكثفة ضد هذا المؤتمر وأعضائه الداعين اليه لم تحقق الاهداف المرجوة من حملتها رغم نشرها لكثير من برقيات الاستنكار التى ترسل لها من بعض المدن العربية ، لأن^(٣) الصحافة العربية التى تمرد فى الشام قامت بدور معاكس لتلك الحملة الاعلامية ، وصارت تقوم بنشر المقالات المتتابعة التى

-
- (١) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠٣ .
 (٢) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، الملحق رقم ١٤ ، ص ٢٦٣ .
 وجيه كوثرانى : السلطة والمجتمع والعمل السياسى ، ص ١٨٠ .
 جريدة الاصلاح عدد ٥١-١٤٤٦ فى ٥ شعبان ١٣٣١هـ .
 (٣) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ١٩٣ .
 (٤) لوتسكى : المرجع السابق ، ص ٤١٠ .
 (٥) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ، ص ١٠٧ .

تدافع فيها عن مؤتمر باريس والداعين له ، مشيرة الى ان القصد من هذا المؤتمر هو المطالبة بالاصلاح على قاعدة اللامركزية الادارية لان ذلك يساعد على ميانة البلاد السورية من الخطر الاجنبى الذى بدا يحيط بغيرها من الولايات العثمانية ، وان العرب لا يريدون عن الدولة العثمانية بديلا وانما دعاهم فى التوجه الى باريس معاداة الجمعية الاصلاحية فى بيروت ، وهذا يعنى ان اى اجتماع فى ارض الدولة العثمانية يعرفهم لاجراءات القانونية من قبل رجال الحكومة .^(١)

وفدت الوفود العربية الى مكان المؤتمر ، حيث جاء عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية بالقاهرة كل من السيد عبد الحميد الزهراوى واسكندر بك عمون ، وعن الجمعية الاصلاحية العمومية التى تمثل بيروت كل من سليم على سلام ، واحمد مختار بيهم و خليل زينييه والشيخ احمد حسن طباره والدكتور ايوب ثابت ، وعن العراق توفيق السويدي وسليمان عنبر ، كما حضر المؤتمر عضوان عن بعلبك واربعة اعضاء عن مهاجرى الولايات المتحدة والمكسيك وثلاثة اعضاء عن الجالية العربية فى باريس ، وقد حصل مندوبو الجمعية الاصلاحية البيروتية على برقيات تاييد من زعماء مختلف الطوائف المسيحية لولاية بيروت ومن الوجهاء والاعيان فى مدينة صيدا .^(٢)

فى يوم الاربعاء ١٤ رجب ١٣٣١هـ ، ١٨ يونيو ١٩١٣م

(١) جريدة الاصلاح عدد ٢٣-١٤١٨ فى ١ رجب ١٣٣١هـ ؛
جريدة الاصلاح عدد ٢٦-١٤٢١ فى ٥ رجب ١٣٣١هـ ؛
جريدة الاصلاح عدد ٢٩-١٤٢٤ فى ٨ رجب ١٣٣١هـ ؛
(٢) مذكرات سليم على سلام ، الملحق رقم ١٤ ، ص ٢٦٣ ،
والملحق رقم ١٧ ، ص ٢٦٩ ، والملحق رقم ٢١ ، ص ٢٧٥ .

افتتح المؤتمر العربى فى باريس أولى جلساته فى القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية بشارع سان جرمان رقم ١٨٤ والتي تم استئجارها بمبلغ قدره أربعمائة فرنك ، حرما على حيادية المؤتمر وسمعته ، وتم بالانتخاب السرى تشكيل اللجنة الادارية للمؤتمر على النحو التالى : عبد الحميد الزهراوى رئيسا ، وشكرى غانم نائبا للرئيس ، وكل من : سليم على سلام واسكندر عمون ، وندره مطران ، وأحمد حسن طباره وكلاء للرئيس ، كما تم انتخاب ^١كتاب العربية للمؤتمر وهم عبد الغنى العريسى ، ومحمد المحممانى ، وعونى عبد الهادى ، وجميل مردم بك ، أما كاتب الفرنسية فهو شارل دباس ، ويرى بعض المؤرخين أن عدد الاعضاء المعتمدين الذين يمثلون الهيئات والجمعيات العربية وحضروا جلسات المؤتمر قد بلغ أربعة وعشرين عضوا نصفهم من المسيحيين والنصف الآخر من المسلمين ، كما حضر جلسات المؤتمر ما يقارب من مئتى مستمع من أبناء العرب ، ثم فتحت أبواب المؤتمر على مصراعيها لجميع الزائرين فى آخر الجلسات .^(٢)

وقد عقد المؤتمر أربع جلسات فى أربعة أيام بما فيها جلسة الافتتاح ، القى فيها أعضاء المؤتمر خطبا تبين أهداف المؤتمر ، ومطالب العرب الإصلاحية التى يودون تحقيقها من خلال هذا المؤتمر ، وفى جلسة الافتتاح كان خطاب رئيس

(١) جريدة الإصلاح عدد ٤٤-١٤٣٩ فى ٢٧ رجب ١٣٣١هـ -
مذكرات سليم على سلام : الممدر السابق ، ص ١٧٠ ،
مصطفى الشهابى : القومية العربية ... ، ص ٨٧ .
(٢) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ١٩٢ ؛
أبراهيم أحمد العدوى : مصر والشرق العربى - درع
الاسلام - ص ٢٨٥ .

المؤتمر السيد عبد الحميد الزهراوى بعنوان - تربيتنا السياسية - ومما جاء فيه : " أن العرب كانوا قد الفوا الترك وهؤلاء قد الفوا العرب وامتزج الفريقان امتزاجا عظيما مضى عليه أكثر من عشرة قرون ، ولكن كما مزجت بينهم السياسة فرقت بينهم السياسة أيضا ولم يبق من ذلك الامتزاج القديم إلا رابطة بين بعض العرب وبعض الترك وهم الترك العثمانيون ، وهذه الرابطة لاتزال تعد شمينة عند الترك العثمانيين والعرب العثمانيين ، ولكنها مع عزتها فى نفوس الفريقين قد أصبحت مهددة بالسياسة أكثر مما كانت مهددة من قبل ، ... تبين واضحا أنه لا العرب انتفعوا ببراءتهم من ذنب اضعاء البلاد ولاالترك انتفعوا بتحملهم وحدهم تبعة ذلك العبء الثقيل ، ... وقد وجدنا اللامركزية من خير الوسائل لظهور اثر هذا الاشتراك ... وهكذا نود أن تنمو هذه الفكرة (١) عند كل عثمانى " .

وفى الجلسة الثانية للمؤتمر تليت على الحضور بعض برقيات التأييد من الجالية السورية فى كندا واميركا ، ثم القى عبد الفنى العريسى خطبة بعنوان "حقوق العرب فى الدولة العثمانية" ، كما القى ندره مطران خطابا بعنوان : الحياة الوطنية فى البلاد العربية العثمانية - ثم تبعهما مندوب الجالية السورية فى نيويورك بخطاب تحت عنوان - أماني السوريين فى المهجر - ثم القى مندوب العراق خطابا وجيزاً أظهر فيه تأييد العراقيين للمؤتمر والنهضة الاصلاحية

(١) جريدة الاصلاح عدد ٤٤-١٤٣٩ فى ٢٧ رجب ١٣٣١هـ ، ص ١-٢ .

فى ظل الدولة العثمانية ، وقد جرت مناقشات حامية اشر كل
(١)
خطاب من تلك الخطابات .

ومما جاء فى خطاب العيسى : "... فنحن معشر العرب
نبلغ ١٣ مليوناً ، اعنى اكثر من نصف المملكة وليس لنا سوى
خمسة اعضاء فى ذلك المجلس - مجلس الاعيان والمبعوثان -
فنحن نطلب تمثيلنا فيه على استحقاق حفظا لكرامتنا
ومنزلتنا السياسية ، ... نطلب هذا الحق كشركاء فى هذه
الدولة شركاء فى القوة الاجرائية شركاء فى القوة التشريعية
شركاء فى الادارات العامة ، اما فى داخلية بلادنا فنحن
شركاء انفسنا ... " ، اما ندره مطران فقد قال : " ان مفكرى
العرب واشرافها يريدون حياة الامة العربية ضمن دائرة
المملكة العثمانية ، ... ان الامة العربية متضامنة مترابطة
فى شؤونها تسعى الى نيل اصلاحات مشروعة وتنبذ اية غاية
اجنبية كانت فى البلاد العربية " (٢) ، وقد اكد مندوب الجالية
السورية فى خطابه " ان امانى السوريين المهاجرين البقاء فى
حنن العثمانية على امل ان تحفظ حقوق اخوانهم فى الوطن من
نصارى ومسلمين ، ... اننا نوافق على بروغرام هذا المؤتمر
والمطالبة باللامركزية وتعيين المستشارين الاجانب فى
الدوائر الكبرى " ، ثم ختمت الجلسة الثانية للمؤتمر
باقترح للسيد احمد مختار بيهم تمت الموافقة عليه بالنص
التالى "قرر المؤتمر العربى السورى فى جلسته الواقعة فى
٢٠ حزيران ١٩١٣م / ١٦ رجب ١٣٣١هـ - بانه لا يحق لجميع

(١) جريدة الاصلاح عدد ٤٥-٤٤ فى ٢٨ رجب ١٣٣١هـ -
ساطع الحمصى : محاضرات فى نشوء الفكرة القومية ،
ص ١٣٩ .

(٢) جريدة الاصلاح عدد ٤٨-٤٤ فى ١ شعبان ١٣٣١هـ .

القائمين بالحركة الإصلاحية قبول أية وظيفة كانت في الحكومة العثمانية قبل أن تقبل الحكومة أساس البروغرام الذي يقرره هذا المؤتمر إلا بقرار من الجمعية التي ينتمى إليها العضو وأن يدير تعميم هذا القرار تلغرافيا إلى سائر البلاد العربية والأمريكية^(١) .

وفي الجلسة الثالثة للمؤتمر والتي عقدت يوم السبت ١٧ رجب ١٣٣١هـ الموافق ٢١ يونيو ١٩١٣م ، قرئت على المجتمعين بعض برقيات التأييد من الجمعيات السورية في المهجر ، ثم ألقى الشيخ أحمد طيارة خطابا بعنوان "المهاجرة من سوريا وإلى سوريا" ، وأعقبه أسكندر بك عمون بخطاب تحت عنوان "الإصلاح على قاعدة اللامركزية" ، ومما قاله أحمد طيارة في خطابه : "... فنحن قوم ولدتنا أمهاتنا عثمانيين ، ونشأنا عثمانيين ، ونريد أن نبقى عثمانيين ولا نرعى عن دولتنا العثمانية بديلا ... اننا نتجشم الأسفار ونركب الأخطار حبا بعمانة الوطن وحرما على حياة الدولة ، ولنا نتحول عن هذا العزم مادام فينا عرق ينبض ودم يغور ، ... فالواجب إذن على حكومة المركز أن تبادر إلى الإصلاح الجدى على قاعدة الاشتراك بالحكم وعلى طريقة اللامركزية ، كل ولاية بحسب استعدادها وحاجياتها فهو خير لها وأبقى"^(٢) .

أما أسكندر بك عمون فقد قال في خطابه : "توهم بعض أنصار النظام المركزى أن الغرض من النهضة العربية الانغمال عن الدولة وهو أمر بعيد عن الصحة ، فإن الأمة العربية

(١) جريدة الإصلاح عدد ٤٩-١٤٤٤ في ٣ شعبان ١٣٣١هـ .
(٢) جريدة الإصلاح عدد ٥٠-١٤٤٥ في ٤ شعبان ١٣٣١هـ .

لاتريد الا استبدال شكل الحكم ... بالحكم الذى يرمى وحده
الملاح والنجاح وهو الحكم على قاعدة اللامركزية ، ولو كانت
الهيئة الحاكمة اليوم من صميم قريش لكان موقفنا معها نفس
موقفنا هذا ، ... ان حاجتنا نحن معشر العثمانيين الى
اللامركزية اشد من حاجة كل امة اخرى اليها ...^(١) ، وقد اعقب
كل من الخطابين اللذين القيا فى تلك الجلسة مناقشات بين
المؤتمرين ، اعطى بعدها رئيس المؤتمر الكلمة للسيد عبد
الغنى العريسى ، ليعلن القرارات التى توصل اليها المؤتمر
وهذا هو نصها :

"اجتمع المؤتمر السورى العربى فى باريس فى شارع سان
جرمين عدد ١٨٤ بتاريخ ٢١ حزيران ١٩١٣م وقرر مايتى :

اولا : ان الاصلاحات الحقيقية واجبة وضرورية للمملكة
العثمانية وان تنفذ بوجه السرعة .

ثانيا : من المهم ان تكفل للعرب التمتع بحقوقهم
السياسية وذلك بان يشتركوا فى ادارة المملكة المركزية
اشتركا فعليا .

ثالثا : يجب ان تنشأ فى كل ولاية عربية ادارة لامركزية
تنظر فى حاجاتها وعاداتها .

رابعا : كانت ولاية بيروت قدمت مطالبها بلائحة خاصة
صودق عليها فى ٣١ كانون الثانى ١٩١٣م باجماع الآراء وهى
قائمة على مبادئ اساسيين وهما توسيع سلطة المجالس
العمومية وتعيين مستشارين اجانب فالمؤتمر يطلب تنفيذ

(١) جريدة الاصلاح عدد ٥١-١٤٤٦ فى ٥ شعبان ١٣٣١هـ .

وتطبيق هذين الطلبين .

خامسا : اللغة العربية يجب أن تكون معتبرة في مجلس النواب العثماني ويجب أن يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية .

سادسا : تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية الا في الظروف والاحوال التي تدعو للاستثناء الاقصى .

سابعا : يتمنى المؤتمر من الحكومة السنية العثمانية ان تكفل لمصرفية لبنان وسائل تحسين ماليتها .

ثامنا : يصادق المؤتمر ويظهر ميله لمطالب الأرمن العثمانيين القائمة على اللامركزية .

تاسعا : سيجرى تبليغ هذه القرارات للحكومة العثمانية السنية .

عاشرا : يصير تبليغها أيضا للحكومات المتحابة مع الدولة العثمانية .

حادى عشر : يشكر المؤتمر الحكومة الفرنسية شكراً جزيلاً لترحابها الكريم بغيوفها .

ملحق للطلبات السابقة : أولا : اذا لم تنفذ القرارات التى صادق عليها هذا المؤتمر فالاعضاء المنتمون الى لجان اصلاح السورية العربية يمتنعون عن قبول أى منصب كان فى الحكومة العثمانية إلا بموافقة خاصة من الجمعيات المنتمين اليها .

ثانيا : ستكون هذه القرارات بروغراماً سياسياً للعرب العثمانيين ، ولا يمكن مساعدة أى مرشح للانتخابات التشريعية

(١)
 الا اذا تعهد من قبل بتأييد هذا البروغرام وطلب تنفيذه " .
 وقد اختتم مؤتمر باريس جلساته مساء يوم الاثنين ١٩
 رجب ١٣٣١هـ ، ٢٣ يونيو ١٩١٣م ، بكلمة ترحيبية لرئيس
 المؤتمر ، ترجمت في الحال الى اللغة الفرنسية ، ثم القيت
 خلاصة الخطب وقرارات الجلسات السابقة باللغة الفرنسية ،
 واخيراً القى خطاب الاختتام باللغة الفرنسية لشارل افندى
 دباس .
 (٢)

ومع ان البعض قال بوجود تيارات داخل المؤتمر ذات
 اتجاهات مختلفة ، من أبرزها المسلمون العرب الذين ينشدون
 المساواة بين العرب والأتراك ، والمسيحيون العرب المناوئون
 للأتراك ، (٣) الا ان مناقشات المؤتمر اتسمت بالمراحة والاعتدال
 وهو ماظهر على قرارات المؤتمر التي لم تخرج في جوهرها
 العام عن مطالب العرب الإصلاحية المبنية على قاعدة
 اللامركزية ، والتي لم تشر البتة الى الانفصال عن الدولة
 العثمانية ، بل أكدت صدق وطنية العرب واخلاصهم العظيم
 للوطن العثماني واعلاء شأنه والدفاع عنه ، وهذا بطبيعة
 الحال ترجمة صادقة على ان انعقاد المؤتمر وقراراته كانت

(١) جريدة الإصلاح عدد ٥١-١٤٤٦ في ٥ شعبان ١٣٣١هـ ، ص ٢ ؛
 مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٩ ، ص ٧١٧-٧١٨ ؛

J.C.Hure Witz : The Middle East and North Africa
 in World Politics, A documentary Record, Vol,
 I.Document, No.177, pp.566-567 .

(٢) جريدة الإصلاح عدد ٤٤-١٤٣٩ في ٢٧ رجب ١٣٣١هـ ؛
 جريدة الإصلاح عدد ٥٣-١٤٤٨ في ٧ شعبان ١٣٣١هـ ؛

حسان حلاق : المرجع السابق ، ص ٢٩١ .
 (٣) وميفض جمال عمر نظمي : ثورة ١٩٢٠م - الجذور السياسية
 والفكرية ... ، ص ٩٢ ؛
 وجيه كوثراني : السلطة والمجتمع والعمل السياسي ... ،
 ص ١٨٤ .

تعبيراً عن ردود الفعل المباشرة لحرب البلقان التى جعلت العرب يحرمون على مطالبهم الإصلاحية كى تساعدهم على التمدى للاخطار الاجنبية التى تعدد ولاياتهم .

وبعد انتهاء المؤتمر قام وفد من اعضاءه بتسليم مقرراته الى كل من السفير العثمانى فى باريس ، والى وزير الخارجية الفرنسية ، وابلغوا مدير الشؤون الشرقية فى الوزارة الفرنسية بان مطالبتهم باللامركزية ، وعقدتهم لهذا المؤتمر فى فرنسا لايغنى رغبتهم فى الانسلاخ عن الدولة العثمانية ، او طلب الحماية الفرنسية او التدخل المباشر فى البلاد العربية ، وانما ذلك ادراكاً من العرب للعطف الذى تحمله فرنسا للعرب وأمانهم الإصلاحية ، وكل من اتى الى المسئولين الفرنسيين طالباً منهم الحاق سوريه بفرنسا ، فهو لايمثل اية صفة رسمية ، وانما يبحث عن مكاسب ذاتية واطماع شخصية ، وهى مرفوضة من العرب اصدقاء فرنسا الذين يحترمونها ، كما أكد رئيس المؤتمر السيد عبد الحميد الزهراوى لمندوب جريدة الثان الفرنسية ان هذا المؤتمر ليس له أى صبغة دينية ، ولا تتعدى أعماله دائرتى الاجتماع والسياسة لذا كان عدد المندوبين المسلمين والمسيحيين متساوياً ، اما السبب فى اختيار باريس على غيرها من العواصم الاوربية فهو وجود جالية عربية كبيرة وذات أهمية فاعلة كما يقول .^(٢)

(١) مذكرات سليم على سلام ، ص ٣٣-٣٥ ، ص ١٧٣ هامش ٢ ، والملحق ٢٥ ص ٢٨٥

(٢) جريدة الإصلاح عدد ٥٦-١٤٥١ فى ١١ شعبان ١٣٣١ هـ .
جريدة الإصلاح عدد ٤٠-١٤٣٥ فى ٢٢ رجب ١٣٣١ هـ .

قامت حكومة الاتحاد والترقي في الاستانة بمحاولات توفيقية بين اتجاهات الحكومة العثمانية ومطالب العرب الذين يعقدون مؤتمرهم في باريس ، واجمعت المصادر والمراجع العربية ان ثمة اتفاق عقد بين كل من المركز العام للاتحاد والترقي ممثلا بوزير الداخلية طلعت بك وهيئة الشبيبة العربية في الاستانة ممثلة بعبد الكريم خليل ، وهو يمثل المرتكزات الاساسية لمطالب العرب ، سيما وان الحكومة العثمانية قد ارسلت مندوبا لها الى المؤتمرين في باريس ، ومعه لائحة بالاتفاق المبدئي الذي أُعد في الاستانة ، ووافق المندوب العثماني على التعديلات الطفيفة التي أُجريت في باريس ولم يبق على تنفيذ هذا الاتفاق إلا المصادقة الرسمية من قبل الحكومة ، ومن ثم استدعاء رجال الإصلاح العرب من باريس الى الاستانة لمباشرة التنفيذ .^(١)

ولقد تباطأت حكومة الاتحاديين في المصادقة على الاتفاقية ، ومع هذا لم يخالط الشك نفوس الشبيبة العربية في الاستانة حين ظهرت بينهم وبين الحكومة بوادر صداقة واخوة ، واقام الجانبان لبعضهما البعض مآدب فاخرة ، تخللتها الكلمات الحماسية والخطب المعبرة ، ثم قَدِمَ وفد من باريس يمثل بعض اعضاء المؤتمر ليشارك في هذه الاحتفالات والاجتماعات ، التي ظن العرب انها ستوصلهم الى المصادقة النهائية على بنود الاتفاق الذي سبق ان وضعت خطوطه

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٨ ، ص ٦٣٤-٦٤٠ ، يوسف ف. البستاني : المرجع السابق ، ص ٢٥٢-٢٥٣ ، ساطع الحمري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ١١٩-١٢٣ ، توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٥٣٣-٥٣٦ .

الرئيسية مع حكومة الاتحاديين ، لكن مدور الارادة السلطانية
فى اوائل شهر رمضان ١٣٣١هـ ، اوائل أغسطس ١٩١٣م التى عدلت
من بنود الاتفاقية ، اشارت ردة فعل عنيفة لدى العرب ،
وزادت من شقة الخلاف بينهم وبين الدولة العثمانية .^(١)

ونحن هنا لانعدو الحقيقة اذا قلنا ان مصاعب الحرب
البلقانية وانعكاساتها على الدولة العثمانية ، هى التى
دفعت العرب للبحث عن الاصلاح الذى يحمى بلادهم من الخطر
الاجنبى ، وقرارات مؤتمر باريس تعبير واضح عن هذه المطالب
كما ان حروب البلقان تلك جعلت الدولة العثمانية تتساهل
الى حد ما فى مطالب العرب ، وعند انتهاء تلك الحرب
بمعاهدة بخارست ، رأت الدولة العثمانية ورجال السياسة
فيها ان تحديد مطالب العرب واختزالها خير للدولة وولاياتها
لان التدخل الاجنبى فى الحركة العربية والنفوذ المسيحى فى
النشاط السياسى العربى زاد من مخاوف رجال السياسة فى
الدولة العثمانية حينذاك .

وقد عبر حزب اللامركزية فى القاهرة عن استيائه من
موقف الحكومة العثمانية حول الاتفاق مع العرب ، معتبراً
انها قد شوهت مواد الاتفاقية وادخلت اليأس فى نفوس اعضاء
الحزب ونفوس الامة العربية جمعاء ، اما وكيل القنصلية^(٢)
الفرنسية فى بيروت فقد عبّر عن استيائه من ذهاب وفد الى
الاستانة من اعيان بيروت ودمشق باعتباره وفداً معادياً

(١) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٢١-١٣١
، جريدة الاصلاح عدد ٩٤-١٤٨٩ فى ٢٥ رمضان ١٣٣١هـ
، محمد عزة دروزة : المصدر السابق ، ص ٤٤٥-٤٤٦ .
(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٥٣٧ .

(١) للاصلاحيين العرب ولايهم في عفويته اى من المسيحيين العرب ،
 فى حين اعلن العرب فى سوريا وولايات عربية اخرى عن رفضهم
 لمواقف الوفد العربى الذى استجاب لمطالب الحكومة الاتحادية
 لان ذلك لايمثل بئى حال من الاحوال مطالب العرب وامانيهم .
 (٢) وهكذا وصلت الحال ومجريات الاحداث التى افرزها مؤتمر
 باريس العربى بالعلاقات العربية التركية الى هذا المستوى
 من المدام والاختلاف ، اذ سارت العلاقات التركية العربية فى
 طرق خطيرة ، حتى اوشكت عراها على الانفهام ، وليس هذا فحسب
 وانما وصل الامر الى اختلاف وجهات النظر لدى المفكرين
 والمؤرخين العرب فى نتائج مؤتمر باريس ، فهذا هو السيد
 محمد رشيد رضا يدافع عن المؤتمر واعفائه ، وانه كان
 تعبيراً صادقاً لامانى العرب وحقوقهم السياسية والاقتصادية
 والادبية ، ولم يترتب عليه اى ضرر للدولة او الامة ، بينما
 وقف شكيب ارسلان ضد هذا المؤتمر وعقده فى عاصمة دولة
 اوربية كفرنسا المعروفة بمطامعها فى سورية ، كما انه
 لايجوز للعرب ان يعقدوا مثل هذا المؤتمر والدولة العثمانية
 مشغولة بالحرب البلقانية ، وقد فقدت قسماً عظيماً من
 ولاياتها وسقطت اهميتها العسكرية والسياسية ، وهذا السقوط
 لاينحصر فى الاتراك وحدهم وانما يمل الى جميع المسلمين ،
 (٣) اما المؤرخ العربى المعروف محمد شفيق غربال فقد قال : "فى

(١) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، الملحق رقم ٢٧ ، ص ٢٨٨-٢٨٩ .

(٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ، ص ١٠٦ .

(٣) وجيه كوشرانى : السلطة والمجتمع والعمل السياسى من تاريخ الولاية العثمانية فى بلاد الشام ، ص ١٨٦-١٨٧ ، وهامش ٩٢ ص ١٨٦ .

رأى أن التوفيق جانب أولئك العرب الذين عقدوا مؤتمراً لبحث قضاياهم في مدينة باريس مع علمهم بموقف فرنسا من العرب والعروبة في الاقطار المغربية ، ومع علمهم بمطامعها المشهورة في سوريا ومع علمهم بأن من زملائهم في المؤتمر من هم ضالعون مع فرنسا في مشروعاتها في سوريا ، في رأى أن التوفيق جانب فكرة المؤتمر - وأن التوفيق ايضاً جانب الحكومة الاتحادية في موقف الخداع الذي اتخذته من المؤتمر والمؤتمرين - ... ان الطريق الاسهل ليس دائماً الطريق الموصلى ، وليس دائماً الطريق المستقيم^(١) .

هذا هو مؤتمر باريس ، وتلك كانت قراراته واجتماعاته وهو على أية حال تأكيد لما ذهبنا اليه في هذا البحث من انه كان واحداً من ردود الفعل المباشرة لحروب البلقان ، ومن ناحية أخرى فان هذه الحرب اظهرت مداها لدى العرب من خلال عقدهم لمؤتمر باريس وقراراتهم التي اتخذوها في هذا المؤتمر ، ولكن الفترة الزمنية لتلك الاحداث كانت ضيق من ان تحلور فيها النتائج التاريخية لتلك الاحداث الجسام التي أثّرت على كيان الدولة العثمانية بشكل عام والمشرق العربى العثمانى بشكل خاص .

(١) محمد شفيق غربال : المرجع السابق ، ص ١١٥-١١٦ .

(د) حركة البصرة .

وصلت آثار الحروب البلقانية وانكسارات الجيش العثماني فيها الى ولاية البصرة العثمانية ، وتأثرت تلك الولاية بمجريات الاحداث كاية ولاية من ولايات المشرق العربي العثماني ، وعندما ارادت الصحافة الاوربية ان تشير الفتنة بين حكومة الاتحاديين التي عادت للسلطة ابان حرب البلقان ، وبين اهالي البصرة ، واطلقت الاشاعات والاكابر الكاذبة عن وجود قلاقل في ولاية البصرة تهدف الى طرد الوالي العثماني واعلان الاستقلال ، عندئذ تتابعت البرقيات من اعيان وزعماء البصرة يؤكدون فيها ولاءهم واخلاصهم للدولة العثمانية ، ويبدون استعدادهم الكامل للوقوف الى جانب الدولة في حربها (١) ضد البلقانيين .

لكن هذا لايعنى عدم وجود حركة عربية في البصرة على غرار الحركة العربية التي تحدثنا عنها في صفحات سابقة ، تهدف في مجملها الى اعطاء ولاية البصرة برامج اصلاحية كالتي يطالب بها العرب في جمعياتهم ونواديهم السياسية ، والتي تنطلق من فكرة اصلاح على قاعدة اللامركزية ، وقد تقلد السيد طالب النقيب زعامة المعارضين لحكومة الاتحاد والترقي في سياستها المركزية ، واستطاع ان يضم اليه الشيخ خزعل

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٢ ، ص ١٤٧ ؛
جريدة الاهرام عدد ١٠٦٢٦ في ٧ ربيع الاول ١٣٣١هـ ؛
عبد العزيز المنصور : الكويت وعلاقتها بعربستان
والبصرة ١٨٩٦-١٩١٥م ، ص ٦٧ .

(١) خان حاكم المحمرة ، والشيخ مبارك الصباح شيخ الكويت ، ليكون الزعماء الثلاثة حركة عربية مناهضة للاتحاديين وسياستهم المركزية .

لقد ظهرت الحركة العربية في البصرة بقوة ونشاط منذ تأسيس فرع حزب الحرية والائتلاف هناك ، في الحادى عشر من شهر شعبان ١٣٢٩هـ ، السادس من أغسطس ١٩١١م ، حيث دعا السيد طالب النقيب مايقارب من مئة رجل من اعيان البصرة للاجتماع في داره ، ومعظمهم كانوا اعضاء في جمعية الاتحاد والترقى وفيهم رئيس الفرع في البصرة ونائبه ، وابلغ الجميع بفكرة تأسيس الحزب الجديد على اساس مستقل وغير مرتبط بالمقر العام في عاصمة الدولة ، فوافق الجميع على الفكرة ووقعوا على نظام تأسيس الحزب ، كما وقعوا على برقيات الاستقالة من جمعية الاتحاد والترقى ، وفي الحال جرى انتخاب الهيئة الادارية المكونة من طالب النقيب رئيسا ، ونائبين للرئيس ومعتمداً للحزب وسكرتير وخمسة اعضاء آخرين اضافة الى امين صندوق للحزب ، ثم افتتح الحزب رسمياً بمهرجان عظيم ، حضره الوالى العثمانى وقناصل الدول وحشد كبير من الناس ، وتليت في المهرجان الخطب وبرقيات التأييد المرسله للحزب من داخل الولاية وخارجها .

ومع أن وجود هذا الحزب يوحى برغبة المؤسسين له في الحفاظ على تماسك الدولة العثمانية في ظل نظام اللامركزية

(١) صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربى ، ص ١٨٨

، ايمان محمد عامر : سياسة بريطانيا في الخليج العربى ١٩١٤-١٩٣٩م ، ص ٢٦ .

(٢) سليمان فيفى : المصدر السابق ، ص ٩٦-٩٧ .

وصيانة الولايات العربية من التدخل الاجنبى ، إلا ان بريطانيا حاولت ان تجتذب قادة هذا الحزب الى جانبها ، حين ابدى القنصل البريطانى فى البصرة استعداد حكومته لدعم هذا الحزب ، ودعوة احدى قطع الاسطول البريطانى للرسو فى مياه شط العرب خوفاً من ان تتخذ الحكومة العثمانية اجراءات معادية له ^(١) ، وكانت مساندة الشيخ خزعل حاكم المحمرة والشيخ مبارك الصباح امير الكويت لهذا الحزب ومؤسسيه ذات اثر فعال لما يربط هذين الزعيمين من علاقات وطيدة ، ولما يملكانه من ثروات كبيرة تقع غالبيتها فى البصرة . ^(٢)

ثم اصدر جريدة الدستور ، التى اشترك فى تحريرها مجموعة من الادباء والمثقفين فى البصرة ، ولعبت دوراً هاماً فى نشر افكار الحزب واتجاهاته مما جعل نفوذه يصل الى بغداد والموصل ، ومع ان رئيس الحزب السيد طالب النقيب كان من المعارضين لحكومة الاتحاديين ، فانه كان شديد الولاء والاخلاص للدولة العثمانية ، وهذا ما تمثل فى جهوده المخلصة التى بذلها فى معاونة الدولة فى فترة مابين حربى طرابلس الغرب والبلقان ، حين ساعد على توطيد الامن الداخلى وتعبئة الشعور الوطنى فى ولاية البصرة . ^(٣)

وعندما وافقت الحكومة العثمانية على اجتماع المجالس العمومية فى الولايات العثمانية وتقديم لوائحها الاصلاحية

-
- (١) سليمان فيفى : المصدر السابق ، ص ٩٧-٩٨ ؛
 توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٣٠٣ .
 (٢) مصطفى عبد القادر النجار : التاريخ السياسى لامارة
 عربستان العربية ١٨٩٧-١٩٢٥ م ، ص ١٣٧ ؛
 منيرة العرينان : المرجع السابق ، ص ٢١٤ .
 (٣) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٤٨٩-٤٩٠ .

سارع أعضاء حزب الحرية والائتلاف في البصرة الى حل حزبهم وتأسيس الجمعية الاصلاحية في البصرة ، وقدموا منهاجها للحكومة التي جاءت موافقتها سريعاً ، لتفتح الجمعية رسمياً في الثاني والعشرين من ربيع الاول ١٣٣١هـ ، الشامن والعشرين من فبراير ١٩١٣م ، وكانت الجمعية الاصلاحية في البصرة قد ربطت نفسها بحزب اللامركزية الادارية العثمانية في مصر وعملت وفق منهاجه ودعت الى تحقيق اهدافه الداعية الى النظام اللامركزي داخل اطار الدولة العثمانية ، كما ان تاسيسها قام على غرار الجمعية الاصلاحية في بيروت .^(١)

وقد استهل السيد طالب النقيب نشاطه بتنظيم مضبطة وقعها عدد كبير من وجهاء مدينة البصرة ، وختموها باختامهم واقسموا على تنفيذها ، وتنص على استعدادهم لتكريس الجهود لما فيه خدمة الدولة العثمانية دون الاتجاه مع اي حزب كان سواء حزب الاتحاد والترقي ام الاحزاب المعارضة له ، اما برنامج الجمعية الاصلاحية في البصرة والذي وافق عليه البصريون ثم تبعهم في ذلك البغداديون والموصليون فهو يقع في ثمانية وعشرين بنداً تكاد لا تختلف عن لائحة جمعية بيروت الاصلاحية إلا فيما يخص المستشارين الاجانب ، فالمادة الاولى من مواد البرنامج اكدت على ان يكون الوطن العزيز ملكاً عثمانياً خالماً تحت راية الهلال ، في حين رفضت المادة الثانية اعطاء اية امتيازات للاجانب في البلاد وميانتها من

(١) سليمان فيفي : المصدر السابق ، ص ١٣٠ في
 ، وميض جمال عمر نظمي : المرجع السابق ، ص ١٠٤ في
 ، محمد عصمت شيخو : سورية وقضية فلسطين ١٩٢٠-١٩٤٩م ،
 ص ٣٧ .
 (٢) خالد حمود السعدون : المرجع السابق ، ص ٢٥٥-٢٥٦ .

الدسائس الأجنبية ، ومنع النفوذ الأجنبي فيها ، وهذا دليل قاطع على أن العرب الملاحيين في البصرة كانت تراودهم المخاوف على ولاياتهم بعد هزائم الدولة العثمانية في البلقان وأن الخطر الأوربي بات وشيكاً في بلادهم .

وقد قَمَرَت المادة الرابعة جميع الأعمال المتعلقة بشؤون الدولة الأساسية على المركز ، بينما أعطت الأعمال المحلية لمجلس الولاية العمومي في حين حددت المادة الخامسة مهام الوالى ، أما المادة السابعة فكانت عن صلاحيات ومهام المجلس العمومي وكذلك المواد - ١١، ١٠، ٩، ٨ - ، وقد أعطت المادة الرابعة عشر للمركز حق تعيين الوالى على أن يكون من أهل العراق ، أما بقية الموظفين فالوالى هو الذى يقوم بتعيينهم على أن يكونوا من أهل البلاد ، ويتحدثون اللغة العربية ويُجَرِّى لهم امتحان فيها يتوج بقرار من المجلس العمومي .

كما نصت المادة التاسعة عشر على أن تكون اللغة الرسمية في جميع الدوائر والمحاكم هي العربية ، وتنظم بها كافة المعاملات ، أما المادة العشرون فقد أشارت الى صياغة القوانين المدنية والجزائية وفقاً للشريعة الإسلامية ، كما حددت المادة الثالثة والعشرون عمل المتطوعين للجيش في ولاياتهم زمن السلم وبالإمكان الاستعانة بهم في أى جزء من الدولة زمن الحرب ، أما الضباط العرب فقد حُصِرَ عملهم في بلادهم كما أشارت المادة الرابعة والعشرون من هذا البرنامج ، بينما أكدت المادة الخامسة والعشرون على تدريس كافة العلوم والفنون باللغة العربية ، على أن يكون هناك اهتمام

(١)

خاص باللغة التركية والعلوم الدينية .

وإشارتنا هنا الى بعض المواد التي تضمنها برنامج الجمعية الإصلاحية في البصرة ، ليس معناه تقييلاً من أهمية المواد الأخرى ، وإنما مرد ذلك هو أن تلك المواد تنسجم الى حد ما مع ما كانت عليه خطة البحث ، التي تذهب في جوهرها الى أن حركة البصرة العربية لم تكن حركة انفصالية تريد الخروج عن الدولة العثمانية ، وإنما تلك الحركة كانت ردة فعل مباشرة لحروب البلقان ، وهزائم الدولة العثمانية فيها ، مما زاد من خوف دعاة الإصلاح العرب وفي مقدمتهم زعماء البصرة ، وعند ذلك سارعوا بإنشاء الجمعيات ووضع البرامج الداعية الى إصلاح الولايات العربية على قاعدة اللامركزية . ويذهب أحد المؤرخين المعاصرين لتلك الحركة أن العلاقة بين الحكومة العثمانية وزعيم الحركة العربية في البصرة السيد طالب النقيب قد تحسن وضعها وعادت الثقة بين الجانبين الى وضعها الطبيعي ، مما أدى بالسيد النقيب الى أن ينشر في الصحف بياناً يعلن فيه عن اتفاقه مع الحكومة العثمانية حيث قال : "أعلن مع كمال الفخر الى عموم أهالي الولاية والملحقات بأننا قد اتفقنا للاشتراك في الجهود كأننا روح واحدة لأجل إعلاء شأن حكومتنا السنية التي قدرت مداقتنا رسمياً فلم يبق بيننا وبين الحكومة السنية خلاف باي صورة كانت وقد زال ما كان من سوء التفاهم زوالاً قطعياً ومرنا كلنا كتلة واحدة تعمل على سعادة دولتنا الأبدية وتسعى الى

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٥٠٠-٥٠٢ ك
حسين هادي الشلاه : المرجع السابق ، ص ٢١٢-٢١٥ .

محافضة وحدتنا العثمانية بكل قوانا وحتى آخر فرد منا ،
(١)
وللبيان حررت الكيفية وأعلن " .

وقد أثرت حركة البصرة في المدن العراقية الاخرى حيث
أسسَ النّادى الوطنى العلمى فى بغداد ومنحت رئاسته الفخرية
للسيد طالب النقيب ، ثم أصدر هذا النّادى جريدة النهضة
لتحدث باسمه وتنشر افكاره واهدافه ، وهذه الحركة فى
(٢)
مجلها هي التى لفتت نظر القنصل الأمريكى فى بغداد حين كتب
الى حكومته تقريراً فى التاسع من ربيع الثانى ١٣٣١هـ / ١٧
مارس ١٩١٣م قال فيه : " أن عرب العراق يشتركون فى الحركة
التى تهدف الى اقامة حكم ذاتى إن لم يكن الاستقلال التام عن
الدولة العثمانية ، وانهم انضموا الى جمعية سرية مقرها
القاهرة [حزب اللامركزية] ، ولها فروع فى ولايات بغداد
والبصرة والموصل وهدفها الحصول على الاستقلال لهذه الولايات
الثلاث ، وشمة شائعة بانهم يهدفون الى اقامة دولة عربية
تكون عاصمتها دمشق ، ... الوطنيون فى البصرة بعثوا بمذكرة
الى حكومة الاستانة يطالبون باستقلال ذاتى واسع ...
والحكومة العثمانية وعدت ببحث ماجاء بهذه المذكرة ، ولكن
الوطنيين فى البصرة مسممون على نيل الاستقلال ، والسيد طالب
النقيب يتزعم هذه الحركة ويتجول بين مختلف جهات العراق
(٣)
محاولاً جمع شمل المشائخ والرؤساء " .

وقد أكد المقيم البريطانى فى الكويت الكابتن وليام
شيكسبير Shakespear فى خطاب بعث به الى معتمد بريطانيا

(١) سليمان فيضى : المصدر السابق ، ص ١٣١-١٣٢ .
(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٤٩١ .
(٣) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

فى الخليج السير بيرسى كوكس Sir, Percy Cox - أكد تلك الأفكار التى قال بها القنصل الأمريكى ولكنه أوضح مراعاة السبب الذى من أجله تقوم تلك الحركة العربية فى البصرة ، وهو عدم ثقة العرب هناك فى قدرة الدولة العثمانية على حمايتهم بعد أن تلقت هزائم فادحة فى حرب البلقان مما أثر على هيبة ومكانة الدولة ، سيما وأن الأخبار عن حرب البلقان فى أولها كانت تؤكد انتمار الدولة على الحلفاء البلقانيين وهى اشاعات روجتها الحكومة العثمانية لتغطية ضعفها وفشلها (١) كما يقول .

وقد شارك دعاة الإصلاح العرب فى العراق فى أعمال مؤتمر باريس حيث تحدث مندوب العراق توفيق السويدي وأعرب عن تأييد العراقيين للمؤتمر وأنهم "ليسوا أقل شعوراً بضرورة الإصلاح ، ولا أقل استعداداً للنهضة من اخوانهم السوريين وأن الغاية واحدة والامة واحدة والكلمة واحدة لأجل طلب الحياة السعيدة لهذه الامة الكريمة " (٢) ، كما بعث السيد طالب النقيب برقية للمؤتمر شكر فيها القائمين عليه ، وطلب منهم بذل الجهود لتحقيق مطالب العرب الإصلاحية على قاعدة اللامركزية وفى ظل الدولة العثمانية . (٣)

وقد توجه وفد من حركة البصرة الإصلاحية بعد نهاية مؤتمر باريس الى الاستانة فى محاولة لوضع قواعد الإصلاح التى يطالب بها العرب موضع التنفيذ ، وبذل هذا الوفد جهوداً كبيرة لتحقيق الوفاق بين العرب وبين الحكومة العثمانية ، (٤)

(1) F.O.424/238, Enclosure 2, in No.458, Captain Shakespear to Lieutenant-Colonel Sir, P.Cox Coueit, 15. May 1913. pp.369-372 .

(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٥١٩ .

(٣) جريدة الإصلاح عدد ٥٣-١٤٤٨ فى ٧ شعبان ١٣٣١ هـ .

(٤) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ، ص ١٠٦ .

وقد أعطى خطاب السفير البريطاني في الاستانة السيد مارلنغ Marling ، الذى بعثه الى وزير خارجيته فى ٢٤ شوال ١٣٣١هـ ٢٥ سبتمبر ١٩١٣م صورة واضحة وصريحة عن علاقات الحركة العربية فى البصرة مع الحكومة العثمانية حين اشار الى "ان الدوافع الحقيقية التى كانت تحدو جمعية الاصلاح البصرية للوقوف فى صف المعارضة كانت كراهيتهم لحكم جمعية الاتحاد والترقى اكثر مما كانت المطالبة بالانفصال عن العثمانيين (١) وحكمهم " .

ومن خلال قراءتنا لبرنامج جمعية البصرة الاصلاحية الذى سبق الاشارة اليه يتبين لنا ان ماذهب اليه المسؤول البريطانى هو الواقع الصحيح ، لان ذلك البرنامج قد اعطى الحكومة المركزية حق التصرف فى الامور العامة مثل السياسة الخارجية والجيش ، وان تقوم بتعيين والى الولاية ، ولم يشر مطلقا الى الانفصال عن الدولة ، كما ان مشاركة الجمعية فى مؤتمر باريس وتأييدها لمطالبه تأكيد لذلك ايضا ، غير ان ما هو جدير بالذكر هنا ان ظهور هذه الحركة واستفحالها ، قد زاد من ظهور النشاط القومى العربى المتطرف ، كعامل رتجاه مضاد للحركة الطورانية المتطرفة داخل حكومة الاتحاد والترقى فى عاصمة الدولة ، وهو مايدخل فى مفهوم نمو القوميتين العربية والتركية فى آن واحد ، مما ادى الى شدة الصدام بينهما ليكونا معاً عاملاً من عوامل التمزق الداخلى فى الدولة العثمانية ، ويمبها من الانشطة المناوئة للدولة الاسلامية .

(١) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص ١٠٤-١٠٥ ،
 ، احمد الشيبانى : حماد حقبة من تاريخ ، جريدة الرياض ، عدد ٧٤٣٤ فى ٢٠ ربيع الاول ١٤٠٩هـ .

(هـ) تزايد أخطار التمزق الداخلى فى الدولة
والأنشطة المناوئة للدولة الإسلامية .

تبين لنا من خلال ما سبق أن ردود الفعل المباشرة لحروب البلقان قد زادت من أخطار التمزق الداخلى فى الدولة العثمانية ، وعجلت بظهور الأنشطة المناوئة لها ، والتي كان من أبرزها نمو القوميتين العربية والتركية ، هذا النمو لهاتين القوميتين الذى جاء فى وقت واحد زاد من شدة التصادم بينهما ، ليؤدى بالتالى الى حدوث انعكاسات خطيرة على الدولة العثمانية بوجه عام وعلى المشرق العربى العثمانى بوجه خاص .

وكلمة القومية تعبير غربى تلقته شعوب المشرق الإسلامى من أوربا ، ويقصد بكلمة Nationality فى اللغة الانجليزية القطر أو الدولة التى ينتمى إليها الفرد أو المواطن ، (١) ويرى أحد المؤرخين العرب أن معنى كلمة قومية Nationalism ينبثق من الفكرة المثالية فى المصطلح الفرنسى هى مذهب من المذاهب السياسية التى تعبر فى مجملها عن حب الأمة التى ينتمى الانسان إليها ، وتفضيل خصائصها على خصائص غيرها ، ونفس الاتجاه نادى به أحد دعاة القومية العربية حين أشار الى أن القومية من "أهم النزعات الاجتماعية التى تربط الفرد البشرى بالجماعات وتجعله يحبها ويفتخر بها ويعمل من أجلها ويفضح فى سبيلها" (٣) .

-
- (١) محمد الخير عبد القادر : نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية ... ، ص ١٩ .
(٢) مصطفى الشهابى : القومية العربية ... ، ص ٤ ، وهامش ص ١٩ .
(٣) ساطع الحمصى : آراء وأحاديث فى الوطنية والقومية ، ص ٩ .

أما فى المجتمع الإسلامى فالمسلم أخ للمسلم مهما كانت لغته وأصله وسلالته وبلاده ، فهو أقرب له من مواطنه الذى قد يتكلم لغته وينحدر من نفس سلالته ولكنه لا يدين بنفس عقيدته (١) قال الله تعالى : {ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين} الآية ، وقال سبحانه : {ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم} (٢) إن الله لا يهدى القوم الظالمين} الآية . (٣)

لقد ألف الإسلام بين شعوب وقبائل مختلفة وجعلها أمة واحدة ، ذات هدف واحد وغاية واحدة ، والدعوة الى القومية بفرض أن تحل محل الإسلام أو أن تتقدم عليه مرفوضة لدى الأصوليين ، وهم يعتبرونها دعوة هدامة يراد بها هدم أعظم رابطة روحية عرفها التاريخ ، والدعوة الى القومية العربية فى هذا الاطار اساءة للعرب انفسهم ، وجناية عليهم لانها تفصلهم عن الإسلام الذى هو مجدهم الاكبر وشرفهم الاعظم ومصدر عزهم وسيادتهم على العالم . (٤)

ولم تكن فكرة القومية العلمانية الموجودة فى غربى أوروبا ذات اثر فى الفكر السياسى داخل الدولة العثمانية ، حتى ظهرت أحداث البلقان التى انطلقت من فكر قومى صرف ، حينذاك بدأت محاولة تنميمة الوجدان القومى عند الاتراك

(١) برنارد لويس : الغرب والشرق الاوسط ، ص ٩٥ .

(٢) سورة المائدة : آية ٥٧ .

(٣) سورة المائدة : آية ٥١ .

(٤) الشيخ عبد العزيز بن باز : المرجع السابق ، ص ١٨-١٩ .

(١) تقليداً ومحاكاة للحركات القومية فى أوربا ، غير أن حروب البلقان وانهزام الجيوش العثمانية فيها أظهرت على مسرح الأحداث بصورة لا تقبل الجدل وجود اتجاه قومى تركى ، كنوع من أنواع الحلول اللازمة التى اعتقد رجال السياسة فى الحكومة العثمانية جدواها حينذاك ، ولكنها لم تكن كذلك وإنما زادت من مشكلات الدولة وأعبائها .

ولقد كان السلطان عبد الحميد مدركاً لآخطار القومية فى جسم الدولة العثمانية لذا كان التزامه بالرابطة الإسلامية علاجاً حاسماً لهذا الخطر الذى يهدد كيان الدولة ، لأن الحقائق التاريخية أثبتت أن حركة التنظيمات والمشروطية لم تُغيّر فى مواقف العناصر الخاضعة للدولة من غير المسلمين ، (٢) لأن الاسلام كقوة روحية وسياسية يشكل أثراً عميقاً يتفوق على اثر القومية العلمانية ، وهذا ما تحقق فى علاقة العرب مع حكومة الاتحاد والترقى حين حاولت تأكيد قوميتها التركية وابتعدت عن الاسلام الذى يكون بينها وبين العرب رابطة قوية من الاخوة والمصير المشترك . (٣)

كانت فكرة القومية العربية قد بدأت عند العرب المسيحيين ، على قاعدة أن جميع الشعوب التى تتكلم العربية أمة واحدة ، لادراكهم أنه ليس هناك أى قاسم مشترك بين

-
- (١) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص ١٨٥ هامش ٣٦ .
 (٢) محمد حرب عبد الحميد : المصدر السابق ، ص ٩٧ ؛
 أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .
 (٣) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٨٢-٨٣ ؛
 البراورطابلى : المرجع السابق ، ص ٥٤٤ .
 (٤) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص ١٣٠-١٣٢ .

المسلمين العرب والمسيحيين العرب سوى العروبة ، فالعروبة عندهم هي العقد الذى يؤلفهم مع المسلمين العرب ، لانه ليس لهم صلة دينية أو صلة قومية تملهم بالدولة العثمانية ،^(١) وهو ما جعل البعض منهم يتطلع الى الانفصال عن الدولة الاسلامية بمساعدة دولة اوروبية تطرد العثمانيين من البلاد وتحكمها بدلا منهم .^(٢)

وقد شهدت عاصمة الدولة العثمانية ظهور احزاب وجمعيات قومية صرفة مثل "ترك اوجاغى - اى الوطن التركى" ، "وترك درنكى اى المنتدى التركى" ، "وترك يورتى جمعيتى - اى جمعية المملكة التركية" ، وتمخض عن هذا الاتجاه محاولة تخليص الفكر التركى من المؤثرات الثقافية العربية ، وانشاء لغة جديدة وادب جديد ، وقامت محاولات لترجمة الكتب العلمية الى اللغة التركية القديمة ، وصاحب ذلك فكرة تغيير أسماء الضباط العثمانيين من اعضاء جمعية الاتحاد والترقى الى أسماء طورانية بدلا من الاسماء العربية ، ليمل الامر^(٣) باصحاب هذا الاتجاه الى نشر كتاب فى الاستانة تحت عنوان "قوم جديد" يدعو الى نزع أسماء الخلفاء الراشدين وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المساجد لانهم عرب ووضع بدلا منها أسماء عظماء الترك ، وكانت ردة الفعل عند العرب انهم راحوا يفكرون بالاسلوب ذاته ، واسفر الامر عن تأسيس

-
- (١) مجيد خدورى : المرجع السابق ، ص ٣٠ ؛
 فيليب حتى وآخران : تاريخ العرب ... ، ص ٨٥٥ .
 (٢) حسان حلاق : المرجع السابق ، ص ٢٩١ ؛
 جريدة الاهرام عدد ١٠٥٩٦ فى ١ صفر ١٣٣١ هـ .
 (٣) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٢٠١-٢٠٥ .
 (٤) مجلة المنار المجلد ١٧ ، ج ٢ ، ص ١٦٠ .

(١) عدد من الجمعيات العربية المرفقة السرية منها والمعلنة .
وقامت الصحافة التركية والعربية بدور بارز فى اشارة
الزعمات العرقية داخل الدولة ، لتميح بذلك من اهم
المكونات الماغطة لايجاد رأى قومى عام ، فهذا حسين جاهد
صاحب جريدة طنين التركية واحد الاعضاء البارزين فى حكومة
الاتحاد والترقى يقول : " ان الامة التركية كانت وستظل هى
الامة الحاكمة فى السلطنة العثمانية ، وان الترك يتمتعون
بحقوق وامتيازات سامية بمفتهم فاتحين ، وانه لامجال
للاعتراف بحقوق مساوية للعناصر الجنسية الاخرى " ، اما عمر
الفاخورى احد الكتاب العرب المدافعين عن القومية العربية
فقد كتب فى جريدة المفيد العربية حيث قال : " ان المستقبل
للشعوب القومية المتمسكة بقوميتها ، فلتكن الجنسية
العربية ديانة للعرب جديدة ، ان الجنسيات آلهة العصور
الآتية ، فلم لاتسعى منذ الان لخلق اله لامة هو الجنسية
العربية " ، ان هذا هو الغزو الفكرى الذى ارادته اوربا ،
فمقولة الكاتب العربى هذه دليل على مدى الانحراف الذى
وصل اليه دعاة القومية ، والذى يعتبر بحق بداية النهاية
لرابطة الدين الاسلامى الذى كان يربط العرب والترك بالدولة
العثمانية .

لقد بات الصدام بين القوميتين العربية والتركية هو
محور الاحداث التاريخية فى تلك الفترة ، فهذا كاتب تركى

-
- (١) عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الاسلامية - الاتراك
العثمانيون ، الغرب ، مسلمو الهند ، ص ٢٠٩ .
(٢) حافظ وهبة : جزيرة العرب فى القرن العشرين ، ص ١٥٩ .
(٣) محمود صالح منبى : المرجع السابق ، ص ١٢٥ .
(٤) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٥٩٢-٥٩٣ .

يتحدث فى مقال له على صفحات جريدة طنين التركية ويقول :
 "لا يزال العرب يلحجون بلغتهم وهم يجعلون اللغة التركية جهلاً
 تاماً كأنهم ليسوا تحت حكم الترك ، فمن واجبات الباب
 العالى فى هذه الحال أن ينسيعم لغتهم ويجبرهم على تعلّم
 لغة الأمة التى تحكمهم ، ... لأن العرب ان لم ينسوا لغتهم
 وتاريخهم وعاداتهم فأنهم سيعملون عاجلاً أو آجلاً على استرجاع
 مجدهم الفائع وتشيد دولة عربية جديدة على انقاض دولة
 الترك" (١) ، أما صحيفة الاجبشيان جازيت Egyptian Gazette التى
 تصدر فى القاهرة فقد رأت فى مقال لها بتاريخ ٩ جمادى
 الاولى ١٣٣١هـ / ١٥ ابريل ١٩١٣م أن موقف العرب داخل الدولة
 العثمانية شبيه بموقف المعارضة داخل امبراطورية النمسا ،
 وذهبت الى القول أن رابطة الالام هى التى ربطت الترك بالعرب
 منذ زمن بعيد ، وأن هذه الرابطة لابد أن تنتهى أو يشب
 بينهما صراع عنيف (٢) ، وهى بطبيعة الحال فى مقالها هذا تتنكر
 للحقائق التاريخية ، وتأتى بمغالطات مريضة للواقع ، لأن
 الرابطة التى كانت تربط بين العرب والأتراك هى رابطة الدين
 الاسلامى ، لكن هذه هى لغة القومية الدخيلة على المسلمين ،
 ولغة دعائها .

لقد دفعت حروب البلقان ونتائجها بالقوميتين العربية
 والتركىة الى التصادم السريع ، لتصبح القومية وصراعاتها
 من اشد الاخطار التى زادت فى التمزق الداخلى للدولة
 العثمانية ، فالحركة العربية التى قامت فى بيروت أو فى

(١) مؤلف مجهول : الممدر السابق ، ص ٢٣١-٢٣٢ .

(٢) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

البصرة لم تمل الى النتائج المقبولة والمعقولة التى طالب بها دعاة الاصلاح العرب ، وهو الاصلاح على قاعدة اللامركزية ، كما ان جمعية بيروت الاصلاحية قد ادخلت ضمن اعضائها العنصر الاسرائيلى تحت ستار القومية العربية ، وعندما سئل أحد الاعضاء المسيحيين البارزين فى تلك الجمعية عن قضية مهاجرة اليهود الى سوريا وفلسطين ابدى رضاه الكامل عن تلك المهاجرة واتهم من يقف فى سبيلها او يقوم بمعاكستها بأنه خائن لوطنه كما يقول ، أما رئيس المؤتمر العربى فى باريس فقد أعلنها قومية صريحة حين أشار فى مقابلة أجريت معه قبل انعقاد المؤتمر حيث قال : "فنحن لانتمسك بالوحدة السياسية لأجل الرابطة الدينية بل رغبة منا فى ايجاد مجموع عثمانى يرتقى فيه مجموعنا العربى بدون حائل يقف فى طريقه " ، وقد هاجمت الصحف التركية العرب قبل عقد مؤتمرهم فى باريس حيث قالت : "بأن الفئة التى تتظاهر تارة فى سورية وتارة فى مصر وفى العراق وباريس ، بالغيرة على مصالح العرب وعشق العربية ، هى فئة ليست من العربية فى شيء ، وماهى الا آلة للفساد ، وعبارة عن طائفة عجيبة فى أطوارها ...". (١)

ومع أن العرب والترك كانوا أكثر شعوب الدولة العثمانية حفاظاً على كيان الدولة وآخر من تأثر بتلك التيارات التى سعت الى تفكيك الوحدة الاسلامية ، فان المؤتمر العربى فى باريس كان اول صدام علنى بين العرب

(١) جريدة الاصلاح عدد ٢٧-١٤٢٢ فى ٦ رجب ١٣٣١هـ ، نقلا عن جريدة الجون تورك فى مقابلة لها مع : رزق الله بك أرقش .

(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٥١٣ .

(٣) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١١ .

(١) والترك ، فهذا عبد الغنى العريسى صاحب جريدة المفيد البيروتية يتحدث فى ذلك المؤتمر ويقول : "... فنحن عرب قبل كل صبغة سياسية ، حافظنا على خصائصنا وميزاتنا وذاتنا منذ قرون عديدة رغما مما كان ينتابنا من حكومة الاستانة من انواع الادارات كالامتناس السياسى او التسخير الاستعمارى او الذوبان العنصرى ... " (٢) ، ثم هو بعد ذلك ببضع سنوات يترك وصية يعلن فيها قوميته المتطرفة حيث قال : "... فاليوم لامسيحى ولامسلم ولايهودى ولادرزى ولاوشنى ، بل الجميع عرب وفى العرب وللعرب ، ... انى لعلى ثقة مما اقول فلاتشكوا ، وحدوا جمعياتكم ، وحدوا افكاركم ، وحدوا آراءكم ، وفقوا بين مشاربكم واذواقكم ومسايعكم ... " (٣) ، وهذا الاتجاه هو مظهر واضح فى احدى جلسات المجلس العمومى لولاية بغداد بعد انتهاء مؤتمر باريس حيث وقف أحد الاعضاء العرب "واعلن ان العراق كان ويجب ان يكون ملكا للعراقيين" (٤) ، ولعل فيمل ابن الحسين قد تأثر بأصحاب تلك الآراء والاتجاهات عند قوله "الدين لله والوطن للجميع" (٥) ، بيد ان الحقيقة تؤكد تنامي فكرة القومية العربية المتطرفة التى لاتخدم فى اتجاهها على هذا النحو الا اعداء العرب والاسلام ونعنى بها اوربا فى المقام الاول .

أما فى الجانب التركى فكان دعاة القومية اشد خطراً من دعاة القومية العرب ، فهذا يوسف آقجورا المفكر التركى

-
- (١) عبد العزيز محمد عوض : المرجع السابق ، ص ٥٣ .
 (٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٥١٥ .
 (٣) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٣٥٣ .
 (٤) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ١٧٢ .
 (٥) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ٢١ .

الشهير يعلن ان "الدولة العثمانية لا يمكن ان تعيش لانها مؤلفة من عناصر وقوميات مختلفة ، انها ستموت وستنفرض حتماً (١) ولكن بعد موتها ستقوم دولة تركية لاتضم غير الاتراك" ، ثم يكتب مرة اخرى فى اوائل ربيع الثانى ١٣٣٢هـ/ اوائل مارس ١٩١٤م ويقول : "يجب ان نعمل الى الحقائق فنقررها ، ما العثمانية ؟ ولماذا لانقول التركية ؟ اليس العثمانية نسبة الى عثمان التركى ؟ ان الحقيقة تغلب الخيال ومن المحال العقلى ان تظل هذه العناصر المتباينة مرتبطة بعضها ببعض وراء ستار وهمى !! " (٢) ، وغير ذلك من الآراء التى تعبر عن القومية المتطرفة التى افحت وبالأعلى الدولة العثمانية وعلى الاسلام .

واذا كان تاسيس الجمعيات السرية العربية يعد مظهراً خطيراً من مظاهر القومية العربية ، فان الاتجاه القومى عامة لدى العنصرين التركى والعربى كان بفعل التأثير الاوروبى والاحتكاك المباشر مع الغرب ، ولكن حرب البلقان زادت من انتشار تلك القوميات واحتكاكها مع بعضها البعض ، سيما وان الترك والعرب قد شعروا بتفاقم الخطر الاجنبى فى بلادهم وهذا ما عبر عنه رجل الحكومة الاتحادية جمال باشا حيث قال فى احدى اجتماعاته بأهالى سوريا بعد ان اصبح حاكماً لها : "يجب ان تشقوا بان حركة الجامعة التركية التى شهدتموها فى الاستانة ... لاتتضارب بشكل ما والامانى العربية ، ... ان

(١) ساطع الحمصى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ١١٠ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٧ ، ج ٨ ، ص ٦١٥ .

(٣) عبد العزيز رفاعى وعبد العال ابراهيم : دراسات فى الشرق الاوسط ... ، ص ٣٣ .

حركة القومية التركية قد انشئت خوفا على الشعب التركي من
(١)
أن يتلاشى نهائيا " .

هكذا اذا كان المدام بين القوميتين عنيفا ، وادى
بالتالى الى قطع الطريق على دعاة الاصلاح ودعاة الوفاق ،
واخرج دعاة القومية من كلا الجانبين عن الطريق الصحيح الذى
سارت عليه الدولة العثمانية ومعها العرب عدة قرون ،
فالعرب لم ترفعهم القومية العربية المرفعة ، وانما اعزهم
الاسلام الذى بَشَرُوا به فى مشارق الارض ومغاربها ، وبدون
الاسلام لن يكون للعرب اهمية تذكر ، كما انه بدون الاسلام لم
يكن للترك اية اهمية ، والدولة العثمانية ونشأتها ، وجهاد
سلاطينها العظام خير دليل على ذلك .

وقد اثبت التاريخ صدق ذلك ، فلم يستفد العرب من دعوة
القومية المتطرفة التى سهلت الطريق للتدخل الاجنبى فى
اوطانهم ، ولم يستفد الترك من قوميتهم التى قفت على
الدولة العثمانية التى كان اسمها يزلزل اساطين السياسة
الاوروبية ، ولكن هاتين القوميتين امبحتا عنصراً فعلاً فى
التطورات التاريخية اللاحقة بالنسبة للتاريخ الاسلامى الحديث
والمعاصر .

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٥٩٦-٥٩٧ .

الفصل الرابع موقف بريطانيا

- أ - بريطانيا والساحل الشرقي والجنوبي للجزيرة العربية .
- ب - سياسة بريطانيا نحو الخليج العربي .
- ج - المعاهدة الإنجليزية العثمانية ١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م .
- د - سياسة بريطانيا لإضعاف دولة الخلافة ، أطماعها في البصرة .

(١) بريطانيا والساحل الشرقى والجنوبى للجزيرة العربية .

عندما وصلت آثار حروب البلقان الى المشرق العربى العثمانى ، احدثت ردود فعل متباينة لدى العرب ، وهو ماتحدثنا عنه فى الفصل السابق ، ولكن بعض اجزاء الوطن العربى وبالتحديد الساحل الشرقى والجنوبى من الجزيرة العربية كانت فى وضع مختلف عن بقية المشرق العربى العثمانى ، وهذا الوضع سببه الوجود الاستعمارى البريطانى المسيطر على تلك الاجزاء من الجزيرة العربية ، وهو ما حتم ان نتحدث عن الموقف البريطانى فى الساحل الشرقى والجنوبى للجزيرة العربية .

لم تكن الحكومة البريطانية تحبذ سياسة التدخل فى شئون وسط الجزيرة العربية ، لقناعتها ان الدخول فى وسط الصحراء يعتبر من المغامرات غير المحمودة العواقب ، واهم ما كان يشغل السياسة البريطانية هو المحافظة على طريق الهند ، لذا استمر النفوذ البريطانى على الشواطىء الجنوبية والشرقية من شبه الجزيرة العربية ، بمقتضى عدة معاهدات بين بريطانيا وبعض الامراء والمشايخ العرب من حكام تلك الجهات ، بينما اخضعت منطقة عدن والمحميات التابعة لها للنفوذ البريطانى المباشر .^(٢)

ولقد كان اهتمام البريطانيين يتركز فى النقاط الاستراتيجية فى تلك المناطق دون التوغل الى الداخل ، لذا

(١) سنت جون فيلبى : تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ، ص ٣٠٤ .

(٢) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .

كانت المعاهدات مع شيوخ الساحل المعادن هي السمة البارزة للسياسة البريطانية في تلك الفترة ، وكانت معاهدة السلام الدائم التي وقعت بواسطة المقيم البريطاني في الخليج في اواخر سنة ١٢٦٩هـ /منتصف سنة ١٨٥٣م والتزم بها شيوخ رأس الخيمة وأبو ظبي ودبي وعجمان وأم القيوين من أبرز تلك المعاهدات ، حيث وافق الموقعون على تلك المعاهدة وعلى أن تقوم الحكومة البريطانية بالاشراف على استمرار السلم وتقوم باتخاذ الخطوات اللازمة لمراعاة تنفيذ مواد هذه الاتفاقية في جميع الاوقات ، وهذا بطبيعة الحال مكسب استعماري كبير تحققه بريطانيا على ساحل الخليج العربي في تلك الفترة .

وفي سنة ١٣٠٥-١٣٠٦هـ /١٨٨٧-١٨٨٨م اقترح المقيم السامي في الخليج عقد اتفاق مع شيوخ الساحل المعادن كي لا يقيموا علاقات الا مع الحكومة البريطانية ، ولا يسمحوا لاحد بالسكن في مناطقهم الا بموافقتها ، ولم تكتف بريطانيا بذلك بل ربطت شيوخ الساحل باتفاقية جديدة تم التوقيع عليها في سنة ١٣٠٨هـ /١٨٩١م ، عرفت باسم الاتفاقية المانعة ، اضافت فيها الى بنود المعاهدة السابقة قيوداً جديدة منها : ان لا يتنازل الشيوخ بأي صورة من الصور عن اي قطعة من ارضهم لاي اجنبي الا بموافقة الحكومة البريطانية ، وان يكون هذا الاتفاق ملزماً لهم ولورثتهم ومن يخلفهم ، أي وضع بلادهم تحت

-
- (١) سيد نوفل : المرجع السابق ، ص ٧٥ ؛ جمال زكريا قاسم : دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤م ، ص ١٣٤ .
 (٢) منيرة العريضان : المرجع السابق ، ص ١٨-١٩ .
 (٣) ممطفي النجار وآخرون : تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، ص ١٠٨ .

الحماية البريطانية .

ونتيجة للتنافس الدولى على اقامة السكك الحديدية وتزايد النشاط الروسى فى سواحل الخليج ، وكذلك النشاط الالمانى الذى بدا يخطط لاقامة مشروع سكة حديد يمتد للخليج العربى ، حينذاك سارعت بريطانيا لابرام معاهدة مع الشيخ مبارك الصباح شيخ الكويت فى العاشر من رمضان سنة ١٣١٦هـ / ٢٣ من يناير سنة ١٨٩٩م ، تعهدت بريطانيا بموجبها بحماية الكويت من كل اعتداء خارجى من البحر وليس من البر ، فلاتدخل فى شؤون العشائر ورؤسائها ، اما شيخ الكويت فقد التزم من جانبه بعدم اقامة أية علاقات سياسية مع أية حكومة اجنبية غير بريطانيا .^(١)

وقبل ذلك كانت بريطانيا قد وقعت معاهدة مع سلطان مسقط سنة ١٣٠٨-١٣٠٩هـ / ١٨٩١م ، وفى العام التالى وقعت مع البحرين ماعرف بالاتفاقية الاستثنائية النهائية والتى تعهد بموجبها شيخ البحرين أن لا يؤجر ولا ينقل بأى شكل من الاشكال ملكية اية قطعة من اراضيها لادولة عدا بريطانيا ، اما^(٢) الموقف البريطانى من الشيخ خزعل خان حاكم المحمرة فقد كان شبيهاً بموقفها من الكويت إلا أن الضمانات التى اعطتها بريطانيا له كانت لاترقى لمستوى الضمانات التى أعطيت للكويت وأهمها كان ضرورة التزامه بتعليمات حكومة^(٣) بريطانيا .

(١) Muahede Name, Numarasi, 242/8, Osmanli Arşivi Daire Başkanlığı. Ist ٤

، امين الريحانى : ملوك العرب ، ج ٢ ، ص ١٧٨ .

(٢) لوتسكى : المرجع السابق ، ص ٤٢٠ .

(٣) منيرة العرينان : المرجع السابق ، ص ١٤١ .

لقد استطاعت بريطانيا أن تنتزع من فرنسا وفارس سنة ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م اعترافاً صريحاً بأن شئون امارات الساحل المهادن وشيوخه هي من اختصاص الحكومة البريطانية وحدها ،^(١) وهذا يعنى أن دفاع بريطانيا عن حدود مشيخات الساحل العماني أصبح ضرورياً ، لتحافظ على مصالحها في تلك المنطقة ولتقف دون ضم منطقة الساحل العماني لأي قوة تستحوذ على وسط واطراف الجزيرة العربية ، وتقف فوق مياه الخليج العربي لتحمي امارات الساحل العماني من التهديد الفارسي الذي استحدثته بريطانيا ذاتها حين انتزعت من العرب لصالح فارس اراضيهم على الساحل الشرقي للخليج .^(٢)

وكانت زيارة اللورد كيرزون Curzon نائب الملك في الهند الى الخليج العربي في اواخر سنة ١٣٢١هـ ، اواخر سنة ١٩٠٣م تأكيداً على حرص بريطانيا في المحافظة على مصالحها في الساحل المهادن ، سيما وان الدولة العثمانية كانت تملك من النفوذ على امراء الخليج مايشير رعب الماسة البريطانيين وفي مقدمتهم اللورد كيرزون الذي كان "يرى ان استمرار بريطانيا في الاعتراف بالسيادة العثمانية سيؤدي حتما الى اضرار بالمصالح البريطانية في الخليج ، وايجاد متاعب بالغة الخطورة" وكذلك كان اللورد هاردينج Hardinge حاكم الهند الذي اشار الى انه على بريطانيا ان لاتعترف

-
- (١) جمال زكريا قاسم : دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤م ، ص ١٤٣ .
 (٢) عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا - دراسة وثائقية - ص ٣٦٥-٣٦٦ .
 (٣) جمال زكريا قاسم : دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤م ، ص ٢٦٥ .

بأية سيادة للعثمانيين في الخليج ، لأن ذلك سيكون بمثابة عامل مشجع لمد سيطرتهم الى باقى اجزاء الساحل العماني ، وحينئذ يفقد شيوخ المنطقة كل ثقتهم في الحماية البريطانية التى لن يكون لها أى جدوى أمام التقدم العثماني ، وأكدت بريطانيا ذلك حين أعلن شيخ الكويت أن حدود امارته تمتد الى الفاو شمالا ، لتسارع بريطانيا وتعلن مساندتها له في مطالبه ، كما احتج المعتمد البريطاني في الخليج السير بيرسى كوكس Persy Cox على مساعدة العثمانيين لابن رشيد سنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م لأن ذلك يعتبر تهديداً للكويت ، وبالتالي (١)

اضعافا لمركز بريطانيا على ساحل الخليج . (٢)

وقد أصاب الذعر والخوف السلطات البريطانية عندما علمت بنجاح الامام عبد العزيز بن سعود في وسط نجد ، وبدأت بعثاتهم تصل الى داخل الجزيرة لتقدم لهم التقارير عن الاحوال السياسية والعلاقات الداخلية ، وبدأت تدخلاتها في شئون الساحل أمام منطقة الاحساء ، لاعتقادها أن أي تحرك يقوم به ابن سعود نحو الساحل الشرقي سيهدد مصالحها ويؤثر على نفوذها في الساحل العماني ، وعندئذ انقسم الساسة البريطانيون على أنفسهم ، فحكومة الهند البريطانية كانت ترى أهمية مساندة ابن سعود لأنه سيحافظ على الأمن والاستقرار هناك ، أما حكومة لندن فكانت ترى أن مصالح بريطانيا لا تتعدى الخليج العربي وسواحلها ، فهي بالتالي لم تر ضرورة

(١) فؤاد سعيد العابد : المرجع السابق ، ص ٢٥٦-٢٥٧ .

(٢) منيرة العرينان : المرجع السابق ، ص ١٨٢ ، ٢٢٠ .

(3) F.O.424/222, Enclosure in, No.85, Government of India to Viscount Morley, 19.3.1910. p.143 .

(١)

للتعامل معه .

أما فى سواحل جنوب الجزيرة العربية فقد زاد تمركز القوات البريطانية فيها منذ استيلاء البريطانيين على ميناء عدن فى ٤ ذى القعدة ١٢٥٤هـ / ١٩ يناير ١٨٣٩م ، حيث بدأوا فى مد نفوذهم شرقا وشمالا ، واسوالهم محمية كبيرة ، سرعان ما قسمت الى قسمين رئيسيين هما :

(١) محمية عدن الغربية وضمت بالإضافة الى عدن ثمان سلطنات ومارتين وثمان مشيخات .

(٢)

(٢) محمية عدن الشرقية وتتألف من خمس سلطنات ومشيختين .

وهكذا انطلق البريطانيون من عدن فى السيطرة على بقية

أجزاء جنوب الجزيرة العربية .

ولم تكن السياسة البريطانية فى الساحل الجنوبى للجزيرة العربية تختلف عن سياستها فى الساحل الشرقى فكانت سياغة المعاهدات مع الامراء المحليين وشيوخ المناطق ذات مدلول واحد هو : "لا يحق للامير او السلطان او الشيخ ان يفاوض او يرأسل دولة أخرى او يعاهدها او يقبل مساعدات مالية منها بدون معرفة بريطانيا العظمى واجازتها كما لا يحق لهذا المتعاقد معهم او ذاك ان يبيع او يؤجر او يهب او يرهن شيئا من ارضه او ملكه لغير الحكومة البريطانية" (٣) ، وبهذا التقييد فى نموس تلك المعاهدات استطاعت بريطانيا ان

(١) تركى بن محمد بن سعود الكبير : علاقة بريطانيا بالملك

عبد العزيز آل سعود ١٩٠٢-١٩٢٥م ، ص ٢ .

(٢) سيد مصطفى سالم : المرجع السابق ، ص ٥٧ ؛
عبد الكريم محمود غرايبه : المرجع السابق ، ص ٢٢٠-٢٢١ .

(٣) فاروق عثمان أبازلة : الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢-١٩١٨م ، ص ٣٣٣ .

تفرض سيطرتها التامة وحمايتها على جنوب الجزيرة العربية ، وأن تتمدى للدولة العثمانية هناك ، بل وحتى لجميع المنافسين الأوربيين ، لتحقيق بذلك أطماعها وأهدافها الاستعمارية .

تطور الموقف البريطاني على سواحل الجزيرة العربية تبعاً لتطور الأحداث التاريخية حيث بدأت السياسة البريطانية فى اتخاذ مواقف أكثر حزمًا تجاه شيوخ الساحل الخليجى وتجاه الدولة العثمانية قبيل حروب البلقان ، وتمثل ذلك فى انزعاج السلطات البريطانية تجاه التحركات العثمانية التى ظهرت فوق الساحل القطرى فى طريقها الى الساحل العمانى ، حينئذ كان توجيه وزير خارجية بريطانيا يقضى بالموافقة على تحرك قطع من الاسطول البريطانى الى تلك الجهات لتحول دون وصول العثمانيين اليها ، على أن تتحول تلك القطع الى رأس الخليج بعد ذلك وتبقى هناك أطول وقت ممكن ، بينما كان يرى بعض الساسة البريطانيين أن اعلان الاتفاقية التى تمت مع شيخ الكويت سيؤدى الى ايقاف التحركات العثمانية التى تتجه الى سواحل الخليج العربى ، لكن قيام الحرب الطرابلسية ، وتدهور الأوضاع فى شبه جزيرة البلقان جعل الدولة العثمانية تغيّر من سياستها وتطلب الى الوالى العثمانى فى بغداد عدم اشارة مسائل الخليج العربى مع البريطانيين ، ومحاولة الاحتفاظ معهم بعلاقات ودية ، لأن الأوضاع السياسية والعسكرية

-
- (1) F.O.424/225, No.129, Foreign office to Admiralty, F.o,14.12.1910. p.144 .
 - (2) F.O.424/226, No.57, Mr. Marling to Sir, E.Grey, Constantinople, 17.1.1911. p.47 .
 - (3) F.O.424/229, No.152, Sir, G.Lowther to Sir, E.Grey, Pera, 22.12.1911. pp.176-178 .

فى الدولة لاتشجع على فتح جبهة حربية جديدة ، ومع ذلك فان آراء وزير خارجية بريطانيا والمعتمد البريطانى فى الخليج كانت متفقة على اهمية احكام القبضة البريطانية على مشاىخ الساحل العمانى ، والسيطرة على مصادد اللؤلؤ فى تلك المناطق لابعاد الخطر عن المصالح البريطانية من اية قوى (١) كانت .

وقد أدرك البريطانيون أن سيطرة العثمانيين على قطر أمر لا يمكن التغافل عنه ، لأن ذلك سيمكنهم من التحرك السياسى النشط فى الجزيرة العربية وعلى مياه الخليج العربى ، وستحل الكارثة لو تمكن العثمانيون من الخليج العربى وسواحله الغربية ، وانتهى الرأى الى أن الوضع يمكن حسمه بعمل عسكري وذلك باحتلال الدوحة والفاو واذا دعت الضرورة فيمكن احتلال البصرة بمعة مؤقتة ، واذا أدى هذا العمل العسكرى المحدود الى تماعد الحرب مع العثمانيين (٢) فتجب السيطرة على شط العرب .

وقد استطاعت بريطانيا الحصول على تعهد من شيخ البحرين فى ٥ رجب ١٣٣٠هـ / ١٩ / يونيو ١٩١٢م باعطائها حق الامتياز فى تاسيس محطة للتلفراف اللاسلكى فى البحرين ، كما منح شيخ الكويت امتيازاً آخر للحكومة البريطانية يسمح لها بمد خط تلفرافى من العراق الى الكويت وذلك بتاريخ

(1) F.O.424/231, No.25, Foreign office to India office F.o, 15.4.1912. pp.20-21 .

(٢) عبد العزيز عبد الفنى ابراهيم : السلام البريطانى فى الخليج العربى ١٨٩٩-١٩٤٧م ، ص ١٥٣-١٥٤ .

(٣) سعيد خليل هاشم : تاريخ البحرين من الحماية الى الاستقلال من ١٨٦١-١٩٧١م ، ص ٢٤٦ .

١٢ شعبان ١٣٣٠هـ / ٢٦ يوليو ١٩١٢م ، وهذا دون شك يعطينا
تفسيراً واضحاً لما كان يعنيه وزير خارجية بريطانيا السير
ادوارد غراي حين قال : "نحن الانكليز ليس لنا اهداف
سياسية في آسيا الصغرى ، ان ^(١)جلّ مآتمناه ان يظل الوضع
هناك وضعاً نرضى عنه ، ويؤمن الاستقرار في منطقة الخليج
الفارسي [العربي] وسواحلها ويقبها شرّ القلاقل والاضطرابات" .
(٢)
وعندما تسارعت الاحداث على الدولة العثمانية وتتابعت
انكساراتها في حروب البلقان أصبح الموقف البريطاني على
سواحل الجزيرة العربية متأثراً بصورة مباشرة بتلك الاحداث ،
ففي مذكرة قدمتها لجنة الدفاع عن الامبراطورية في ٩ صفر
١٣٣١هـ / ١٧ يناير ١٩١٣م عن الاستراتيجية البريطانية في
الخليج العربي ، اشارة الى ان أي عمليات حربية عند مدخل
الخليج يجب ان تكون على الساحل الغربي للخليج ، بينما
(٣)
أوصى المقيم البريطاني في الخليج بيرسي كوكس Percy Cox
ب عقد معاهدة مع شيخ قطر تمنحه الاستقلال الذاتي ، على ان
تتعهد له بريطانيا بالحماية من جهة البحر وتقدم له
الضمانات بمنع أي هجوم عليه من جهة البر ، وقد أعطت
(٤)
الحكومة البريطانية على لسان وزير خارجيتها تعهداً بعدم
(٥)
السماح لشيخ البحرين بالتدخل في شئون قطر الداخلية .

-
- (١) أحمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ الكويت الحديث
١٧٥٠-١٩٦٥م ، ص ٣٣١ .
(٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص ١١١ .
(٣) عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم : سياسة الامن لحكومة
الهند في الخليج العربي ، ص ٣٧ .
(٤) فتوح عبد المحسن الختروش ، وعبد العزيز محمد المنصور
مصادر تاريخ قطر ١٨٦٨-١٩١٦م ، ص ٤٧ .
(٥) F.O.424/239, No.25, Foreign office to India office,
F.o, 3.7.1913. p.16 .

كما وقف الساسة البريطانيون موقف الحياد الحذر مع الامام عبد العزيز بن سعود الذى استطاع أن يستعيد ملك آبائه فى اقليم الاحساء ، مع ايمانهم بأن عدم التعامل معه سيكون مضرًا بمصالحهم على طول المنطقة الساحلية للخليج^(١) العربى .

لقد كانت الحكومة البريطانية مدركة أن الحروب البلقانية كانت مؤثرة جدا على الدولة العثمانية والمشرق العربى ، ولكن الساسة البريطانيين كانوا شديدي الحذر فى التعامل السياسى سواء مع رجال الحكومة العثمانية او مع غيرها كى لا يثيروا الشك حول حقيقة موقفهم الذى بدأ يتحول الى الرغبة فى تفكك سلطة الدولة العثمانية فى المشرق العربى العثمانى ، وحاول هؤلاء الساسة أن يسترجعوا المواقف السياسية البريطانية فى منطقة الجزيرة العربية منذ اوائل القرن العشرين كى يقف عليها الوكلاء والمعتمدون البريطانيون فى الخليج ويسيروا وفق منعجها حتى يتفح الموقف النهائى للحكومتين العثمانية والبريطانية .^(٢)

-
- (1) F.O.424/238, No.335, Foreign office to India office, F.o, 7.6.1913. pp.255-256
, F.O.424/239, No.16, Foreign office to India office, F.o, 2.7.1913. pp.8-9
, F.O.424/238, Enclosure 2, in No.458, Shakes Pear to P.Cox, Koueit, 15.5.1913. pp.369-372 .
(2) F.O.424/239, No.83, India office, to Foreign office F.o, 9.7.1913. pp.63-64 .
(3) F.O.424/238, No.314, India office, to Foreign office F.o, 4.6.1913. p.240
, F.O.424/239, No.26, Memorandum by Mr. Parkeson British Policy of Non-Interference in The Affairs of Nejd, Foreign office, 3.7.1913. pp.16-17 .

لقد عبرت احدى الصحف البريطانية عن الموقف البريطانى فى الجزيرة العربية حينذاك حين قالت : " ان اهتمام انكلترا بما يحدث فى البلاد العربية لهو اعظم اهمية مما يتصوره الناس ، فقد استولينا على عدن ولنا حق الحماية على كثير من الزعماء والقبائل فى الداخلية ، ولنا فوق ذلك نفوذ الحماية على ساحل البلاد العربية الجنوبى الى عمان ، ومما نحن اعظم من مصالح سوانا وهى مؤيدة بالمعاهدات ، وبذلك نجد ان نصف السواحل العربية كائن فعلا ومباشرة تحت نفوذ انكلترا ولذلك قد تكون الاحوال هناك احيانا ذات اهمية خاصة لانكلترا " (١) ، هذا المقال الذى بعث به مكاتب جريدة التايمز البريطانية فى الآستانة اثناء حروب البلقان يعطى الدليل الواضح على مدى تاثير تلك الحرب على مواقف بريطانيا فى سواحل الجزيرة العربية سواء كان ذلك على المستوى الرسمى او على مستوى الراى العام .

وبعد مناقشات حادة فى مجلس العموم البريطانى حول حاجة بريطانيا للنفط فى الخليج العربى ، حصلت بريطانيا على تعهد من شيخ الكويت فى ٢٧ ذو القعدة ١٣٣١هـ / ٢٧ اكتوبر ١٩١٣م بعدم منح امتياز استخراج البترول لاي شخص دون الرجوع الى الحكومة البريطانية ، وفى نفس العام عمدت الحكومة البريطانية الى تطبيق القانون المدنى والجنايى المادى فى

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٦ ، ص ٤٧٢ .
 (٢) بدر الدين عباس الخصوصى : التنافس الدولى حول الكويت فى الفترة مابين ١٨٩٩-١٩٤٥م ، ص ١٠٢-١٠٣ ،
 عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم : السلام البريطانى فى الخليج العربى ، ص ١٤٧ ،
 فؤاد سعيد العابد : المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

الهند عام ١٣٠٧-١٣٠٨هـ/١٨٩٠م على اماره البحرين باعتبارها
احدى مناطق النفوذ البريطانى ، كما حرمت السياسة^(١)
البريطانية على اعطاء اماره المحمرة الواقعة ضمن
الممتلكات العثمانية نوعا من الاستقلال السياسى بدرجة تكفى
لحماية المصالح البريطانية فى شط العرب ، اما فى الساحل^(٢)
الجنوبى للجزيرة العربية فقد رأى البريطانيون ان يمدوا
حدود محمية عدن من ناحية الشمال الشرقى عبر المحراء بحيث
يقابل خط الحدود المرسوم جنوب خليج العقير .^(٣)

وفى المعاهدة التى وقعها وزير خارجية بريطانيا
اللورد ادوارد جراى Edward Grey ، ومنذوب الدولة
العثمانية حقى باشا فى لندن بتاريخ ٢٥ شعبان ١٣٣١هـ/٢٩
يوليو ١٩١٣م ، والتى سيتطرق اليها البحث فى صفحات لاحقه ،
فى تلك المعاهدة اعطت المادة السادسة عشر للحكومة
البريطانية الحق فى القيام باجراءات بوليسية بحرية بصفة
مستمرة فى مياه الخليج وعلى طول الساحل العمانى من جنوب
قطر وحتى المحيط الهندى ، وفى ذلك تأكيد على عمق القلق^(٤)
الذى كان يعيشه رجال السياسة فى الحكومة البريطانية فيما
يتعلق بالساحل الشرقى للجزيرة العربية ، بعد هزائم الدولة
العثمانية فى البلقان واهتزاز مركزها فى المشرق العربى .
ورغم ان سياسة الحكومة البريطانية شبه الشابتة هى

(١) سعيد خليل هاشم : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .
(٢) ممطفى عبد القادر النجار : اماره المحمرة - دراسة
لتاريخها العربى ١٨١٢-١٩٢٥م ، ص ٣٢-٣٣ .
(٣) فاروق عثمان أباطة : مستقبل الجانب الشرقى من الدولة
العثمانية فى نظر حكومة الهند البريطانية ... ، ص ٥٩ .
(٤) Muahede Name, Numarasi, 242/8. Osmanli Arşivi Daire
Başkanlığı. Ist.

عدم التدخل فى الشئون الداخلية لشيخ الساحل العمانى ، إلا أن الاحداث التاريخية فى هذه الفترة احدثت تغيراً جذرياً فى تلك السياسة ، فبينما توافق وزارة الخارجية على رأى يدعو باستخدام القوة ضد أى تدخل فى شئون قطر ، كان نائب الملك فى الهند يوصى بتوجيه النصح لرؤساء الساحل العمانى كي لا يقوموا بأى عمل استفزازى ضد ابن سعود ، لأن ذلك سيضطره لاتخاذ موقف عدائى دائم وهذا بطبيعة الحال سيشكل ضرراً بالمصالح البريطانية ، أما المقيم البريطانى فى الخليج بيرسى كوكس فقد افصح عن ذلك فى برقية له الى سلطنة نجد برقم ٣٣٨ ، وتاريخ ١٠ شوال ١٣٣١هـ / ١١ سبتمبر ١٩١٣م ، مشيراً فيها الى أن الحكومة البريطانية لا تريد اشارة القلاق والمناخ بين الامارات العربية فى الخليج التى يرتبط حكامها بعلاقات ومعاهدات مع الحكومة البريطانية .^(١)

وفى الساحل الجنوبى للجزيرة العربية تبلور الموقف البريطانى ، فى استغلال بريطانيا لهزائم الدولة العثمانية فى حرب البلقان لتحقيق أهدافها الاستعمارية وممالحها الاستراتيجية فى ظل الاوضاع التى تمر بها الدولة العثمانية لتوقع معها فى الثانى عشر من ربيع الثانى ١٣٣٢هـ / ٩ مارس ١٩١٤م اتفاقية لتحديد الحدود بين منطقتى النفوذ البريطانية والعثمانية فى جنوب الجزيرة العربية وقد تضمنت هذه الاتفاقية تثبيت البروتوكولات التى وقعها المبعوثون العثمانيون والبريطانيون فى سنوات سابقة ، والموافقة على

(١) فتوح الخرش وعبد العزيز المنصور : المرجع السابق ، ص ٧١-٧٠٠، ٥٠٠، ٤٨ .

تعيين الحدود بين ولاية اليمن وبين عدن والنواحي المحمية ، كما وافق الطرفان على بقاء منطقة جبل نعمان - حصن مراد - التى تبلغ مساحتها نحو ٥٥٠ ميلا مربعا داخل حدود السيادة العثمانية ، على أن لاتتنازل الدولة العثمانية عنها لاي دولة أخرى ، ثم حددت الاتفاقية حدود الاراضى العثمانية وفق خط مستقيم يبدأ من اكمة الشوب متجها للشمال الشرقى نحو محراء الربع الخالى بانحراف ٤٥° ، ويلتقى عند خط العرض ٢٠° مع الخط المستقيم المتجه مباشرة نحو الجنوب ، والمبتدىء من نقطة واقعة على الشاطئ الجنوبى لخليج العقير ، فاصلا الاراضى العثمانية من سنجق نجد وارض قطر وفقا لاتفاقية الانجليزية العثمانية المؤرخة فى ٢٩ يوليو ١٩١٣م ، وقد تخلت الدولة العثمانية فى هذه الاتفاقية عن كل ماكان لها من حقوق ومطالب فى حضرموت ، ثم تم التصديق على هذه الاتفاقية فى العاشر من رجب ١٣٣٢هـ ، الثالث من يونيو (١) ١٩١٤م ، والتى اعترفت الدولة العثمانية بموجبها للحكومة البريطانية بالسيطرة الكاملة على الساحل الجنوبى للجزيرة العربية ، وهذا يؤكد ماذهبنا اليه من أن حروب البلقان قد ساعدت بريطانيا على تحقيق كثير من اهدافها واطماعها الاستعمارية فى الساحل الشرقى والجنوبى للجزيرة العربية ، وأصبح الموقف السياسى البريطانى فى المنطقة يتأثر ايجابيا بالمتغيرات السياسية والعسكرية ، أو بمعنى آخر بتطورات الحرب البلقانية وبن نتائجها .

(١) فاروق عثمان أباطة : الحكم العثمانى فى اليمن ... ، ص ٣٣٩-٣٤٠ ؛
 ، فاروق عثمان أباطة : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨م ، ص ٥٥٤-٥٥٥ ؛
 ، جاد طه : المرجع السابق ، ص ٣٣٧-٣٣٨ .

(ب) سياسة بريطانيا نحو الخليج العربى .

تعتبر سياسة بريطانيا فى الخليج العربى من الاحداث التاريخية الهامة التى تشكل منعطفاً خطيراً فى تاريخ المنطقة ، لأن الحكومة البريطانية كانت ترى ان وجود أى تهديد لمياه الخليج العربى ، او سيطرة أية دولة اوروبية عليه بمثابة تهديد مباشر لدرة التاج البريطانى [الهند] فالخليج العربى يقع فى اطار القشرة الواقية للهند التى تمثلها الجزيرة العربية إن لم يكن الخليج العربى هو مرتكز تلك النظرية التى عملت بها السياسة البريطانية فترة زمنية طويلة .

وتمكنت السياسة البريطانية من التصدى للاطماع الفرنسية والروسية والالمانية فى الخليج العربى ، ثم تمكنت من اخراج معظم مناطق الخليج تدريجياً من أيدي الدولة العثمانية ، ولأشك فى أن الضعف الذى عاشته الدولة العثمانية وانغماسها فى مشكلات سياسية وعسكرية بسبب حروب البلقان ، كل ذلك اعطى الفرصة لبريطانيا كي تنظم علاقاتها بامارات الخليج العربى وتدعم نفوذها فوق مياهه .^(١)

لقد استطاعت الحكومة البريطانية أن تظل صاحبة السيادة فى منطقة الخليج العربى ، وأن تتغلب على جميع منافسيها بالتهديد حيناً ، وبالدبلوماسية حيناً آخر ، وكان^(٢)

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ٢٠٣-٢٠٦ ، ٢١٢-٢١٣ .

(٢) جمال زكريا قاسم : النزاع البريطانى العثمانى فى الخليج ... ، المجلة التاريخية المغربية ، السنة العاشرة ، العدد ٢٩-٣٠ ، ص ٣٥٥ .

عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم : السلام البريطانى فى الخليج العربى ١٨٩٩-١٩٤٧ م ، ص ١١٧ .
(٣) منيرة العرينان : المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

الوكلاء السياسيون لبريطانيا فى الخليج يرصدون كل التحركات العسكرية والسياسية التى تدور فى الخليج العربى ، وينقلونها الى السفارة البريطانية فى الاستانة التى تقوم بمتابعة مستمرة للاوضاع السائدة فى الخليج والتى تمس المصالح البريطانية هناك ، حيث تقوم بدورها باعطاء التعليمات الموجهة لها من حكومة لندن .^(١)

ورغم ان استعمال البرق قد ادى الى متغيرات فى السياسة البريطانية ، حيث زاد الارتباط بين حكومة لندن وحكومة كلكتا وضعفت سيطرة حكومة بومباى ، فان سياسة بريطانيا فى الخليج العربى كانت من اختصاص حكومة الهند من جهة ووزراء الخارجية ووزراء المستعمرات من جهة ثانية وذلك من خلال المقيم السياسى العام فى بوشهر ، الذى اصبحت فى كثير من الاحيان يرسم السياسة التى لم تلبث ان توافقه عليها كلكتا ثم لندن ، وكان للمقيم وكلاء سياسيون فى كل من الكويت والبحرين ومسقط وبندر عباس برتبة قنصل ، اما فى المحمرة فمساعد وكيل برتبة نائب قنصل ، ووكلاء وطنيون فى ساحل عمان متمثلون بوكيل سياسى بريطانى فى الشارقة .^(٢)

وعندما حاولت حكومة الاتحاد والترقى اخضاع شيخ الكويت وبعض امراء الخليج العربى ، كانت السفارة البريطانية فى الاستانة ترفع التقارير الى وزير الخارجية ادوارد جراى

(1) F.O.424/223, Enclosure, in No.33, Consul Crow to Sir, G.Lowther, Bussorah, 26.3.1910. p.66
F.O.424/222, No.72, Foreign office to India office F.o, 10.3.1910. p.112 .

(٢) عبد العزيز عبد الفنى ابراهيم : سياسة الامن لحكومة الهند فى الخليج العربى ، ص ٢٠٨ .

(٣) منيرة العرينان : المرجع السابق ، ص ٢٤ .

وتبين فيها مدى المخاطر التي أصبحت تهدد النفوذ البريطاني في الخليج نتيجة للتحركات العثمانية ، التي سيكون تأثيرها على عرب الخليج قوياً ، سيما وأن الروابط الدينية هي التي يحاول العثمانيون الدخول من خلالها ، والحكومة العثمانية لم ولن ترضى بالحماية البريطانية على شيوخ الكويت (١) والمحمرة كما تقول تلك التقارير .

وقد حاول حتى باشا أن يكسب ود الحكومة البريطانية حينما قال : " ان الدولة العثمانية لاتعارض المطالب البريطانية بخموص القسم الجنوبي من خط حديد بغداد ، ولكنها تتألم لتشجيع الكويت على الانغمال وترى في ذلك مقدمة لاستيلاء بريطانيا عليها ، بل وبسط نفوذها في جنوب العراق " (٢) ، بيد أن اللورد كيرزون Curzon ، نائب الملك في الهند أعلنها صريحة في مجلس اللوردات البريطاني سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م حين أشار الى أنه من الخطأ الاعتقاد بأن مصالح بريطانيا السياسية مقصورة على الخليج العربي أو في المنطقة الواقعة بين البصرة وبغداد ، ولكنها تمتد الى بغداد نفسها . (٣)

وكانت البحرين تمثل أهمية خاصة لدى الساسة البريطانيين ، حيث اتخذت منها بريطانيا قاعدة حربية في وسط مياه الخليج العربي ، وأعلنت رفضها الكامل لتدخل

(1) F.O.424/226, No.57, Mr. Marling to Sir, E.Grey, Constantinople, 17.1.1911. p.47
, F.O.424/250, Annual, Report, 1910, No.103, G.Lowther to E.Grey, 14.2.1911. p.8 .

(٢) صلاح العقاد : المرجع السابق ، ص ٢١٩ .
(٣) عبد الرحمن البزاز : العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، ص ٦ .

الوالى العثمانى فى البصرة فى شؤون البحرين ، واعتبرت ان
 اى عمل يقوم به العثمانيون ضد البحرين سيكون موجها
 للحكومة البريطانية ذاتها ، وقد كتب وزير الخارجية
 البريطانى الى سفير حكومته فى عاصمة الدولة العثمانية كى
 ينقل للمستولين العثمانيين انزعاج حكومة بريطانيا من
 تدخلات والى البصرة العثمانى فى شؤون البحرين وان ذلك
 يعتبر خرقا صارخا للمصالح البريطانية ، وسيؤثر بالتالى
 على العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية وبريطانيا
 ما لم يقم المسؤولون العثمانيون بتدارك الوضع والحد من
 تصرفات الوالى .^(١)

وقد استمالت الحكومة البريطانية شيخ البحرين الى
 جانبها لتوقع معه اتفاقية سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م لاستغلال معادن
 اللؤلؤ والاسفنج ، وان لا يمنح اى امتياز فى ارض البحرين دون
 موافقة بريطانيا ، وعلى نفس النهج السياسى هذا وفى نفس
 العام وقعت الحكومة البريطانية مع الشيخ خزعل خان شيخ
 المحمرة اتفاقا يقضى بالا يمنح امتيازات باستخراج اللؤلؤ
 او الاسفنج إلا برخصة من بريطانيا ، لكن تفجر البترول فى
 اراضى عربستان جعل بريطانيا تسعى لتطوير علاقاتها مع شيخ
 المحمرة وفرض سيطرتها عليه ، خوفا على نفوذها وممالحها فى
 الخليج العربى الذى اصبحت منفذا مهما للبترول .^(٢)

(1) F.O.424/226, No.144, Sir, E.Grey to Sir
 G.Lowther, F.o, 27.3.1191. p.142 .

(2) Kirk, op.cit, pp.96-97 .

، محمد عرابى نخلة : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .
 (٣) مصطفى عبد القادر النجار : امارات المحمرة دراسة
 لتاريخها العربى ١٨١٢-١٩٢٥م ، ص ٣٢ .

(٤) منيرة العرينان : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

وعند قيام الحرب الطرابلسية ، وحينما طلبت الدولة العثمانية على لسان سفيرها في لندن توفيق باشا الى الدول الاوربية وفي مقدمتها بريطانيا ان تسعى لاعادة سيادة الدولة على ولاية طرابلس الغرب ، لم ينس وزير خارجية بريطانيا الى ان يشير الى ضرورة حل مسألة خط حديد بغداد ووصله بالخليج العربي بما يتفق ومصلحة بريطانيا ، وذلك كشرط اساسي للمشاركة في تلك الجهود التي تطلبها الدولة العثمانية ، (١) ولاحظ السفير البريطاني في الاستانة فيما بعد ان موقف حكومته من مسألة الجزء الاخير من سكة حديد بغداد قد اشار الصحافة العثمانية في عاصمة الدولة ، على ضوء التقارير الواردة والتي تنبئ بوجود تقارب المانى مع بريطانيا فيما يخص الاوضاع في المشرق العربي العثماني ، وهو يتمنى على حكومته ان تكون سياستها في الخليج العربي متفقة مع مصالح بريطانيا الاستراتيجية . (٢)

وقد تاثرت سياسة بريطانيا في الخليج العربي بالالزامات التي عاشتها الدولة العثمانية في شبه جزيرة البلقان ، وهزائم الدولة في حروبها البلقانية ، فوزير الخارجية البريطاني في لندن لم تعد تشيره محاولات الوالي العثماني في البصرة تجاه البحرين ، وهو لا يرى ضرورة لتقديم احتجاج لحكومة العاصمة العثمانية في الوقت الحاضر ، حتى تظهر التطورات المستقبلية ما يوجب ذلك على حد تعبيره ، اما (٣)

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٣٦٦-٣٦٧ .
(٢) F.O.424/245, No.378, Sir, G.Lowther to Sir, E.Grey, Constantinople, 17.5.1913. p.211 .
(٣) F.O.424/232, No.153, Foreign office to India office F.o, 22,8,1912. p.122 .

حكومة الهند البريطانية فقد كانت ترى أن السيطرة البحرية على الخليج العربى أمر لا بد منه للحفاظ على المصالح البريطانية ، وأن احتلال مواقع استراتيجية فى الخليج لإقامة قواعد عسكرية بحرية سيدعم سيطرة الحكومة البريطانية على مياه الخليج العربى ، الذى تعتبره حكومة الهند شبيهاً بميناء عدن وجبل طارق فى أهميته الاستراتيجية لمصالح بريطانيا ، وقد حاولت حكومة الهند أن تشير من طرف خفى إلى تلك الظروف التى تعيشها الدولة العثمانية وفى مقدمتها هزائم حرب البلقان كى تقوم الحكومة العثمانية بتسوية مسألة الخليج العربى مع الحكومة البريطانية من خلال المفاوضات الجارية فى لندن ، والتى انتهت بطبيعة الحال بتوقيع المعاهدة الانجليزية العثمانية التى سنتحدث عنها فى هذا الفصل ، ولكن الإحياء البريطانى هذا تأكيد على مذهبنا إليه من أن سياسة بريطانيا فى الخليج العربى قد استفادت من حروب البلقان وتأثرت بها إيجابياً الاستراتيجية الاستعمارية البريطانية فى المنطقة .

وعندما استطاع الامام عبد العزيز آل سعود الاستيلاء على الأحساء ، أدركت الحكومة البريطانية أن الدولة العثمانية أعجزت من أن تستعيد مكانتها فى إقليم الأحساء ، وأشار هزائمها فى حرب البلقان لاتزال قائمة ، لذا كان المقيم البريطانى فى الخليج يرى أن أى تحرك تقوم به القوات

-
- (1) F.O.424/237, Enclosure in No.20, Government of India to Crewe, 8.1.1913. pp.18-19 .
(2) F.O.424/238, Enclosure in No.314, Government of India to Crewe, 31.5.1913. p.241 .

العثمانية من البحر ضد القوات السعودية سيؤثر بالتالى على المصالح البريطانية فى الخليج ، لأن ابن سعود أصبح قوة فعالة على الساحل الخليجى ، وليس من الحكمة كما يرى المقيم البريطانى احداث مواجهة مع الدولة السعودية الفتية بل من الافضل للسياسة البريطانية التعايش مع الواقع العملى والتعامل مع ابن سعود كقوة مؤثرة ذات مستقبل كبير ، سيما وأن القوة البحرية العثمانية الموجودة فى البحرين لن تستطيع تحقيق اهدافها فى المناطق التى استعادها ابن سعود (١) وقد شاركت حكومة الهند البريطانية المقيم البريطانى فى توجهاته ورات ان خير وسيلة للمحافظة على مصالحها فى منطقة الخليج العربى فى هذه الفترة هى اقامة علاقات ودية مع الامام عبد العزيز آل سعود ودولته الناشئة . (٢)

ولأن الصورة السياسية حيال العلاقات مع ابن سعود لم تتفح بعد فى دهاليز السياسة البريطانية فقد رأى المقيم البريطانى فى الخليج أن تحذير الدولة العثمانية كى لاتتخذ من البحرين قاعدة لعملياتها ضد ابن سعود هو خير علاج للحفاظ على المصالح البريطانية ، وهو لايرى مانعا من أن تتخذ القوات العثمانية موقعا آخر لها لمهاجمة ابن سعود كالبصرة مثلا أو ماشابهها من الاراضى التى لاتمن أمن الخليج العربى بسوء ، سيما وأن شيخ البحرين بدأ يشعر بأن ذلك

(1) F.O.424/238, Enclosure 1 in No.458, P.Cox to Government of India , 26.5.1913. pp.368-369
, F.O.424/239, Enclosure 2 in No.109, P.Cox to Government of India , 30.5.1913. p.85 .

(٢) مديحة أحمد درويش : تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ، ص ٨٣ .

الاجراء العثمانى سيدخله فى نزاع مع ابن سعود وهو لايرغب فى ذلك كما يقول المقيم البريطانى .^(١)

وقد عبر السير ادوارد غراى Edward Grey وزير الخارجية البريطانى عن موقف حكومته من الاهداف العثمانية فى شبه جزيرة قطر وتدخلها فى الامور الداخلية والخارجية للكويت ، حين اشار الى ان الحكومة العثمانية لم يعد لها اى نفوذ فى تلك الجهات ، واى تحرك عثمانى يعتبر مخالفا لبنود الاتفاقية التى سيتم التمديق على بنودها قريبا ، وطلب الوزير البريطانى من السير برسى كوكس Percy Cox المقيم البريطانى فى الخليج ان ينقل الى شيخ الكويت حقيقة هذه الاعتبارات ، ويوعز له بان لا يستقبل اى وكيل عثمانى فى امارته حتى يتم اشعاره ببنود الاتفاقية بعد تمديقها ، وراى الوزير البريطانى ان من الحكمة منح شيخ الكويت وساماً جديداً اذا قبل تلك الاتفاقية ، ويرى احد المؤرخين ان بريطانيا كانت تخشى على نفوذها فى الخليج العربى اذا بقى الشريط الساحلى الممتد من الكويت الى قطر تحت السيطرة الفعلية للدولة العثمانية ، لان ذلك سيزيد من نفوذ العثمانيين ومن ورائهم^(٢) الاتمان فى مياه الخليج .^(٣)

لقد كانت نهاية حرب البلقان وانكسار الدولة

(1) F.O.424/239, Enclosure 3 in No.109, P.Cox to Government of India, Bushire, 5.6.1913. p.85 .

(2) F.O.424/238, No.313, Foreign office to India office F.o, 4.6.1913. p.240 .

راففت غنيمى الشيخ : اماره قطر قبيل الحرب العالمية الاولى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٢٧ ، سنة ١٩٨١م ، ص ١٦٩ .

(٣) فوزى اسعد نقيطى : المرجع السابق ، ص ٤٢ .

العثمانية فيها تشكل مسألة حاسمة فى العلاقات الدولية ،
فالبريطانيون كانوا على استعداد لعمل أى شئ يؤدى الى
تحقيق الأمن الكامل فى الخليج العربى من أجل حماية المصالح
البريطانية الاستعمارية فى المنطقة ، ولعل التحرك
البريطانى فى اتجاه عقد اتفاقية مع المانيا بشأن سكة حديد
بغداد مظهر بارز من مظاهر السياسة البريطانية فى الخليج ،
لان المانيا يمكنها ان تكون حاجزاً أكثر فعالية من الدولة
العثمانية المنهكة ضد الخطر الروسى فى شمال الخليج .^(١)

وكان اللورد كيتشنر Lord, Kitchener المعتمد
البريطانى فى القاهرة يرى أن اقتطاع جزء من سورية
الجنوبية يمتد على وجه التقريب من خليج حيفا - عكا على
البحر المتوسط الى خليج العقبة على البحر الاحمر ، ووضعه
تحت الحماية البريطانية ، سيكفل للنفوذ البريطانى الامتداد
من مصر حتى الخليج العربى دون انقطاع ، وبالتالي المحافظة
على مركز بريطانيا العظمى فى الخليج العربى والعهد امام
التحديات الاوربية المحتملة .^(٢)

ويرى أحد المؤرخين أن أبعاد الدبلوماسية البريطانية
فى الخليج العربى قبيل اندلاع الحرب العالمية الاولى كانت
تتلخص فى أربع نقاط رئيسية هى :
أولا : نجاح بريطانيا فى مواجهة التحديات الفعلية
والمفترضة من جانب فرنسا وروسيا ومانيا والدولة
العثمانية .

(1) Taylor, op.cit, pp.504-505 .

(٢) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

ثانيا : الارتباط الكامل للدبلوماسية البريطانية في الخليج العربى بالازمات التى حدثت قبل الحرب العالمية الاولى ومنها الاتفاقيات التى تبرمها مع الدول الاوربية او الدولة العثمانية ، ومنها الازمات العسكرية التى تشهدها الساحة الدولية كالحرب الطرابلسية وحروب البلقان .

ثالثا : نظرت الدبلوماسية البريطانية الى الخليج العربى باعتباره كياناً سياسياً واحداً ، حيث اقتضت دواعى الامن والتحديات المتعددة ، الربط بين كل اجزاء الخليج كى تتحقق السيطرة البريطانية الفعالة عليه .

رابعا : تآثر الوضع البريطانى فى الخليج العربى بالاحتكاك بين وزارة الخارجية فى لندن وحكومة الهند فبينما كانت الحكومة البريطانية ترى ان بعض المشكلات فى الخليج هى من اختصاص وزارة الخارجية كانت حكومة الهند ترى ان ذلك من اختصاصها فى المقام الاول ولكن الحرب العالمية الاولى وضعت كل من حكومة الهند ووزارة الخارجية امام مشكلات عاجلة تتعلق بالمصالح البريطانية فى الخليج العربى .^(١)

لقد ادركت الحكومة البريطانية الاثار السيئة التى خلفتها حروب البلقان على اوضاع الدولة العثمانية السياسية والعسكرية ، فانتهزت الفرصة واستفادت بالتالى من نتائج هذه الحروب فوائدها لم تحصل عليها الدول البلقانية ذاتها ، حيث بدأت بريطانيا فى تدعيم سيطرتها المطلقة فى الخليج العربى ، ففي ١٠ شوال ١٣٣١هـ / ١١ سبتمبر ١٩١٣م كتب المقيم

(١) ايمان محمد عبد المنعم عامر : المرجع السابق ، ص ١٨ .

(٢) جريدة الاصلاح عدد ٥٦-١٤٥١ فى ١١ شعبان ١٣٣١هـ .

البريطاني في الخليج بأمر من حكومتى لندن والهند الى الامام عبد العزيز آل سعود يدعوه الى المحافظة على الأمن في المشيخات العربية التي تخضع للحماية البريطانية ، وضمان استقلال شيخ قطر كي تحافظ بريطانيا من جانبها على علاقات المداقة معه ^(١) ، وفي ٢٧ ذو القعدة ١٣٣١هـ / ٢٧ أكتوبر ١٩١٣م حملت بريطانيا من شيخ الكويت على تعهد يعطيها حق الامتياز في التنقيب عن البترول في أرض الكويت ، وان لا يسمح لأي شخص في الحصول على هذا الامتياز إلا من تعينه الحكومة البريطانية ^(٢) ، وأخيراً حملت الحكومة البريطانية من شيخ البحرين في التاسع عشر من جمادى الثانية ١٣٣٢هـ / ١٤ مايو ١٩١٤م على تعهد بالألا يسمح باستغلال البترول لأي شخص ولاحتى يقوم باستغلاله بنفسه إلا بعد الحصول على موافقة الوكيل السياسي في البحرين ^(٣) .

هكذا اذا أصبحت بريطانيا سيدة الموقف في الخليج العربي من وسطه الى شماله ، ففي السابق كانت تخشى الاتصال بالامير السعودي كي لا يؤثر ذلك على علاقاتها مع الدولة العثمانية ، أما الآن فهي تؤمن بالأمر الواقع وتتخاطب مع سيد الجزيرة العربية صاحب القوة المستقبلية الذي فرض نفسه على ساحة الأحداث التاريخية ، أما امارات الخليج الأخرى فالسياسة البريطانية فيها أصبحت واضحة ، وهي فرض السيطرة الكاملة باسم المعاهدات والاتفاقيات التي تملئها الحكومة

(١) عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم : السلام البريطاني في الخليج العربي ١٨٩٩-١٩٤٧م ، ص ١٧٤ .
 (٢) حسن علي ابراهيم : المرجع السابق ، ص ٦٤ .
 (٣) سعيد خليل هاشم : المرجع السابق ، ص ٢٤٥-٢٤٦ .

البريطانية وفق مصالحها واستراتيجيتها في الخليج .
 وأخيراً توصلت الحكومة البريطانية الى اتفاق مع
 ألمانيا في أواخر شهر شعبان ١٣٣٢هـ /منتصف يوليو ١٩١٤م ،
 يقضى بأن تكون البصرة نهاية للسكة الحديد وعلى أن لا يصل
 الخط الى الخليج إلا بموافقة بريطانيا ، وأن يتم انتخاب
 عضوين بريطانيين في هيئة ادارة شركة سكة حديد بغداد ،
 ولكن قيام الحرب العالمية الاولى واعلان بريطانيا الحماية
 على الكويت وزحف قواتها على العراق حال دون تنفيذ هذه
 الاتفاقية .^(١)

ولقد كانت السياسة البريطانية في الخليج العربي تسير
 على قاعدة التدرج الطبيعي في صفته الغربية ، لتجنب بقدر
 الامكان اشارة المشاكل والبعد عن كل مايبعث القلق ويؤثر
 على المصالح البريطانية ، لكن حكومة لندن بدأت في ارسال
 القوات العسكرية لترابط في البحرين ، وبالتالي حولت تلك
 الجزر الى قاعدة حربية بريطانية منذ شهر ذي القعدة ١٣٣٢هـ
 اكتوبر ١٩١٤م ، رغم أن الدولة العثمانية لم تكن قد اعلنت
 الحرب بعد ، الا أن هذا يؤكد الحرص البريطاني الشديد على
 حماية مصالحها الاستراتيجية في الخليج العربي ، وهو
 ما اعلنه صراحة رئيس الوزراء البريطاني اسكويث Asquith من
 أن الهدف من ارسال تلك القوات هو حماية المصالح
 البريطانية في الخليج ، والمحافظة على هيبة بريطانيا في

(١) بدر الدين عباس الخصوصي : المرجع السابق ، ص ١٢٨ .
 (٢) أمين سعيد : الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته
 الحديثة ، ص ٧٧ .
 (٣) صلاح العقاد : المرجع السابق ، ص ٢٢١ .

(١)
الشرق .

هكذا كانت سياسة بريطانيا نحو الخليج العربى فى تلك الفترة التى سبقت حروب البلقان ، وفى اثناء تلك الحرب وبعد انتهائها ، ونحن هنا نؤكد ان حروب البلقان وهزائم الدولة العثمانية فيها كانت عاملا فعالا لمصلحة السياسة البريطانية فى الخليج ، حيث تمكنت بريطانيا من تحقيق اهدافها وغاياتها الاستعمارية فى مياه الخليج العربى وضمنت بالتالى سلامة مواصلاتها الى الهند ، ومهما كانت المواقف السياسية للحكومة البريطانية فى الخليج ، فان الاستفادة المثلى التى حصلت عليها الدبلوماسية البريطانية من حروب البلقان مكنت بريطانيا من تحويل الخليج العربى الى ما يشبه بحيرة بريطانية .

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

(ج) المعاهدة الانجليزية العثمانية ١٣٣١هـ/١٩١٣م .

ظهرت بوادر الضعف على الدولة العثمانية بعد هزائنها في شبه جزيرة البلقان ، ووضح انها لم تعد تستطيع ان تواصل سياستها المعروفة ضد بريطانيا في منطقة الخليج العربى ، لتسارع الحكومة البريطانية حينذاك الى العمل بكل جهد لتطويق العثمانيين في الخليج توطئة لاجراجهم منه ، مما يعنى ان ردود الفعل المباشرة لحروب البلقان في السياسة البريطانية هو سير بريطانيا على سياستها التقليدية تجاه الدولة العثمانية ، التى كانت تهدف الى المحافظة على كيان الدولة العثمانية في اوروبا لمواجهة الاطماع الروسية ، وسياسة عكسية لها في المشرق العربى تهدف الى تحقيق اطماع بريطانيا وحماية نفوذها وممالحها في المنطقة .

لقد اضطرت الدولة العثمانية تحت وطأة الظروف الداخلية والخارجية الى فتح باب المفاوضات مع بريطانيا لانهاء المشاكل المعلقة بينهما في الخليج العربى ، وبدأت المفاوضات بين الدولتين في مؤتمر لندن الذى عقد لانهاء حرب البلقان الاولى في اواخر سنة ١٣٣٠هـ/اواخر ١٩١٢م ، ومع (١) تآزم الموقف العسكرى والسياسى في البلقان ، واستئناف الحرب مع الحكومات البلقانية ، اضافة الى المواقف البريطانية في هذه المفاوضات التى تحاول ان تحقق من خلالها بعض الميزات والمكتسبات التى تخدم ممالحها الاستراتيجية ،

(1) J.C.Hurewitz : Diplomacy in The Near and Middle East, Vol.1, p.108 .

كل ذلك أدى الى تعثر المفاوضات ومرورها بمراحل كثيرة ،
زادت من تعقيدات الموقف وتأخير الاتفاق على بنود
المعاهدة ^(١) .

وحاولت حكومة الهند البريطانية ان يكون لها رأى مؤثر
فى المفاوضات الجارية فى لندن بين الدولة العثمانية
وبريطانيا ، حين كتبت الى وزارة الخارجية البريطانية فى
١١ جمادى الاولى ١٣٣١هـ / ١٧ ابريل ١٩١٣م رسالة تعبر فيها عن
وجهة نظرها فيما يتعلق بتمسك العثمانيين بجزيرة الزخونوية
وساحل الاحساء مما يلى خليج العقير ، وان ذلك قد يؤدى الى
بعض الخلاف او الاحتكاك فى المستقبل بين البريطانيين
والعثمانيين ، أما الحكومة الروسية فقد كانت شديدة القلق ^(٢)
من تلك المحادثات التى تجرى فى لندن والتى ستحرمها
كثيراً من الامتيازات التى تطمح فى الحصول عليها فى ممتلكات
الدولة العثمانية فى آسيا ، وأشار وزير خارجية روسيا الى
ان هذه المحادثات يجب ان لا تُفقد الدول الأوروبية الأخرى
مكانتها فى الدولة العثمانية وبالتالى ضياع مكتسباتها ^(٣)
وأطماعها التى تحققت من خلال حروب البلقان كما كان يعتقد ،
لكن وزير خارجية بريطانيا وضع النقاط على الحروف فيما
يتعلق بسير هذه المفاوضات وأهدافها ، حين بعث ببرقية

(١) جمال زكريا قاسم : النزاع البريطانى العثمانى فى
الخليج العربى ... ، المجلة التاريخية المغربية ،
السنة العاشرة ، عدد ٢٩-٣٠ ، ص ٣٦٦ .
(٢) رأفت غنيمى الشيخ : اماره قطر قبيل الحرب العالمية
الاولى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٢٧ ، سنة
١٩٨١م ، ص ١٦٩ .

(3) F.O.424/245, No.315, Mr, O.Beirne to Sir, E.Grey,
St. petersburgh, 17.5.1913. p.172 .

عاجلة الى سفير حكومته فى العاصمة الروسية بطرسبورج
Petersburgh فى الرابع عشر من جمادى الثانى ١٣٣١هـ/ ٢٠
مايو ١٩١٣م ، وابلغه ان يشرح لوزير خارجية روسيا موقف
بريطانيا فى هذه المفاوضات التى تبحث مسائل عدة كزيادة
رسوم الجمارك العثمانية ، وقضية خط سكة حديد بغداد ،
واشار الوزير البريطانى الى ان المباحثات السياسية لا تضمن
سوى اعتراف الدولة العثمانية بالوضع الراهن فى الخليج
العربى الذى كان سائداً لمدة قرن من الزمان ، اما
المباحثات الاخرى فهى تدار لتأمين مصالح بريطانيا
الاقتصادية نظراً للنجاح المضطرد والمنافسة غير المشكوك
فيها لسكة حديد بغداد ، ولكن استمرار موافقة بريطانيا على
زيادة الرسوم الجمركية سوف يتوقف على موافقة جميع
الحكومات الاخرى على هذا الاجراء ، واهاف الوزير البريطانى
الى انه سبق له ان ابلغ سفير روسيا فى لندن بنجاح
المباحثات حول خط سكة حديد بغداد ، وارسل مسودة من الاتفاق
حول مسألة شط العرب للحكومة الروسية ، مع ان بعض التعديلات
البسيطة وغير الهامة قد اجريت على هذا الاتفاق فيما بعد ،
وختم وزير خارجية بريطانيا برقيقته تلك بالتاكيد على ان
حكومته لاتسعى باى حال من الاحوال فى هذه المباحثات الى
استغلال الاوضاع السيئة التى تمر بها الدولة العثمانية
لمصلحتها الذاتية ، ولكنها فقط تهدف الى تأمين مصالحها
الهامة فى منطقة الشرق العربى وبشكل خاص فى منطقة الخليج
(١)
العربى .

(1) F.O.424/245, No.364, Sir, E.Grey to Mr. O,Beirne,
F.o, 20.5.1913. p.202 .

ولقد أدى التنافس بين بريطانيا و المانيا على سكة حديد بغداد ومعارضة الحكومة البريطانية في ايماله الى شط العرب الى جعل السياسة البريطانية تبدو موالية لروسيا في (١) اطماعها الاستعمارية في املاك الدولة العثمانية في آسيا ، بيد ان وزير خارجية بريطانيا تحدث بصراحة اكثر عن السياسة الالمانية تجاه الدولة العثمانية وممتلكاتها في آسيا بعد هزائهما في حرب البلقان حيث ذكر ان المانيا تبدو مترددة بين سياستين تجاه تركيا الآسيوية هما سلامة تركيا الآسيوية ، ومجالات المصالح في تركيا الآسيوية ، والسياسة الثانية في نظر الوزير البريطاني ستؤدي الى تقسيم تركيا الآسيوية والاضمحلال التام للدولة العثمانية ، وفي هذا تأكيد الى ان الحكومة البريطانية لاتتجه سياسيا ولاتميل الا باتجاه تحقيق مصالحها الاستراتيجية ، واهدافها الاستعمارية ، وهو ماتحقق بالفعل حين وقعت اتفاقاً مع المانيا بشأن سكة حديد بغداد كما اشرنا اليه في صفحات سابقة من هذا البحث .

أما حكومة الهند البريطانية فان موقفها من شروط الاتفاقية التي تدور مباحثاتها في لندن بين بريطانيا والدولة العثمانية قد زاد من تعقيد المفاوضات وتأخيرها ، ففي الوقت الذي كانت الحكومة البريطانية في لندن ترى ان ميناء العقير هو حد النفوذ العثماني ، كان نائب الملك في الهند يرى ان الخطورة تكمن في بقاء العثمانيين في أي جزء من الخليج العربي ، سيما وان شعار الجامعة الإسلامية

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٦ ، ص ٤٧١ .
(2) F.O.424/246, No.346, Sir, E.Grey to Mr. Carnegie, F.o,26.6.1913. pp.196-197 .

تجعل لهم تأثيرا معنويا لدى الحكام العرب ، وهذا ما جعله يطالب باسقاط السيادة العثمانية على الكويت رغم تنازلهم عن قطر والبحرين ، ليس هذا فحسب وانما بدا القلق يراودها من وجود الدولة السعودية الناشئة التي استعادت اقليم الاحساء ، لذا رأت حكومة الهند ان من الخطأ التعامل مع ابن سعود ودولته في الوقت الحاضر لكي لا يؤثر ذلك على المحادثات البريطانية العثمانية ، رغم انها لم تكن غير مبالية لوجود هذه القوة الفتية في المنطقة الداخلية للجزيرة العربية ، وطلبت حكومة الهند في رسالة بعثت بها الى وزارة الخارجية البريطانية في ٢٩ جمادى الثانية ١٣٣١هـ / ٤ يونيو ١٩١٣م ، معرفة موقف الدولة العثمانية تجاه طموحات الامام عبد العزيز آل سعود في شرق الجزيرة العربية ، وذلك بسؤال المفاوض العثماني بشكل غير رسمي ، ولم تكتف حكومة الهند بذلك بل ارسلت رسالة اخرى الى وزارة الخارجية البريطانية في ٥ شعبان ١٣٣١هـ / ٩ يوليو ١٩١٣م تطلب فيها توجيه انتباه الضباط البريطانيين المكلفين بمهمات استطلاعية امثال الكابتن وليام شيكسبير William H.I.Shakaspear بان لا يتجاوزوا في رحلاتهم تلك الحدود التي حددتها المعاهدة البريطانية - العثمانية المقترحة ، وفي هذا دليل على ان الهدف النهائي لسياسة الحكومة البريطانية وسياسة حكومة

(١) صلاح العقاد : المرجع السابق ، ص ١٩٤-١٩٥ .

(2) F.O.424/238, No.315, India office to Foreign office, 4.6.1913. pp.241-242 .

(3) F.O.424/239, No.83, India office to Foreign office, 9.7.1913. pp.63-64
, F.O.424/239, Enclosure in, No.83, Draft Despatch to The Government of India, p.64 .

الهند هو هدف واحد ، وهو تحقيق المصالح البريطانية فى الخليج العربى ، وحمايتها من أى خطر قد يهددها ، وبالتالى يحدد طرق مواصلاتها الى الهند .

وفى سبيل تحقيق المصالح البريطانية تلك كان الساسة البريطانيون يسعون الى كسب ولاء الهنود المسلمين ، باظهار صداقة بريطانيا للدولة العثمانية وعطفها على دولة الخلافة التى هزمت فى البلقان على ايدى المسيحيين ، وكان الحوار فى دهاليز السياسة البريطانية يدور حول تلك الافكار ، وحتى اثناء المفاوضات التى تدور فى لندن بين الحكومتين كان الاتجاه السائد هو اظهار الحكومة البريطانية بمظهر صاحبة الرغبة الصادقة فى المحافظة على تكامل الدولة العثمانية فى آسيا ، حتى لاتؤثر تلك الانباء على مشاعر المسلمين فى شبه القارة الهندية ، وهزائم البلقان وانكسارات الجيوش العثمانية فيها لم تزل عالقة فى الالهام .^(١)

ولقد سبق التوقيع على المعاهدة العثمانية - البريطانية الكثير من المباحثات والمناقشات ، وطرا عليها بعض التعديلات والافافات عن طريق المسئولين البريطانيين ، وفى نفس اليوم الذى وقَّعت فيه تلك المعاهدة ، بعث وزير الخارجية البريطانى بمذكرة الى سفير الدولة العثمانية فى لندن اشار فيها الى توقيعه على تلك المعاهدة التى منحت الدولة العثمانية زيادة فى الرسوم الجمركية وبعض

(1) F.O.424/239, No.84, Memorandum Communicated by Sir, V.Chird, 10.7.1913. pp.64-65 .

(2) F.O.424/239, No.15, Sir, L.Mallet to Hakki Pasha, F.o,2.7.1913. p.8 .

الامتيازات الأخرى ، إلا أن تلك الإجراءات يلزمها إصدار فرمان سلطاني ، والتزام من الحكومة العثمانية ببنود التسوية الخاصة بامتياز استخراج البترول في العراق ، ولم ينص الوزير البريطاني أن يذكر السفير العثماني أن الإجراءات المتخذة للتوقيع على تلك الاتفاقيات يجب أن تتم بطريقة (١) سرية جداً .

ولقد أشار كثير من المؤرخين إلى هذه المعاهدة تحت مسميات مختلفة ، فمنهم من قال أنها اتفاقية ، ومنهم من قال أنها ميثاق ، أو مسودة اتفاقية ، بينما سماها البعض بمشروع اتفاق ، وجميع هؤلاء المؤرخين إعتمدوا في الحديث عن هذه المعاهدة على مصدرين انجليزيين هما :

- (1) Gooch and Temperley : British Documents on The Origins of the War, Vol. 10 .
- (2) Hure Witz, J.C : Diplomacy in the Near and Middle East. Vol. 1 .

علماً أن المصدر الثاني من هذين المصدرين كان يعتمد (٢) في معلوماته الوثائقية على المصدر الأول .

ولكننا استطعنا هنا وفي هذا البحث أن نحصل على صورة

-
- (1) F.O.424/239, No.164, Sir, E.Grey to Tewfik Pasha, F.o, 29.7.1913. pp.139-140 .
 - (٢) جى . بى . كيلى : الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، ص ١٦٦-١٦٧ ؛ جمال زكريا قاسم : دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤ م ، ص ٤٨٨-٤٩٢ ؛ فؤاد سعيد العابد : المرجع السابق ، ص ٢٥٨-٢٦١ ؛ توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٤١-٤٢ ؛ J.C.Hure Witz : The Middle East and North Africa, in World, Politics, Vol.1. pp.567-570 .

من المعاهدة الاصلية المحفوظة فى الارشيف العثمانى فى
اسطنبول ، تحت اسم ورقم :

Muahede Name, Numarasi, 242/8. Osmanli, Arsivi Daire,
Baskanligi. Ist.

وتحمل المعاهدة تلك توقيع وزير خارجية بريطانيا
ادوارد جراى Edward Grey ، ومندوب الحكومة العثمانية حقى
باشا Altesse Hakki Pasha ، ومختومة بالشمع الاحمر على تلك
التواقيع ، وتقع هذه المعاهدة فى ثمان عشرة مادة فى خمسة
اقسام ، واربعة ملاحق ، وتمريح سرى على لسان المفاوضين
العثمانى والبريطانى ، اضافة الى ملاحق الخرائط التى
تبين الحدود التى اُتفق عليها فى هذه المعاهدة ، وقد وقعت
هذه المعاهدة فى لندن فى ٢٩ يوليو ١٩١٣م الموافق ٢٥ شعبان
(١)
١٣٣١هـ .

والقسم الاول من هذه المعاهدة عن الكويت ويقع فى عشر
مواد ، اعترفت الدولة العثمانية فى المادة الاولى منها باستقلال
الكويت الادارى وبالكف عن التدخل فى شؤونه الداخلية ،
 وحددت حدود الكويت بموجب المادتين الخامسة والسابعة من
تلك المعاهدة ، حيث يمارس شيخ الكويت نفوذه وسيادته
المستقلين على الاراضى التى تشكل حدودها نصف دائرة مركزها
مدينة الكويت وحدّها الشمالى خور الزبير والقرين فى الحد
الجنوبى ، وهذا الحد موضح باللون الاحمر على الخريطة
المرفقة مع الاتفاقية الحالية "المادة الخامسة" ، ويبدأ خط

(1) Muahede Name, Numarasi, 242/8. Osmanli, Arşivi
Daire, Başkanlığı. Ist .

الحدود على الساحل عند مصب خور الزبير في الشمال الغربي ويمر مباشرة بجنوب ام قمر وصفوان ثم جبل سنام بحيث تُترك هذه الأماكن وأبيارها لولاية البصرة ، ثم يتجه للجنوب الغربي حتى حفر الباطن ، ثم يتجه نحو الجنوب الشرقي لينتهى الى البحر بالقرب من جبل منيفة ، وهذا الحد مشار اليه باللون الأخضر في الخريطة المرفقة بالمعاهدة الحالية "المادة السابعة" .

اما المادة الثانية فقد اعطت لشيخ الكويت الحق في ان يرفع العلم العثماني مع اضافة كلمة الكويت محاطة بدائرة في أحد الأركان ، على ان يتمتع باستقلال ذاتي كامل في المنطقة المحددة في المادة الخامسة من هذه المعاهدة ، على ان لا تتدخل الدولة العثمانية في شؤون الكويت سياسياً وعسكرياً ، وللدولة العثمانية الحق في تعيين قائمقام بفرمان سلطاني في حالة خلو منصب شيخ الكويت ، ولها الحق في تعيين مفوض لدى شيخ الكويت لحماية مصالح وأهالي باقي اجزاء الدولة العثمانية .

وقد اعترفت الدولة العثمانية بشرعية الاتفاقيات التي أبرمها من قبل شيخ الكويت مع الحكومة البريطانية ، والمؤرخة في ٢٣ يناير ١٨٩٩ م ، وفي ٢٤ مايو ١٩٠٠ م ، وفي ٢٨ فبراير ١٩٠٤ م ، وتعترف بمریان امتيازات الأرض التي تنازل عنها شيخ الكويت لبريطانيا وفق مذكرة وزارة الخارجية البريطانية الى سفير الدولة العثمانية في لندن بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٩١١ م - الملاحق ٤٠٣،٢٠١ - "المادة الثالثة" ، بينما وافقت بريطانيا من جانبها على أن لا تغير شيئاً في

طبيعة علاقاتها مع حكومة الكويت ولن تعمل على اقامة وصاية أو حماية على الاراضى المخصصة لها ، "المادة الرابعة" .

ونصت المادة السادسة على بقاء القبائل المتواجدة داخل الحدود الموضحة فى المادة -٧- كتابعين لشيخ الكويت الذى سيقوم بتحصيل العشور منهم كما كان يفعل فى الماضى ، وله أن يمارس الاختصاصات الادارية التى يتمتع بها بمفخته قائمقام عثمانى ، ولايجوز للحكومة العثمانية ان تمارس فى هذه المناطق أى عمل ادارى مستقل عن شيخ الكويت ، وتمتنع عن اقامة حاميات أو ممارسة أى عمل عسكرى معها كان نوعه دون التفاهم مسبقا مع الدولة البريطانية .

أما فيما يتعلق بمد وصلة سكة حديد بغداد البصرة فقد نصت المادة الثامنة من تلك الاتفاقية على أنه فى حالة اتفاق الدولة العثمانية مع حكومة بريطانيا على تمديد خط حديد بغداد - البصرة حتى الكويت أو الى أى حد آخر ضمن المنطقة المستقلة ، تتفق الحكومتان على التدابير التى يجب اتخاذها فيما يختص بحماية هذا الخط والمحطات التى تقام عليه ، واقامة الدوائر الجمركية ومستودعات البضائع أو أية مؤسسات أخرى لها علاقة به .

ومنحت المادة التاسعة شيخ الكويت الحرية الكاملة فى ممارسة حقوقه فى ممتلكاته الخاصة التى يمتلكها فى مقاطعة ولاية البصرة ، على أن يخضع للقانون العثمانى فى دفع الضرائب والرسوم المقررة بالقوانين العثمانية .

أما مجرمو المقاطعات المجاورة للكويت فلايحم قبولهم فى الكويت وتجب اعادتهم من حيث أتوا ، كذلك فان مجرمى

الكويت لا يقبلون فى المقاطعات المجاورة ويتم طردهم منها واعادتهم من حيث قدموا ، ولا يجوز للدولة العثمانية ان تستغل هذا الاجراء للتدخل فى شئون الكويت ، كما لا يجوز لشيخ الكويت ان يستغله للتدخل فى شئون الولايات المجاورة ،
- المادة العاشرة - .

اما القسم الثانى من المعاهدة فكان مخصصا لشبه جزيرة قطر ويشتمل على المادتين ١٢، ١١ وقد تخلت الدولة العثمانية بمقتضى ذلك عن كل مطالبها الخاصة بشبه جزيرة قطر ، والتزمت بريطانيا بعدم السماح لشيخ البحرين فى التدخل فى الشئون الداخلية لقطر أو النيل من استقلالها أو سيادتها ، كما خصص القسم الثالث من المعاهدة لشؤون البحرين واشتمل على المواد ١٣، ١٤، ١٥ ، وتنازلت بموجب ذلك الدولة العثمانية عن كل مطالبها فى جزر البحرين ، واقرت باستقلالها ، فى حين أعلنت بريطانيا عدم وجود اية اطماع لديها فى ضم جزر البحرين لأراضيها ، أما رعايا شيخ البحرين فى الممتلكات العثمانية فقد تم اعتبارهم من الاجانب ، ويقوم على حماية مصالحهم قناصل الحكومة البريطانية وتتم هذه الحماية وفق القواعد العامة للقانون الدولى الأوروبى .

وخصص القسم الرابع للخليج العربى "الفارسى" ، واشتمل على المادة السادسة عشر ، والتي أعطت لبريطانيا حق حماية مصالحها الخاصة فى الخليج فى كل وقت ، على أن تقوم باتخاذ اجراءات البوليس البحرى فى المياه الحرة فى الخليج وفى الحدود التابعة للشيخ المستقلين من جنوب قطر الى المحيط الهندى ، ولن تعترض الدولة العثمانية على ممارسة الحكومة

البريطانية لإجراءات الآتية :

- ١ - انارة المنارات ، قياعة البحر "أى سبر قاع البحر واختباره" ، ارشاد السفن ،
 - ٢ - الحراسة البحرية "البوليس البحرى" ،
 - ٣ - اجراءات الحجر المحى ، وتحفظ الدولة العثمانية بكل الحقوق التى تعود اليها مثل السيادة والسيطرة البرية على السواحل وكذا على المياه الاقليمية العثمانية .
- وقد تضمن القسم الخامس والاخير من هذه المعاهدة المادتين ١٨،١٧ ، ونصت المادة السابعة عشر على موافقة الحكومتين على تعيين مفوضين بأسرع مايمكن ، ليقوموا بتحديد الحدود المحددة فى المواد ١٠،٧،٥ ، على الطبيعة ورفع خريطة تفصيلية لها وعمل مذكرة تفسيرية لذلك ، ومن ثم تعتبر كل من الخريطة والمذكرة التفسيرية جزءاً مكملاً لهذه الاتفاقية ، بمجرد رسمها وتوقيعها من المفوضين المعتمدين ، اما المادة الثامنة عشر فقد اشارت الى ان هذه الاتفاقية سيتم توقيعها والتصديق عليها فى لندن خلال ثلاثة اشهر على اقصى تقدير من تاريخ توقيع المفوضين العثماني والبريطاني عليها فى ٢٩ يوليو ١٩١٣م الموافق ٢٥ شعبان ١٣٣١هـ ، وختمت تلك المعاهدة بتصريح سرى من المفوضين العثماني والبريطاني ووقع فى نفس اليوم الذى وقعت فيه المعاهدة ، وقد اشار هذا التصريح الى أنه لايقب لشيخ الكويت تحت أى ظرف أن يعقد أية اتفاقية تتعارض مع هذه المعاهدة ، كما أعلنت الدولة العثمانية فى هذا التصريح الى أنها اصدرت الاوامر اللازمة لى يقوم الموظفون المدنيون والعسكريون ،

وكذا القوات المسلحة النظامية المتواجدة داخل حدود الاراضى التى منحت الاستقلال وفق بنود هذه المعاهدة فى كل من قطر والكويت ، ان يقوموا بتركها ومغادرتها فى اقرب مهلة ممكنة كما اشار التصريح الى التعويض المالى الذى دفعته الدولة العثمانية لشيخ البحرين كى يتنازل عن جزيرة الزخنونية ، واستعداد الحكومة البريطانية لتقديم المساعى الحميدة للحصول على تنازل كتابى من شيخ البحرين يعطى للدولة العثمانية .^(١)

هكذا كانت بنود المعاهدة البريطانية العثمانية التى تعكس الوضع الحقيقى لما وصلت اليه الحكومة العثمانية من ضعف وتخاذل بعد هزائمه فى حروب البلقان ، وبقراءة نموس هذه المعاهدة يتبين ان فيها من الثغرات والتناقضات الشئ الكثير ، والذي عبّر عن الوضع السياسى للدولة ومفاوضاتها حين صيغت بنود تلك المعاهدة ، فبينما تعتبر الكويت تحت السيادة العثمانية ، فان الحكومة العثمانية لاتملك التدخل فى اى شأن من شئون الكويت ، وفى الوقت نفسه اعترفت بالاتفاقيات التى ربطت الكويت ببريطانيا ربطا محكما ، يضاف الى ذلك ان صياغة هذه المعاهدة والتوقيع عليها بالاحرف الاولى تم بعد ان ضم الامام عبد العزيز آل سعود اقليم الاحساء الى دولته وانهى الوجود العثمانى ، ومع هذا لم تُشر تلك المعاهدة الى هذا الوضع الجديد ، وبصرف النظر عن الدسائس البريطانية فربما ان العثمانيين كانوا يطمنون

(1) Muahede Name, Numarasi, 242/8, op.cit .

(٢) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ٢٠٨

(١) استعادة الاحساء بمساعدة البريطانيين وموافقهم ، وهذا ماتنبيه له الامام عبد العزيز آل سعود وحال دون تحقيقه سياسياً وعسكرياً .

وتُجمع المراجع التاريخية على أن هذه المعاهدة لم يصادق عليها من قبل الجهات العليا في الحكومتين العثمانية والبريطانية ، لكنها لم تتفق في السبب الذي حال دون التصديق عليها ، فمنهم من يرى أن استمرار الخلاف حول تمديد خط سكة حديد بغداد هو الذي أجّل التصديق على هذه المعاهدة وأن المفاوضات أعيدت بعد ذلك وعدلت بالتالي الفقرة المتعلقة بسكة الحديد على أن تمنح إحدى الشركات الانجليزية امتياز تنفيذ الجزء الممتد من البصرة الى ميناء الكويت ،^(٢) بينما يرى آخرون أن بوادر الحرب العالمية الأولى ومن ثم قيامها كان هو السبب الرئيسي في عدم التصديق على المعاهدة،^(٣) بينما يذهب أحد المؤرخين الى القول أن التصديق على المعاهدة البريطانية العثمانية أُجّل لسبب ما ، وحتى قامت الحرب العالمية الأولى لياتي ما هو اسوا من تلك المعاهدة ،^(٤) ونحن نتفق معه أن السبب في عدم التصديق غير معروف حتى الآن لأن تلك المعاهدة نصت في إحدى موادها على وجوب التصديق عليها خلال ثلاثة اشهر على اقصى تقدير ، والفترة الزمنية

-
- (١) محمد عرابي نخلة : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .
 (٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٤١-٤٢ ؛
 بدر الدين عباس الخصوصي : المرجع السابق ، ص ١٠٥-١٠٦ .
 (٣) عبد العزيز محمد المنصور : التطور السياسي لقطر في الفترة مابين ١٨٦٨-١٩١٦م ، ص ١١٥ ؛
 فتوح عبد المحسن الخترش : تاريخ العلاقات السياسية البريطانية الكويتية ١٨٩٠-١٩٢١م ، ص ٨٣ ؛
 فؤاد سعيد العابد : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .
 (٤) سنت جون فيلبي : المرجع السابق ، ص ٣١٦ .

بين توقيع هذه المعاهدة وقيام الحرب العالمية الاولى زادت عن سنة كاملة وليست ثلاثة اشهر ، إذاً هناك عقبات حالت دون التمديق النهائى على هذه المعاهدة لم يكشفها المؤرخون حتى الآن .

لكن هذه المعاهدة اشير لها فى المعاهدة الموقعة بين بريطانيا والدولة العثمانية فى ١٢ ربيع الثانى ١٣٣٢هـ الموافق ٩ مارس ١٩١٤م والمصدق عليها فى ١٠ رجب ١٣٣٢هـ/٣ يونيو ١٩١٤م الخاصة بالنفوذ البريطانى فى جنوب الجزيرة العربية ، مما يعطى تلك الاتفاقية وضعاً قانونياً وتاريخياً ، وقد اشير حينئذ الى الخط الازرق الذى يبدأ من الحافة الجنوبية لخليج الزخونوية ويتجه الى الجنوب رأساً حتى الربع الخالى ، ليلتقى عند خط العرض ٢٠ شمالاً ، ممايعنى ان كل ماهو شمال هذا الخط يعود للدولة العثمانية بما فى ذلك نجد نفسها ، وكل ماهو جنوب الخط يخضع لبريطانيا ، غير ان هذا النهج الذى سلكته بريطانيا فى اتفاقياتها مع الدولة العثمانية ، والمتمثل فى التنازل للدولة العثمانية عن اجزاء لا تملكها بريطانيا ولا الدولة العثمانية ، كمنطقة نجد وساحل الاحساء الذى يسيطر عليهما الامام عبد العزيز آل سعود ودولته الفتية ، هذا النهج يعطينا دليلاً واضحاً تجاه موقف بريطانيا من الدولة العثمانية ومن الحركة العربية النشطة

(١) فاروق عثمان ابازلة : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الاحمر ١٨٣٩-١٩١٨م ، ص ٥٥٤-٥٥٥ ، جاد طه : المرجع السابق ، ص ٣٣٧-٣٣٨ ، جى . بى . كيلي : المرجع السابق ، ص ١٧٢ ، محمد عرابى نخلة : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

وهو ما أسميناه فى هذا الفصل بالسياسة البريطانية لضعاف
دولة الخلافة وسنتحدث عنه فيما بعد .

ولقد كان الامام عبد العزيز آل سعود اول من أدرك ضعف
الدولة العثمانية فى الجزيرة العربية ، لذا كان سباقاً
لحماية ممتلكات آبائه وأجداده فى نجد والساحل الشرقى
للجزيرة العربية ، وحالت مواقف^٢ تلك دون وقوع هذه الأجزاء
من الجزيرة العربية فى أيدي المستعمر البريطانى ، كما أنه
استطاع أن يواجه الموقف الناشئ عن حروب البلقان ونتائجها
باستعادته الأحساء ، وبذلك لم تستطع بريطانيا أن تلتهم هذا
الجزء فى وقت طغيان نفوذها فى الخليج وعلى شواطئه ، نتيجة
ما آلت اليه الدولة العثمانية فى أعقاب حروب البلقان .

(د) سياسة بريطانيا لاضعاف دولة الخلافة ،
اطماعها فى البصرة .

لقد كان الموقف السياسى للحكومة البريطانية تجاه الحركة العربية فى المشرق العربى العثمانى ينطلق من قاعدة المحافظة على المصالح البريطانية فى المنطقة ضد أى تهديد استعمارى أوروبى ، وكانت السياسة البريطانية ترى قبل حروب البلقان أن الدفاع عن وحدة الدولة العثمانية فى الشرق الاسلامى سيكون حاجزاً مفيداً فى وجه المطامع الروسية والفرنسية ، وحين كانت سياسة التكامل البريطانية تجاه ممتلكات الدولة الاوربية هى السياسة المنظورة لدى الساسة البريطانيين ، بعكس سياستهم بالنسبة لممتلكاتها الآسيوية ، كان الاتجاه لدى سكرتير المعتمدية البريطانية فى مصر رونالد ستورز Ronald Stors ، لايوحى بذلك حيث صرح فى جمادى الاولى ١٣٣٠هـ / مايو ١٩١٢م : "نحرص على ألا نرى تجزئة مفاجئة للممتلكات العثمانية بل نتمنى فى اللحظة الراهنة أن نرى الباب العالى من القوة بحيث يستطيع أن يحتفظ بسورية وآسيا الصغرى والأناضول" (١) .

والملاحظ أن وجود أكثر من هيئة بريطانية تخطط للسياسة البريطانية فى الشرق العربى قد أوجد شيئاً من انعدام التنسيق بين تلك الهيئات ومخططاتها وبالتالى ظهور عدة اتجاهات متناقضة فى السياسة البريطانية ، لكن الأحداث (٢)

(١) وجيه كوشرانى : السلطة والمجتمع والعمل السياسى

ص ١٩٤ .

(٢) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ٤٠٧ .

التاريخية المتلاحقة أثبتت أن اختلاف الاطراف المنفذة للسياسة البريطانية هي التي ساعدت بريطانيا في تحقيق أهدافها ، والوصول الى الاستراتيجية الاستعمارية التي تهدف اليها .

وبعد هزائم الدولة العثمانية في حرب البلقان تراءت الفرصة للبريطانيين لتحقيق اطماعهم الاستعمارية في ممتلكات الدولة الآسيوية وهذا ما عبر عنه السفير الألماني في لندن الأمير لشنوفسكى Lichnowsky ، الذي رأى أن المباحثات مع وزير الخارجية البريطانية حول قضية سكة حديد بغداد تهدف في نهاية الأمر الى توزيع المستعمرات وتقسيم آسيا الصغرى الى مناطق نفوذ ، وحين شرح القنصل البريطاني في دمشق ديفى Devey ، للسفير البريطاني في الأستانة الأوضاع التي تشهدها سوريا ، والمطالب العربية التي يسعى اليها العرب لتحقيق الإصلاح على قاعدة اللامركزية ، اعتبر السفير المذكور أن ذلك مفيد للاستراتيجية البريطانية ، وذو أهمية خاصة للجنة الدفاع في الحكومة البريطانية ، غير أن السفير ذاته (٢) كان شديد الانزعاج حين اطلع على كتاب في عاصمة الدولة العثمانية يتحدث عن الجهاد الاسلامي ضد الكفار ، فكتب الى وزير خارجيته رسالة عاجلة برقم ١٥٣ وتاريخ ١٨ ربيع الاول ١٣٣١هـ / ٢٤ فبراير ١٩١٣م ، ذكر فيها أن نسخاً من هذا الكتاب وزعت على المحاربين العثمانيين في جبهات القتال ، وأرسلت

(١) زين نورالدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص ١١١ .
(٢) F.O.424/236, No.249, G.Lowther to E.Grey, Constantinople, 7.12.1912. p.156
, F.O.424/236, Enclosure, in No.249, Consul Devey to Sir, G.Lowther, Damascus, 14.11.1912. pp.156-157 .

نسخا كثيرة منه الى الهند ومصر ، وصدر مثل هذا الكتاب فى مثل هذا الوقت كما يقول السفير البريطانى سيوحد مغوف المسلمين ضد مسيحيى البلقان تحت زعامة الحكومة العثمانية وبالتالى سوف يؤثر على المصالح البريطانية فى المشرق العربى والهند .^(١)

وكان السير ادوارد جراى وزير خارجية بريطانيا قد بدا يلوّح فى احاديثه ومكاتبته الى ان توزيع ممتلكات الدولة العثمانية فى آسيا ، سيعطى لفرنسا الحق فى اخذ سوريا ، ولكن ذلك ليس هو كل الموقف البريطانى فى المنطقة ، فالحكومة البريطانية لن تطلق يدى فرنسا لتعمل ما يحلو لها كما يقول الوزير البريطانى ، لكن موقف المعتمد البريطانى فى مصر اللورد كيتشنر Lord, Kitchiner ، كان اكثر وضوحا فى مايتعلق بحماية المصالح البريطانية فى المشرق العربى ، اذ يرى ان من الحلول التى يجب الاخذ بها "تشجيع الولايات العربية التابعة لامبراطورية [الدولة] العثمانية على تكوين دولة واحدة ، او مجموعة من الدول مستقلة استقلاليا داخليا ، وترتبط ببريطانيا العظمى برباط الصداقة ، وتشمل المنطقة الممتدة من شواطئ البحر الابيض المتوسط غربا ، الى حدود ايران شرقا" ، هكذا اذاً يريد الساسة البريطانيون مساندة الاتجاهات الانفصالية فى المشرق العربى ، على حساب

(1) F.O.424/243, No.3, G.Lowther to E.Grey, Constantinople, 24.2.1913. p.3 .
(2) F.O.424/235, No.756, Sir, Edward Grey to Sir, F.Bertie, F.o, 26.11.1912. p.347 .
, F.O.424/242, No.21, Sir, Edward Grey to Sir, R.Rodd, F.o, 1.2.1913. p.13 .
(٣) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

اضعاف دولة الخلافة ، ومحاولة استغلال الحركة القومية فى المنطقة لمصلحة الحكومة البريطانية .

لقد جاءت أولى النصائح البريطانية لدعاة الاصلاح العرب فى اوائل جمادى الاولى ١٣٣١هـ / النصف الاول من ابريل ١٩١٣م عندما امر الوالى العثمانى فى بيروت بحل جمعية بيروت الاصلاحية واقفال ناديها ، وحينما ذهب بعض اعضائها الى القنصلية البريطانية ومن ثم الفرنسية لاطهار احتجاجهم على الوالى ، قيل لهم فى القنصلية البريطانية انهم يستطيعون ان يعقدوا اجتماعاتهم فى قاعة الكلية السورية الانجيلية [وهى الآن الجامعة الامريكية فى بيروت] لانهم بذلك يعتبرون مجتمعين على ارض اجنبية ، ويكون لهم ملء الحرية بعقد أى اجتماع من اجتماعات الجمعية هناك ^(١) .

وقد اشار السيد كولوندر Coulondre مدير القنصلية العامة الفرنسية فى بيروت الى اتجاه زعماء الاصلاح العرب فى بيروت الى بريطانيا ، وان بعض الشخصيات البارزة منهم قامت بمقابلة القنصل البريطانى فى بيروت وطلبت منه دعم مطالبهم لدى حكومته ، وهم يهدفون الى ضم سورية الى مصر كما يقول القنصل المذكور ، بيد انه ذكر ان المسيحيين العرب يتعاطفون مع فرنسا ويرغبون فى الانضمام لها فى الوقت الذى يرغب العرب المسلمون فى التوجه الى بريطانيا ، وقد اكد هذا الاتجاه القنصل الفرنسى فى مصر ، ا. دوفرانس A. Defrance فى خطابه السرى الذى بعثه الى وزير خارجيته

(١) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، ص ٢٦ ،
زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ،
هامش ٤٩ ، ص ٢١١ .

(١) في ٢٢ جمادى الثاني ١٣٣١هـ / ٢٨ مايو ١٩١٣ م ، ويرى أحد المؤرخين أن دعاة الإصلاح العرب في العراق اتجهوا أيضا الى بريطانيا ، وأيد بعضهم إقامة اشراف بريطاني على برامج (٢) الإصلاح بل وحتى الى بسط الحماية البريطانية على البلاد .

لقد أصبحت السياسة البريطانية تجاه المشرق العربى ، شبه واضحة ومعروفة بعد انتهاء حرب البلقان وهزيمة الدولة العثمانية ، وهذا ما تنبّه له السياسى الفرنسى اندريه ديبوسك Andre Duboseq ، وأشار اليه فى تقريره المرفوع لوزير خارجية فرنسا فى ٢٦ رجب ١٣٣١هـ / ٣٠ يونيو ١٩١٣ م ، حيث قال : " ان مصلحة انكلترا فى الاستيلاء على اراض واسعة شرقى السويس وغربيه لامر بديهي لايحتاج الى الوقوف عنده ، ثم يبدو ان الجهد المادى والمعنوى الذى تقوم به حاليا فى مصر انما يوازيه جهد مماثل فى الضفة الاخرى من القنال ، وفى سورية نشتم جهداً مماثلاً لما يجرى فى مصر ، ولقد اكد لى بعضهم ان قنصل انكلترا فى القدس يرأسل غزاة بصورة مستمرة ، وتسرى اخبار مفادها انه فى حال تقسيم تركيا الآسيوية فان فلسطين قد لاتكون من نصيب فرنسا كما هى الحال مع سورية بل انها ستبقى على الاقل محايدة بسبب الود الذى يكنه السكان (٣) للانكليز " ، لكن وزير الخارجية البريطانى كان شديد الحرص على أن لاتؤدى تلك الاتجاهات فى السياسة البريطانية الى

(١) وجيه كوشرانى : بلاد الشام السكان والاقتصاد والسياسة الفرنسية ... ، ص ٢٥٥-٢٥٨ ، ٢٩٤-٢٩٥ .
 (٢) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٤٩ .
 (٣) وجيه كوشرانى : بلاد الشام - السكان والاقتصاد والسياسة الفرنسية فى مطلع القرن العشرين ، ص ٣٠٦-٣٠٧ ، نقلًا عن أرشيف الخارجية الفرنسية ، مجلد ١٢٢ ، ص ١٣٧-١٧٠ .

آثار عكسية فى نفوس المسلمين الخاضعين للحكم البريطانى ، خاصة لدى مسلمى الهند ، رغم أنه كان على ثقة تامة من أن تقسيم تركيا الآسيوية الى مناطق نفوذ ، سيؤدى الى تقسيم الدولة العثمانية وزوالها من الوجود تماما ، حيث أكد ذلك فى رسالة بعثها الى السير ا. جوشن E.Goschen السفير البريطانى فى برلين بتاريخ ٢٣ رجب ١٣٣١هـ / ٢٧ يونيو (١)

١٩١٣ م .

وقد كان الساسة البريطانيون فى الخليج العربى يدركون كنه السياسة البريطانية تجاه المشرق العربى فى تلك الفترة لذا كانت مواقفهم تدعو الى مراعاة الى الاحتفاظ بالمكتسبات التى حققتها بريطانيا فى بلاد ما بين النهرين وعند رأس الخليج العربى ، وهو ما تحقق عندما استدمى القنصل البريطانى سفينة حربية لحماية المصالح البريطانية فى ميناء البصرة ، سيما وأن انهيار الدولة العثمانية فى المشرق العربى كان من الامانى التى يتطلع لها هؤلاء الساسة ، بيد أنهم لا يحبذون اعلان ذلك صراحة كي لا يثيروا حول اهدافهم زوابع سياسية ربما تؤثر على سرعة الوصول الى تلك الاهداف . (٢)

لم تعد بريطانيا تخشى الدولة العثمانية عسكريا ، وانما كانت تخشى قوتها الروحية ، بمفتها الدولة الاسلامية

(١) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص ١١١-١١٢ .

(٢) محمد خليفة النبهانى : التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية ، ص ٤٦٦-٤٦٧ .

عبد الرحمن البزاز : المرجع السابق ، ص ٨ .

(٣) منيرة العرينان : المرجع السابق ، ص ٢٩٠ .

(٤) F.O.424/239, Enclosure, in No.54, The Marquess of Grewe to The Government of India, 3.7.1913. p.40 .

الاولى التى تستطيع ان تؤلب على بريطانيا الشعور الدينى والتبرم السياسى ، وتشير بالتالى القلاقل فى وجهها ، وهو ما تنبه له السكرتير السياسى لحكومة الهند السير آرثر هرتزل A.Hirtzel ، حين اشار الى ان الخطر العسكرى من جانب الدولة العثمانية قد لا يعبا به ، وانما الخوف يأتى من مكانتها الاسلامية التى سوف تستغل سياسيا للتاثير على مسلمى الهند ، وبالتالى فان الخطورة فى نظر الساسة البريطانيين ستأتى من التعاون بين العرب والترك نتيجة اعلان الجهاد وامتداده الى المشرق العربى ومن ثم الى الشرق الاسلامى كله (١) لذا كانت بريطانيا تسعى جاهدة لاحداث نوع من عدم الثقة بين رجال الحكومة العثمانية والامراء العرب ، وزعماء الاصلاحيين ، وكانت لاتخفى سعادتها حين ترى وجود الاختلاف بين الفريقين ، لان ذلك يعود بالمصلحة الاكيدة على المصالح البريطانية فى المنطقة (٢) ، وبذلك وجدت ان تزكية روح العداء بين العرب والدولة العثمانية ، خير وسيلة لذلك ، ووجدت ان تاييد الحركة العربية باعتبارها حركة قومية لاسلامية ، مفيد لتحقيق اهداف الاستراتيجية الاستعمارية البريطانية ، بيد ان الامام عبد العزيز آل سعود استطاع بذكائه السياسى ، وشفاء عقيدته الاسلامية ان يوجد لدولته الناشئة مكانة خاصة نات بها عن تلك الحركة العربية التى تغذيها السياسة البريطانية وهذا ما جعل الساسة البريطانيين يحسبون لهذه الدولة الف حساب ، ويبداون فى تغيير سياستهم تجاه ابن

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ٢٣١ .
(٢) جريدة الاصلاحي عدد ٥٧-١٤٥٢ فى ١٢ شعبان ١٣٣١هـ .

سعود ودولته الفتية .

ولقد كانت السيطرة على ولاية البصرة من أولويات السياسة البريطانية في الخليج في الفترة التي سبقت قيام الحرب العالمية الأولى ، لأن في ذلك تأمينا للوجود البريطاني في شمال الخليج العربي وجنوب فارس ، وكانت آراء القيادة السياسية والعسكرية في حكومة الهند البريطانية متفقة على ضرورة توجيه حملة عسكرية لاحتلال البصرة ، لأنه من الخطورة بمكان ترك شمال الخليج دون تأكيد السيطرة البريطانية العسكرية عليه ، ولأن تلك الحملة في نظرهم تشجع العرب وتدفع بهم للوقوف الى جانب بريطانيا ، ولاغربة في ذلك إذ أن السفير البريطاني في الأستانة قد أعلن في الرابع عشر من شهر شوال ١٣٣٢هـ / ٤ سبتمبر ١٩١٤م تأييد حكومته لتنظيم حركة عربية ضد الدولة العثمانية ان هي اتخذت موقفا عدائيا من بريطانيا وأصبح حربها امرا لامفر منه ، مشيرا الى ان التأييد البريطاني للعرب لابد من وجوده سواء بطريق مباشر أم غير مباشر .^(٣)

وحين خشيت بريطانيا على نفوذها في الخليج العربي وجدت أن خير وسيلة هي ابعاد شيوخ الخليج العربي عن ولائهم المعروف للدولة العثمانية ، لذا بدأت في مراقبة الحركة العربية الجديدة ، التي أصبحت تتغذى عن طريق السياسة

-
- (١) جمال زكريا قاسم : الخليج العربي - دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٩١٤-١٩٤٥م ، ص ٧ .
 (٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص ١١٤ .
 (٣) عمر عبد العزيز عمر : دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٥٥٦ .

البريطانية حيث طرحت فكرة الخلافة العربية كشعار سياسى جديد عوضاً عن الخلافة العثمانية ، وتهدف تلك الفكرة الى الاعتماد على القومية العربية المرفقة بدلاً من الخلافة الاسلامية التى تقضى مفاجع الساسة الاوربيين بشكل عام والبريطانيين بشكل خاص ، ولقد عبّر وزير خارجية بريطانيا السير ادوارد جراى عن هذه الفكرة ، ولكنه التزم فى ذلك جانب الحذر لان الامور لازالت فى بداياتها ، اذ قال : " ان حكومة جلالة الملك تشعر بأن مسألة الخلافة امر يبت فيه المسلمون دون أى تدخل من الدول غير الاسلامية ، فاذا ماقرر المسلمون انشاء خلافة عربية فان حكومة جلالة الملك بالطبع ستحترم هذا القرار ، ولكن المسألة تخص المسلمين وحدهم ليقرروا ما يرونه " (١) ، انه أسلوب سياسى جديد طرحته بريطانيا واستمرت فى دعمه ومساندته لتحقيق من خلال ذلك اهدافها الاستعمارية ، وتؤكد سيطرتها على الولايات العربية ، التى تضمن لها بالتالى نجاح خططها الرامية الى تحويل الخليج العربى الى بحيرة بريطانية ، وهذا ما أدركه السياسى الفرنسى اندريه ديبيوسك حين اشار فى تقريره الذى رفعه الى حكومته ، من ان بريطانيا تتمنى ظهور قوة روحية جديدة فى شبه الجزيرة العربية تتفق معها على تقويض سلطة السلطان الدينية وحقوق السيادة (٢) ، هكذا اذاً كانت محاولات بريطانيا لاضعاف دولة الخلافة العثمانية باستقطاب الحركة العربية وتغذيتها لتقف فى وجه الدولة العثمانية ، ليس هذا فحسب

(١) موفق بنى المرجة : المرجع السابق ، ص ٣٦٥ .
 (٢) وجيه كوشرانى : بلاد الشام - السكان الاقتصاد والسياسة الفرنسية فى مطلع القرن العشرين ، ص ٣٠٧ .

وانما كانت تسعى فى محاولات حثيثة لاختذ أجزاء من الوطن العربى ، وزيادة تآزم العلاقات بين العرب والدولة العثمانية ، فهى اذاً تقف موقفاً عدائياً من العرب ومن الدولة العثمانية ولكنها تبدو بمظهر الصديق للطرفين ، وحققت فى ذلك نجاحاً كبيراً .

وعندما اعلنت بريطانيا الحرب على الدولة العثمانية ، بدأ الماسة البريطانيون فى التفكير عملياً فى الحصول على تاييد من الامراء العرب فى الجزيرة العربية ، وبدأت تساؤلات كثيرة بين هؤلاء حول امكانية تزعم ابن سعود للقيام بحركة ضد الدولة العثمانية ، للامكانيات السياسية والعسكرية التى اظهرها فى بناء دولته على أرض الجزيرة العربية ، لكن عبد العزيز آل سعود كان على قدر كبير من الذكاء ، بحيث ادرك خطط البريطانيين السياسية ومكائدهم وأهدافهم الاستعمارية ، فاحتفظ بحياده ، ولم يعترض القوات العثمانية فى اليمن وفى عسير بل ترك رسلها وأموالها تمر عبر بلاده بين اليمن والشام ، وفى الوقت نفسه لم يمطد مع البريطانيين ولم يحاول أن يظهر عداوته لهم ، مع العلم انه قال عنهم لأمين الريحانى : "تراهم يدسون الدسائس عليّ ، أحاطونى بالاعداء ، أقاموا دويلات حولى ، ونصبوا من أعدائى ملوكاً وهم يمدونهم دائماً بالمساعدات المالية والسياسية " .^(١)

(١) أمين الريحانى : نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز آل سعود ... ، ص ٢٢٩ .

(٢) تركى بن محمد بن سعود الكبير : المرجع السابق ، ص ٧

(٣) خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز ، ج ١ ، ص ٢١٦ ؛

خير الدين الزركلى : الوجيز فى سيرة الملك عبد العزيز ، ص ٦٠ .

(٤) أمين الريحانى : ملوك العرب ، ج ٢ ، ص ٥٨ .

وفى الخامس عشر من ذى الحجة ١٣٣٢هـ/ ٣ نوفمبر ١٩١٤م أعلنت الحكومة البريطانية ان الكويت أصبحت اماره مستقله ، ووجه المقيم السياسى فى الخليج السير برسى كوكس الى شيخ الكويت التبليغ الآتى : "يجب على الرؤساء العرب التعاون مع الحملة البريطانية لتحرير البصرة من العثمانيين ، ومهمة الشيخ مبارك هى القيام بمهاجمة المراكز العثمانية فى ام القصر ومفوان وجزيرة بوبيان ، وتتعهد بريطانيا بحماية الكويت بحدودها الجديدة بعد فم هذه المواقع ، ومنع جميع الامدادات عن القوات التركية وعرقلة مواصلاتها والتعهد بحماية طرق المواصل البريطانية ، وفى مقابل ذلك توجه السلطات البريطانية الشكر الى حاكم الكويت ، وتتعهد بعدم رد البصرة الى العثمانيين وبحماية املاكه فى شط العرب له ولورثته مع اعفائها من جميع الضرائب والاعتراف باستقلال الكويت تحت الحماية البريطانية" (١) ، كما وجه المقيم البريطانى الى شيخ المحمرة تبليفاً آخر على نفس السياق وطلب منه التعاون مع شيوخ العرب المواليين لبريطانيا للهجوم على البصرة وتحريرها من العثمانيين ، واذا تعذر ذلك فيكفى الوقوف فى منع الامدادات العثمانية من الوصول الى البصرة . (٢)

اما فى ولاية البصرة ذاتها فقد غادر القنصل البريطانى مدينة البصرة الى المحمرة ومن هناك بدا فى مفاوضة السيد طالب النقيب حيث عرض عليه عدة بنود تمثل الوعود

(١) صلاح العقاد : المرجع السابق ، ص ٢٢٢-٢٢٣ .
 (٢) جمال زكريا قاسم : الخليج العربى - دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤-١٩٤٥م ، ص ٩ .

- البريطانية التي تتعهد حكومة بريطانيا بتنفيذها اذا قدم طالب النقيب جميع المساعدات لبريطانيا كي تقوم باحتلال البصرة ، وتتلخص الوعود البريطانية تلك في ستة بنود هي :
- (١) تنصيب السيد طالب حاكماً عاماً على ولاية البصرة ولوائى الناصرية والعمارة .
- (٢) جعل اللغة العربية لغة رسمية فى الدوائر الحكومية والمدارس .
- (٣) تعيين موظفين عراقيين فى جميع مناصب القضاء وفى الدوائر الرسمية .
- (٤) جعل ادارة الاوقاف أهلية تحت اشراف الحكومة .
- (٥) اعفاء أملاك السيد طالب وأملاك أسرته من الرسوم الأميرية .
- (٦) تعنى الحكومة البريطانية بأمر المصارف والشئون الاقتصادية والزراعية عناية خاصة لغرض تقدم البلاد ورقياً^(١) .
- وقراءة هذه البنود التى صاغتها السياسة البريطانية ، يعطى دليلاً على أن بريطانيا كانت تتبع الحركة العربية منذ نشأتها وتعرف المطالب العربية التى كان يطالب بها رجال الاملاح العرب فى ظل الدولة العثمانية وعلى قاعدة اللامركزية وهى تدرك أن حروب البلقان أثرت عسكرياً وسياسياً على الدولة العثمانية ، وهى تريد أن تستقطب الحركة العربية لتحقيق اهدافها الاستعمارية فى البصرة ، والحرب العالمية الاولى

(١) سليمان فيضى : المصدر السابق ، ص ١٨٨-١٨٩ .

اتاحت لها تحقيق اطماعها كاملة .

وقد رفض السيد طالب النقيب هذه الوعود البريطانية وأكد ان البلاد العربية لا تريد الخروج عن الدولة العثمانية لتقع تحت الاستعمار البريطانى ، بيد انه تعدد بثورة ضد الدولة يقودها ضباط وجنود عرب ودون تدخل من الجيش البريطانى على ان تمده بريطانيا بالسلاح والمال وان تبقى بواخرها وقطعها البحرية فى الخليج خارج شط العرب ، ولاتدخل القوات البريطانية ارض العراق الا اذا تدخلت الجيوش الالمانية ضد العرب ، وبعد خروج العثمانيين تؤسس دولة عربية مستقلة تحت حماية بريطانيا ، على ان يُمنح للبريطانيين امتيازات خاصة ، وجميع خسائر الحرب التى تتحملها بريطانيا فى مساندة الثورة تعتبر قرها يسد على اقساط تنتهى الحماية بنهايته ، وتبقى الامتيازات الاقتصادية على ان تكون هذه المطالب اساساً لمعاهدة دولية يوقع عليها مندوب رسمى عن الحكومة البريطانية ، لكن هذه المقترحات قوبلت بالرفض من الحكومة البريطانية ، غير ان ^(١) هذا يعطينا دليلاً على ان بريطانيا قد اوجدت نوعاً من التقارب بينها وبين الرؤساء العرب فى كل من المحمرة والكويت والبصرة الذين لم يكونوا فى معزل عن الحركة العربية فى الشام ، ولعل لويد جورج Lloyd George رئيس وزراء بريطانيا كان يشير الى شيء من ذلك حين قال : " ان عملاءنا لدى العرب ومن بينهم اناس من ذوى الاختبار المشهود

(١) سليمان فيفى : المصدر السابق ، ص ١٨٩-١٩٠ .

لهم بمهارتهم فى فنون الدبلوماسية الشرقية راوحا يعملون على اشارة روح الثورة ويتعمدون بتقديم الاسلحة^(١) والذخائر....".

ويورد أحد المعاصرين لتلك الاحداث رواية مفادها ان القنصل البريطانى فى المحمرة ارسل رسالة الى السيد طالب النقيب الذى كان يستعد للرحيل الى نجد ، وفيها بعض التعديل للمقترحات البريطانية على النحو التالى : ان يلتزم السيد طالب جانب الحياد اثناء الحرب مقابل وعد من بريطانيا بجعله حاكماً عاماً مدى الحياة على العراق من الفاو الى آخر نقطة يمل اليها الاحتلال ، ولكن رد السيد طالب النقيب كان حازماً ومعبراً حيث قال : "انى ارفض كل اقتراح من هذا القبيل ، وقد عازمت على السفر الى نجد فابحثوا عن من يعينكم على استعمار بلاده ، واعلموا ان الذى لايرضى بحكم الاتراك اخوانه فى الدين حرى به ان يابى حكم الانجليز"^(٢) ، وهذا دليل واضح على ان زعماء الحركة العربية من امثال طالب النقيب ودعاة الإصلاح على قاعدة اللامركزية ، لم ينظروا الى الدولة العثمانية كدولة استعمارية ، وانما كانت لهم توجهات استقلالية تطورت تبعا لتطور الاحداث ، وقد رأت السلطات البريطانية فى مصر شيئاً من هذا القبيل ، حين حاولت ان تحصل ببعض الزعماء العرب مثل عزيز المصرى والسيد رشيد رضا ، ليقوموا بالتحالف مع بريطانيا لضمان مستقبل البلاد العربية ، الا ان الزعماء العرب اصرؤا على ضرورة

(١) زين نور الدين زين : الصراع الدولى فى الشرق الاوسط وولادة دولتى سوريا ولبنان ، ص ٦١ .

(٢) سليمان فيضى : المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

(١)
الحصول على ضمانات لاستقلال البلاد العربية ، فالسياسة
البريطانية اذاً كانت تحاول توثيق صلتها بالعرب مستغلة سوء
التفاهم الحاصل بين حكومة الاتحاد والترقي واقطاب الحركة
العربية ، لتصل من خلال ذلك الى تفكيك عرى الدولة
العثمانية ، وفصل الولايات العربية عنها ، وبالتالي تحقيق
اطماعها في البصرة وهو ما ذهبنا اليه في هذا البحث واشتتته
الاحداث التاريخية .

ويذهب احد المؤرخين الى ان الفترة التي اعقبت حرب
البلقان وسبقت الحرب العالمية الاولى شهدت تدهوراً في
"العلاقات بين العرب والترك نتيجة لسياسة التحريك التي
سارت عليها حكومة الاتحاديين ، وفشلت الجهود التي بذلت
لاقناع الاتحاديين بمنح العرب حقوقهم المشروعة في الحكم
اللامركزي ، على ان العرب كانوا يخشون ان يثوروا على الترك
فتختطفهم اطماع الدول الاوربية" (٢) ، ولقد ساعدت الحركة
العربية الممزقة توجهات السياسة البريطانية ، لتحقيق
اطماعها في المشرق العربي ، لتحتل مدينة البصرة في الخامس
من محرم ١٣٣٣هـ / ٢٢ نوفمبر ١٩١٤م ، وتصل الى غايتها (٣)
المنشودة ، وهي تفكيك دولة الخلافة وابعادها ، وبالتالي
تمت لها السيطرة على المشرق العربي العثماني ، والخليج
العربي بشكل خاص .

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ٢٩٠ .
(٢) احمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث
ص ٤٣٧ .
(٣) محمد خليفة النبهاني : المرجع السابق ، ص ٣٤٤ ؛
عبد العزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر - مصر
والعراق - ، ص ٤٥٧ .

ونحن هنا نستطيع أن نقول أن الموقف الأمثل الذى كان العرب فى حاجة الى الاقتداء به هو موقف الامام عبد العزيز آل سعود الذى اشرنا اليه فيما سبق ، لأن الحركة العربية حينذاك كان يجب أن تعتمد على الوحدة أولاً ، وعلى نفسها فى نطاق الاسلام ، دون عدااء صريح من البعض للدولة العثمانية ، أو انحياز صارخ من البعض الآخر للسياسة البريطانية ، لكن ذلك لم يحدث لتلك الحركة التى أضعفتها القومية العربية المتطرفة وأخرجتها عن الطريق الصحيح ، وحققت للاستعمار الأوربى كل أهدافه وتطلعاته فى المشرق العربى ، باستثناء تلك الدولة الاسلامية الناشئة التى أقامها الامام عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل سعود على أسس اسلامية عربية راسخة ، مما جعلها تقف حصناً منيعاً فى طريق استعمار أوربى شامل للمشرق العربى .

الفصل الخامس الحركة العربية عند قيام الحرب العالمية الأولى

- آ - نشر قانون الولايات : المركزية .
- ب - اشتداد المعارضة العربية للمركزية والتتريك .
- ج - الدعوة لمؤتمر الجزيرة العربية .
- د - ضم الأحساء ، وقيام سلطنة نجد وتوابعها .
- هـ - أثر موقف سلطنة نجد بالنسبة للمشرق العربي .
- و - قيام الحرب العالمية الأولى ، تغير ميزان القوى .

(أ) نشر قانون الولايات = المركزية .

تسارعت الأحداث على الدولة العثمانية ، وانعكست آثار هزائهما فى حروب البلقان على أوضاعها السياسية والعسكرية وبالتالي أصبح المشرق العربى هو قطب الرحى فى معظم الأحداث التاريخية التى تمر بها الدولة ، لأن بنية الدولة العثمانية قد تغيرت بعد حروب البلقان ، وأصبح العرب أكثرية فى الدولة ، لذا كانت الحركة العربية مؤثرة تأثيراً ملموساً فى النهج السياسى للحكومة العثمانية ، بيد أن الفترة الزمنية التى انحصرت فيها أحداث المشرق العربى العثمانى منذ حروب البلقان حتى قيام الحرب العالمية الأولى كانت فترة قصيرة جداً قياساً لتاريخ الأمم والشعوب ، لكنها مع ذلك شهدت أحداثاً سريعة ومؤثرة أدت فى آخر المطاف الى تغيير الخريطة السياسية فى المشرق العربى ، وأعطت للحركة العربية صورة سياسية دولية أصبحت من خلالها محوراً للأحداث السياسية الدولية طوال فترة الحرب العالمية الأولى .

وقد كان قانون الولايات الذى أعلنه الحكومة العثمانية إبان اشتعال حروب البلقان ذا أثر فعال على الحركة العربية فى المشرق العربى العثمانى ، لأنه أعطى انطباعاً واضحاً عن المركزية التى تنوى حكومة الاتحاد والشرقى فى نشرها فى ولايات الدولة ، سيما وأن الجزء الأوروبى من الدولة الذى تمثله الولايات البلقانية قد خرج عن الدولة العثمانية ، والولايات العربية التى باتت تمثل أكثرية فى الدولة تطالب بإصلاح على قاعدة اللامركزية الإدارية .

ويعتبر قانون الولايات الذى سنته الدولة العثمانية سنة ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م بمثابة تنظيم للسياسة المتبعة فى الولايات العثمانية ، ويرى البعض أن هذا القانون منقول نقلاً أميناً عن النظم الادارية الفرنسية من حيث تقسيم السلطنة الى ولايات ، تتألف من متصرفيات ، وهذه تتألف من قائمقاميات يتبع كل منها عدد من النواحى ، وقد استمرت تصرفات الولاة وفق هذا القانون قاصرة على تطبيق اوامر الاسكان ، وتعزيز قاعدة المركزية فى النظام الادارى المعمول به فى الولايات .^(١)

وكانت الدولة العثمانية تنقسم الى ولايات ، والولايات تنقسم بدورها الى الوية "سناجق" ، والالوية تنقسم الى اقلية - جمع قضاء - ، والاقضية تنقسم الى نواح ، وكانت الادارة فى كل لواء تسند الى - متصرف - ، وفى كل قضاء الى - قائمقام - وفى كل ناحية الى - مدير الناحية - ، وفى نهاية كل عام كانت الدولة العثمانية تنشر كتاباً سنوياً "حولية رسمية - تسمى "سالنامه دولت عليية عثمانية" ، تبين فيها كامل التفاصيل عن التقسيمات الادارية ، وتذكر اسماء رؤساء الموظفين فى جميع الاقلية والالوية والولايات فضلاً عن العاصمة .^(٢)

وقد كانت "السالنامه" تورد لفظ ايالة ، حتى صدور قانون الولايات المشار اليه بعاليه ، حيث اختفى لفظ ايالة وساد استعمال لفظ ولاية حتى نهاية العهد العثمانى ، مما

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ١٠ .
(٢) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ص ١٣٨ .

يعنى أن لفظ ايالة فى التقسيم الإدارى عند العثمانيين قد سبق لفظ ولاية ، وهو لايعنى عدم استعمال لفظ ولاية ولكنه يعنى أسبقية لفظ ايالة على لفظ ولاية ، وقد قسمت ولاية سورية الى الوية "سناجق" ، والالوية قسمت بدورها الى أقضية والأقضية الى نواح وقرى ومحلات ومزارع وذلك وفق نظام إدارة الولايات العمومية الذى صدر فى سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧١م^(١) .

ويذكر أحد المؤرخين أن البلاد العربية التابعة للدولة العثمانية كانت فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى/أوائل القرن العشرين الميلادى - أى فى الفترة التى سبقت فترة بحثنا هذا والفترة المعاصرة له - كانت تنقسم الى تسع ولايات ، وأربع متمرفيات مستقلة - بمعنى غير مرتبطة بولاية من الولايات - وأيالتين ممتازتين ، وهذه الولايات التسع هى :

ولاية الحجاز ، ولاية اليمن ، ولاية البصرة ، ولاية بغداد ، ولاية الموصل ، ولاية حلب ، ولاية سوريا "دمشق" ، ولاية بيروت ، ولاية طرابلس الغرب .

أما المتمرفيات الأربع فهى : متمرفية قدسى الشريف ، وتضم أربعة أقضية ، ومتمرفية بنغازى وتتبعها ثلاثة أقضية ، ومتمرفية الزور وتضم أربعة أقضية ، ومتمرفية جبل لبنان وتضم ثمانية أقضية ، أما الأيالتان الممتازتان فهما إيالة مصر ، وإيالة تونس ، ولم يتم تطبيق قانون الولايات تطبيقاً^(٢)

(١) عبد العزيز محمد عوض : المرجع السابق ، ص ٧٠-٧١ ، وهامش ٢ ص ٧٠ .

(٢) ساطع الحمصى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ١٣٨-١٤٥ .

تاماً فى ولايتى الحجاز واليمن ، كما انه لم يطبق فى
(١)
الولايات العربية بصورة متساوية .

وفى اوائل شهر رمضان ١٣٢٧هـ/اواخر سبتمبر ١٩٠٩م نشرت
جمعية الاتحاد والترقى برنامجها السياسى ، الذى اظهرت
استعدادها فيه لادارة الولايات على قاعدة توسيع دائرة
المادونية - اى الملاحيات - التى نمت عليها المادة ١٠٨ من
القانون الاساسى العثمانى "الدستور" ، الذى اعلن فى بداية
(٢)
عهد السلطان عبد الحميد الثانى سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م ، وهو
ما عرف بالمشروطية الاولى ، ثم أعيد العمل به بعد ثورة
الاتحاديين سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ، وهو ما عرف بالمشروطية
الثانية ، والتى استمر العمل بها حتى سقوط الدولة
(٣)
العثمانية وقيام جمهورية تركيا الحديثة .

وبعد الحرب الطرابلسية ، وحروب البلقان شددت حكومة
الاتحاد والترقى من قبضتها على السلطة ، واتخذت المركزية
فى الحكم منهجاً لها ، بحجة أن الدولة العثمانية أصبحت
تواجه مشكلات ضخمة ، تتطلب نوعاً من القيادة القوية ، وان
عاصمة الدولة لابد أن تكون هى مصدر القرارات التى تدير
عليها ولايات الدولة ، وهذا الاتجاه فى سياسة الحكومة
(٤)
العثمانية حينذاك تأكيد لما ذهب اليه البحث من أن آثار
حرب البلقان قد أخلّت كثيراً بأوضاع الدولة العثمانية
السياسية منها والعسكرية .

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ١٢ .
(٢) ابراهيم خليل أحمد : المرجع السابق ، ص ٤٠٥ .
(٣) ساطع الحميرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ،
ص ٦٢-٦٣ ، ١٧١ .
(٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٨٥ .

وكان دعاء الاصلاح العرب فى النصف الاول من عام ١٣٣١هـ / اوائل ١٩١٣م ، يضعون البرامج الاصلاحية على قاعدة اللامركزية ، ويسعون للحصول على منح اكبر قدر من الاملاحات للولايات العربية ، وهو ماتمثل فى اللائحة التى وضعتها جمعية بيروت الاصلاحية وقدمتها للوالى العثمانى فى بيروت ، لكنه حاول ان يقنع الجمعية بتأجيل البت فى هذه اللائحة وعدم ارسالها للاستانة حتى صدور قانون الولايات الذى تعتمزم الحكومة اصداره ، والذى سيتضمن اسس الاصلاح التى يطالب بها العرب ، غير ان الجمعية البيروتية رأت ان الافضل هو ارسال تلك اللائحة الى عاصمة الدولة ، على ان يكون للحكومة الحق فى مناقشة الجمعية حول بنود اللائحة اذا رأت ذلك .^(١)

وقد ظل الوالى العثمانى فى بيروت ابو بكر حازم بك يدارى الاصلاحيين العرب ، ويدلى لهم بالتمريحات المطمئنة ، ويعدهم بقرب صدور قانون الولايات الذى سيحقق لهم الاملاحات المطلوبة على قاعدة اللامركزية ، والتى ستكون أكثر مما يتصوره العرب ويطالبون به ، وقد عبّر له العرب عن شكرهم وولائهم للدولة ، مؤكدين له ان حركتهم الاصلاحية تلك لا ترمى الا لغاية واحدة ، هى ميانة البلاد من الخطر الاجنبى وابقائها فى ظل الدولة العثمانية ، لكن هذا التعامل الودى^(٢) بين الوالى العثمانى والاصلاحيين العرب لم يستمر طويلاً ، اذ اقدم الوالى فى اليوم الثانى من جمادى الاولى ١٣٣١هـ / ٨ ابريل ١٩١٣م على اصدار بلاغ رسمى منع بموجبه اجتماع

(١) مذكرات سليم على سلام : المصدر السابق ، ص ١٥٥ ، ٢٤ .
(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٤٧٢ ، ٤٦٧ .

الجمعية العمومية الإصلاحية في بيروت وأمر باقفال ناديها ، وجاء في البلاغ أنه قد "شرع بتطبيق قانون إدارة الولايات الذى نظمته الحكومة السنية وفقاً لقاعدة توسيع المأذونية وتفريق الوظائف التى نمت عليها المادة المائة والثامنة من القانون الاساسى ، وصدرت ارادة الحفرة السلطانية بمراعاة احكامه فجاء جامعاً للمساعدات الواسعة التى تتطلبها الاملاحات المطلوبة لبيروت ولسائر الولايات العثمانية ومتضمناً الاحكام المخصوصة التى تؤمن الاحتياجات الخصوصية لكل ولاية" (١) ، هكذا اذاً اصدرت حكومة الاتحاد والترقى قانون الولايات الجديد فى وقت كان اصلاحيون العرب فى المشرق العربى العثمانى قد انكبوا على اعداد اللوائح الإصلاحية ، ووضع المطالب العربية على قاعدة اللامركزية موضع التنفيذ ، غير أن هذا القانون الداعى الى المركزية اضاع كثيراً من المطالب التى يتطلع اليها العرب بعد أن تغيرت بنية الدولة العثمانية ، واصبحت الاكثرية عربية .

وقد ذهب بعض المؤرخين الى أن قانون الولايات الجديد قد صدر فى ٢٩ جمادى الاولى ١٣٣١هـ / ٥ مايو ١٩١٣م ، غير أن البلاغ الرسمى الذى أصدره الوالى العثمانى فى بيروت ، والذى اشار الى ذلك القانون ، قد صدر قبل هذا التاريخ بما يقارب شهراً كاملاً ، اضاف الى ذلك أن الصحف العربية فى المشرق العربى والتى نشرت قانون الولايات الجديد فى اعداد

(١) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٧٧ فى ٣ جمادى الاولى ١٣٣١هـ .

(٢) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ١٩٠ ؛ محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ١٦٥ ؛ لوتسكى : المرجع السابق ، ص ٤١٠ .

محتالية ، قد بدأت فى نشره عقب البلاغ الذى أعلنه الوالى العثمانى فى بيروت والذى سبق أن أشرنا اليه ، وهو سابق بطبيعة الحال على التاريخ الذى ذهب اليه المؤرخون ، وقد استطعنا أن نحمل على بعض أعداد من صحيفة الاتحاد العثمانى التى تصدر فى بيروت ، وتعود ملكيتها للسيد أحمد حسن طباره ، وهو واحد من زعماء الإصلاح العرب ومن الاعضاء المؤسسين لجمعية بيروت الاملاحية ، مما يجعل منها مصدراً معاصراً لتلك الاحداث ، حيث بدأت فى نشر قانون الولايات الجديد فى أعداد محتالية بدءاً بالعدد رقم ١٣٨٢ فى ٩ جمادى الاولى ١٣٣١هـ/ ١٥ ابريل ١٩١٣م ، مما يؤكد أن نشر قانون الولايات الجديد قد سبق التاريخ الذى ذهب اليه المؤرخون المشار اليهم سلفاً ، ويذهب مؤرخ آخر الى أن قانون الولايات الجديد قد صدر فى شهر رجب ١٣٣١هـ/ يونيو ١٩١٣م ، بينما يرى احد المؤرخين أن قانون الولايات الجديد الذى أصدرته الحكومة العثمانية امتداداً لنظام الولايات الصادر سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م ، قد صدر فى السابع عشر من ربيع الثانى ١٣٣١هـ/ الخامس والعشرين من مارس ١٩١٣م ، وهذا التاريخ بطبيعة الحال هو الاقرب للواقع ، ونحن نميل الى الاخذ بنفس الراى ، والقرائن التاريخية تؤيد هى الاخرى هذا الراى ، لأن الفترة الزمنية بين صدور القانون الجديد ونشره فى الصحف

(١) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٨٢ فى ٩ جمادى الاولى

١٣٣١هـ/ ٦

، جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٩٤ فى ٢٣ جمادى الاولى ١٣٣١هـ .

(٢) وجيه كوشرانى : السلطة والمجتمع والعمل السياسى من تاريخ الولاية العثمانية فى بلاد الشام ، ص ٢٠٩ .

(٣) عبد العزيز محمد عوض : المرجع السابق ، ص ٥١ .

ترجح هذا الراى ، كذلك الفترة الزمنية بين مدوره واساره
الوالى العثمانى فى بيروت اليه فى بلاغه الموجه لجمعية
بيروت الاملاحية سالف الذكر ترجح هى الاخرى ذلك الراى .

وقد صيغ قانون الولايات الجديد فى مقدمة وعدد كبير من
المواد ، ونمت المقدمة على "أن أصول ادارة الولايات هى
بموجب المادة ١٠٨ من القانون الاساسى ، مؤسسة على قاعدة
توسيع الماذونية وتفريق الوظائف ، وكل مامور مكلف أن يؤدى
وظيفته فى دائرة الصلاحية الحائز عليها قانوناً ومسئول
عن جميع الاعمال المتعلقة بمأموريته " ، كما نمت المادة
الاولى على أن "الولايات منقسمة الى الوية ، والالوية الى
اقضية ، والاقضية الى نواح ، والنواح الى قرى ؛ والوالى هو
رئيس ومرجع ادارة الولاية العمومية ، ورئيس ادارة اللواء
المسئول عنه هو المتصرف ، ورئيس ادارة القضاء المسئول عنه
هو القائمقام ، يشكل ايضاً فى مراكز الولاية مركز قضاء آخر
ويعين له قائمقام ، رئيس ادارة الناحية المسئول عنها هو
المدير" .^(١)

وبموجب القانون الجديد للولايات فقد تمتع الوالى
بصلاحيات واسعة اذ اعتبر أكبر مأمورى السلطة التنفيذية فى
الولاية ووكيل وممثل كل نظارة ومسئول عن ادارة الولاية
العمومية ، ومن وظائفه نشر واعلان القوانين والنظامات فى
داخل الولاية وتأمين تنفيذها تماماً والقيام بالوظائف التى
تخوله اياها تلك القوانين والنظامات ، واستعمال صلاحيته

(١) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٨٢ فى ٩ جمادى الاولى
١٣٣١هـ ، ص ٢ .

بها ووقاية حقوق الدولة والاهالى واجراء اوامر وتعليمات
(١)
النظارات "المادة ٢٠" .

ومن الاحكام العامة التى تضمنها قانون الولايات الجديد
ما تضمنته المادتان الثامنة والتاسعة : "يعين الولاة
ومعاونوهم ، والمتصرفون والمكتوبيون "امناء سر الولاة" ،
والقائمقامون ، ورؤساء الادارة فى مركز الولاية - قائد
الدرك ، مدير البوليس ، مدير النفوس ، مدير الامور
الخارجية ، ترجمان الولاية - ومديرو تحريرات اللواء
ومحاسبو اللواء ومفتشو المعارف ومديرو ومعلمو المكاتب
السلطانية - التجهيز - واطباء الحكومة ، ومهندس النافعة ،
(٢)
من قبل مركز السلطة" .

ومن اهم صلاحيات الوالى فى هذا القانون ما نصت عليه
المادة ١٢ والتى تقول : "اذا رأى الولاة لزوماً لعزل
المأمورين المعيّنين بمرادة سنية او من قبل النظر يكتبون
بذلك للاستانة ، فاذا لم تجد النظارات الاسباب التى بينها
الولاة كافية للعزل ترسل الاوراق الى شورى الدولة خلال شهر
على الاكثر من تاريخ وصولها على أن يعطى النظر معلومات عن
ذلك حالاً الى الولاة بالتلغراف ، واما شورى الدولة فانها
تجرى التدقيقات فيها خلال شهرين على الاكثر ثم تعيدها ، فاذا
لم يعط الجواب فى مدة شهر فالولاة ماذونون بان يأخذوا
العهد على عاتقهم ويعزلوهم ، وأن يكفوا أيدي المأمورين

(١) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٨٥ فى ١٢ جمادى الاولى
١٣٣١هـ .

(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٤٨٠-٤٨١ .

الذين يرون في بقائهم اخلاً بالراحة والانضباط بشرط اخبار
المركز^(١) .

اما المادة ١٢٥ من قانون الولايات الجديد فقد كانت
على النقيض مما دعت اليه اللوائح الاصلاحية التي يطالب بها
العرب ، حيث منحت الوالى الحق في تاخير مذكرات المجلس
العمومى اسبوعاً واحداً على ان يبلغ نظارة الداخلية بذلك ،
وله الحق في فسخ المجلس العمومى على ان يبين الاسباب
الداعية لذلك ويستأذن نظارة الداخلية في ذلك ويلتزم
بتوجيهاتها المبنية على قرار مجلس النظار ، وفي حالة
الموافقة على الفسخ تؤخذ ارادة سنية من السلطان
العثمانى^(٢) .

واذا كانت حكومة الاتحاد والترقى ترى ان اصدار هذا
القانون قد جاء نتيجة لحالة الحرب التي تعيشها الدولة
العثمانية في البلقان ، مما يحتم عليها احكام المركزية
وتقوية قبضة العاصمة على الولايات العربية التي اصبحت
اكثرية في الدولة ، فان دعاة الاصلاح العرب قد راوا ان
قانون الولايات الجديد جاء على النقيض تماماً مما هدفت اليه
اللائحة الاصلاحية لجمعية بيروت وما يطالب به حزب اللامركزية
الادارية العثمانى في مصر ، ونشرت الصحف في بغداد مقالات
تندد فيها بهذا القانون ، وعقدت الاجتماعات وارسلت
البرقيات من الولايات العربية الى عاصمة الدولة تطالب بعدم

(١) جريدة الاتحاد العثمانى عدد ١٣٨٤ في ١١ جمادى الاولى
١٣٣١هـ .

(٢) عبد العزيز محمد عوض : المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(١) تطبيق هذا القانون باعتباره غير كاف لاصلاح ولاياتهم .
وقد عبر رفيق العظم رئيس حزب اللامركزية فى القاهرة
عن آرائه فى قانون الولايات الجديد حيث قال : "هو توسيع
سلطة الولاة بدلاً من توسيع سلطة المجالس العمومية ، فمن
مقتضى هذا القانون يتوقف كل عمل سواء كان حسناً او قبيحاً
على ارادة الوالى فهو يعين ويعزل من تلقاء ارادته
الموظفين وهو الذى يحق له حل كل المسائل وقد انحصر عمل
المجالس العمومية بالاستشارة فقط ، لان قراراتها لاتنفذ الا
اذا كانت موافقة لرغائب الوالى ، نعم القانون الجديد ابان
بانه اذا حدث خلاف بين الولاة والمجالس العمومية فمرجع الحل
عائد الى مجلس شورى الدولة ولكنه يقتضى فى مثل هذه الحال
الانتظار الشهور الطويلة لحل المسائل المهمة التى اوجبت
الخلاف بين الولاة والمجالس العمومية ، وبذلك نعود الى عادة
التاخير القديمة ونرجع الى المعاكسات السابقة " (٢)

اما فى الحجاز ، فقد ساءت علاقات الشريف حسين بحكومة
الاتحاد والترقى بسبب قانون الولايات الذى سلبه اختصاصات
الشرافة التى كان يتمتع بها ، خاصة بعد تعيين وهيب باشا
والياً على الحجاز ومنحه ملاحيات كبيرة يجمع من خلالها فى
يده كامل السلطة فى ولاية الحجاز ، فى حين كان الشيخ احمد
حسن طبارة احد اعضاء جمعية بيروت الاصلاحية يرى ان قانون

(١) ابراهيم خليل احمد : المرجع السابق ، ص ٤١٣-٤١٤ ؟
لوتسكى : المرجع السابق ، ص ٤١٠ .
(٢) جريدة الاصلاح عدد ٢٤-١٤١٩ فى ٢ رجب ١٣٣١هـ نقلا عن
الجون تورك العثمانية .
(٣) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

الولايات الجديد لا يحقق للعرب أى شىء من مطالبهم الإصلاحية ،
 لأنه يرمى لتوسيع سلطة الولاة ، وليس لتوسيع سلطة المجالس
 العمومية التى يطالب بها العرب ، وهذا من وجهة نظره يزيد
 من استئثار الولاة بالسلطة والاستمرار فى المظالم والاستبداد
 وخير ضمانات يمكن تقديمها للعرب هى توسيع سلطة المجالس
 العمومية ، ونفس الاتجاه قال به السيد عبد الحميد الزهراوى^(١)
 رئيس المؤتمر العربى فى باريس ، مشيراً الى أن هذا القانون
 ومآنتج عنه من حصر السلطة فى مركز الدولة وتوسيع
 سلطة الولاة فقط سيؤدى الى تجزئة الوحدة العثمانية وهو امر
 لا يريده العرب ولا يطمنون حدوشه .^(٢)

وقد أعقب صدور قانون الولايات الجديد صدور بعض
 البلاغات الرسمية من الصدر الأعظم العثمانى ومن نظارة
 الداخلية العثمانية ، وتهدف فى مجملها الى اجراء اصلاح
 عاجل فى الولايات العثمانية ، وفى مقدمتها بطبيعة الحال
 الولايات العربية ، وهذا ما أشار اليه السلطان العثمانى فى
 مقابلة أجرتها معه جريدة الطان Le Temps الفرنسية^(٣)
 حينذاك .^(٤)

وفى محاولة من الحكومة العثمانية لاستقطاب العرب الى
 جانبها أشار وزير الداخلية العثمانى الى أن موقف الحكومة
 من نظام اللامركزية كان مبنياً على الأوضاع فى الشعوب
 البلقانية التى كانت تنزع الى الانفصال ، أما وقد أنهت

(١) جريدة الإصلاح عدد ٢٩-١٤٢٤ فى ٨ رجب ١٣٣١هـ .
 (٢) جريدة الإصلاح عدد ٤٠-١٤٣٥ فى ٢٢ رجب ١٣٣١هـ .
 (٣) جريدة الإصلاح عدد ٥٦-١٤٥١ فى ١١ شعبان ١٣٣١هـ .
 مجلة المنار ، مجلد ١٦ ، ج ٩ ، ص ٧١٨-٧١٩ .
 (٤) جريدة الاهرام عدد ١٠٧٥٤ فى ١٢ شعبان ١٣٣١هـ .

حروب البلقان تلك المشكلة فلم يعد أمام الحكومة العثمانية
أى مانع من الأخذ بنظام اللامركزية فى الولايات العربية ، لأن
اتجاهات العرب ونزعاتهم وولاءهم للدولة العثمانية لا يرقى
إليها الشك فى أية حال من الأحوال ، وبالفعل نشرت صحف^(١)
الاستانة فى الرابع عشر من شهر رمضان ١٣٣١هـ / ١٦ أغسطس
١٩١٣م الإرادة السلطانية الصادرة بتنفيذ مقرر مجلس
الوكلاء من التغيير الإدارى فى البلاد العربية وفق البنود
التالية :

"(١) أن يعهد إلى مجالس الطوائف المحلية بإدارة أملاك
ومعاهد الأوقاف المشروط صرف ريعها على الجهات الخيرية
مع مراعاة شروط الواقفين والتزام نموص القانون
الخاص الذى باشرت الحكومة وضعه .

(٢) أن يؤدى الجنود خدمتهم الجندية فى زمان السلم والأمن
داخل دائرة التفتيش التى هم تابعون لها ، وإذا رأت
الدولة أن الحال تقتضى بزيادة عدد الجنود المحتشدة
على جهة من جهات الحدود فللحكومة أن تحشد وتسوق كل
صنف من أصناف العساكر من غير قيد ولا شرط ، وأما
العساكر الذين تمت الحاجة الآن إلى إرسالهم إلى
الحجاز واليمن وعسير ونجد وأمثال هذه الأقطار فيؤخذون
من كل البلاد العثمانية بنسبة صحيحة .

(٣) لأجل الاطمئنان على حصول ماتحتاج إليه البلاد العربية
بوجه خاص من وسائل الحضارة والعمران فى الحاضر

(١) ساطع الحمصى : محاضرات فى نشوء الفكرة القومية ،
ص ١٤٨ .

والمستقبل فان من المفيد لذلك ان تكون لغة التعليم فى مدارس تلك البلاد هى اللغة العربية ويبادر من الآن الى التعليم بهذه اللغة فى المدارس الابتدائية والثانوية مع جعل تعليم اللغة التركية اجبارياً ، وينظر من الآن فى اسباب جعل التعليم العالى فى المستقبل بالعربية فى البلاد العربية ، ولكن لاجل تعميم اللسان الرسمى ينبغى ان يبقى التعليم بالتركية فى المدارس الثانوية التى فى مراكز الولايات .

(٤) يجب ان يلاحظ فى تعيين الموظفين للبلاد العربية ان يكونوا عارفين اللغة العربية عدا اللغة الرسمية ، اما الموظفون الذين من الدرجة الثالثة فتعينهم الحكومة المحلية فى الولايات على النسخ المنصوص عليه فى القوانين الخاصة بذلك ، واما الذين يتوقف تعيينهم على صدور ارادة سنية فينطاط تعيينهم بالحكومة المركزية فى الاستانة " (١)

ثم صدرت ارادة سنية فى السابع من شهر صفر ١٣٣٢هـ/ ٤ يناير ١٩١٤م تقضى بتعيين سبعة من العرب اعضاء فى مجلس الاعيان ، وهذا تعبير عن اتجاه الحكومة العثمانية لاستقطاب الحركة العربية فى المشرق العربى ، سيما وان قانون الولايات الجديد لم يمل الى الغاية التى يهدف الى تحقيقها دعاء الاصلاح العرب .

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٩ ، ص ٧٢٠ .
(٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٥٤٨ .

واذا كان اتجاه الحكومة العثمانية بتوسيع سلطة
الوالي من خلال قانون الولايات سالف الذكر ، يرمى الى بسط
سياسة المركزية فى الولايات العربية ، فان الاهتمام
بالمؤسسات الادارية المحلية ، ومحاولة استقطاب الحركة
العربية التى اشرنا اليها ، تعنى التسليم المحدود بنظام
اللامركزية الذى يطالب به العرب ، اما قانون الولايات
الجديد فقد زاد من اشتداد المعارضة العربية للمركزية التى
كانت سمة بارزة فى بنود ذلك القانون ، الى جانب معارفتهم
الشديدة لفكرة التحريك التى أضحت من المعالم الواضحة فى
سياسة حكومة الاتحاد والترقى حينذاك ، وهذا ماسوف نتناوله
بالدراسة فى المبحث التالى .

(ب) اشتداد المعارضة العربية للمركزية والتتريك .

كانت الحكومة العثمانية بعد انتهاء حروب البلقان تقف على مايمكن أن نسميه بمفترق الطرق ، فهي فى حيرة من أمرها ولاتدرى أى سياسة يمكن لها أن تسلكها لتساعد على اخراج الدولة العثمانية من الأوضاع المتردية التى تعيشها ، لذا كان قانون الولايات فى نظر جمعية الاتحاد والترقى التى تسيطر على الحكم فى الدولة هو الوسيلة الفعالة والسريعة للمحافظة على الأجزاء الباقية من الدولة ، فى حين كانت هزائم الدولة فى حرب البلقان وماعقب ذلك من أحداث تاريخية متلاحقة ، قد أوجدت لدى الاتحاديين ماعرف بالاتجاه الطوراني ، وتفجر الروح القومية التركية المتطرفة .

حينئذ كان العرب الذين باتوا يشكلون اكثريه فى الدولة شديدي الحرس فى المحافظة على بلادهم وانفسهم ، امام الانهيار الذى بدا يظهر على الدولة العثمانية بعد فقدانها لأجزاء كبيرة من ممتلكاتها فى حروب البلقان ، وبعد أن أصبحت ظاهرة التتريك هى السمة البارزة فى سياسة الحكومة العثمانية حينذاك ، وقد لانعدو الحقيقة اذا قلنا أن موالة نفر من العرب لفكرة القومية هى رد فعل لسياسة التتريك والأوضاع المتردية فى الدولة .

ولئن كان تمسك الحكومة العثمانية بنظام المركزية قد أضر بالولايات العربية كما يقول دعاة الإصلاح العرب ، فإن قضية المركزية واللامركزية قد لعبت دوراً هاماً فى سياسة الدولة العثمانية فى المشرق العربى ، وفى سير الحركة

العربية ، واستمر تأثير هذه القضية حتى نشوب الحرب العالمية الأولى .^(١)

ورغم تمسك حكومة الاتحاد والترقى بنظام المركزية ، وتشدها فى أمر اللغة الرسمية ، اضافة الى وجود قانون الولايات الجديد الذى جعل العرب يشعرون ان هناك تفضيلاً للولايات التركية على حساب الولايات العربية وأن سياسة التحريك التى تنتهجها الدولة هى المسيطرة على اوضاع المنطقة ،^(٢) رغم ذلك كله فان الحركة العربية وزعماءها المسلمين خاصة لم يفكروا فى الانفصال عن الدولة العثمانية وكان ولاءهم للرابطة العثمانية والوحدة الاسلامية هو الصورة البارزة على مسرح الاحداث ، وكان الاتجاه السائد حينذاك هو المطالبة بنظام اللامركزية مع الحفاظ على الرابطة العثمانية .^(٣)

ومع أن الطبقة الحاكمة فى عاصمة الدولة كانت تقتصر فى غالبيتها على العنصر التركى ، الا أن محاولة حكومة الاتحاد والترقى جعل اللغة التركية هى اللغة الرسمية الوحيدة فى البلاد زاد من شقة الخلاف مع العرب ، ولم يكن ناظر الداخلية العثمانى عادل بك موفقاً فى تصريحاته الصحفية التى أدلى بها لمراسل جريدة الديلى تلغراف البريطانية فى الاستانة حيث اشار الى أن لغة الدولة

(١) ساطع الحمصى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٨١ .

(٢) عبد الله بن الحسين : الامالى السياسية ، ص ٥ .

(٣) عبد العزيز محمد عوض : المرجع السابق ، ص ٥٣ .

مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٣٤٢-٣٤٣ .

(٤) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية فى العلاقات العربية التركية ، ص ٩٥ .

الرسمية هي التركية ، فهل يريد منا العرب أن نقسم لساننا الى قسمين ؟! وكان رد الفعل سريعاً لدى العرب ، حيث بعث حزب اللامركزية في مصر ببرقية عاجلة الى ادارة العظمى في الدولة يحتج فيها على تصريحات وزير الداخلية ، في الوقت الذي تمتد فيه الصحافة العربية لذلك التصريح ، مؤكدة في مقالاتها على أن اللغة العربية هي اللغة الدينية للدولة العثمانية ، وهي الآن لغة الاكثرية في الدولة بعد خسائر حروب البلقان ، وغير هذا وذاك فاللغة العربية من امهات اللغات العظمى في التاريخ .^(١)

أما قانون الولايات الجديد الذي يدعو الى المركزية فقد رأى فيه صاحب مجلة المنار ، وأحد أعضاء حزب اللامركزية الادارية العثماني في مصر أنه وضع لاشغال العرب عن المطالبة بالاستقلال الداخلي المعبر عنه باللامركزية ، ولن ترضى بهذا القانون أى ولاية من الولايات بطوعها واختيارها ، مشيراً الى أن "مايسمونه توسيع المأذونية ليس الا توسيعاً لنطاق الاستبداد ، فهو شر من عدمه ، لأنه عبارة عن اذن المركز العام للولاة وغيرهم من الحكام الاداريين بأن يتصرفوا في بعض الامور بدون اذن من نظارة الداخلية ، فهو يستلزم قلة المسئولية والتجزئة على الاستبداد ، ونحن في طور يجب أن تكون المسئولية فيه شديدة على الحكام"^(٢) .

وقد عبر رئيس اللجنة العليا لحزب اللامركزية الادارية

(١) جريدة الاتحاد العثماني عدد ١٣٦١ في ١٣ ربيع الثاني ١٣٣١هـ ، ص ١-٢ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٤ ، ص ٣٢٠ .

(٣) مجلة المنار ، المجلد ١٦ ، ج ٥ ، ص ٣٥٠ .

العثمانية رفيق بك العظم عن موقف الحزب من قانون الولايات الجديد ، ومعارضة العرب لسياسة المركزية والتتريك ، حين قال : " ان قانون الولايات الجديد لا يرضى قط حزب اللامركزية ولا يفي بشيء من الاشياء لرغائب العرب ، أما الامر الصادر بجعل اللغة العربية الزامية فى التعليم والادارة فانه يرضى نوعاً ما ، لاريب بان الحكومة باتخاذها هذه الوسائل قد اظهرت معرفتها وجوب تعديل ادارة الولايات على الشكل اللامركزى غير انها لم تعتمد بعد على سلوك هذا السبيل وهو اضمن الطرق واسلمها لوطننا المكلم بالجراح الدامية ، اما محاولتها تعديل ادارة الولايات على الشكل الذى ارتأته بوضعها هذا القانون الجديد فهو بعيد بعداً شاسعاً عن معنى اللامركزية على ما يفهمونها فى البلاد المتمدنة الراقية ، ولسنا نريد تطبيق اللامركزية الا لصالح وطننا العزيز ، ان فى قانون الولايات الجديد دليلاً ساطعاً على رغبة الحكومة فى سلوك سبيل اللامركزية ولكنها ليست اللامركزية الحقيقية الحرة القوية التى لا يمكن ان ينفع سواها لانها هى الوسيلة الوحيدة لانقاذ المملكة من التجزئة " .^(١)

وقامت فى سورية ومعظم البلاد العربية احتجاجات ومعارضات لقانون الولايات الجديد ، وارسلت البرقيات الى عاصمة الدولة تحتج على هذا القانون وتطالب بتوسيع سلطة المجالس العمومية ، والموافقة على بنود اللوائح الاصلاحية التى وضعتها الجمعيات العربية ، وفى اوائل جمادى الاولى ١٣٣١هـ / اوائل ابريل ١٩١٣م ، دعا السيد طالب النقيب الى

(١) جريدة الاصلاح عدد ٢٤-١٤١٩ فى ٢ رجب ١٣٣١هـ .

اجتماع عام أسفر عن ارسال برقيات الى الصدارة العظمى ونظارة الداخلية تطالب بتعديل قانون الولايات الجديد الذى سلب منهم رغبتهم فى اللامركزية ، وتعارض مع برنامج جمعية البصرة الإصلاحية الذى كان يعطى للمجلس العمومى فى الولاية كامل المصالحات فى الاعمال المحلية للولاية ، ويمنحه استقلالية فى جميع أعماله ، وله سلطة على الوالى والمأمورين ، بينما ترك للوالى تنفيذ قرارات العاصمة وتنفيذ قرارات المجلس العمومى ، غير أن قانون الولايات الجديد ألغى ذلك ومنحه للوالى العثمانى ، تحت مسمى توسيع سلطة الماذونية للولاة ، واحتج طالب النقيب ومؤيدوه على اعطاء الوالى حق اعلان الاحكام العرفية ، وعلى رئاسته للجمعية التى أرادوا لها أن تكون مستقلة وتتمتع بحق استدعاء الوالى والموظفين لاعطاء أى معلومات تتعلق بشئون الولاية .^(٣)

وتمدت جريدة الدستور التى تصدرها جمعية البصرة الإصلاحية لقانون الولايات الجديد بالانتقاد والمعارضة الشديدة التى تعبر عن شعور العرب فى العراق حيث قالت : "... كان الحكومة أصلها الله نظرت بغير العين التى يجب أن تنظر بها ، فرمتنا بقانون الولايات الجديد الذى يكفى تعريفه أنه وضع لمصلحة الوالى للمصلحة الشعب ، إذ أنه يخول الوالى استلام زمام الامور ، أما المجلس العمومى فلا يخرج عن كونه العوبة بيده ، وأما الامور التى لاتوافق

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٤٩٣ .
(٢) حسين هادى الشلاه : المرجع السابق ، ص ٢١٢-٢١٣ .
(٣) خالد حمود السعدون : المرجع السابق ، ص ٢٥٨ .

مشرب الوالى فليس فى وسعه اقرارها ، واذا حاول ذلك فليس له من جزاء غير الغض والتشتيت" ، وعند ذلك عطلت الحكومة العثمانية جريدة الدستور ، لكن السيد طالب النقيب تحداهها واصدر بدلا منها جريدة مدى الدستور التى كانت مقالاتها اشد لهجة وعنفا .^(١)

وفى بيروت عبر أحد زعماء الجمعية الاصلاحية فى بيروت عن معارضة الجمعية لقانون الولايات الجديد الذى يدعو الى المركزية ، ويضر بالولايات العثمانية دون نفعها ، وانه لابد للحكومة من معالجة النقص الواضح فى مواد القانون مما يحق للعرب مطالبهم الاصلاحية على قاعدة اللامركزية^(٢) ، ونحن من خلال ماسبق نستطيع ان نؤكد على ان الحركة العربية التى قاومت حينذاك المركزية والتتريك كانت تهدف الى نهضة العرب فى ظل دولة الخلافة العثمانية .

ان مؤتمر باريس الذى عقد فى الفترة من ١٤ - ١٩ رجب ١٣٣١هـ / ١٨ - ٢٣ يونيو ١٩١٣ م ، يهدف فى مجمله الى معارضة العرب للمركزية والتتريك دون التفكير فى الانفصال عن الدولة العثمانية ، وانما كان حديث المؤتمرين عن نظرية اللامركزية ، والاستقلال الادارى وجعل اللغة العربية لغة رسمية يتعلمها أبناء العرب فى مدارسهم على اختلاف مراحل التعليم^(٣) ، وقد عبر عن ذلك الاتجاه رفيق العظم رئيس حزب اللامركزية الادارية العثمانى حين قال : "ان الامة العربية التى تعادل اليوم نصف المجموع العثمانى معرضة للمخاطر ،

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٤٩٤-٤٩٥ .

(٢) جريدة الاصلاح عدد ٢٩-١٤٢٤ فى ٨ رجب ١٣٣١هـ .

(٣) محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ٣٣٢ .

تباع وتشترى وتبرم الأمور دونها فى الاستانة من غير ان يكون لها رأى حتى فى مملحة بلادها ومميرها ، حتى تعطى الامتيازات فى سورية ، وتوهب بلاد نجد والكويت ، ويعطى خليج البصرة كله ، ... حيث يصير هذا كله والعرب مغلولو الايدى بالمركز منوط شأنهم وشان حياتهم الاجتماعية والسياسية ببضعة افراد فى المركز ، ... على ان كل مطالبنا التى نطلبها اذا فحمها العقلاء المنصفون يجدونها لخير العرب والترك ولخير الدولة وكل مايتقوله اعداء الاصلاح على طلابه ويتأثر به البعض باطل لم يبين على شىء من الحق بل يبنى على المنفعة الشخصية (١) والغرض " .

أما فى الحجاز فقد زاد اشتداد المعارضة لقانون الولايات الجديد لانه أضعف الامتيازات التى تمنح للشريف حسين وجعل نظام الادارة فى الحجاز متمشياً مع نظام سائر الولايات على أساس الحكم المركزى ، وقد دفعت هذه الاحداث بالامير عبد الله بن الحسين ان يلتقى فى القاهرة بسكرتير المعتمدية البريطانية فى مصر رونالد ستورز Ronald Stors ، فى شهر جمادى الاولى ١٣٣٢هـ / ابريل ١٩١٤م فى طريق عودته من الاستانة (٣) لتشكل هذه المقابلة بداية الحوار العربى البريطانى الذى أوصل الحركة العربية الى منعطفها الخطير المتمثل فيما عرف بالثورة العربية ضد الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الاولى .

(١) رفيق العظم : ماذا نطلب من الاصلاح ، جريدة الاصلاح البيروتية عدد ٤١-١٤٣٦ فى ٢٣ رجب ١٣٣١هـ ، ص ١-٢ .

(٢) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

(٣) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ٢٧٠ .

لقد كانت سياسة حكومة الاتحاد والترقي بعد هزائم حرب البلقان تحسم بالرغوة وعدم الاتزان ، حيث بدأت في صبغ ولايات الدولة العثمانية بالصبغة التركية ، وفرض اللغة التركية لغة رسمية في المدارس والمحاكم ، وغير ذلك من التمرفات التي لم تكن مألوفة طوال تاريخ الدولة العثمانية (١) وهذا بطبيعة الحال ناتج عن أوضاع الدولة التي تعيشها ، وتعبير واضح عن ردة الفعل التي أحدثتها هزائم البلقان ، بيد أن اللجوء إلى المركزية والتتركيز أشار ردة فعل قوية في الولايات العربية التي أصبحت صاحبة الاكثريّة في الدولة ، مما زاد شدة الخلاف بين العرب والترك وأثر بالتالي على أوضاع الدولة العثمانية في المشرق العربي ، حيث أصبح العرب يدركون أن انهيار الدولة بات وشيكاً أن لم تتدخل حكومة الاتحاد والترقي عن سياستها المتطرفة تلك ، وهذا ما عبّر عنه أحد أعيان العرب على صفحات جريدة الاهرام حين أكد أن حياة الدولة العثمانية مع العرب وحياة العرب مع الدولة وأن هذا الرأي هو ما واجده سائداً في الولايات العربية التي زارها . (٢)

وقد تنبعت السياسة البريطانية لتلك الأحداث التاريخية التي يعيشها المشرق العربي بين العرب والدولة العثمانية ، وعملت عندئذ على توثيق صلتها بالعرب لتستعين بهم ضد الدولة عند الحاجة ، وساعدها في ذلك وجود تلك التيارات السياسية التي تعمف بالدولة ، ومن أهمها ظاهرة المركزية (٣)

(١) محمد أنيس : المرجع السابق ، ص ٢٥٩ ،
عبد العزيز محمد الشناوي : المرجع السابق ، ج ١ ،
هامش ٢ ، ص ٧٣ .
(٢) جريدة الاهرام عدد ١٠٧٧٨ في ١٣ أغسطس ١٩١٣ م .
(٣) أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ، ص ٤٣٧ .

والتتريك التى تتجاذب العرب والحكومة العثمانية فى دوامتها ، مما جعل الزعماء العرب يتدبرون أمر مصيرهم الذى سيملون اليه حتما .

ولقد كان لسياسة التتريك التى اتبعتها الحكومة العثمانية فى الولايات العربية وسياسة المركزية ، أثر فعال فى تغيير اتجاه الحركة العربية ، وزاد من تفاعلها سيما وأن الدولة العثمانية شهدت هزات عنيفة فى تلك الفترة من أبرزها حروب البلقان والهزائم التى الحقها بالدولة العثمانية ، وأياً كان موقف حكومة الاتحاد والترقى من تلك الأحداث التاريخية فإن من المؤرخين من رأى "أن فئة الاتحاديين لم تكن خالية من كل وطنية ، ... كان همهم الاحتفاظ بسلطتهم السياسية ودعمها كحزب سياسى واجبار مختلف عناصر الدولة للخضوع التام المباشر لسلطة الحكومة المركزية ، وبما أنهم كانوا متمسكين بالتعصب القومى فى سياستهم الخارجية فقد أظهروا التملب والتزمت وتعاموا عن كل متطلبات الموقف العملية" ^(١) ، إلا أن الاتهام وجه للاتحاديين بأنهم على صلة باليهود والماسونية ، اضافة الى تشبثهم بالسياسة الطورانية التى حاولوا من خلالها تتريك العرب وغيرهم من الجنسيات التى كانت تدخل فى نطاق الدولة العثمانية ، لكن القول الفصل فى قضية التتريك تلك ومآلها ^(٢) عنها من رد فعل لدى العرب فى موالاتهم للقومية العربية ، التى أضحت قومية صرفة مع تتابع الأحداث ، هو ماذهب اليه

(١) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٧٤ .

أحد العلماء الأفاضل حيث رأى " أن الدعوة الى القومية تدعو الى البغى والفخر لأن القومية ليست ديناً سماوياً يمنع أهله من البغى والفخر ، وإنما هي فكرة جاهلية تحمل أهلها على الفخر بها والتعصب لها على من نالها بشئ ، وإن كانت هي الظالمة وغيرها المظلوم " .^(١)

وقد أثبتت الأحداث التاريخية أن ظهور قضية التتريك في الدولة العثمانية ، ومعارضة العرب لها بالقومية العربية زاد من عوامل الانهيار والتفكك في الدولة العثمانية من ناحية ، ولم يزد الحركة العربية الا تمزقاً وتطرفاً من ناحية أخرى ، والنتائج التي وصل اليها المشرق العربي في الحرب العالمية الاولى خير دليل على ذلك ، حيث سيطر الاستعمار الاوربي على مقدرات المنطقة مستغلاً الفراغ الروحي والسياسي الذي تركته الدولة العثمانية ، واستغل في نفس الوقت التمزق الذي وصلت اليه الحركة العربية .

(١) الشيخ عبد العزيز بن باز : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(ج) الدعوة لمؤتمر الجزيرة العربية .

وصلت الحركة العربية في المشرق العربي العثماني الى المرحلة الحاسمة من تاريخها بعد انتهاء حروب البلقان وقبل قيام الحرب العالمية الاولى ، مما جعل زعماء هذه الحركة يقفون مواقف متباينة في محاولة منهم للوصول بهذه الحركة الى نتيجة حاسمة تحقق لهم ما يهدفون اليه ويأملون في تحقيقه لمصلحة البلاد العربية .

وكان هناك فريق من العرب يرون أن الاتجاه للعمل العسكري على غرار ماقامت به شعوب البلقان هو الطريق الذي يحقق لهم مطالبهم ، وقد تبين ذلك من خلال تأسيس جمعية العهد في الاستانة في الثامن والعشرين من ذي القعدة ١٣٣١هـ / ٢٨ اكتوبر ١٩١٣ م ، التي تأسست كجمعية سرية عسكرية سرية ، غالبية أعضائها من الضباط العرب الذين يعملون في الجيش العثماني ، وقارب عدد أعضائها أربعة آلاف شخص ، وكان لها فروع في بغداد والموصل وحلب ودمشق ، وقد أورد أحد المؤرخين المعاصرين لتلك الفترة منهاج هذه الجمعية المتمثل في "السعى وراء الاستقلال الداخلي للبلاد العربية ، على أن تكون متحدة مع حكومة استانبول على غرار اتحاد النمسا والمجر ، وأن الجمعية ترى ضرورة بقاء الخلافة الاسلامية وديعة مقدسة بيد آل عثمان ، وتهتم الجمعية بأمر

(١) محمد عزة دروزة : المصدر السابق ، ص ٤٧٣-٤٧٤ ،
على حسنى الخربوطلى : القومية العربية من الفجر الى
الظهر ، ص ١٧٣ ،
نجيب صالح : تاريخ العرب السياسي ١٨٥٦-١٩٥٦ م ، ص ١٣٣ ،
Kirk, op.cit, p.122 .

سلامة استانبول من مطامع الدول الأجنبية اهتماما خاصا ،
 لاعتقادها أن استانبول رأس الشرق ، لايمكنه أن يعيش بدونها
 وعلى رجال "العهد" أن يبذلوا قمارى جهدهم فى انماء الخصال
 المحمودة وبث الدعوة للتمسك بالأخلاق الفاضلة ، لأن الأمة
 لا تستطيع الاحتفاظ بكيانها السياسى والقومى مالم تكن مجهزة
 بالأخلاق الصالحة ، ويجب على الأمة العربية أن تسعى للحصول
 على مايؤهلها لأن تكون القوة الاحتياطية الرئيسية لحمن
 الشرق أمام الاستعمار الغربى" ، بينما يذهب مؤرخ آخر استطاع^(١)
 أن يقابل مؤسس هذه الجمعية عزيز على المصرى ، الى أن صفة^(٢)
 الارتجال كانت هى طابع الجمعية ، بينما قال عنها مؤسسها^(٣)
 أنها شبيهة بأحزاب اللامركزية التى ألفها العرب ، أما

- (١) سليمان فيضى : المصدر السابق ، ص ١٣٦ .
 (٢) عزيز على بك المصرى : من مواليد القاهرة ، درس فى
 المدرسة الحربية فى الاستانة وتخرج من كلية الأركان
 سنة ١٩٠٤م ، ثم التحق بالجيش الثالث العثمانى فى
 مقدونيا ، وانضم الى جمعية الاتحاد والترقى ، حيث
 شارك فى ثورة ١٩٠٨م ، كما شارك فى الزحف على العاصمة
 ضد ماعرف بالثورة المضادة فى العام التالى .
 استطاع عزيز المصرى أن يلعب دورا ايجابيا فى اتمام
 الصلح بين الدولة العثمانية وامام اليمن سنة ١٩١١م ،
 كما شارك فى الجيش العثمانى الذى حارب ضد الايطاليين
 فى الحرب الطرابلسية ، وفى يناير ١٩١٤م استعفى عزيز
 المصرى من العمل فى الجيش العثمانى ، ولكن حكومة
 الاتحاد والترقى ادخلته السجن بعد استعفائه بأقل من
 شهر ، وقدم للمحاكمة ، وكاد أن يعدم لولا تدخل
 الحكومة البريطانية ، حيث صدر العفو عنه فى ٢١ ابريل
 ١٩١٤م ، وغادر الى مصر .
 وقد شارك عزيز المصرى فى ماعرف بالثورة العربية ضد
 الدولة العثمانية ابان الحرب العالمية الاولى ، لكنه
 لم يستمر طويلا ، حيث عاد الى مصر وأسندت له بعض
 الأعمال المختلفة ، وتوفى بالقاهرة سنة ١٩٦٥م .
 انظر : خير الدين الزركلى : الاعلام ، ج ٤ ، ص ٢٣١ ؛
 وانظر أيضا : د. جلال يحيى : العالم العربى الحديث
 - المدخل - ، ص ٤٧٤ .
 (٣) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٥٥٩-٥٦٠ .

نورى السعيد أحد الضباط العرب الذين انضموا الى جمعية العهد فكان يؤكد أن هدف الجمعية هو اصلاح البلاد العربية على قاعدة اللامركزية ، ولم يفكر أحد من أعضاء الجمعية فى الانفصال عن الدولة العثمانية ، وإنما كان تفكير أعضائها منحصراً فى الحصول على ادارة عربية محلية ولغة عربية رسمية (١) على أن يشترك العرب والترك فى ادارة سياسة الدولة العامة .

ويزعم البعض أن جمعية العهد اتجهت نحو الانجليز ، وأن كثيراً من أعضائها بزعامة عزيز المصرى كانوا على صلة بالمخابرات الانكليزية ، وأن تلك الجمعية دعت الى اسقاط سلطة الدولة العثمانية على البلاد العربية بالقوة المسلحة (٢) واتخذت من العراق قاعدة لها للقيام بتلك الحركة ، أما السيد عبد الحميد الزهراوى الذى كان رئيساً للمؤتمر العربى فى باريس فقد كتب الى صديقه محمد رشيد رضا فى تلك الفترة خطاباً خاصاً أهم ما جاء فيه اتهامه لعزيز المصرى بمناوأة الحكومة العثمانية ، لأنه ناقم عليها ويريد نسفها وهو بالتالى غير راض عن ائتلاف العرب مع الدولة العثمانية ، (٣) ويقال أن جمعية العهد شكلت مع حزب اللامركزية بعد وصول عزيز المصرى الى القاهرة جمعية شعبية الثورة العربية سنة (٤) ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م ، وفى ذلك أخذ للرأى القائل بأن بعض العرب العاملين فى حقل الحركة العربية كان لديهم اتجاه للعمل العسكرى ضد الدولة العثمانية كما سبق أن أشرنا .

(١) ابراهيم خليل أحمد : المرجع السابق ، ص ٤١٦ .
 (٢) لوتسكى : المرجع السابق ، ص ٤١٣ .
 (٣) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٥٥٤ .
 (٤) حسين هادى الشلاه : المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

وقد شهدت بلاد العراق عقد أول مؤتمر عربى دعا اليه الزعماء العرب فى شمال الخليج العربى ، حيث عقد فى مدينة المحمرة ، فى شهر ربيع الثانى ١٣٣١هـ/مارس ١٩١٣م ، وقد حضره كل من الشيخ مبارك الصباح شيخ الكويت ، والشيخ خزعل خان حاكم المحمرة والسيد طالب النقيب أحد زعماء البصرة ورئيس الجمعية الاملاحية فيها ، وقد دار البحث فى المؤتمر حول مستقبل العراق والمطالبة باستقلاله ، وقرر المؤتمر الاتفاق فيما بينهم وتنسيق سياستهم ، ويمكن اعتبار هذه الاجتماعات الاولى من نوعها على أساس اللامركزية رغم أنها لم تكن ذات صبغة رسمية ، وقد هاجمت الصحافة العثمانية هذا المؤتمر والمشاركين فيه ، متهمة اياهم بمحاولة اضعاف نفوذ الدولة العثمانية فى المنطقة ، مما جعل السيد طالب النقيب يطلب من والى العثمانى فى بغداد ايقاف تلك الحملات الصحفية ، ويذهب البعض الى أن هدف هذا المؤتمر هو محاولة من أولئك الزعماء فى أن يتولى أحدهم حكم العراق ، وأن الحكومة البريطانية كانت تعلم بذلك (٢) المؤتمر ان لم يكن ذلك تم تحت اشرافها وبتشجيع منها .

وقد أوردت بعض المراجع التاريخية روايات عن انعقاد مؤتمر آخر بعد مؤتمر المحمرة ، وكان الداعى اليه هو السيد طالب النقيب ، وعقد المؤتمر على مقربة من الاحساء ، حيث عرف بمؤتمر جزيرة العرب ، وقد تباحث مندوبو الزعماء العرب

(١) مصطفى عبد القادر النجار : التاريخ السياسى لامارة عربستان العربية ١٨٩٧-١٩٢٥م ، ص ١٤٠-١٤١ .
 محمد عمارة : العروبة فى العصر الحديث ، ص ٢٧٣-٢٧٤ .
 (٢) جمال زكريا قاسم : الخليج العربى دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤-١٩٤٥م ، ص ٤ .

الذين حضروا هذا المؤتمر فى الوسائل الكفيلة بالمحافظة على الامارات العربية العثمانية وتدعيم حقوقها والمطالبة بالاصلاح على نظام اللامركزية ، وكان من اهداف المؤتمر حفظ الجزيرة العربية من الخطر الاجنبى والمطالبة بالاستقلال الادارى للامارات العربية وحل الخلافات الداخلية بين القبائل العربية ، وابطال عادة الغزو المتبعة بين تلك القبائل .^(١)

وفى شهر ذى الحجة ١٣٣١هـ / نوفمبر ١٩١٣م ، وفى اثناء اشتداد الازمة السياسية بين حكومة الاتحاد والترقى وزعماء الحركة العربية اقترح طالب النقيب عقد مؤتمر عربى آخر فى الكويت للنظر فى مستقبل الحركة العربية ، والوصول بها الى الهدف المنشود ولو أدى ذلك الى اعلان الثورة المسلحة ، وقد وجهت الدعوات الى عدد من حكام الجزيرة العربية ، واتصل المؤتمرين بالامام عبد العزيز آل سعود ، طالبين منه قيادة الحركة العربية ضد الحكومة العثمانية ، لما له من مكانة قوية فى الجزيرة العربية ، ولما عرف عنه من حنكة سياسية وبعد نظر فى مثل هذه المواقف ، فأبدى تأييده الادبى لهذه الحركة ، ولكنه اعتذر عن حضور المؤتمر وعن تزعم هذه الحركة لعدم استعداده حينذاك لمثل تلك القضايا ، ونحن

-
- (١) جمال زكريا قاسم : دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤م ، ص ٢٩١ ؛
 حسين هادى الشلاه : المرجع السابق ، ص ٢٧٠-٢٧١ ؛
 جمال زكريا قاسم : النزاع البريطانى العثمانى فى الخليج العربى ... ، المجلة التاريخية المغربية ، السنة العاشرة ، عدد ٢٩-٣٠ ، ص ٣٧٠ .
 (٢) مصطفى عبد القادر النجار : التاريخ السياسى لامارة عربستان العربية ١٨٩٧-١٩٢٥م ، ص ١٤٢-١٤٣ .
 (٣) محمد عمارة : المرجع السابق ، ص ٢٧٤ ؛
 Kirk, op.cit, p.121 .

لأنعدو الحقيقة اذا قلنا أن عبد العزيز آل سعود ، كان الزعيم العربى الوحيد المدرك لاتجاهات الحركة العربية حينذاك ، لأن موقفه الاستراتيجى ، وعقيدته السلفية الخالصة اضافة الى مهارته السياسية وشجاعته الصادقة جعلته يقف هذا الموقف المتميز .

أما عن المؤتمر فقد أخذت الأقوال تتردد عن قرب انعقاده فى الكويت ، وبدأت الصحف فى بغداد تتحدث عن هذا المؤتمر وعن جدول أعماله التى ستتم مناقشتها ، والاصلاحات التى سيطلبها المؤتمرون من الدولة العثمانية فى الولايات العربية ، لكن السفير البريطانى فى الاستانة استبعد امكانية عقد مثل هذا المؤتمر ، لأنه على علم بما وصلت اليه الحركة العربية من تشتت وانقسام ، وفعلاً لم يكتب لهذا المؤتمر النجاح ولم يتم عقده ، بل انتهى قبل أن يبدأ ، لأن^(١) الانقسام الفكرى بين زعماء الحركة العربية ، وعدم ثقة جميع الأطراف العربية بعضها فى بعض كانت هى الصورة السائدة التى كان عليها العرب حينذاك .

وقد حاول الامام عبد العزيز آل سعود أن تكون المؤتمرات العربية على مستوى الأحداث ، وأن تكون نتائجها لصالح البلاد العربية وحمايتها من التهديد الأجنبى فعلاً ، حيث سارع بارسال الرسائل الى أمراء العرب المجاورين له فى الجزيرة العربية عند نشوب الحرب العالمية الأولى ، واقترح عليهم الاجتماع للمذاكرة ، علّم يتفقون على ماينقذ العرب

(١) خالد حمود السعدون : المرجع السابق ، ص ٢٨٤-٢٨٥ ،
حسين هادى الشلاه : المرجع السابق ، ص ٢٧٢-٢٧٣ .

من أهوال الحرب القائمة ويوحد جهودهم لرفع شأن البلاد العربية ، وابعاد التدخل الأجنبي عن مقدراتها السياسية والاقتصادية ، ولكن أحداً من هؤلاء الأمراء لم يسمع نداءه ، ووقفوا مواقف سلبية تجاه دعوته المادقة ، التي تعبر عن بعد نظر وفهم واعٍ للأحداث والمتغيرات الدولية ، وقد ترجم ذلك على الواقع حين أرسل الإنكليز الكابتن شكسبير في بداية الحرب إلى عبد العزيز آل سعود لتحريضه بالوقوف ضد الدولة العثمانية ، فلم يقبل بحربها ، ووقف على الحياد تجاهها ، وسمح للقوة العثمانية أن تسير في بلاده من الشمال إلى الجنوب لنقل الأموال والعتاد للقوة العثمانية في اليمن .^(١)

وعندما حاولت بريطانيا أن تهتم بأمراء العرب ، وتدعو إلى المؤتمر الأول في الكويت تحت رئاسة اللورد هاردينج Hardinge ، نائب الملك في الهند في شهر صفر ١٣٣٢هـ/يناير ١٩١٥م ، كان موقف عبد العزيز آل سعود هو موقف السياسي الخبير ، حيث اعتذر عن حضور هذا المؤتمر رغم المحاولات الجادة التي بذلها شيخ الكويت كي يحضر ابن سعود هذا المؤتمر ، ولكن عبد العزيز آل سعود كان العارف والمدرک لمثل هذه المؤتمرات ، سيما وأن الحركة العربية التي تعج بها ساحة الأحداث لم تزل حاضرة أمام عينيه ، وهو العارف

(١) أمين الريحاني : تاريخ نجد الحديث ... ، ص ٢١٨ ؛ أحمد طربين : الملك عبد العزيز والوحدة العربية - بحث مقدم للمؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز - ، ص ٢ ؛ إبراهيم عبده : انسان الجزيرة - عرض جديد لسيرة الملك عبد العزيز آل سعود ، ص ٩٧ .

(٢) فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ، ص ٣٨٠ .

(٣) جمال زكريا قاسم : الخليج العربي - دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤-١٩٤٥م ، ص ١٦-١٧ .

الخبر باتجاهات ونوايا هؤلاء القوم .

أما الرواية التي تذهب الى أن ابن سعود قد حضر مؤتمرًا في الكويت في شهر نوفمبر ١٩١٥م / الموافق لشهر محرم ١٣٣٤هـ والقي فيه خطاباً بليغاً حث فيه المجتمعين على تأييد الثورة العربية ، وتقديم التأييد والدعم لها ، لما في ذلك من المصلحة المشتركة لبريطانيا والعرب ، فهي رواية لا تتفق مع الواقع ولا يقوم عليها دليل مادي ، وهي لا تتفق البتة مع سياسة عبد العزيز آل سعود واتجاهاته الفكرية التي تنطلق من العقيدة الإسلامية الصادقة والتي سهر على دعمها وترسيخها في دولته السلفية .

(١) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ٣٠٢-٣٠٣ ؛
محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ٣٥٣ .

(د) ضم الأحساء ، وقيام سلطنة نجد وتوابعها .

فى خضم الأحداث التاريخية المتتابة التى كانت تعيشها الدولة العثمانية ، وفى مرحلة التفكك التى بدأت معالمها تبرز فى أجزاء مختلفة من ولايات الدولة ، سطع فى وسط الجزيرة العربية نجم الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، الذى استعاد عاصمة آباءه الرياض وانطلق منها يحقق الانتصارات المتتابة ، حتى دانت له نجد ، طاعة مختارة ، ليصبح حينذاك هو سيد نجد وصاحب الكلمة الأولى فيها .

لقد أصبح عبد العزيز آل سعود هو حاكم نجد القوى بعد انتصاره فى معركة الشنانة ، فى الثامن عشر من شهر رجب ١٣٢٢هـ / ٢٩ سبتمبر ١٩٠٤م ، وانتصاره فى معركة روضة مهنا فى الثامن عشر من صفر ١٣٢٤هـ / ١٤ ابريل ١٩٠٦م ، وزاد عدد أنصاره ومؤيديه ، وانضمت اليه القبائل ، وأصبح شيوخ الجزيرة العربية وحكامها يدركون مكانته السياسية والعسكرية ، وأصبح هو يتطلع الى بسط كامل نفوذه على مابقى له من ممتلكات فى شرق الجزيرة العربية ، والمتمثلة فى مقاطعة الأحساء ، لأنها كانت تخضع لآل سعود فيما مضى ، وهى تمثل المنفذ الوحيد لدولته الناشئة على الخليج العربى ، إضافة لخصوبتها وأهميتها الاقتصادية ، وفيها من الموانئ

(١) أمين الريحانى : نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل ... ، ص ١٤١ ، ١٥٧ ، خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز ، ج ١ ، ص ١٦٤ ، ١٧٠ .

(١)

البحرية مايشكل موارد مالية جيدة لحكومة نجد ومواطنيها .
 وكانت الأحوال فى اقليم الاحساء قد ساءت ، وأفلت
 زمام الأمن من أيدي السلطات العثمانية التى لم تستطع
 اقراره فى المدن الكبيرة ومراكز حامياتها ، وغدت المنطقة
 مسرحا لعمالبات السلب والنهب ، فى الوقت الذى خُفِضت
 الحاميات العثمانية فى المدن الرئيسية واستُدعى القسم
 الأكبر منها الى البصرة لينقل بالتالى الى جبهات القتال فى
 الحرب البلقانية ، أما المتصرف العثماني فى الاحساء الذى
 يتبع ولاية البصرة فقد وصل به الأمر سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م الى
 الانزواء مع حاميته الضعيفة خلف الاسوار تاركين المنطقة
 وطرقها لقطاع الطرق والمفسدين يعيشون فيها فسادا ، مما
 حدا بأهل الاقليم أن يرسلوا للامام عبد العزيز آل سعود حاكم
 نجد القوى كى يساعدهم فى ايقاف السلب والنهب الذى يتعرضون
 له ، ووعده بالنصر والمؤازرة .
 (٤)

وقد اعتمد الامام عبد العزيز آل سعود فى استراتيجيته
 لضم اقليم الاحساء على التوقيت المناسب ، حيث كان يرقب عن
 كثب المشكلات والهزائم التى تعصف بالدولة العثمانية فى

(1) F.O.424/238, Enclosure, 2, in No.458, Shakespear to P.Cox, Koueit, 15.5.1913. pp.369-372

موضى بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود : المرجع السابق ، ص ٢٣ .
 (٢) بنواميشان : عبد العزيز آل سعود - سيرة بطل ومولد مملكة ، ص ١١٢ .
 (٣) خير الدين الزركلى : الوجيز فى سيرة الملك عبد العزيز ، ص ٥٦ .
 (٤) خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز ، ج ١ ، ص ٢٠٧ .
 عبد المنعم الغلامى : الملك الراشد - جلالة المغفور له عبد العزيز آل سعود - ، ص ٢٨ .

(١) حروب البلقان ، وقد أشار الى ذلك الاتجاه الكابتن وليام شكسبير فى تقريره المرفوع الى السير برسى كوكس ، المقيم البريطانى فى الخليج والذي بعثه من الكويت فى التاسع من شهر جمادى الثانى سنة ١٣٣١هـ ، الموافق للخامس عشر من مايو سنة ١٩١٣م ، قبل أن تملئه أنباء استيلاء عبد العزيز على الأحساء ، حيث أشار الى أنه قد لاحظ فى رحلته الأخيرة التى التقى فيها بالامام عبد العزيز بن سعود ، أن الامام كان حريصا على معرفة حقائق الأخبار عن حرب الدولة العثمانية ضد حكومات البلقان ، لأن التقارير التى وصلتته من المصادر العثمانية أو الصحف المصرية غير دقيقة ، ولأن الوصف الذى تحتويه تلك المصادر يعطى الانطباع عن تفهقر الجيش العثمانى وأنه سمع من الكويت والبحرين أن الجيش العثمانى يسيطر على العاصمة فقط وعلى عدة حصون على مسيرة يوم واحد من العاصمة وبعض المدن القليلة المعزولة ، وأن بقية أملاك الدولة فى البلقان قد سقطت فى أيدي الحلفاء البلقانيين ، وعندما أبلغه المسؤول البريطانى عن وجود أنباء تفيد بسقوط أدرنة أوضح الامام عبد العزيز أن الدولة العثمانية أظهرت فى حربى طرابلس الغرب ، والبلقان عدم مقدرتها العسكرية على حفظ ممتلكاتها ، ورعاياها العرب فى العراق وسوريا يطالبون كلهم بالاصلاحات والحكم الذاتى ، مما يجعل موقفها فى المشرق العربى حرج جداً ، وألمح المسؤول البريطانى الى وجود بعض التذمر فى معسكر ابن سعود من الموقف السلبي للحاميات

(١) تركى بن محمد بن سعود الكبير : علاقة بريطانيا بالملك عبد العزيز آل سعود ١٩٠٢-١٩٢٥م ، بحث قدم فى المؤتمر العالمى عن تاريخ الملك عبد العزيز ، ص ٤ .

العثمانية فى اقليم الاحساء ، مؤكداً على أن أول تحرك سيقوم به عبد العزيز بن سعود سيكون نحو الاحساء والقطيف ، وسيقوم ان عاجلاً أو آجلاً بانتهاء الاحتلال العثمانى فى ذلك الاقليم ،^(١) غير أن الحنكة السياسية عند الامام عبد العزيز بن سعود ، والسرية التامة التى كان ينتهجها فى تحركاته وأهدافه لم تمكن المسؤول البريطانى من معرفة مايدور بخلد عبد العزيز أو ماخطط له .

وكان الامام عبد العزيز بن سعود يعلم أن لبريطانيا دوراً كبيراً بالنسبة للأوضاع السياسية فى منطقة الخليج العربى ، لأنه يعتبر حلقة الوصل مع شبه القارة الهندية التى كانت تمثل درة التاج البريطانى ، ولكنهم لا يرغبون فى اقامة علاقات قوية معه طالما أنه لايملك أى موقع على ساحل الخليج العربى ، وعند نجاحه فى ضم اقليم الاحساء سوف يكون البريطانيون مرغمون للتعامل معه ، سواء كان ذلك رغبة منهم أو خوفاً على مصالحهم هناك لأنه سوف يكون حاكماً لمنطقة مهمة تطل على الخليج العربى ، وهذا بالفعل ماكان يشير اليه المقيم البريطانى فى الخليج بيرسى كوكس ، فى مراسلاته مع حكومته فى لندن .^(٢)

ولقد رأى الامام عبد العزيز أن الدولة العثمانية قد أخذت فى التمدد والانحيار بعد هزائهما فى حرب البلقان ، ورأى المطامع الأجنبية تكتنفها من كل ناحية ، ثم نمت الى^(٣)

(1) F.O.424/238, Enclosure, 2, in No.458, dated, 15.5.1913. pp.369-372.

(٢) تركى بن محمد بن سعود الكبير : المرجع السابق ، ص ٣٠١ .

(٣) حافظ وهبة : المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

علمه أن مباحثات تدور بين حكومة الاتحاد والترقى وبريطانيا لتحديد مناطق النفوذ فى شرقى الجزيرة العربية ، وربما ^(١) تقرر شيئاً بالنسبة لاقليم الأحساء يقطع عليه آماله وطموحاته التى يهدف من خلالها الى ضم هذا الاقليم واقامة دولته الفتية .

وكانت الحامية العثمانية فى مدينة الهفوف عاصمة اقليم الأحساء تتكون من عدد من الجنود يبلغ حوالى ألف ومائتى جندى ، اضافة الى بعض الوحدات والفصائل الصغيرة الموزعة فى نواحي الاقليم المتفرقة كالقطيف والعقير ، ^(٢) عندئذ أيقن مقر الجزيرة الامام عبد العزيز أن الفرصة المناسبة لاسترداد اقليم الأحساء قد حانت ولايجب التفريط فيها أو تأخيرها .

وفى شهر ربيع الأول ١٣٣١هـ / فبراير ١٩١٣م زحف الامام عبد العزيز بجيوشه حتى بلغ ماء "الخَفَس" ، خفس العرمة فى شمالى الرياض ، وحين سمع متصرف الأحساء العثماني بهذه الاخبار بعث رسولا الى الامام يسأله عما يريد من وصوله الى هذه الجهات ، فلم يمرح بما فى نفسه وانما أقنع المندوب العثماني بأنه يريد أن يغزو بعض القبائل المناوئة له فى جهة الكويت ، ويريد شراء الطعام وبعض المتاع لجنوده من

(١) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها ، ج ٢ ، ص ١٥٨ ؛ صلاح العقاد : المرجع السابق ، ص ١٩٢ .
(٢) F.O.424/237, No.121, Consul Crow to Sir, E.Grey, Bussarah, 5.3.1913. p.93
(٣) محمد المانع : توحيد المملكة العربية السعودية ، ص ٧٢ ؛ سنت جون فلبى : المرجع السابق ، ص ٣١١ ؛ خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز ، ج ١ ، ص ٥٧ .

الاحساء ، وبالفعل أرسل قافلة للاحساء لتؤمن له الطعام ، واستنفر بعض قبائل العجمان المجاورة للاحساء وضرب موعداً لهم في جهة الشمال ليلبدهم عن مكان هدفه الحقيقي .^(١)

ويورد البعض أن عبد العزيز عاد بنفسه الى الرياض وترك جيشه في الخفس ليومهم العثمانيين أنه لا يريد بهم سوءاً ووصل في تلك الفترة الى عاصمة بلاده رجل انكليزي يدعى جيرارد ليتشمان Gerard Leachman يدعي أنه رجل جغرافي ويريد المساعدة من ابن سعود ليجتاز الربع الخالي الى عُمان وأوجس الامام عبد العزيز منه خيفة ، وأراد أن يستفيد منه لازالة الريبة والخوف من نفوس الحامية العثمانية في الاحساء ليصل الى آماله في استعادة الاقليم ، فقال للانكليزي : ان خير من يعينك على مبتغاك هو متمصرف الاحساء ، ثم كتب له توصية الى المتمصرف العثماني جاء فيها : " ان هذا الرجل مجهول لدينا وهو وامل اليكم فلكم فيما يبتغى الرأي الموفق ان شاء الله " ، بينما ذهب أحد المؤرخين الى أن الامام عبد العزيز غادر الخفس نهاراً متظاهراً بالرجوع الى الرياض ، وفي المساء عاد الى جيشه ليبدأ في تنفيذ خطته المحكمة التي قدّم من أجلها .^(٢)^(٣)

تقدم الامام عبد العزيز حتى نزل على ماء أو موضع يقال له " السيفة " يبعد عن الهفوف ميلاً واحداً ، وفي العزيع الاول

-
- (١) محمد بن عبد الله الاحسائي : تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ، ص ٢٠٧-٢٠٨ ، أمين الريحاني : نجد وملحقاته ... ، ص ٢٠٥-٢٠٦ .
(٢) أحمد عبد الغفور عطار : مقرر الجزيرة ، ج ١ ، ص ٢٥٣-٢٥٤ .
(٣) صلاح الدين المختار : المرجع السابق ، ص ١٣٧-١٣٨ .
أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ، ج ٢ ، ص ٥٦ .

من الليل يوم ٥ جمادى الأولى ١٣٣١هـ / ١١ ابريل ١٩١٣ م ، خرج من المعسكر بنحو ستمائة رجل من شجعان جيشه وقيل أن عددهم وصل الى تسعمائة رجل ، واجتمع بهم ، وحشهم على الالتزام بالهدوء ، وعدم الاعتداء على البيوت ، أو القرب من النساء وأن يحاربوا من حاربهم داخل القلعة ويسالموا من سالمهم ، ثم سار وهم وراءه مشيا على الاقدام وهم يحملون جذوع النخل والحبال حتى وصلوا الى سور الكوت ، حيث قسمهم الى ثلاث فرق (١) تسير الفرقة الاولى الى الباب الجنوبي فتقبض على الحرس وتتسلم الباب ، وتسير الفرقة الثانية الى القصر لعل المتصرف فيه فتأسره ، وتتفرق الفرقة الثالثة فى أبراج السور ، وكانت عملية بطولية خارقة سيطر فيها رجال عبد العزيز على الأماكن الحصينة فى حين كان معظم جنود الحامية يغطون فى نوم عميق ، ثم نادى المنادى : الملك لله ثم لعبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، ومن أراد العافية يلزم مكانه ، فاستيقظ الناس وأقبلوا مرحبين ومبايعين له على السمع والطاعة ، بينما لجأ الجنود العثمانيون الى الحصون وبدأوا مع الصباح فى اطلاق المدافع والبنادق على غير هدى ، لكن عبد العزيز أرسل لهم أن يسلموا فيؤمنهم ويرحلهم الى بلادهم ، والا هاجمهم فى حصونهم ، فسلم المتصرف وجنده أنفسهم وترك لهم عبد العزيز سلاحهم الشخصى وقال كلمته

(١) الكوت "القلعة" كلمة برتغالية كثر استعمالها فى الخليج العربى بعد وصول البرتغاليين هناك ، وكانت مقرا للحامية العثمانية فى مدينة الهفوف ، وهى محاطة بسور عظيم يبلغ ارتفاعه ٢٤ قدما ، مشيدا عليه أبراج عديدة .
انظر : حافظ وهبة : المرجع السابق ، ص ٧٠ مع العامش

المعروفة - لانزعج من الجندي العثماني سلاحه ، اما المدافع والذخائر فتبقى مكانها في الحصون - ثم جهزهم ورحلهم وعائلاتهم من الهفوف الى العقير ومنها الى البحرين ، ثم أرسل سرية الى القطيف وأخذها .^(١)

وقد أبدى الكابتن شكسبير دهشته من سرعة هجوم الامام عبد العزيز بن سعود على الاحساء ، وكان يعتقد أن ابن سعود لابد أن يتريث ليعرف موقف الحكومات المختلفة حول وضع الولايات العثمانية في المشرق العربي ، وأشار المسئول البريطاني في رسالة بعثها الى المقيم البريطاني في الخليج برسي كوكس بتاريخ ١٤ جمادى الثانية ١٣٣١هـ / ٢٠ مايو ١٩١٣م الى أن ابن سعود قد اختار أفضل وقت لتحقيق هدفه ، وأدى المهمة ببراعة فائقة حيث ضمن ولاء أهل الاحساء واخلصهم ، ونفذ خطة عسكرية محكمة لم يفقد فيها من جنوده الا أربعة فقط بينما غنم حوالى أربعين ألف دولار ، واثنى عشر مدفعاً من عيارات مختلفة ، اضافة الى كميات كبيرة من البنادق والذخيرة الاحتياطية ، ورغم أن المسئول البريطاني كان ينقل أخبار تلك الأحداث التي جرت في الاحساء عن أسماهم مبعوثين مخصوصين من ابن سعود لأمير الكويت ، الا أنه قد خالف المراجع التاريخية التي اعتمدنا عليها سلفاً ، في تاريخ ضم الاحساء اذ يشير المسئول البريطاني الى أن دخول الامام

(١) أمين الريحاني : نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز آل سعود ... ، ص ٢٠٨-٢١٠ ، خير الدين الزركلي : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، ج ١ ، ص ٢٠٣-٢٠٦ ، صلاح الدين المختار : المرجع السابق ، ص ١٣٩-١٤١ .

عبد العزيز الى الاحساء تم فى ٢٧ جمادى الاولى ١٣٣١هـ / ٤ مايو ١٩١٣م^(١) ، ولكننا فى هذا البحث اعتمدنا على المراجع التاريخية سالفه الذكر لأن معظم مؤلفيها عاصروا الامام عبد العزيز وأخذوا عنه مباشرة .

وفى ظهور تلك الوثيقة التى أشرنا اليها والتى تعبر عن دهشة المسؤولين البريطانيين من اقدام الامام عبد العزيز على ضم اقليم الاحساء الى دولته فى ذلك الوقت ، تأكيد على خطأ ما ذهب اليه البعض من أن البريطانيين كانوا وراء تحركات ابن سعود فى الاحساء وأنهم الذين حرضوه كى يقوم بالاستيلاء على الاحساء^(٢) ، وفى تلك الوثيقة تأكيد على استقلالية الامام عبد العزيز بن سعود فى اتخاذ قراراته وتحقيق طموحاته .

ولقد برهن الامام عبدالعزيز فى حديث لمندوب جريدة الدستور العراقية أجرى معه فى شهر ذى القعدة ١٣٣١هـ / أكتوبر ١٩١٣م برهن على سلامة سريرته ونبل غايته فى جهوده التى كان يبذلها لبناء دولته الحديثة حيث قال : "ان الدولة العلية حفظها الله غصبت آباءى هذا اللواء - الاحساء - بدون أمر مشروع بحجة دعوة عبد الله السعود شقيق والدى ، ومن بعد أن أخذته لم تحسن صنعا ، ... وليت الدولة احتلت مايدانى الاحساء من البلاد كعمان وغيرها التى تركتها هملا ، ومكنت الدول الأجنبية من أن تقذف فيها نار الفتن لتحمل على ماتنويه ، ... وكان الاهلون يرفعون ظلامتهم الى مقام الولاية

(1) F.O.424/238, Enclosure, 3, in No.458, Shakespear to P.Cox, Koweit, 20.5.1913. pp.372-373 .

(٢) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ١٧٠ .

ويذكرون عجز أصحاب الامر فى ذلك الموطن فما كان يُسمع مدى
 لأصواتهم المتكررة ، فراجعونى مراراً ، ففريت عنهم صفحا
 ادعانا لدولتى ، وان كان يسوؤنى نظرى اياهم فى تلك
 الحالة ، ... ثم جاءتنى محاضر فيها تواقيع كثيرة من
 العلماء والوجوه قائلين : ان لم تسعفنا نضطر الى مالاتحمد
 عقباه ، وفى تلك المطاوى سمعت ان الدولة تنازلت عن حقوقها
 فى الخليج وسواحله ، فاستندت حينئذ الى مالى من الحقوق
 الشرعية فى هذا القطر بمنزلة أساس ، فبادرت الى تلبية طلب
 الاهالى ، ليكونوا فى حرز حريز من فتك أرباب الفساد فيهم ،
 وابعاد الأجانب عن ديارهم ، فهذه هى الأمور التى ساقتنى الى
 مأتيت ، فقدمت الأهم على المهم ، وسرحت موظفى الإمارة
 محافظا على حياتهم بدون أن ينالهم أذى ، وعليه اذا أنعم
 النظر رجال الدولة المخلصون فى هذه المسائل ، وفكروا فى
 مآلها أحسن التفكير ، وأعطوا لكل ذى حق حقه ، ولاحظوا الأمن
 الفارب أظنابه فى البلاد ، وتثبتوا ما انتشر من مرافق
 العمران بين العباد ، حبذوا عملى هذا ، لاسيما اذا علموا
 أنى قطعت دابر الأشقياء والمفسدين وحقنت دماء الاهلين ،
 وبسطت أروقة الراحة بين العالمين" (١) .

لقد كان عبد العزيز بن سعود مخلصا فى توجهاته ،
 صادقا فى أقواله ، حيث أنه أنقذ الجزيرة العربية من شبح
 السيطرة الأجنبية ، التى أحاطت بالمشرق العربى فى ظل
 التدهور السياسى والعسكرى الذى تعيشه الدولة العثمانية ،

(١) خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد
 العزيز ، ج ١ ، ص ٢٠٩-٢١٠ ، ٦
 ، محيى الدين القابسى : المصحف والسيف ، ص ١٦٢-١٦٣ .

ولعلنا لانعدو الحقيقة اذا قلنا ان حركة عبد العزيز هي الحركة العربية الاسلامية الصحيحة ، لأنها أقامت الدولة على الاسس الاسلامية السلفية الراسخة ، ولم تنجرف مع الحركة العربية الممزقة التى تاهت فى متاهات عدة أوصلتها فى نهاية المطاف الى الخضوع تحت السيطرة الأجنبية ، ولو أن عبد العزيز يرحمه الله دخل فى معمة الحركة العربية تلك لما أقام مملكة حديثة ، فهو رجل دولة ودعوة ، وهذا ما جعله يستقل عن تلك الحركة غير المتوازنة التى بدأ التخطيط وعدم الاتزان يشوب الكثير من مواقف رجالها .

حاول العساكر العثمانيون الذين وصلوا الى البحرين أن يعاودوا الهجوم على الاحساء وحملوا على بعض المدافع والجنود من شبه جزيرة قطر ، وانضم اليهم ما يقرب من خمسمائة جندي عثماني من البحرين حيث تم نقلهم على سفن شراعية أنزلتهم فى العقير حيث تمكنوا من الاستيلاء على برج صغير هناك ، لكن الامام عبد العزيز الذى كان حينذاك فى الاحساء ، سارع فى التوجه الى هذه القوة الغازية ، التى كانت الحامية السعودية فى العقير قد تمادت لها وأرغمتها على الفرار بعد أن أسرت منها خمسين جنديا ، وعند وصول الامام عبد العزيز أمر باطلاق سراح الأسرى بعد أن أخذ منهم قَسَمًا بأن لايعودوا للقتال ضده مرة أخرى ، وحينئذ عادت القوة العثمانية الى البحرين ومنها توجهت الى البصرة ، بعد أن أدركت أن عبد العزيز بن سعود أصبح الحاكم الفعلى للاقليم ومن المعوجة بمكان مجابهته عسكريا ، أو محاولة

(١)

الاشتباك معه .

وشارت شائرة الامام عبد العزيز بن سعود ضد البريطانيين الذين سمحوا للجند العثمانيين أن يتخذوا من البحرين مركزاً لتجمع قواتهم وحركاتهم الهجومية ضده ، فكتب الى السير برسى كوكس يحث على ذلك العمل ، ويطلب من المسؤول البريطانى اخباره بمראה عن موقف البريطانيين حتى يعرف هو موقفه منهم ، ويتخير بالتالى الطريق الاحسن لحماية مصالحه ، ولاغرابة فى ذلك ، اذ أن الامام عبد العزيز حين استعادته لاقليم الاحساء قد اعلن أنه سيحكم هذا الاقليم مباشرة بعد ذلك التاريخ ، وقال : هانحن استولينا اليوم على بلاد آبائنا واجدادنا فى الاحساء والقطيف ، وملحقتهما شم أعطى المقيم البريطانى فى الخليج مورة من هذا الاعلان ، كى يكون على علم بحقائق الامور ، لأن الامام عبد العزيز كان يعرف مكر الساسة البريطانيين وتوجهاتهم .

وقد أثبتت الوثائق البريطانية صدق توقعات الامام عبد العزيز حيث أن السياسة البريطانية حينذاك كانت غير متزنة وغير متوافقة لما يجرى من أحداث تاريخية فى شرق الجزيرة العربية ، فبينما يشك وزير خارجية بريطانيا فى انتصارات ابن سعود ، ويخشى التعامل معه كحاكم مستقل ، كان المندوبون البريطانيون فى الخليج والقريبون من موقع

(1) F.O.424/239, Enclosure, 3, in No.109. p.85.
Telegraphic, dated, 5.6.1913
F.O.424/239, Enclosure, 1, in No.109. p.84.
letter, No.37. dated, 14.6.1913.

(٢) حافظ وهبة : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ .

(٣) جى . بى . كيلي : المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

الاحداث يؤمنون بقوة ابن سعود ، كحاكم قوى فى الجزيرة ،
والمستقبل السياسى لمصالح بريطانيا لن يكون الا بالتعامل
معه ، وهذا ما تمثل فى الاعتذار البريطانى الذى بعثه
المندوب البريطانى فى الخليج الى الامام عبد العزيز بن
سعود ، المتضمن انكار السلطات البريطانية مساعدة الجنود
العثمانيين ، وانها ملتزمة بالحياد بين الدولة العثمانية
والامير السعودى ، الذى تكن له مشاعر المداقة والاحترام .
(١)

لقد فاجأ ضم عبد العزيز لاقليم الاحساء الساسة
البريطانيين فى الخليج ، وماتعاونهم مع القوات العثمانية
فى البحرين رغم انكارهم لذلك الا دليل على مدى ماوصل اليه
خوفهم من امتداد سلطة ابن سعود على سواحل الخليج العربى
وقد رأت حكومة الهند البريطانية أن توجه شيخ دوى كى
يتعامل مع ابن سعود من منطلق المداقة وحسن الجوار وأن
لايشير معه أى مشكلات قد تدفعه الى التقدم ، وبسط نفوذه على
اجزاء أخرى من سواحل الخليج .
(٢)

ومكث الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود فى
الاحساء أياماً يرتب شئونها الادارية والعسكرية ، حيث ولى
عبد الرحمن بن سويلم على القطيف ، وأقام ابن عمه عبد الله

-
- (1) F.O.424/238, No.335, Foreign office to India
office, F.o. 7.6.1913. pp.255-256
, F.O.424/238, Enclosure, in No.315, Government of
India to The Marquess of Crewe, 31.5.1913. p.242 .
(2) F.O.424/239, Enclosure, in No.54, The Marquess of
Crewe to The Government of India, India office,
3.7.1913. p.40 .
(3) F.O.424/238, Enclosure, 1, in No.429, Government of
India to The Marquess of Crewe, 18.6.1913. p.345
، امين الريحانى : تاريخ نجد الحديث ، ص ٢١١ .

(١) ابن جلوى أميراً على الاحساء ، ثم عاد الى عاصمة دولته ،
التي أصبحت ممتدة من الكويت شمالاً الى قطر جنوباً ، ومن
الخليج العربى شرقاً الى الحجاز غرباً ، ليصبح بذلك سلطان^(٢)
نجد وتوابعها ، وصاحب القول الفصل فى شئونها ، بل ويصبح
قائد الجزيرة العربية المنتظر الذى تروا اليه العيون ،
وتتطلع اليه الآمال .

لقد أدركت الحكومة العثمانية أن مقر الجزيرة أصبح
الحاكم الفعلى لمقاطعة الاحساء ، وهو سلطان نجد ونفوذه فى
الجزيرة العربية لايجارى ، فرضيت حينئذ بالامر الواقع ،
وأرسلت من قبلها وفداً لمفاوضته على الولاء للدولة ، وهو
يكفى الحكومة العثمانية من شخصية بارزة كعبد العزيز بن
سعود ، ووصل الوفد الذى رأسه طالب النقيب واجتمع مع ابن
سعود على ماء المبيحية على مقربة من الكويت فى جمادى
الأولى ١٣٣٢هـ / ابريل ١٩١٤م ، وطلب الوفد أن يكون للدولة
معتدون فى القطيف والاحساء ، فرفض ابن سعود ذلك ، وطلب أن
تكون العلاقات بينه وبين الدولة ولائية فقط ، على أن تساعد
الدولة لقاء هذا الولاء بالأسلحة والذخيرة والمال ، وبعد
التداول والمناقشة قبل الوفد ذلك على أن يبقى الأمر سراً
حتى يقره الباب العالى ، ولم يلبث أن أقبل طالب النقيب
ليؤكد أن أن والى البصرة تلقى برقية من الاستانة تتضمن
الموافقة على ماقرر فى مؤتمر - المبيحية - مع الشكر
للامام عبد العزيز بن سعود ، وتسميته والياً لنجد ومتمرفاً

(١) محمد بن عبد الله الاحسائى : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

(٢) فؤاد حمزة : المرجع السابق ، ص ٣٧٧ .

(١) للاحساء واهدائه النيشان العثماني الاول ، ورتبة الوزارة ، وكان الامام عبد العزيز في اقدمه على عقد الاتفاق مع الدولة العثمانية يرمى الى قطع أى أمل للبريطانيين يهدفون من ورائه الى السيطرة على سواحل الخليج العربى مما يلى اقليم الاحساء ، لانه خبير بالسياسة البريطانية وغاياتها . (٢)

ولقد كان الساسة البريطانيون فى الخليج يدركون الدور الحاسم الذى سيلعبه حاكم سلطنة نجد وتوابعها فى المنطقة ، وخاصة على سواحل الخليج العربى بعد أن صار جاراً لهم بضمه اقليم الاحساء ، وبعد أن أقام سلطنة نجد وتوابعها ، التى زادت أهميتها بضم الاحساء ، لذا قام هؤلاء الساسة باجراء محاولات حثيثة لعقد اجتماع بين المقيم السياسى البريطانى وسلطان نجد وملحقاتها الامام عبد العزيز آل سعود ، وفى ١٧ ، ١٨ محرم ١٣٣٢هـ / ١٦ ، ١٥ ديسمبر ١٩١٣م جرى لقاء بين ابن سعود والمعتد البريطانى فى الكويت شكسبير ، والمعتد البريطانى فى البحرين تريفور Trevor ، وقد أشار الامام عبد العزيز الى أن بريطانيا يجب أن تتركه وشأنه ليعيش بسلام ، وهو مستعد لحفظ السلام والأمن فى اقليم الاحساء اذا

-
- (١) أمين الريحانى : نجد وملحقاته . . . ، ص ٢١٣-٢١٦ ؛ خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز ، ج ١ ، ص ٢١٣-٢١٤ ؛ أحمد عس : معجزة فوق الرمال ، ص ٦٦ .
- (٢) صلاح الدين المختار : المرجع السابق ، ص ١٥٩ ؛ جمال زكريا قاسم : موقف الكويت من التوسع السعودى فى نجد وسواحل الاحساء ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السابع عشر ، سنة ١٩٧٠م ، ص ١١٠ .
- (٣) فتوح الخترش ، وعبد العزيز المنصور : نشوء قطر وتطورها - دراسة تاريخية ، ص ٧٠ ؛ منيرة العرينان : المرجع السابق ، ص ٢٦٩ .

حافظت بريطانيا على السلام فى الجزء الباقى من ساحل الخليج
ويجب عليها أن تعترف به كحاكم بالفعل لهذا الاقليم ، واذا
(١)
كان الحال غير ذلك فانه يثق بسيفه البتار .

هكذا أصبحت سلطنة نجد بعد ضم الاحساء ، قوة أساسية فى
المنطقة لها وزنها السياسى والاستراتيجى على ساحة الأحداث ،
سيما وهى تطل الآن على الخليج العربى ، وتجاور الكويت وقطر
والبحرين ، وغير هذا وذاك فهى تجاور بريطانيا العظمى ،
وهذا بطبيعة الحال تأكيد لما ذهب اليه البحث من أن ضم
الاحساء ، وبروز سلطنة نجد وتوابعها أعطى للحركة العربية
الاتجاه الصحيح الذى فقدته فى جهات أخرى .

(١) أمين سعيد : المرجع السابق ، ص ٦٦ ؛
فتوح الختار وعبد العزيز المنصور : مصادر تاريخ قطر
١٨٦٨-١٩١٦م ، ص ٧٣ .

(هـ) أثر موقف سلطنة نجد بالنسبة للمشرق العربى .

لقد كان لوصول الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود الى ساحل الخليج العربى ، أثر فعال فى التصدى للأطماع البريطانية التى كانت تخطط للاستيلاء على مساحات شاسعة من ذلك الساحل ، لكن ضم اقليم الاحساء الى سلطنة نجد أضعف على بريطانيا فرصتها الاستعمارية التى كانت تخطط لتنفيذها ، فى ظل الازمات التى تعصف بالدولة العثمانية ، وكان عبد العزيز من الرجال القلائل الذين يعرفون ماتعانيه الدولة العثمانية من داء عضال ، ويعرفون الدواء الذى يمكن معالجتها به ، فبالإضافة الى هزائم الدولة المتكررة فى حروبها التى تعتبر حروب البلقان آخرها وأشدّها عنفاً ، فانه كان يدرك أن الدولة العثمانية تعاني من سوء الحكم الناتج عن بعدها عن الأصول التى قامت عليها ، وعن وجود التدخلات الأوربية فى شؤونها ، فلو عادت الحكومة العثمانية الى أصولها الاسلامية الأولى ، والى تحكيم كتاب الله فى شؤونها ، لأصبحت قوية ومنصورة على أعدائها ، واستطاعت أن تحافظ على مكانتها بين الأمم .^(١)

وكان خير موقف لمواجهة هذه النهاية الحتمية للدولة العثمانية التى تمثل الخلافة الاسلامية هو قيام دولة سلفية فى الجزيرة العربية ، لاتخضع للحركة العربية المليئة بالمتناقضات العقائدية ، وهذا ما أدركه الامام عبد العزيز وسعى الى تحقيقه ، مما جعل موقف سلطنة نجد ازاء الحركة

(1) F.O.424/238, Enclosure, 2, in No.458, pp.369-372 .

العربية فى المشرق العربى ذا أثر فعال ومؤثر ، جعل الرياض بيت العرب الكبير الذى يلجأون له أمام الأخطار التى تحيط بهم من كل جانب .

لقد أدرك المعتمد البريطانى فى الكويت الكابتن شكسبير ، مواهب الامام عبد العزيز بن سعود ، وبدأ فى التنبؤ بما ينتظره من مستقبل مشرق ، حين أشار فى تقريره الى المعتمد البريطانى فى الخليج بيرسى كوكس بتاريخ ٩ جمادى الثانى ١٣٣١هـ / ١٥ مايو ١٩١٣م الى أنه يأمل أن يتم اعطاء اهتمام جدى لابن سعود وشئون الجزيرة العربية التى باتت تنتظر قيادته ، فالرجل حاكم من أفضل الحكام العرب ، وشخصيته من الشخصيات التى يحتمل أن تقود الجزيرة العربية وهو حدث يبدو أنه سيظهر فى المستقبل القريب .^(١)

أما الحكومة العثمانية فقد اعترفت بالأمر الواقع وأقرت بكيان سلطنة نجد ونموها ، ومنحت رتبة الوزارة السامية بفرمان سلطانى للامام عبد العزيز ، كما اعترفت به والياً لنجد وقائداً لها ، على أن تنتقل الامارة بالارث الى أولاده من بعده ، وهذا الاعتراف دليل على أن الحكومة العثمانية أدركت ذلك النمو المتزايد لسلطنة نجد ودورها البارز الذى ستلعبه فى الجزيرة العربية ، سيما وأنها أضحت بمثابة قشرة واقية للأماكن المقدسة من الخطر البريطانى المترص فى الخليج العربى .^(٣)

(١) F.O.424/238, Enclosure, 2, in No.458, pp.369-372 .
(٢) بلاد العرب فى مذكرات سليمان شفيق كمال باشا ، مجلة العرب ، الجزء التاسع ، السنة الخامسة ربيع الأول ١٣٩١هـ ، ص ٨٥٨ .
(٣) منيرة عبد الله العرينان : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

كان موقف الامام عبد العزيز من الاحداث التاريخية الجارية موقفاً مميزاً ، يتسم بالاستقلالية فى الراى ، وعدم الخضوع لاية قوة تحاول التأثير عليه ، فقد رفض طلب الحكومة العثمانية محاربة الادريسى فى عسير ، وعبر بمصراحته المعهودة للوالى العثمانى فى البصرة عن الموقف الذى يجب أن تتخذه الحكومة العثمانية تجاه العرب حين قال : " انكم المسؤولون عما فى العرب من شقاق ، فقد اكتفيتم بأن تحكموا وما تمكنتم حتى من ذلك ، قد فاتكم أن الراعى مسؤول عن رعيته ، وفاتكم أن صاحب السيادة لا يستقيم أمره الا بالعدل والاحسان ، وفاتكم أن العرب لا ينامون على الضيم ولا يبالون اذا خسروا كل مالديهم وسلمت كرامتهم ، ... أنتم اليوم فى حاجة الى راحة البال ، لتتمكنوا من النظر المائب فى أموركم الجوهريّة ، أما ما يختص بالعرب فاليكم راى فيه : انى أرى أن تدعو رؤساء العرب كلهم ، كبيرهم وصغيرهم الى مؤتمر يعقد فى بلد لاسيادة ولانفوذ فيه للحكومة العثمانية ، لتكون لهم حرية المذاكرة ، والغرض من هذا المؤتمر التعارف والتآلف ، ثم تقرير أحد أمرين : اما أن تكون البلاد العربية كتلة سياسية واحدة ، يرأسها حاكم واحد ، واما أن تقسموها الى ولايات تحددون حدودها ، وتقيمون على رأس كل ولاية رجلاً كفؤاً من كل الوجوه ، وتربطونها بعضها ببعض بما هو عام مشترك من الممالح والمؤسسات ، وينبغى أن تكون هذه الولايات مستقلة استقلالاً ادارياً وتكونوا أنتم المشرفين

(١) أمين الريحانى : نجد وملحقاته ... ، ص ٢٠١-٢٠٢ .

(١) عليها "... ، انها أطروحة سياسية راقية ، وضعت النقاط على الحروف وحددت للحكومة العثمانية الاتجاه الأمثل الواجب الأخذ به فى ظل المتغيرات التاريخية السريعة التى تعيشها الدولة سيما وأن العرب قد أصبحوا أكثرية فى الدولة العثمانية بعد هزائمها فى حرب البلقان ، لكن الحكومة العثمانية لم تدرك أهمية هذا الرأى السياسى الرفيع فى الوقت المناسب .

لقد تميز عبد العزيز بن سعود منذ ظهوره على المسرح السياسى ، بنفخ سياسى ، وقد أشار ذات مرة فى حديث له الى تلك المرتكزات التى قامت عليها عبقريته والتى يعتز بها حين قال :

"أنا عربى ومن خيار الأسر العربية ، ولست متطفلاً على الرئاسة والملك وإن آبائى معروفون منذ القدم بالرئاسة والملك ، ولست ممن يتكىء على سواعد الغير فى النهوض والقيام وإنما اتكالى على الله ، ثم على سواعدنا يتكىء الآخرون ويستندون ... أنا قوى بالله تعالى ثم بشعبى ، وشعبى كلهم ، كتاب الله فى رقابهم ، وسيوفهم بأيديهم ، يناضلون ويكافحون فى سبيل الله ، ... اذا كان المسلمون والعرب فى منعة من التعاضد والتكاتف فليست هناك قوة فى مقدورها مهاجمتهم واذلالهم " (٢) ، وهذا ما عبر عنه الكاتب شكسبير بعد مقابلته لآمام عبد العزيز بن سعود ، حين أكد

(١) خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز ، ج ١ ، ص ١٩٧-١٩٨ ،
 ، أمين الريحانى : تاريخ نجد الحديث ، ص ٢٠٢-٢٠٣ ،
 ، صلاح الدين المختار : المرجع السابق ، ص ١٣٣-١٣٤ ،
 ، ابراهيم عبده : المرجع السابق ، ص ٩٣-٩٤ .
 (٢) خير الدين الزركلى : الوجيز فى سيرة الملك عبد العزيز ، ص ١٨٦ .

أن العرب قد وجدوا القائد الذى يستطيع أن يقف وهو مرفوع
(١)
الرأس فوق كل زعيم .

ونحن لانعدو الحقيقة اذا قلنا أن ضم الاحساء الى نجد
تحت زعامة الامام عبد العزيز آل سعود ، قد حال دون تجزئة
شرق الجزيرة العربية وتحويلها الى دويلات صغيرة وهو ماكانت
تطمح اليه السياسة البريطانية التى لم يهدأ لها بال تجاه
الانتماءات المتوالية التى حققها ابن سعود ، لذا كان
اقتراح وزارة الخارجية البريطانية لحكومة الهند فى شهر ذى
القعدة ١٣٣١هـ / اكتوبر ١٩١٣م هو اشعار ابن سعود بالاتفاقية
التي وقعتها بريطانيا مع الحكومة العثمانية ، وانها ستنفذ
حال التمديق عليها ، بيد أن الامام عبد العزيز ، لم يلق
بالاً لذلك لانه وقد ضم الاحساء الى دولته قبل توقيع تلك
الاتفاقيات ، أصبح هو الحاكم الفعلى لذلك الاقليم ، ومايليه
(٢)
من المناطق التى جاء ذكرها فى تلك الاتفاقية .

وجاءت الحرب العالمية الاولى ، لتبرز معها شخصية عبد
العزيز آل سعود سلطان نجد القوى ، الذى أصبحت الدولة
العثمانية تطلب وده ومساندته ، فى الوقت الذى سلكت معه
بريطانيا نفس الاتجاه ، لكن عبد العزيز تعامل مع الجانبين
تعاملاً يرقى الى مستوى الحدث نفسه ، والمكانة التى يحتلها
ابن سعود ودولته الناشئة ، فوعد الوفد العثمانى بأن لايمنع
(٣)
المساعدة عن الجيش العثمانى والتى تأتية من تجار نجد ،

(١) تركى بن محمد بن سعود الكبير : المرجع السابق ، ص ٨ .

(٢) جى . بى . كىلى : المرجع السابق ، ص ١٦٩ ، وهامش ٢
ص ١٧٣-١٧٤ .

(٣) خير الدين الزركلى : الوجيز فى سيرة الملك عبد
العزيز ، ص ٦٠ .

منبها الموفد العثماني الى أهمية موقعه بالنسبة لهذه الحرب ، وحرصه على مصلحة بلاده وشعبه ، وأنه سيلتزم الحياد (١) في هذا الصراع ، أما مع البريطانيين فان موقفه كان أكثر صراحة ، اذ رفض أن يشارك في أى عمل حربى لاحتلال البصرة ، (٢) مهما كانت الامتيازات التى يحاول أن يقدمها له البريطانيون كما رفض أن يشارك العرب فى تحفزهم للثورة ضد الدولة العثمانية وقال كلمته المشهورة "لن يقول الناس شار عبد العزيز على دولة تتسمى بدولة الخلافة فى عهد محنتها" ، وهذه الكلمة أشار لها الساسة البريطانيون بعد ذلك ضمنا ، (٣) حين قالوا : فشل برسى كوكس فى الرياض ونجح لورنس بمكة .

ان ذلك هو فكر الامام عبد العزيز آل سعود الذى سعى الى قيام مملكة سلفية موحدة فى الجزيرة العربية ، تبعد النفوذ الأجنبى عنها ، وتبنى قواعدها على العقيدة الاسلامية الصحيحة ، ولقد حلل الأديب والمؤرخ أمين الريحانى شخصية ابن سعود حيث قال عنه : "انه رجل قبل كل شيء ، رجل كبير القلب والنفس والوجدان ، عربى تجسمت فيه فضائل العرب ، رجل صافى الذهن والوجدان ، خلو من الادعاء والتكلف ، خلو من التظاهر الكاذب" (٤) ، فمن كانت هذه صفاته وسجاياه فلاغرو من أن يقود الجزيرة العربية الى بر الأمان ، وأن تكون حركته هى الحركة العربية الأصيلة التى تنطلق من العقيدة

(١) أمين سعيد : الخليج العربى فى تاريخه السياسى ونهضته الحديثة ، ص ٨٤ .

(٢) تركى بن محمد بن سعود الكبير : المرجع السابق ، ص ٦ .

(٣) خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز ، ج ١ ، ص ٢٧ .

(٤) أمين الريحانى : ملوك العرب ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

الاسلامية كمنهج دولة وأسلوب حياة ، البعيدة عن أى استقطاب أجنبى ، ليس هذا فحسب وانما تصبح هى الحصن الحصين للمشرق العربى ضد تكالب القوى الأجنبية عليه .

كان عبد العزيز صادقا مع نفسه ومع ربه ، فهو يرفض فكرة الخلافة التى عرضها عليه المقيم البريطانى فى الخليج برسى كوكس فى حالة زوال الخلافة العثمانية ، لأنه لا يرغب فى أن يتزعم الا أصحاب العقيدة السلفية ، فى الوقت الذى كان قد استقبل مندوب لجنة المنتدى الأدبى فى الاستانة ، وأبدى تعاطفه مع مطالب العرب الإصلاحية الهادفة الى المحافظة على البلاد العربية ضد التدخل الأجنبى والسعى الى نهضتها وتطورها ، وقام بأداء واجبه كاملا تجاه الشعوب العربية ، سواء عن طريق دعمها سياسيا أو ماديا بعد ذلك .^(١)

ويذهب أحد المؤرخين الى أن بعض رجال الحركة العربية حاول استقطاب عبد العزيز بن سعود كى يتولى زعامة الحركة ضد الدولة العثمانية ، وأصغى لهم ابن سعود بانتباه ، وبالتالى حكم على ذلك المشروع بأنه غير قابل للتحقيق فى ذلك الوقت ، لقد كان هدفه مختلفاً جداً ، فهو يطمح فى انتزاع الجزيرة العربية من نزعتها الفردية ، وإعادة تجميع أوصالها ، ووضع حد للفوضى التى تعيشها ، أو بكلمة مختصرة إعادة وحدتها ، فاذا تحقق له ذلك فان ابن سعود سيكون مصدر موجة اسلامية جديدة ، بعد أن يوحد دولته ويعيد تنظيمها ، ويشير ذلك المؤرخ الى أن ابن سعود استطاع أن يصرف أولئك

(١) منيرة عبد الله العريشان : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ .
(٢) أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ، ج ٢ ، ص ٦٨-٦٩ ،
حافظ وهبة : خمسون عاما فى جزيرة العرب ، ص ١٧١ .

(١)
القوم بلباقة ولياقة .

والحقيقة أن عبد العزيز كان يتطلع الى بناء وحدة عربية ناضجة تضم أقطارا عربية لاتخضع للنفوذ الأجنبي ، لأنه يعلم أن اتحاد العرب فى وجه الأزمات والحروب شيء لاغنى لهم عنه ، وهذا ماأكده بنفسه حين قال فى حديث له مع أمين الريحانى : "أتعرف يااستاذ أننا أول من دعا أمراء العرب الى الاجتماع والائتلاف ، ... اننا أقربهم الى اللفة والاتحاد هنا [نحن] أهل نجد لانبغى المحافظة الا على أمرين : ديننا وشرفنا " .^(٢)

ولقد جرت مداولات مع الامام عبد العزيز بن سعود للدفاع عن البصرة عند تقدم البريطانيين الى احتلالها ، وكان عازما على الدفاع عنها وعن الاقطار العربية التى تهددها القوى الأجنبية ، لكن عبد العزيز كان من أولئك الرجال الذين لاينساقون خلف الشعارات البراقة والأحلام الخادعة ، فقد أدرك أن الحكومة العثمانية تخوض مع بريطانيا حرب مصالح لن تستفيد الدولة العثمانية منها شيئا وكذلك المشرق العربى ، والبريطانيون قد حسموا الأمر واحتلوا البصرة ، والحركة العربية على الأطراف ممزقة ، وغير موحدة الأهداف ، اذاً فسلطنة نجد وتوابعها لا ولن تستطيع هذه الحركات ومعها القوى الأجنبية اخضاعها ، وهى بالتالى لن تنضم لها .

(١) بنواميشان : المرجع السابق ، ص ١١٥-١١٦ .
(٢) أحمد طربين : المرجع السابق ، ص ١ .
(٣) أمين الريحانى : ملوك العرب ، ج ٢ ، ص ٤٠ .
(٤) سليمان فيفى : المصدر السابق ، ص ١٩٤-١٩٥ ؛
عبد المنعم الغلامى : المرجع السابق ، ص ٣٠ .

وهكذا كان حياد الامام عبد العزيز بن سعود فى تلك الحرب مفيداً له ولدولته ، ومفيداً للحكومة العثمانية التى كانت تدعم جنودها فى اليمن بالمال والسلاح وترسل لهم تلك الامدادات عبر اراضى ابن سعود دون مفايقة او خوف ، ولم يحارب بريطانيا التى كانت أساطيلها تجوب الخليج العربى ، فحفظ لبلاده ومواطنيه الأمن والاستقرار ، فى وقت كان العالم يمطلى بنار الحرب الضروس ، لقد أدرك عبد العزيز أن السياسة البريطانية لاتتجه الى دعم الحركة العربية ، ولاترغب فى وحدة الأمراء العرب ، وأن أى محاولة بريطانية من هذا النوع لاتزيد الخرق الا اتساعاً كما يقول ، ولأنه مفعم بالوطنية الصادقة والايمان العميق ، ولديه رغبة عارمة لأن يقدم كل مالى له لمصلحة شعبه ودولته ، كان عليه أن ينهج الطريق الأمثل لبناء دولة موحدة فى الجزيرة العربية ، لأن ماحوله من امارات وقوى عربية لم تكن مكتملة السيادة والاستقلال ، وانما تخضع بدرجات متفاوتة للسيطرة الأجنبية .^(١) هنا ظهرت قيمة سلطنة نجد وتوابعها ، بل وتجلّى فكر الامام عبد العزيز آل سعود ، الذى جعل الاسلام مرتكزاً لدولته وتبنى العقيدة السلفية الصافية ، لتتبلور بالتالى شخصيته ومكانة دولته ، التى قدم الغالى والنفيس من أجل بنائها ،

-
- (١) أمين الريحانى : نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز ... ، ص ٢٢٠ .
 محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص ٤٤٩-٤٥٠ .
 (٢) أمين الريحانى : ملوك العرب ، ج ٢ ، ص ٦١ .
 (٣) فاروق عثمان أباطة : مستقبل الجانب الشرقى من الدولة العثمانية فى نظر حكومة الهند البريطانية فى بداية الحرب العالمية الاولى ، ص ٦٢ .
 (٤) أحمد طربين : المرجع السابق ، ص ١٦ .

فقد قال رحمه الله : " ان خطتى التى سرت ولا أزال أسير عليها
 هى اقامة الشريعة السمحة ، كما أننى أرى من واجبى
 ترقية جزيرة العرب والاخذ بالاسباب التى تجعلها فى مصاف
 البلاد الناهضة مع الاعتصام بحبل الدين الاسلامى الحنيف ،
 وقال : أنا مبشر أدعو لدين الاسلام ولنشره بين الاقوام ، أنا
 داعية لعقيدة السلف الصالح ، وعقيدة السلف الصالح هى
 التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وما جاء عن الخلفاء الراشدين
 ... أنا مسلم وأحب جمع كلمة الاسلام والمسلمين ، وليس أحب
 عندى من أن تجتمع كلمة المسلمين ، ... واننى لا أتأخر عن
 تقديم نفسى وأسرتى ضحية فى سبيل ذلك ، أنا عربى ، وأحب
 قومى والتآلف بينهم وتوحيد كلمتهم ، وأبذل فى ذلك
 مجهوداتى ولا أتأخر عن القيام بكل ما فيه المصلحة للعرب
 (١)
 ومايوحد أشقاتهم ويجمع كلمتهم " .

لقد نجح الامام عبد العزيز آل سعود بعصاميته فى بناء
 دولته الفتية ، وحفظ للعرب تراثاً مجيداً فى البلاد المقدسة
 وأقام الأمن والنظام على أرض الجزيرة العربية ، وكان يمثل
 رمزاً للحركة العربية الصادقة التى كان يتطلع لها العرب ،
 والتى تتفق مع منظور عبد العزيز الذى يرى أنه لا عز إلا
 بالاسلام ولا قوة إلا بالتمسك به ، فمن حفظه حفظ عزه وقوته ،
 (٢)
 ومن أضاعه ضيع نفسه وباء بغضب من الله .

ولقد كان عبد العزيز آل سعود حريماً على الوحدة
 العربية ، التى تجمع شمل العرب ، وتحفظ حقوقهم وتقيم شرور

(١) خير الدين الزركلى : الوجيز فى سيرة الملك عبد
 العزيز ، ص ٢١٥-٢١٦ .

(٢) محيى الدين القابسى : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

التدخلات الأجنبية ، وكان مستعداً للمساهمة فى ما يحفظ لهم استقلالهم وحريتهم ، لأنه أقام دولته على دعائم قوية وبجهود ذاتية ، دون أن تستقطبه أى قوة من القوى المتصارعة ، يقول السير آرنولد ويلسون Sir, Arnold Wilson ، بعد زيارة قام بها للبصرة بدعوة من السير برسى كوكس المقيم البريطانى فى الخليج سنة ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م عن ابن سعود "هأنذا رجل غير حديث عهد بالملك ، لا يعتمد على أسلحة البريطانيين فى سلامته ، ولا على الذهب البريطانى فى مركزه" (٢) .

هكذا كانت سلطنة نجد ومؤسساها التى مثلت دعامة قوية للمشرق العربى وحالت بينه وبين السقوط الكامل فى أيدي القوى الأجنبية ، حيث أمست حصناً منيعاً يلجأ اليه من ينشد الاستقلال من أبناء العرب ، وكان لموقف عبد العزيز آل سعود ودولته الفتية دوراً بارزاً فى المحافظة على الأماكن المقدسة بوجه خاص والجزيرة العربية بوجه عام ، والتى لم يستطع النفوذ الأجنبى أن يمل إليها ، لأنها باتت تشكل كياناً واحداً ينطلق من معتقد واحد ، وهى القاعدة التى انطلق منها الامام عبد العزيز حيث قال يرحمه الله : "ما كنا عرباً إلا بعد ما كنا مسلمين ، كنا عبيداً للعجم ، ولكن الاسلام جعلنا سادة ، ليس لنا فضيلة الا بالله وطاعته واتباع محمد ، ويجب أن نعرف حقيقة ديننا وعربيتنا ، ولانفساهما" (٣) ، من هذا المنطلق حافظ عبد العزيز آل سعود على دولته الفتية وحفظ للمشرق العربى الاسلامى مكانته أمام الصراعات الدولية التى كانت تتكالب على المنطقة فى تلك الفترة .

(١) أمين الريحانى : ملوك العرب ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .
 (٢) أحمد طربين : المرجع السابق ، ص ٤ .
 (٣) خير الدين الزركلى : الوجيز فى سيرة الملك عبد العزيز ، ص ٢١٧ .

(و) قيام الحرب العالمية الأولى ، تَغْيِيرُ ميزان القوى .

شهد المشرق العربى العثمانى قبيل وأثناء حروب البلقان حركات سياسية مؤثرة ، برزت خلالها الحركة العربية على مسرح الأحداث التاريخية ، وزاد من ظهورها اقتطاع شبه جزيرة البلقان من أملاك الدولة العثمانية ، حيث أصبح العرب يشكلون فى الدولة العثمانية أكثرية كما أشرنا ، غير أن مطالب العرب يمكن تحديدها فى الإصلاح للولايات العربية على قاعدة اللامركزية الادارية ، وهو الاتجاه الغالب لدى زعماء العرب حينذاك ، لكن هذه الحركة العربية عاشت بعض المواقف التاريخية بعد الانتهاء من حروب البلقان ، وبدأت الحركة فى اتخاذ بعض الاجراءات المميزة ضد الحكومة العثمانية ، كمعارضتها للمركزية والتثريك ، ومحاولاتها عقد مؤتمر فى الجزيرة العربية يحقق للعرب آمالهم وطموحاتهم ، وكان ضم الاحساء والموقف المتميز الذى وقفته سلطنة نجد فى تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ الحركة العربية هو مايمكن اعتباره ذا فائدة ملموسة حملت عليها الحركة العربية فى المشرق العربى العثمانى حينذاك ، وحفظت الجزء الشرقى من الجزيرة العربية من التهديد والنفوذ الاجنبى الذى بدأ يتغلغل فى البلاد العربية .

لكن حروب البلقان التى كان تأثيرها واضحاً على الدولة العثمانية بشكل عام وفى المشرق العربى بشكل خاص ، كان لها دور بارز فى تفجير الحرب العالمية الأولى ، تلك الحرب التى (١)

(١) هارولد تمبرلى و.ا.ج. جرانت : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .

تعتبر أول حرب عالمية فى التاريخ تعرفها البشرية ، وصحبها من المآسى والكوارث ماصحبها ، وكان انعكاسها على الحركة العربية كبيراً ومؤشراً ، حيث كان قيام الحرب العالمية الأولى ، ايذاناً بتوقف ماكان يدور على الساحة العربية من أحداث تاريخية بارزة ، ومن أهمها بطبيعة الحال الحركة العربية ، والمطالب الإصلاحية التى ينشدها العرب من الحكومة العثمانية .

ونحن لانعدو الحقيقة اذا قلنا ان حربى البلقان الأولى والثانية كانت هى البداية الحقيقية لانفجار الحرب العالمية الأولى ، سيما وأن معاهدة بوخارست التى أعقبت حرب البلقان والتى تحدثنا عنها فيما سبق ، قد تركت لأوربا مشاكل خطيرة لم تستطع حلها وقتئذ ، وتطورت تلك المشاكل تبعاً لتطور الأحداث ، حتى جاءت ساعة اعلان الحرب العالمية الأولى التى تجاوزت فى مدلولها وشموليتها نطاق شبه جزيرة البلقان لتشمل أوربا قاطبة ، ثم تتجاوزها الى أمقاع مختلفة من العالم تأثرت من تلك الحرب الفروس .

ثم كان السبب المباشر لقيام الحرب العالمية الأولى هو قتل الارشيدوق فرانز فرديناند Archduke Franz Ferdinand ، ولى عهد النمسا - المجر ، على يد أحد أعضاء المنظمات السرية الصربية فى ساراجيفو Sarajevo ، فى الخامس من شعبان (١) ١٣٣٢هـ / ٢٨ يونيو ١٩١٤م ، وقد أعلنت النمسا - المجر ، الحرب على الصرب أملاً فى القضاء عليها فى ٦ رمضان ١٣٣٢هـ /

(١) محمد قاسم وأحمد نجيب هاشم : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ ؛
مذكرات لورد غراى : المصدر السابق ، ص ١١٤-١١٥ .

(١)
 ٢٨ يوليو ١٩١٤م ، بيد أن الحماية الروسية للعنصر السلاقي
 فى شبه جزيرة البلقان ، جعلت روسيا تعلن مساندتها لحكومة
 الصرب ضد أى عدوان قد تتعرض له من قبل النمسا - المجر ،
 ولأن روسيا حليفة لفرنسا ، وألمانيا حليفة للنمسا ، فقد
 أقحمت هذه الدول نفسها فى تكتلات سياسية متناحرة جعلتها
 تحتكم الى السلاح ، حيث أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا فى
 العاشر من رمضان ١٣٣٢هـ/اليوم الأول من أغسطس ١٩١٤م ، ثم
 أعلنتها على فرنسا وبلجيكا بعد ذلك بثلاثة أيام ، وفى
 الرابع عشر من رمضان ١٣٣٢هـ/ ٥ أغسطس ١٩١٤م دخلت بريطانيا
 الحرب الى جانب روسيا وفرنسا ، ثم تتابعت الدول الأوربية
 فى دخول الحرب العالمية الأولى ، حيث شكلت مجموعة دول
 الوسط من النمسا - المجر ، وألمانيا ومن سينضم اليهما فى
 الحرب ، ومجموعة دول الحلفاء وتتكون من فرنسا وبريطانيا
 وروسيا ومن سينضم لها من الدول .
 (٢)

ولأن ميزان القوى الأوربية سيتأثر بموقف الدولة
 العثمانية فى هذه الحرب ، لأن وراء الأسباب المباشرة للحرب
 أسباب أخرى تتمثل فى المصالح الاستراتيجية ، وفرض السيادة
 الاستعمارية لكل دولة من تلك الدول التى تخوض الحرب ،
 والدولة العثمانية تعتبر حينذاك محور الارتكاز لتلك
 المصالح ، سيما وهى صاحبة نفوذ فعال فى المشرق العربى ،
 يقول لوييد جورج Lloyd George : " ان الامبراطورية التركية

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٧ ، ج ١١ ، ص ٨٨٠ .
 (٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٨٣ .
 (٣) مجلة المنار ، المجلد ١٧ ، ج ١١ ، ص ٨٨٠ .
 (٤) محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ٣٦٣ .

تقع جغرافيا عبر قطعة من الأرض أو جسم من الماء بيننا وبين ممتلكاتنا الكبيرة فى الشرق ... فكان من الأمور الحيوية بالنسبة الى مواصلاتنا ، ومن الأمور الجوهرية بالنسبة الى نفوذنا وهيبتنا فى الشرق أنه عندما تعلن تركيا الحرب علينا أن نوقع بها الهزيمة وأن نشوه سمعتها دون ضياع الوقت" (١) .

وكانت رغبة الحلفاء - بريطانيا وفرنسا وروسيا - هى بقاء الدولة العثمانية على الحياد ، لأن ذلك سيكفل احترام واستقلالية أراض الدولة أثناء الحرب ، وسينص على ذلك فى معاهدات الصلح ، وقد رغب بعض رجال الدولة العثمانية فى الانضمام الى دول الحلفاء ضد دول الوسط ، لكن وجود العدو التقليدى للدولة - روسيا - مع الحلفاء ، حال دون التفكير فى هذه الرغبة ، وظلت الحكومة العثمانية على الحياد مايقرب من ثلاثة أشهر ، ولكن العلاقات العثمانية البريطانية بدأت تسير من سىء الى أسوأ ، وعجل فى تدهورها مبادرة الحكومة البريطانية للبارجتين الحربيتين اللتين كانت تقوم بإنشائهما لحساب الدولة العثمانية ، مما رجح كفة الساسة العثمانيين المؤيدين للتحالف مع دول الوسط - المانيا وحلفائها - واغتنمت المانيا الفرصة لتعلن بيعها لسفينتين حربيتين ألمانيتين للدولة العثمانية ، لتنضم الى الاسطول

(١) زين نور الدين زين : الصراع الدولى فى الشرق الاوسط وولادة دولتى سوريا ولبنان ، ص ٥٧ .
 (٢) أحمد عبد الرحيم ممطفى : المرجع السابق ، ص ٢٨٤ ؛
 مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٥١-٥٢ .
 (٣) زكى صالح : مجمل تاريخ العراق الدولى فى العهد العثمانى ، ص ٩٣ .

(١)

العثماني في البحر الاسود .

وقد كانت الحكومة العثمانية تخشى في واقع الامر من ازدياد الاطماع الاستعمارية البريطانية والفرنسية في المشرق العربي العثماني ، سيما وأن النفوذ البريطاني في الخليج العربي كان مؤثراً ، والاطماع الفرنسية في سوريا لم تعد سرّاً لايعرّفه أحد ، ولو أن الحكومة العثمانية كانت واثقة من نزاهة الحلفاء ، لبقيت على الحياد ، ولكنها كانت تعلم أن ليس لهذه الدول ولاء في وعد ولاصدق في عهد ، وكانت تخشى أن يكون في وقوفها على الحياد فرصة للحلفاء كي يتفقوا من وراء ظهرها على اقتسام ممتلكاتها الآسيوية ، ولكي تستفيد من تلك الحرب وتعرف مواقف تلك الدول على حقيقتها ، بادرت الحكومة العثمانية الى الغاء الامتيازات الاجنبية ، وألغت نظام جبل لبنان المستقل وأدمجته في الدولة العثمانية (٢)

كباقي الولايات .

وتسارعت الاحداث مع وقوع صدام بحري بين الاسطول العثماني وبعض الموانئ الروسية في البحر الاسود في أوائل شهر ذي الحجة ١٣٣٢هـ / أواخر شهر اكتوبر ١٩١٤م ، لتدخل (٣) الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى الى جانب دول الوسط وضد الحلفاء في السابع عشر من ذي الحجة ١٣٣٢هـ / الخامس من نوفمبر ١٩١٤م ، ولتبدأ بذلك مرحلة تاريخية (٤)

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٨٧-٢٨٨ .
 (٢) توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٦١٤-٦١٥ .
 (٣) مجلة المنار ، المجلد ١٧ ، ج ١٢ ، ص ٩٥٨-٩٥٩ ،
 محمد قاسم وأحمد نجيب هاشم : المرجع السابق ، ص ٢٦٠ .
 (٤) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص ١١٥ ،
 أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٩٠ .

جديدة عاشها المشرق العربى مع تلك الحرب المدمرة .
 لقد ترتب على دخول الدولة العثمانية للحرب اتساع
 جبهات القتال لما تمثله الدولة العثمانية من موقع جغرافى
 واستراتيجى فريد مما يحتم على دول الحلفاء أن تحارب فى
 جهات عدة غير ميادين الحرب فى أوروبا ، وكانت المشكلة^(١)
 الأساسية التى ستواجهها بريطانيا حينئذ هى الدفاع عن
 مصالحها الاستراتيجية فى المشرق العربى بوجه عام والخليج
 العربى والجزيرة العربية بوجه خاص ، التى تعتبر قشرة^(٢)
 واقية لدرة التاج البريطانى - الهند - .

وكان الامام عبد العزيز آل سعود يعتبر أقوى حاكم فى
 الجزيرة العربية ، وزاد من أهميته الاستراتيجية تمكنه من
 ضم الاحساء والوصول الى سواحل الخليج الغربية ، لكن نشوب^(٣)
 الحرب العالمية الاولى ، ومحاولات بريطانيا لاستقطابه الى
 جانبها لم تغير من موقف ابن سعود فى التزام الحياد وايقاف
 أى نشاط سياسى أو عسكرى ضد الدولة العثمانية ، وبالتالى^(٤)
 الامتناع عن تقديم أى مساعدة لبريطانيا فى هذه الحرب ،
 وهذا الموقف كان على العكس تماما من موقف شيخ الكويت الذى
 آزر بريطانيا فى الحرب العالمية الاولى ضد الدولة
 العثمانية ، واتفق معها على القيام بالهجوم على بعض

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .
 (٢) قدرى قلعى : الخليج العربى ، ص ٤٨٦-٤٨٧ .
 (٣) مكى الطيب شبكية : العرب والسياسة البريطانية فى
 الحرب العالمية الاولى ، ص ٣٢ .
 تركى بن محمد بن سعود الكبير : المرجع السابق ، ص ٥ .
 (٤) عبد المنعم الغلامى : المرجع السابق ، ص ٢٩-٣٠ .

(١)
المواقع العثمانية فى الخليج ، وكذلك موقف شيخ المحمرة
الذى وقف نفس موقف شيخ الكويت الى جانب بريطانيا .
(٢)

وقد كان العراق يمثل أهمية سياسية وعسكرية واقتصادية
بالنسبة للموقف البريطانى فى الخليج العربى ، وهذا ما أشار
اليه رئيس الوزراء البريطانى اسكويث Asquith فى خطاب له
بمجلس العموم البريطانى ، حين قال : " أن الهدف من ارسال
قوة الى العراق هو ضمان حياد العرب وحماية مصالحنا فى
الخليج وحماية حقول النفط ، وعلى العموم المحافظة على
هيبة بريطانيا فى الشرق " ، وأصدرت القيادة البريطانية
أوامرها لقائد القوات المتمركزة فى البحرين بمباشرة
عملياتها الحربية ضد العثمانيين ، وزحفت تلك القوة على
الفور نحو الشمال واحتلت مدينة الفاو عند مصب شط العرب فى
الخليج ، فى الثامن عشر من ذى الحجة ١٣٣٢هـ/السادس من
نوفمبر ١٩١٤م ، واحتلت مدينة البصرة فى الخامس من محرم
١٣٣٣هـ/الثانى والعشرين من نوفمبر ١٩١٤م ، وهكذا هيمنت
بريطانيا على جنوب العراق ، لينتهى بها الامر فى أواخر
الحرب الى أخذ العراق من الدولة العثمانية ووضعه تحت
السيطرة الاستعمارية البريطانية ، مما شتت أقدام بريطانيا
(٦)

-
- (١) بدر الدين عباس الخصوصى : المرجع السابق ، هامش ١ ،
ص ١٠٥ ؛
(٢) حسن على الابراهيم : المرجع السابق ، ص ٦٦ .
(٣) مصطفى عبد القادر النجار : التاريخ السياسى لامارة
عربستان العربية ١٨٩٧-١٩٢٥م ، ص ١٢٩ .
(٤) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ٢٦١ .
(٥) خالد حمود السعدون : المرجع السابق ، ص ٣٦٠-٣٦١ .
(٦) محمد بن خليفة النبهانى : المرجع السابق ، ص ٣٤٤ ؛
زكى صالح : المرجع السابق ، ص ٩٥ .
محمد شفيق غربال : المرجع السابق ، ص ٢٣ .

فى رأس الخليج العربى ، الذى تحول الى بحيرة بريطانية من شماله الى جنوبه ، ولتصبح الكلمة فى شئون الخليج العربى هى كلمة بريطانيا العظمى .

أما المكتب العربى "البريطانى" فى القاهرة ، فقد لعب دوراً بارزاً لاستقطاب الشريف حسين فى الحجاز الى جانب الحكومة البريطانية فى هذه الحرب ضد الدولة العثمانية ، ووجد كل من الطرفين ضالته لدى الطرف الآخر ، فبريطانيا تتلطف للتحالف مع الحسين لتأمين عدم تأثر العرب بالدعوة الى الجهاد التى أعلنها السلطان العثمانى ، لأن المكانة الدينية لاقليم الحجاز تعطى للشريف حسين ثقلأ كبيراً فى مواقفهم من تلك الحرب ، بينما كان الحسين يتطلع الى زعامة العرب واقامة خلافة عربية تحل محل الخلافة العثمانية ، ولعل (١) قصر النظرة السياسية التى سادت حين ذاك هى التى دفعت العرب بزعامة الحسين الى القيام بما سُمي الثورة العربية ، التى قَدِّمَتْ لبريطانيا وحلفائها مالم تكن تتوقعه ، وبالتالي رجحت كفتها فى تلك الحرب لأنها قدمت لها دعماً سياسياً ومعنوياً اضافة الى الدعم العسكرى على جبهات القتال ، لأن السياسة البريطانية كانت تدرك أن مهاجمة الدولة العثمانية عن طريق رعاياها العرب سيحقق لها هدفين هاميين هما : تحطيم الوحدة العثمانية ، فيسهل بالتالى انهيار الدولة العثمانية من الداخل ، وخلق ظروف حرب أهلية داخل الدولة تجبر الحكومة العثمانية على توجيه قواتها العسكرية لاييقاف

(١) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ٢٦٥-٢٨٣ .

هذه الحرب الداخلية ، مما يسهل على الحلفاء هزيمة الدولة
فى جبهات القتال الأخرى ، وهذا بطبيعة الحال هو ما حققته
تلك الثورة التى سميت بالثورة العربية .^(١)

وقامت بريطانيا باحتلال الحديد لتضمن سيطرتها على
ميناء عدن الاستراتيجى ، ثم قامت بتسليمها للادريسي بصفته
أحد أتباعها على أن يبقى تحت الحماية البريطانية ، وأمدته
بكميات كبيرة من الأسلحة والمال ، وألقت على عاتقه مهمة
حفظ الموانئ اليمنية لمصلحة بريطانيا طيلة أيام الحرب ،^(٢)
بينما بقى الامام يحيى فى موقف الحياد ، المصوب بشئ من
الميل الحذر للحكومة العثمانية ، وهذا الموقف ساعده على
أن يعلن استقلاله باليمن بعد انتهاء الحرب مباشرة .^(٣)

لقد أوقفت الحرب العالمية الأولى كل أنشطة الحركة
العربية التى كان يعج بها الشرق العربى العثمانى ، وقام
زعماء الإصلاح العرب المطالبين باللامركزية فى الولايات
العربية بالكف عن جميع مطالبهم الإصلاحية ، لأنهم يدركون أن
مصلحة دولة الخلافة العامة فوق أى اعتبار ، واندفع أبناء
العرب لخدمة الجيش العثمانى فى جميع جبهات القتال ،
وأوقفت الأحزاب السياسية ، وتركزت الاختلافات الداخلية وظهر
التوجه لخدمة الدولة والاخلاص لها فى هذه الحرب ، وأصدر^(٤)

-
- (١) خيرية قاسمية : المرجع السابق ، ص ٢٥ .
(٢) أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ من القرن
الرابع عشر قبل الميلاد الى القرن العشرين ... ،
ص ٢٨٠-٢٨١ .
(٣) سيد مصطفى سالم : المرجع السابق ، ص ٢٣٢ ؛
عبد الكريم محمود غرايبه : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .
(٤) محمد كرد على : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٣٢ ؛
توفيق على برو : المرجع السابق ، ص ٦١٠ .

عزيز على المصري تحذيراً لأعضاء جمعية العهد السرية كي لا يقوموا بأي عمل عدائي ضد الدولة العثمانية ، لأن دخول الدولة للحرب سيعرض الولايات العربية للغزو الاجنبي ، لذا عليهم الوقوف بجانبها الى أن يحملوا على ضمانات تحميهم من المآرب الأوروبية .^(١)

وأرسل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاسلامية فى مصر ، واحد الاعضاء البارزين فى حزب اللامركزية الادارية العثمانى ، خطاباً الى مسلمى سوريا قال فيه : "... ثم أشكر لكم ماظهرتموه من النجدة والهمة فى الاخلاص والطاعة للدولة وبذل الانفس والاموال والشمرات لها ، والكف عن طلب الاصلاح منها ، وتقديركم الحال الحاضرة حق قدرها حتى أنكم ساهتم فى هذا أرقى أمم الأرض التى سكنت عن جميع مطالبها ومنازعاتها الداخلية ... " ، أما الضابط العربى فى الجيش العثمانى سليم الجزائرى فقد قال : "على هذه الحرب يتوقف كيان الدولة ، ومصير الشرق الأدنى ، وسيكون اتحاد العرب قلباً وقالباً مع اخوانهم الترك فى هذا الحين العصيب ، أكبر ضمان للمستقبل المجيد الذى ينتظرنا ، والذى هو مكفول لنا باخلاص كل فرد منا ، وتفانيه فى سبيل الوطن المشترك " .^(٢)

لكن الآراء عند العرب لم تكن مستقرة ، والموقف لا يحتمل أكثر مما تغيشه المنطقة ، والاطروحات السياسية عند دعاة الاصلاح العرب متعددة ، فمنها ما هو ذو نزعة عثمانية تتمحور

(1) Kirk, op.cit, pp.124-125

جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ٢٤٠-٢٤١ .
(٢) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٩٧ .
(٣) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، هامش ١ ، ص ٢٧٣ .

حول اللامركزية الادارية ، ومنها ماهو ذو نزعة استقلالية تحاول أن تعبر عن ذاتها القومية فى ظل الصراع الدولى الذى أوجدته الحرب العالمية الاولى ، وهو ما تمثل فى قرار اللجنة العليا لجمعية العربية الفتاة الذى يقول : "نتيجة لاشتراك تركية فى الحرب أصبح مصير الولايات العربية فى الدولة العثمانية معرضاً لمخاطر شديدة ، ويجب بذل جميع الجهود لضمان حريتها واستقلالها ، كما تقرر أنه اذا تحقق أن للدول الأوروبية مطامع فى هذه البلاد فان الجمعية ملزمة بأن تعمل الى جانب تركية كى تقاوم التدخل الأجنبى مهما تكن صورته " (١) .

ولم تبق الأحوال فى المشرق العربى العثمانى على ماكان متوقعا ، رغم أن الحركة العربية توقفت بسبب قيام الحرب العالمية الاولى عند حد يمكن القول عنه أنه مفترق الطرق لتلك الحركة ، التى بدأ الحلفاء يسعون حثيثاً لاستقطابها ، وتحقيق لهم الهدف المنشود عندما أصبح تيار القومية العربية الصرفه هو المسيطر على اتجاه تلك الحركة التى انتهت بما سُمِّيَ الثورة العربية ضد الدولة العثمانية ، وانحيازها الكامل ضد أعداء الدولة العثمانية ، الذين وعدوا الحسين بدولة عربية فى المشرق ، ووعدوا الصهيونيين بوطن قومى لليهود فى فلسطين ، لكن بريطانيا التى كانت قد أعلنت الحماية على مصر فى الأول من صفر ١٣٣٣هـ / الثامن عشر من ديسمبر ١٩١٤م ، لم تف بوعودها للعرب ، بل اقتسمت مع فرنسا

(١) جورج انطونيوس : المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .
 (٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٩٢ .
 (٣) عبد الكريم رافق : المرجع السابق ، ص ٥٠٩-٥١٠ .
 ، ابراهيم خليل أحمد : المرجع السابق ، ص ٣٣٤ .

الولايات العربية التى سلخت من الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الاولى ، حيث وضعت العراق تحت الانتداب البريطانى وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى ، بينما وضعت الاردن وفلسطين تحت الانتداب البريطانى .^(١)

ويعتبر نظام الانتداب هذا حلاً بارعاً أخذت به الدول الاستعمارية المنتصرة فى الحرب ، وهو بدون شك استعمار جديد باسم جديد ، تمت صياغته فى المجلس الاعلى للحلفاء الذى عقد فى سان ريمو San Remo ، فى الفترة من ١ - ٧ شعبان ١٣٣٨هـ / ١٩ - ٢٥ ابريل ١٩٢٠م ، الذى حول اتفاقية سيكس - بيكو Sykes - Picot ، الموقعة بين بريطانيا وفرنسا فى ١٤ رجب ١٣٣٤هـ / ١٦ مايو ١٩١٦م الى نظام للانتداب الاستعمارى ، يقول السير آرنولد ويلسون فى رسالة بعثها الى حكومة الهند فى ١٠ ديسمبر ١٩١٨م : "وقد استطعنا باحتلال العراق أن ندق أسفينا فى العالم الاسلامى ، وبذلك منعنا تجمع المسلمين ضدنا فى الشرق الاوسط ويجب أن تكون سياستنا بعد الحرب قائمة على الاحتفاظ ببلاد العراق وعدم ادماجها سياسياً فى أى من بلاد العالم العربى أو العالم الاسلامى"^(٢) .

هكذا اذاً خرجت البلاد العربية عن الحكم العثمانى الاسلامى ، وتمزقت الجامعة الاسلامية ، وأصبحت البلاد العربية تشكل كيانات سياسية متفرقة ، وكأنها كانت على موعد مع

(١) أحمد ممطفى أبو حاكمه : المرجع السابق ، ص ٣٣٢ .

(٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ... ، ص ١٤٠ .

(٣) محمود صالح منسى : المرجع السابق ، ص ٣٩٩-٤٠٠ .

الحرب العالمية الأولى ، لتغير خريطةها السياسية ، وتجعلها
موزعة القوى بين القوى الأوروبية ، ولم يشذ عن تلك القاعدة
إلا الدولة السعودية التي أقامها الامام عبد العزيز آل سعود
وأوجد لها كياناً قوياً ذا عقيدة راسخة وأهداف بارزة ،
بعيدة عن التيارات والأطماع الدولية المتصارعة .

الخاتمة والنتائج

الخاتمة و النتائج

تعتبر الخاتمة والنتائج التى ينتهى بها البحث العلمى مقياساً دقيقاً لمكانة ذلك البحث ،وتعبيراً عن أصالته وجدته وماحققه من اضافات جديدة وجيدة للمسيرة العلمية التى يندرج تحت مظلتها ، والمدرسة التاريخية الحديثة التى ننهج منهاجها ترى أن أهمية البحث تنفؤى فى خاتمته ونتائجه ، وهى حقيقة علمية سار عليها كثير من رواد التاريخ الحديث فى العالم العربى والاسلامى ، وتحقق ذلك عندى فى هذا البحث الذى يتحدث عن فترة من الفترات الحاسمة فى تاريخ المشرق العربى ، رغم أن المدى الزمنى لها لايتجاوز الثلاث سنوات ، الا أنها مليئة بالقضايا الفكرية والمشكلات السياسية التى أثرت على المسيرة التاريخية فى المنطقة قبيل قيام الحرب العالمية الاولى .

إن الحركة العربية التى عاشها المشرق العربى العثمانى فى الفترة الزمنية لهذا البحث تمثل واحدة من هذه القضايا الفكرية التى تحتاج الى شىء من المعالجة التاريخية التى تركز على المنهج التاريخى الصحيح ، لأن تلك الحركة تبلورت بصورة واضحة مع وبعد حروب البلقان التى قامت ضد الدولة العثمانية ، ومن منطلقات فكرية أثرت فى المشرق العربى بصورة لم تكن متوقعة ، فالقومية التى كانت منطلقاً للحرب البلقانية ، وجمعت الشعوب البلقانية حولها ضد العثمانيين ، كانت تمثل الحركة التى تسلطت على الفكر السياسى فى أوربا طوال القرن التاسع عشر الميلادى ، وفى

نمفه الثانى بوجه خاص ، والتي باتت تمثل حلاً حتمياً لأوروبا للخروج من أزماتها الناتجة عن الخلافات بين الخريطة السياسية الطبيعية وبين التنظيمات السياسية فى تلك الدول وقد أصابت العدوى الشعوب الشرقية بمبدأ القومية الذى لم تكن تعرفه من قبل ، فبينما كان الاقطاع هو الحل الحتمى للمشكلات الأوروبية فى العصور الوسطى أصبحت القومية والعلمانية هى الحل الحتمى لأوروبا فى العصور الحديثة ، بينما أخذ البعض فى الشرق الإسلامى بالقومية والعلمانية تقليداً لأوروبا ، ويندرج ذلك تحت مظلة الغزو الفكرى الذى لجأت اليه أوروبا لإذابة الحد الفاصل فى العالم الإسلامى ، وهو الدين الإسلامى ، الذى كان يُمثل ذلك الحد بين المسلمين وغير المسلمين ، وأوروبا لم تستطع عسكرياً أن تتمدى للقوة الإسلامية المتمثلة فى الدولة العثمانية التى كرست جهودها منذ تأسيسها لرفع راية الإسلام وحمايته ضد أى اعتداء خارجى سيما الخطر القادم من الغرب المسيحى ، فالحل الذى استنتجته أوروبا هو الغزو الفكرى ، لا العسكرى ، والعلمانية والقومية جزء من ذلك الغزو ، يقول أحد المؤرخين الغربيين : "... فادخال هرطقة القومية العلمانية أو عبادة الذات الجماعية كان أرسخ المظالم التى أوقعها الغرب على الشرق الأوسط" (٢)

وقد كان للسلفيين من العلماء المسلمين موقف واضح تجاه القومية المجردة ، التى تتعارض مع الروح الإسلامية

(١) هـ.ج. ولز : معالم تاريخ الانسانية ، المجلد ٤ ، ص ١٣١٩-١٣٢١ .

(٢) برنارد لويس : الغرب والشرق الأوسط ، ص ٩٣ .

المحيحة حيث يرون أن من الظلم إيجاد مقارنة بين الإسلام وبين القومية العربية ، التي لا تملك من المزايا ما يجعلها في صف الإسلام ، ومحاولة مثل هذه تعتبر هُفْمٌ للإسلام وتَنَكُّرٌ لمبادئه السمحة وتعاليمه الرشيدة ، ولأن الإسلام وحده هو الذى يخلّد العروبة لغةً وأدباً وخلقاً ، والتَنَكُّرُ له معناه القفاء على العروبة نفسها فى لغتها وأدبها وأخلاقياتها .^(١)

ورغم أن الولاء العربى قبل الإسلام كان قبلياً صرفاً ، إلا أن الإسلام انتزع هذه العممية الفيقة وغيرها من تلك العمميات العرقية والجغرافية ، وهذا ما جعل العرب المسلمين يفخرون بعظمة الدولة العثمانية طوال تاريخها ، وينظرون لها نظرة تقدير واحترام باعتبارها دولة الخلافة الإسلامية ، وحين ظهرت مبادئ القومية والعلمانية فى المشرق العربى أصبح المسيحيون العرب يجاهرون بعدائهم للدولة العثمانية التى لا تربطهم بها صلة دينية أو قومية ، ويتجهون الى المدارس الأجنبية التى كانت تبعدهم عن التاريخ العربى والعثمانى ، لأنه تاريخ اسلامى يمثل عظمة المسلمين وهو ما يتنافى مع المبادئ الجديدة التى تدعمها المدارس الأجنبية ومن ورائها أوربا ونعنى بها - القومية والعلمانية - هكذا بدا الخوف من الدولة العثمانية يزول من نفوس أوربا ، وزادت الآمال الأوروبية فى تحقيق أهدافها الاستعمارية ، ولكن ما هو الدافع الى ذلك التحول التاريخى

(١) الشيخ عبد العزيز بن باز : نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع ، ص ٧٦، ٧٧ .
(٢) ممطفى الشهابى : القومية العربية - تاريخها وقوامها ومراميها - ص ٤٣ .

فى الموقف الأوروبى تجاه الدولة العثمانية وممتلكاتها
الأوربية والآسيوية على حد سواء ؟!

إن هزائم الدولة العثمانية فى الحروب التى كانت
تخوضها حينذاك لعبت دوراً فى إزالة الخوف من نفوس الأوربيين
ومؤيديهم ، وجعلت من أوربا عدواً يتربص بالدولة العثمانية
الدوائر ، كى تتحقق المطامع الاستعمارية التى تنشدها أوربا
فى ممتلكات تلك الدولة ، وحروب البلقان ومانتج عنها من
هزائم للدولة تمثل واحدة من تلك الأحداث التى أوجدت تحولاً
خطيراً فى تاريخ الدولة العثمانية ، خاصة فى المشرق العربى
الذى أصبح سكانه يمثلون الغالبية فى الدولة ، فى الوقت
الذى كانت الحركة العربية فى هذا الجزء من الدولة قد بلغت
مرحلة النضج السياسى ، وأصبح زعمائها يطالبون بالإصلاح
للولايات العربية بمودة علنية وعلى مختلف المستويات .

لقد تصاعد الغزو الأوروبى فى العالم العربى منذ القرن
التاسع عشر الميلادى ، وأخذ يزداد خطورة فى الفترة التى
سبقت فترة البحث حتى أصبح الوطن العربى داخل نطاق النفوذ
الاستعمارى عدا أجزاء من الجزيرة العربية والشام والعراق
التي تخضع للدولة العثمانية ، بيد أن الحالة السياسية فى
الدولة العثمانية كانت فى غاية الاضطراب فعمر السلطان
العثمانى عبد الحميد الثانى أصبح فى مراحل الأخيرة يتعرض
لفغط خارجى من مختلف القوى الأوربية التى تقرب من السلطان
عبد الحميد ، صاحب الاتجاه الإسلامى ، والذى كان يرى أن

الجامعة الإسلامية هي السياج الذي يمكن أن يحمي الدولة العثمانية من الأخطار المحيطة بها من كل جانب ، لأنه يدرك أن الدولة العثمانية التي تضم أجناساً متعددة ، ولغات وديانات مختلفة لن تستمر طويلاً إلا إذا تمسكت بالاسلام ، الذي أتاح لها التمدد لجميع مشكلاتها العرقية والعقائدية في عصرها الأول وجعل منها دولة قوية ذات وحدة واحدة .

وكادت جهود السلطان عبد الحميد الثاني وتوجهاته تحقق أهدافها وتمثل بالدولة التي بر الأمان ولكن الخلل الداخلي في الدولة وفي مؤسساتها العسكرية والسياسية زاد من اتساع الهوة التي يسعى السلطان الى اغلاقها ، لتكون إعادة الدستور - المشروعية الثانية - في ٢٥ جمادى الثانية ١٣٢٦هـ - ٢٤ يوليو ١٩٠٨م هي قاصمة الظهر التي أخرجت الدولة العثمانية عن نظمها الإسلامية وزادت من الاضطراب الفكري والسياسي داخل الدولة ، وهو جُلُّ ماتريده أوروبا ، التي أضحت مواقفها السياسية تجاه سياسة الدولة العثمانية ، تعرف بسياسة الرجل المريض ، الذي يُرادُّ له أن يَبْقَى مريضاً لا يتمتع بصحة جيدة كي لا يهدد من حوله ، ولا يموت فيحدث مشاكل في توزيع أملاكه لمن يرثونه ، والتي أصبحت تسمى سياسة التكامل الدولي تجاه الدولة ، وعدم اختلال ميزان القوى ، ورغم أن السلطان عبد الحميد حاول أن يتمدد لتلك الأخطار ويحمي الدولة منها ، إلا أنها كانت أكبر من أن يقف لها بمفرده ، وقد أدى ذلك الموقف الذي وقفه السلطان عبد الحميد تجاه

السياسة الأوربية ومن شايئها الى خلعه من السلطة واخراجه من عاصمة الدولة ، ومن ثم محاولة تشويه سيرته التاريخية والصاق مختلف التهم والافتراءات بشخصيته الذاتية ومنهجه السياسى .

بهذا الوضع الذى تعيشه الدولة العثمانية ، ومن الأخطار التى تهدد المشرق العربى العثمانى ، كان هناك رد فعل واضح لدى العرب تمثل فى اصلاح الولاياتالعربية التى تخضع للدولة العثمانية ، لكن هذا الاصلاح أخذ اتجاهات عدة ومعان مختلفة فالعرب المسلمون يرون أن الاصلاح يجب أن يتم داخل الاطار العام للدولة العثمانية ومنح نوع من الاستقلال الادارى للولايات العربية فى ظل دولة الخلافة ، على أن يحصل العرب على كامل الامتيازات والحقوق التى تمنح لسواهم من رعايا الدولة العثمانية ، بينما تطرف العرب المسيحيون كثيراً عن هذا الاتجاه ، وطالبوا بالاستقلال الكامل عن الدولة وبدأوا يتطلعون الى الدول الأوربية التى تربطهم معها رابطة الدين ، وهذا ماأتاح الفرصة مستقبلاً لتلك الدول كى تحقق أهدافها الاستعمارية فى المشرق العربى .

وقد أصبحت الدولة العثمانية حينذاك مسرحاً للأفكار والتيارات الدينية والسياسية التى أثرت على مجريات الأحداث التاريخية فى تلك الفترة ، اذ برزت جمعية الاتحاد والترقى كعنصر فعال فى الأحداث السياسية والمواقف الرسمية للحكومة العثمانية ، ثم بدأت مواقفها تتأثر بالاتجاه الى الطورانية العرقية التى أصبح دعايتها من ذوى النفوذ فى الدولة ، وظهرت لهم صحف ونواد وأحزاب سياسية معروفة ، لكن ذلك لم

يؤثر على الاتجاه السائد فى الدولة العثمانية الذى ينطلق من الاسلام كعقيدة ومنهج حياة ، لانه صالح لكل زمان ومكان ، والاسلام دين ودولة ، وعزة الدولة العثمانية وهيبتها كانت محفوظة بحفظها للاسلام ، وتحكيم شرائعه فى جميع شئونها وعلى مختلف شعوبها ، وهذا ماكان يراه ويذهب اليه أعضاء الاتحاد الاسلامى الذين يسعون الى مقاومة العلمانية فى الدولة العثمانية والابقاء على نظمها الاسلامية ، بيد أن تمكن الاتحاد والترقى واتجاههم الى الحركة الطورانية فتح المجال لانطلاق الحركة العلمانية فى الدولة ، واتاح الفرصة لظهور احزاب وجمعيات سياسية فى الدولة صبغت تلك المرحلة من مراحل الدولة العثمانية بما يمكن ان نسميه فترة اختلاط سياسى وعقائدى أثر سلبياً على كيان الدولة وتاريخها .

وكانت حرب طرابلس الغرب التى خاضتها الدولة العثمانية ضد ايطاليا والتى انتهت بمعاهدة لوزان الموقعة فى ٨ ذى القعدة ١٣٣٠هـ / ١٨ اكتوبر ١٩١٢م من اشد المراحل (١) ايلا ما فى تاريخ الدولة العثمانية ، اذ افرزت اثرين بالغين هما : تشجيع حكومات شبه جزيرة البلقان على حرب الدولة العثمانية التى افحت قوتها القتالية اعجز من ان تقف فى وجه تلك الحكومات ، سيما وهى لم تستطع ايقاف العدوان الايطالى ضد ولاياتها العربية فى طرابلس الغرب وبنغازى ، ثم كان الاثر الثانى لتلك الحرب اليأس الكبير الذى عم سائر الولايات العربية الاخرى ، التى بدأت تخشى من اى عدوان

(1) Muahede Name, Numarasi, 335. Osmanli, Arşivi Daire Başkanlığı .

أجنبى قد يهددها فى وقت أمبحت الدولة العثمانية عاجزة عن حماية ممتلكاتها ، لأن معاهدة لوزان والتنازل عن ولايتى طرابلس وبنغازى بهذه السهولة دليل على الضعف العسكرى والسياسى الذى تمر به الدولة العثمانية حينذاك ، وبعد أن تخلت الدول الأوروبية عن مساندتها سياسياً ، والتزمت بما أسمته سياسة الحياد تجاه الحرب الطرابلسية ، بينما هى فى واقع الأمر تقوم بدعم الحكومة الإيطالية ضد الدولة العثمانية ، ولكن بصورة غير معلنة ^(١) ، وكان لتلك الحرب آثار على الوضع السياسى داخل الحكومة العثمانية ذاتها حيث زادت حدة الصراعات بين الحزبين البارزين فى الدولة ، الاتحاد والترقى ، والحرية والائتلاف ، ليتسّم الأخير منهما سدة الحكم فى فترة حرجة جداً ، ويدخل فى مفاوضات معلنة مع الحكومة الإيطالية انتهت بمعاهدة لوزان سالفة الذكر .

وقد وقف العرب الى جانب الدولة العثمانية ودافعوا عن الخلافة الاسلامية فى تلك الحرب لأن ولاءهم للدولة لم تكن تشوبه شائبة ، فانهالت التبرعات المالية لمساعدة المجاهدين ، وتبرع الشباب العربى للذهاب الى ارض المعركة وكتب الامراء العرب فى الجزيرة العربية الى الباب العالى يبدون استعدادهم لمساندة الدولة العثمانية ضد العدوان الايطالى الفادر ، لتصبح هذه الحرب حرب جهاد اسلامى عربى كامل ضد العدوان الغربى الملبى ، ودب اليأس الى نفوس الايطاليين وكادت كفة الحرب أن تميل لصالح العرب والدولة

(1) Taylor, op.cit, p.474 .

العثمانية ، لكن مدى هذه الحرب فى ولايات الدولة العثمانية فى البلقان ، وانتهاز الحكومات البلقانية للنتائج العسكرية التى يحققها الايطاليون غير ميزان القوى على جبهات القتال وجعل الدولة توقع الملح مع ايطاليا وهذا ماأثر بطبيعة الحال على موقف العرب .

وكان مدى الحرب الطرابلسية فى ولايات الدولة العثمانية فى شبه جزيرة البلقان قوياً ومؤشراً ، ويكفى دليلاً على ذلك أن تلك الحرب انتهت فى البلقان ، فعند قيام تلك الحرب بدأ البلقانيون فى عقد المفاوضات السرية التى توصلوا فى نهايتها الى ابرام اتفاقيات هجومية دفاعية بينهم ضد الدولة العثمانية ، وكأنهم ينتظرون الفرصة المواتية مع حرب طرابلس ليعلنوا الحرب ضد الدولة من جانبهم ، وأدرك الساسة الاوربيون تلك التحركات التى تجرى فى البلقان ، وأدلوأ بنمائهم الى المسئولين العثمانيين كى يسارعوا الى توقيع معاهدة السلام مع ايطاليا لتساعد على تهدئة الأوضاع المضطربة فى البلقان ، واضطرت الحكومة العثمانية أن تتنازل عن كثير من شروطها مع الايطاليين لأن نُذِرُ الحرب فى البلقان باتت وشيكة ، بل هى واقعة بالفعل ، حيث أعلن قيام الحرب ضد الدولة العثمانية فى نفس اليوم الذى وقعت فيه المعاهدة مع ايطاليا ، مما يعنى أن الحكومات البلقانية تريد أن تحصل على أكبر قدر من الاستفادة من الحرب الطرابلسية ، فبقدر ماكانت حرب ايطاليا ضد الدولة العثمانية فى طرابلس الغرب مؤثرة على كيان الدولة ومكانتها السياسية والعسكرية ، الا ان مداها فى

ولايات البلقان وما أحدثته من ردة فعل أدت الى اعلان الحرب
فد الدولة من ولاياتها البلقانية كان أخطر على الدولة
العثمانية من الحرب الطرابلسية نفسها ، ونتائج تلك الحرب
تؤكد ذلك .

فى تلك المرحلة من مراحل الدولة التاريخية ظهر مبدأ
اللامركزية الادارية ، وهو اتجاه سياسى برز على مسرح الأحداث
منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، وأخذ دعاة الإصلاح
العرب بهذا الاتجاه حين أسسوا حزب اللامركزية الادارية
العثمانى فى مصر فى شهر محرم ١٣٣١هـ / أواخر ديسمبر ١٩١٢م ،
وأقاموا له عدة فروع فى البلدان العربية ، ويهدف الحزب
الى معارضة المركزية التى تسير عليها الحكومة العثمانية
لأنها تعتبر سبباً رئيساً فى الإهمال والفياع الذى تتعرض له
ولايات الدولة العربية ، وآخرها ولايتى طرابلس الغرب
وبنغازى ، وقد برزت اسم المسحيين العرب فى هذا الحزب
وأصبح صوتهم مؤثراً ومسموعاً ، وهذا ما أخرج الحزب فيما بعد
عن أهدافه المحددة التى تتجه الى الإصلاح فى الولايات
العربية على قاعدة اللامركزية ، وكان حزب الحرية والائتلاف
الذى تسلم السلطة من الاتحاد والترقى فى شهر رجب ١٣٣٠هـ /
يوليو ١٩١٢م يدعم التوجهات التى ينشدها العرب ، لأن
المبادئ السياسية التى ينطلق منها الحزبان متقاربة وتهدف
فى مجملها الى اللامركزية الادارية ، وقد وضع حزب اللامركزية
الادارية العثمانى برنامجاً فى ست عشرة مادة ، وشكل له هيئة
ادارية وتنفيذية ، وأعلن بياناً شاملاً عن أهدافه وتوجهاته
التي تتطلع الى المحافظة على البلاد العربية والولايات

العثمانية من أى عدوان أجنبى يريد أن يستفيد من حالة الدولة القائمة التى لا تمكّنها من الدفاع عن ممتلكاتها البعيدة عن مركز الدولة ، وكان الاتجاه العام والرسمى فى الحكومة العثمانية يحدد هذه التوجهات الحزبية التى تخدم فى مجملها الدولة العثمانية وتساعد ولاياتها البعيدة على النهوض والمشاركة الفعالة للحكومة المركزية ، الا أن عودة الاتحاد والترقى الى الحكم فى ١٥ صفر ١٣٣١هـ / ٢٣ يناير ١٩١٣م حال دون نجاح تلك التوجهات التى تمثل الاصلاح الحقيقى الذى كان يطالب به العرب ، وهو اصلاح الولايات العربية على قاعدة اللامركزية فى ظل خلافة الدولة الاسلامية ، وفى هذا تأكيد على أن الحرب الطرابلسية ، لم تقطع الرابطة بين العرب والدولة العثمانية بل زادت بها متانة وجعلت المحاولات الاصلاحية عند العرب تخرج على أرض الواقع وتطالب باصلاح الدولة وولاياتها العربية كى تتمكن من رد العدوان الأجنبى الذى بات يهددها . ولقد وقفت الدول الأوروبية خلف الشعوب البلقانية ودعمت حكوماتها دعما غير محدود حيث اصبح النشاط الأوروبى ضد الدولة العثمانية فى ولاياتها البلقانية هو الدافع الاول والمحرك الاساسى لاتحاد البلقانيين وتحالفهم ، وقامت روسيا بدور فعال فى توحيد البلقانيين ، حيث قبل القيصر بدور الحَكَم فى أى نزاع يحدث بين البلقانيين عند تقسيم الغنائم التى يتطلعون للحصول عليها من ممتلكات الدولة العثمانية ،^(١) وهذا الموقف يوحى بتغيير السياسة الأوروبية التى كانت تنطلق

(١) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية "القرن التاسع عشر ١٨١٥-١٩١٤م" ، ص ٦٦٣-٦٦٤ .

من تكامل الدولة العثمانية والمحافظة على ممتلكاتها في أوروبا ، والذي تبلور وظهر بصورة واضحة بعد هزائم الدولة في حروب البلقان ، حين صرح رئيس الوزراء البريطاني المستر اسكويث في التاسع من نوفمبر سنة ١٩١٢ م : " ان خريطة أوروبا يجب أن تُعدّل ويجب أن لانسرق شمار الانتصار من البلقانيين " ^(١) ، فالحكومات البلقانية التي انتهزت فرصة الحرب الطرابلسية لتوسيع حدودها على حساب أراضي الدولة العثمانية وجدت دعماً ومساندة من الدول الأوروبية ، فالتحالف البلقاني تم تحت رعاية روسيا ، والبريطانيون يؤيدون البلقانيين ويطلبون من الدولة العثمانية اجراء الاملاحات التي تطالب بها الحكومات البلقانية ، أما رئيس وزراء فرنسا ريمون بوانكاريه فقد ابدى اعجابه الكامل بالتحالف البلقاني ، بينما دعمت حكومته البلقانيين بالسلاح والمدربين ، وقامت الحكومة الايطالية بتقديم الدعم والمساعدة للحركات البلقانية في البانيا والجبل الأسود ، ومع نشوب الحرب البلقانية اعلنت أوروبا أنها لن تسمح بأي تغيير في أراضي البلقان ، خوفاً من أن تكون الكفة الراجحة للدولة العثمانية ^(٢) ، ولكن انتصار البلقانيين كشف السياسة الأوروبية على حقيقتها حيث تخلت عن ماسبق أن التزمت به وأعلنته للطرفين المتحاربين ، وبدأت نظرية البلقان للبلقانيين هي الفكرة المسيطرة على اذهان الساسة الأوروبيين .

ورغم أن الحرب البلقانية الثانية كانت بين البلقانيين أنفسهم لاختلافهم على طريقة تقسيم الغنائم التي كسبوها من الدولة العثمانية ، إلا أن نشاط الدول الأوروبية ضد

(1) Miller : op.cit, p.504 .

(2) F.O.424/250, Annual, Report, 1912. No.315, G.Lowther to E.Grey, 17.4.1913. p.15 .

الدولة لم ينته ، وحاولت أوروبا أن تفرض بنود الصلح التى تمت فى حرب البلقان الأولى على جانب واحد وهو الدولة العثمانية ، أما البلقانيون الذين أشعلوا نار الحرب الثانية فقد غَفَّتْ الطرف عنهم ولم تلزمهم ببند ذلك الصلح ، مما يؤكد أن شورات البلقانيين وحروبهم ضد الدولة العثمانية كانت تنطلق فى المقام الأول من الدعم الأوروبى الذى حول تلك الحرب الى حرب صليبية ضد المسلمين ، ارتكبت فيها مجازر بشرية لم تعرفها الحروب الحديثة حتى بات من الصعب على المؤرخين والمحللين تحديد عدد القتلى من المسلمين العثمانيين فى تلك الحروب .^(١)

قامت حرب البلقان الأولى بين الدولة العثمانية والحكومات البلقانية - بلغاريا ، والصرب ، واليونان ، والجبل الأسود ، ذلك الاتحاد البلقانى الذى تكونت نواته الأولى فى مجلس النواب العثمانى ، حين بدأ النواب اليونانيون والبلغاريون والصربيون يطالبون بالاملاحات الادارية على قاعدة اللامركزية فى شبه جزيرة البلقان ، بيد أن الأمر تطور ليسارع البلقانيون الى اغتنام فرصة الحرب الطرابلسية كما أسلفنا ، وتعلن الجبل الأسود الحرب على الدولة العثمانية فى السابع والعشرين من شوال سنة ١٣٣٠هـ/ الثامن من اكتوبر ١٩١٢م ، وبعد عشرة أيام من ذلك التاريخ دخلت اليونان والصرب وبلغاريا الحرب الى جانب الجبل الأسود وكانت نتائج هذه الحرب على الدولة العثمانية خطيرة جداً ،

(1) Bilâl .N.Şimşir : The Turkish Presence in Bulgaria pp.39-58 .

اذ انها اقتطعت اجزاء كبيرة وغالية من ممتلكاتها فى اوربا
ووصل التهديد الى العاصمة استانبول التى بدأ الساسة
الأوربيون يتباحثون حول تدويلها وحمايتها بشريط ضيق على
جانبى البوغاز ، لكى لاتصل آثار الحرب تلك الى الاضرار
بالتوازن الأوربى فى املاك الدولة العثمانية ^(١) .

وقد قفت حرب البلقان على الاتجاه الى العثمنة أى
عدم الانغمال عن الدولة ، ودفعت دعاة الطورانية العرقية
داخل الدولة الى التشدد بدعوتهم مما زاد من تفجر الروح
القومية التركية داخل الدولة ، فى الوقت الذى اتجهت
فيه الحكومة العثمانية الى ممتلكاتها فى آسيا وخاصة فى
المشرق العربى لأنها فقدت اجزاء عزيزة فى اوربا ، أثرت على
بنية الدولة وجعلت من المشرق العربى اكثريّة ذات اهمية
خاصة للدولة فى تلك الفترة الحرجة من تاريخها ، التى
اصبحت فيها منهكة القوى ، ومشتتة وضعيفة ، لأن القوميات
البلقانية نخرت جسمها ، واكتملت بنيتها فى تلك الحرب التى
خسرتها الدولة ، والحكومة الاتحادية التى ورثت هذا العبء
الثقيل لاتملك من الفكر السياسى الواضح ما يخرجها من تلك
المعاب ، وكان دعاة الطورانية أرادوا العودة بالدولة الى
مايعرف فى التاريخ بحركة الدوران الى ما قبل العصر حين
اتجهوا الى العصر الطورانى .

وحين حاولت حكومة الاتحاد والترقى بعد هزائهما فى حرب
البلقان ان تقبض على بقايا الدولة العثمانية فى المشرق

(1) F.O.424/235, No.577, letter, No.288, from Sir,
E.Grey to Sir E.Goschen, dated 20.11.1912. p.257 .

العربى ، أصبحت سياستها غير متزنة ، وكثرت أخطاءها ، وكثر التشدد والتشتت فى الدولة ، وظهر التمزق فى الأفكار والأشخاص ، واختلفت الرغبات ، وبدأت ملامح التدخل الأجنبى تظهر على ساحة الأحداث فى المشرق العربى العثمانى .

وبما أن الدول الأوروبية كانت تدعم الحكومات البلقانية فى حربها ضد الدولة العثمانية ، فما هو موقف المشرق العربى العثمانى تجاه دولة الخلافة ؟!

الشاعر العربى الكبير أحمد شوقى أثبت إخلاص العرب للدولة العثمانية ، التى هى دولة الخلافة الإسلامية ونعى الأقاليم العثمانية فى أوروبا التى سقطت فى أيدي الحكومات البلقانية ، مشبها الموقف بماحدث فى الأندلس ، ذلك الفردوس الإسلامى المفقود ، حين قال :

يا أخت أندلس عليك سلام

هوت الخلافة عنك والإسلام

نزل الهلال عن السماء فليتها

طويت وعمّ العالمين ظلام

مقدونيا - والمسلمون عشيرة

كيف الخولة فيك والأعمام

أترينهم هانوا وكان بعزمهم

وعلوهم يتخايل الإسلام

بالامس - أفريقيا - تولت وانقضى^(١)

مُلكٌ على جيد الخضم جسام

كانت من الغرب البقية فانقضت

(٢)

فعلى بنى عثمان فيه سلام!

(١) يقصد بذلك - ولايتى طرابلس الغرب وبنغازى التى احتلتها ايطاليا فى حربها الاخيرة ضد الدولة العثمانية.

(٢) أحمد شوقى : الشوقيات ، ج ١ ، ص ٢٣٠-٢٣٣ .

أما رجال الإصلاح العرب فلم يتخلوا عن عثمانيتهم وولائهم للدولة العثمانية ، بيد أنهم زادوا فى مطالبتهم بإصلاح الولايات العربية على قاعدة اللامركزية ، التى يرون أنها أصلح نهج سياسى يمكن للدولة أن تسير عليه ، وهو كفيل بدعم الولايات العربية كى تتمدى للخطر الأجنبى الذى بدأ يهددها فى ظل ضعف الدولة العسكرى الذى ظهرت ملامحه بعد هزائهما فى حروب البلقان ، واللامركزية التى أصبحت ظاهرة فكرية وسياسية فى الدولة العثمانية ، يرى العرب أنها ستحافظ على سلامة الدولة فى المشرق العربى بعد انتهاء دورها التاريخى فى ولاياتها الأوربية بعد هزائهما فى حرب البلقان وفى الوقت ذاته لم يتخل العرب عن مساعدة الدولة عندما كانت تخوض حروب البلقان ، حيث شاركوا فى جبهات القتال وسارعوا بجمع التبرعات المالية لمساعدة الدولة .

وقد نزع بعض المسيحيين العرب الى طلب المساعدة من الدول الأوربية ، لأن اتجاهاتهم السياسية كانت لاتحيز التعاون مع الدولة العثمانية لاختلافهم معها عقائديا مما جعلهم يتجهون لتلك الدول التى تجمعهم معها العقيدة المسيحية التى يدينون بها ، لدرجة أن القنصلية الفرنسية فى بيروت استقطبت لها عملاء منهم يزودونها بالأخبار والأعمال التى تدور على الساحة العربية حينذاك ^(١) ، لكن رجال الإصلاح العرب يساندون بعض المفكرين العثمانيين فى عاصمة الدولة كانوا يؤكدون على الأخذ باللامركزية الإدارية التى تحفظ

(١) وجيه كوشرانى : السلطة والمجتمع والعمل السياسى من تاريخ الولاية العثمانية فى بلاد الشام ، هامش ٨٥ ص ١٨٤ .

ممتلكات الدولة العثمانية فى المشرق العربى ، ولأن رجال الإصلاح العرب المطالبين باللامركزية الادارية لا يرغبون البتة فى الانفصال عن الدولة العثمانية ، أو الدعوة الى اتجاه سياسى يضعف كيان الدولة ويؤدى الى تفكك اجزائها ، فقد اكدت الحكومة العثمانية أنها لم تكن تمنع فى نظام اللامركزية كى يُعطى للولايات العربية لأنها تدرك ولاء العرب وارتباطهم بالدولة ، ولكنها سعت الى تأخير ذلك النظام نظراً للاوضاع التى كانت سائدة فى شبه جزيرة البلقان والتى كانت توحى بمحاولات البلقانيين فى الحصول على اللامركزية كى يسهل لهم الانفصال عن الدولة ، أما وقد انتهت حروب البلقان علاقة البلقانيين بالدولة ، وتم انفصالهم عنها ، فان الحكومة العثمانية ستحقق للعرب مصالحهم ، وسترعى حقوقهم وتمنح لهم الإصلاح المطلوب على قاعدة اللامركزية ، لأن الاخوة فى ذلك هم رائدتهم والثقة فيما بينهم لا يرقى اليها الشك ، وفى هذا كله تأكيد على أن مطالبة العرب باللامركزية تهدف فى غايتها الى المحافظة على الدولة العثمانية فى المشرق العربى ، ودعم الولايات العربية لمواجهة الخطر الاجنبى الذى بدأ يتهدها بعد هزائم الدولة فى البلقان .

واتجهت الحكومة العثمانية الى الإصلاح فى الولايات العربية التى غدت أكثرية فى الدولة وغيّرت البنية السياسية والاجتماعية فيها ، لذا كان تاثر الدولة العثمانية بالحرب البلقانية الثانية بسيطاً لأن اهتمامها بالمشرق العربى أصبح يتفوق على اهتمامها بالاراضى الاوربية ، رغم أنها استفادت من تلك الحرب حين استعادت مدينة ادرنة ذات الاهمية السياسية للدولة ، لكن ثقل الدولة واهميتها أصبحت فى

المشرق العربى ، وأصبح العرب يشكلون أكثرية فعالة ومؤثرة فى تكوين الدولة ، وبالتالى أصبحت مطالب العرب للإصلاح والمشاركة فى شئون الدولة تزداد وضوحاً ، حين بدأ البعض يطالب بتحول الدولة العثمانية الى دولة ثنائية "تركية - عربية" على غرار دولة النمسا - المجر ، كى تتم المحافظة على كيان الدولة فى المشرق العربى ويمنح الإصلاح على قاعدة اللامركزية للولايات العربية هناك .

وحين أدى اهتزاز الدولة العثمانية فى شبه جزيرة البلقان الى اهتزازها فى المشرق العربى ، ظهرت ردود الفعل المباشرة لحروب البلقان لدى العرب فى مظاهر عدة أبرزها جمعية بيروت الإصلاحية التى وضعت لها لائحة اصلاحية تنطلق من مبدأ اللامركزية الادارية التى هى محور المطالب العربية ، وجمعية العربية الفتاة ونشاطها السياسى فى باريس الذى تمخض عنه المؤتمر العربى الأول فى باريس ، وحركة البصرة الإصلاحية جميعها تعتبر من ردود الفعل المباشرة لحروب البلقان فى المشرق العربى العثمانى ، لتكوّن مجتمعة فى نهاية الامر عاملاً من عوامل التمزق الداخلى فى الدولة العثمانية .

لقد وضعت جمعية بيروت الإصلاحية لائحتهما الإصلاحية فى خمس عشرة مادة ، ومادة أساسية أكدت فيها أن الحكومة العثمانية حكومة دستورية نيابية ، وطالبت فى مواد تلك اللائحة بمنح الإصلاحات اللازمة للولاية على قاعدة اللامركزية وقلّت من صلاحيات الوالى العثمانى ، وأعطت صلاحيات أوسع للمجلس العمومى فى الولاية ، كما طالبت بتعيين مستشارين وخبراء

أجانب ، بيد أن ذلك البرنامج لم يتحقق له النجاح ، حيث أغلق الوالى العثمانى الجمعية ومنعها من مزاولة عملها ، مما زاد فى توسيع شقة الخلاف بين العرب ، والحكومة العثمانية ، ومما زاد فى أهمية تلك الجمعية وتأثيرها فى الحركة العربية أن برنامجها الاصلاحى يشبه الى حد كبير برنامج حزب اللامركزية الادارية العثمانى فى القاهرة ، مما أحدث ردة فعل قوية لدى العرب حين أغلقت الجمعية ورفضت مطالبها ، غير أن اتجاهات هذه الجمعية تأثرت سلبا بتلك الاتصالات السرية التى تمت بين بعض أعضائها المسيحيين والقنصلية الفرنسية فى بيروت ، والتى طلبوا فيها تدخل فرنسا لحماية المسيحيين العثمانيين ، وهواتجاه بطبيعة الحال لايرضاه زملاؤهم العرب المسلمون ، الذين يسعون الى المحافظة على ولاياتهم من التدخل الأجنبى ، ولكن الاختلاف بين الحكومة العثمانية وأعضاء الجمعية زاد فى الاتساع عندما رفض الصدر الأعظم العثمانى المطالب العربية التى تضمنتها اللائحة ، وشارك حزب اللامركزية الادارية العثمانى أعضاء الجمعية وأرسل برقية الى الصدر الأعظم يحتج فيها على منع جمعية بيروت من مزاولة عملها ، وتحقيق مطالبها رغم أنها شديدة الولاء للدولة العثمانية ، وحريمة على سلامة ممتلكاتها من التدخل الأجنبى ، وبذلك أصبح موقف الحكومة العثمانية من جمعية بيروت الاصلاحية نافعا لها فى زيادة التأييد العربى وتأييد مطالبها الاصلاحية ، لكن وجود عملاء لفرنسا بين أعضاء الجمعية ، ومطالبة الجمعية بالمستشارين والمفتشين الأجانب ، أخرج الجمعية عن منعها الصحيح ، وأكد

أن هدف دعاة القومية العربية المتطرفة حينذاك هو ايجاد دولة علمانية ، يضعف الاسلام والمسلمون فيها ولا تقم لهم قائمة ، ويشجع الدول الاوربية على استعمار المشرق العربى بيسر وسهولة فى ظل المتغيرات السياسية والعقائدية التى تمر به ، وهذا الموقف مناقض تماماً لما حدث فى البلقان ، حيث كانت الاهداف والغايات التى تنشدها الشعوب والحكومات البلقانية واحدة ، بينما كان العرب فى تشتت واضح فى مواقفهم ومطالبهم واتجاهاتهم ، لان الانطلاق من القومية العرقية لن ينفع المشرق الاسلامى ، وتحقيق الاهداف العربية وفق منظور اسلامى لا يرغبه دعاة القومية العربية المرفقة ، وهذا الموقف يؤكد القول على أن الحركة العربية كان يجب عليها أن تعتمد على الوحدة المنطلقة من الذات العربية فى نطاق الاسلام دون عدااء صريح للدولة ولا انحياز للدول الاوربية .

وكان موقف جمعية العربية الفتاة التى قامت فى باريس ودعت الى المؤتمر العربى الذى عقد هناك فيما بعد يشكل اشرأ آخر من الاثار التى أحدثتها حروب البلقان فى المشرق العربى ، فتأسيسها تم كرد فعل لتفجر الروح القومية التركية التى افرزتها الحرب البلقانية ، حيث اتخذت اسماً يدل على القومية المرفقة ، ثم سعت بعد ذلك الى استقطاب أبناء العرب وفق مقاييس سرية محددة تدل على اهميتها واهمية القائمين عليها ، وبعد ذلك تبنت الدعوة لاول مؤتمر عربى يتم عقده لمناقشة الامور السياسية التى تُعنى بالبلاد العربية ، وحددت باريس مقرأً لذلك ، لوجود الجمعية هناك ،

ولأن غالبية أعضائها ممن يتلقون تعليمهم في فرنسا ، وهناك من الشباب العرب في باريس من أيدهم لفكرة المؤتمر ، ولكن سرية الجمعية حالت دون بروزها على مسرح الأحداث حينذاك ، فقامت بالمهمة تحت مظلة حزب اللامركزية الادارية العثمانى فى مصر الذى كان حزباً علنياً ، وتوجهاته معروفة ومعلنة .

وجاء انعقاد المؤتمر العربى الاول فى باريس فى الفترة من ١٤ رجب ١٣٣١هـ / ١٨ يونيو ١٩١٣م الى ١٩ رجب ١٣٣١هـ / ٢٣ يونيو ١٩١٣م ، كرد فعل مباشر لحروب البلقان فى المشرق العربى العثمانى ، حيث أحس العرب أن الإصلاح على قاعدة اللامركزية هو مطلب العرب الذى يحقق لهم نوعاً من الاستقلال الادارى الذى يساعدهم على الوقوف فى وجه العدوان الاجنبى ، بيد ان المؤتمر قد وقع فى عدة محظورات أساءت له ولتوجهاته فالمكان الذى تم اختياره ليكون مقراً للمؤتمر - وهو مدينة باريس - عاصمة فرنسا ، لم يكن اختياراً موفقاً إذ أن فرنسا ليست بلداً محايداً كما كان يعتقد العرب ، إذ أنها تسيطر على عدة بلدان عربية فى افريقيا ، ومطامعها فى الشام ليست خافية على الذين عقدوا مؤتمرهم هناك ، ولأن المؤتمر يعتبر مؤتمراً قومياً عربياً صرفاً ، فقد تساوى عدد اعضاء المسلمين والمسيحيين فى هيئات المؤتمر ولجانه ، وفى ذلك اجحاف بحق العرب المسلمين الذين يشكلون اكثرية ساحقة فى المشرق العربى ، ولكن ذلك الوضع كان تأكيداً على مدى النفوذ الذى يلعبه المسيحيون العرب فى الحركة العربية فى تلك المرحلة

(١) مصطفى الشهابى : القومية العربية - تاريخها وقوامها ومراميها - ، ص ٨٩ .

ولعل المؤتمر قد شعروا بالخطأ الواضح فى اتخاذ باريس مقراً لهذا المؤتمر فقاموا باستئجار القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية ، ليبعدوا عنهم وعن مؤتمرهم شبهة ولائهم لفرنسا ودعمها لهم ، ولكنهم وقعوا فى شبهة أخرى حين زودوا الحكومة الفرنسية بمصورة من المقررات التى توصلوا اليها فى هذا المؤتمر ، والتى تمثل مطالبهم مع الدولة العثمانية ، وليس لفرنسا أى دور فى تلك المطالب ، إلا اذا كان المؤتمر يريدون منها أن تساعدتهم ضد دولتهم التى لازالوا يؤيدونها ولا يرغبون فى الانفصال عنها ، ولكن يبدو أن تأشير العناصر المسيحية فى المؤتمر كان فعالاً جداً ، حيث أدت دورها بنجاح كامل ، وحولت مواقف العرب فى هذا المؤتمر الى ادانة لهم ، واخلاقاً بمطالبهم الاصلاحية التى يسعون لها والتى شملت مقررات مؤتمر باريس جانباً كبيراً منها .

ومع أن كثيراً من رجال الاصلاح العرب شاركوا فى المؤتمر ودافعوا عن توجهاته وأنه ليس تكتلاً ضد الدولة العثمانية وانما هو دعوة للمصالحة والممارحة مع الحكومة العثمانية لوضع الاصلاح فى الولايات العربية التى أصبحت تشكل اكثريّة واضحة فى الدولة موضع التنفيذ ، رغم هذا كله ، وحسبما اشرنا اليه سلفاً ، فإن مؤتمر باريس هذا يعتبر أول المؤتمرات الداعية الى القومية العربية المرفقة (١) ، التى احدثت شرخاً فى الحركة العربية وزادتها تمزقاً وانقساماً ، مع أن رئاسة المؤتمر اوكلت الى حزب اللامركزية الادارية

(١) الشيخ عبد العزيز بن باز : نقد القومية العربية على ضوء الاسلام والواقع ، ص ١٥ .

العثماني ، وجُلَّ المتحدثين فيه ممن يؤمنون بتوجهات ذلك الحزب الذي لا يهدف البتة الى الانفصال عن الدولة العثمانية او الوقوف فدها سياسياً .

ورغم أن الحكومة العثمانية رغبت في التفاهم مع العرب المشاركين في المؤتمر وكادت أن تصل الى نتيجة ايجابية تحقق للعرب مطالبهم في ظل دولة الخلافة ، إلا أن مسلك التسوية الذي لجأت اليه الحكومة ، ومن ثم اجراء تعديلات على بنود الاتفاق الذي تم مع أقطاب المؤتمر ، كل ذلك أدى الى تأزم الموقف بين دعاة الاصلاح من العرب وحكومة الاتحاد والترقي القابضة على السلطة في الدولة العثمانية حينذاك . وكانت الحركة الاصلاحية في البصرة تمثل واحدة من ردود الفعل المباشرة لحروب البلقان ، حيث قامت جمعية البصرة الاصلاحية في الثاني والعشرين من ربيع الاول ١٣٣١هـ/ ٢٨ فبراير ١٩١٣م ، وربطت نفسها بحزب اللامركزية الادارية العثماني في القاهرة ، ووضعت لائحته الاصلاحية التي تطالب بالاصلاح على قاعدة اللامركزية في ظل الدولة العثمانية ، وزادت من توسيع صلاحيات المجالس العمومية في الولاية ، ولكنها رففت اعطاء أى امتيازات للأجانب في الولاية مما يؤكد خوف القائمين على تلك الحركة من أن يهدد النفوذ الاجنبى بلادهم في ظل الضعف الذي تعيشه الدولة العثمانية بعد هزائمها في حروب البلقان ، وقد أكد المقيم البريطاني في الكويت الكابتن وليام شكسبير هذا الاتجاه لدى العرب القائمين على الحركة العربية في البصرة ، وأن الخوف بدا يراودهم بعد المزايم التي تعرضت لها الدولة العثمانية في

(١)
حرب البلقان .

فى هذا الجو السياسى والفكرى الذى عاشته الدولة العثمانية بعد انكسارها فى حروب البلقان ، تزايدت أخطار التمزق الداخلى فى الدولة وبرزت القوميتان العربية والتركية فى وقت واحد واشتد التصادم بينهما ليشكلا معا أنشطة فعّالة مناوئة للدولة الإسلامية ، وبدأ التطرف يظهر على السنة المفكرين والكتاب من العرب والترك وكل منهم يدعو الى القومية المرفقة التى ينتمى لها ، وأصبحت القومية هى محور الأحداث ، فالأتراك يمجّدون الطورانية ويتغنّون بأمجاد العنصر التركى وتأثيره فى تاريخ الدولة العثمانية والقوميون العرب يمجّدون العنصر العربى ، ويعددون مواقفهم ودوره فى التاريخ ، ليصبح التطرف فى القومية المرفقة البعيدة عن الإسلام هو الظاهرة المسيطرة فى حياة الدولة العثمانية حينئذ ، مما أتاح للعناصر غير الإسلامية أن تتدخل فى شئون الدولة ومؤسساتها الرسمية ، وهذا هو الغزو الفكرى الذى أرادته أوربا وخططت له ، وجنت ثماره فى تلك المرحلة ولقد أدى ظهور القوميتين التركية والعربية فى وقت واحد الى شدة المصادم بينهما ، وقطع الطريق على دعاة الإصلاح العرب الذين ينشدون إصلاح ولاياتهم فى ظل دولة الخلافة ، كما أن بروز القوميتين فى تلك الفترة حال دون الأمل فى الوفاق بين الحكومة العثمانية والمطالبين بالإصلاح من العرب ، لتشكل هاتان القوميتان عنصراً مؤثراً فى أحداث المنطقة

(1) F.O.424/238, PP.369-372, Enclosure 2, in No.458, dated 15, May, 1913 .

والتطورات التاريخية اللاحقة فى المشرق الاسلامى .

وقد استفادت السياسة البريطانية من حروب البلقان ، التى اقتطعت من الدولة العثمانية ولاياتها الاوربية ، وكشفت عن ضخامة الخلل الذى اصاب الدولة فى مؤسساتها العسكرية والسياسية ، وتحققت الاهداف البريطانية الكاملة فى الساحل الشرقى والجنوبى للجزيرة العربية ، وفى الخليج العربى ، حيث انتهزت السياسة البريطانية تلك الفرصة الثمينة لتفرض هيمنتها على تلك المناطق وتبرم المعاهدات مع شيوخ وامراء المنطقة وفق استراتيجيتها الاستعمارية ، حيث انها اضحت صاحبة القول الفصل فى شئون المنطقة ، لان الدولة العثمانية شُفِلَتْ عن هذه المناطق النائية ، وقُدِّرَتْها العسكرية لم تعد تساعدها كى تدافع عن تلك النواحى ، عندئذ تحقق لبريطانيا الاستفادة من نتائج حروب البلقان تلك ، وبدأت فى تنفيذ سياستها الهادفة الى اقتطاع الاجزاء المهمة من ممتلكات الدولة فى المشرق العربى ، وأصبح الموقف السياسى لبريطانيا فى الخليج والسواحل الشرقية والجنوبية للجزيرة العربية متأثراً ايجابياً بتلك المتغيرات السياسية والعسكرية التى افرزتها الحروب البلقانية .

وبدأ الساسة البريطانيون فى الخليج العربى يدركون ان التعامل مع القوى السياسية فى المنطقة ، هو افضل وسيلة للحفاظ على المصالح البريطانية هناك ، سيما وان الخليج العربى يمثل الطريق الرئيسى الموصل الى درة التاج البريطانى - الهند - ، لذا حرصت الحكومة البريطانية على تدعيم موقفها السياسى والعسكرى فى الخليج العربى ،

وتحويله الى مايشبه بحيرة بريطانية مستفيدة فى ذلك من
آثار الهزائم التى لحقت بالدولة العثمانية فى حروب
البلقان وهزت مكانتها السياسية والعسكرية .

ثم سارعت السياسة البريطانية لتحمل على اكبر قدر من
المكاسب الاستعمارية فى املاك الدولة العثمانية فى المشرق
العربى ، وعُقدت عدة جولات من المباحثات بين وزير خارجية
بريطانيا اللورد ادوارد جراى ومندوب الحكومة العثمانية
حقى باشا ، حيث توصل الجانبان الى توقيع المعاهدة
الانجليزية - العثمانية فى لندن ، فى الخامس والعشرين من
شعبان ١٣٣١هـ / ٢٩ يوليو ١٩١٣ م ، وتقع فى ثمان عشرة مادة ،
فى خمسة اقسام ، اضافة الى اربعة ملاحق وتمريح سرى على
لسان المفاوضين البريطانى والعثمانى .^(١)

وقراءة بنود هذه المعاهدة تعكس الوضع الحقيقى الذى
وصلت اليه الحكومة العثمانية من ضعف وتخاذل بعد هزائمها
فى حروب البلقان ، وهو ما لم يكن معروفاً فى تلك المعاهدات
التي كانت تبرمها الدولة العثمانية مع اوربا ابان قوتها ،
حين كانت تُملى شروطها على الطرف الآخر وتأخذ ماتريد من خلال
تلك المعاهدات ، ولم تستسلم البتة لاية ضغوط سياسية كانت
ام عسكرية ، اما تلك المعاهدة وماشابهها من المعاهدات
التي أعقبت حروب البلقان فهي تُملى على الدولة العثمانية
التي تقبلها قبولا يدل على الضعف والخنوع والتفكك العسكرى
والسياسى .

(١) Muahede Name, Numarasi, 242/8. Osmanli, Arşivi,
Daire, Başkanlığı, Ist .

وكان الامام عبد العزيز آل سعود أول من أدرك ضعف الدولة العثمانية فى الجزيرة العربية ، واستطاع أن يواجه المستعمر البريطانى على سواحل الخليج باستعدادته لاحساء ، وحفظ تلك الجهات من أن تلتهمها بريطانيا فى عنفوان طغيانها الاستعماري ، وتفكك الدولة العثمانية فى أعقاب حروب البلقان .

وحرمت السياسة البريطانية على استقطاب الحركة العربية ، لتستخدمها فى أغراضها الخاصة ، وتحقيق من خلالها أهدافها الاستعمارية خاصة أطماعها المبيتة فى رأس الخليج العربى ومدينة البصرة ذات الأهمية الاستراتيجية للممالح البريطانية ، وساعد تمزق الحركة العربية السياسة البريطانية فى الوصول الى أهدافها ومخططاتها ، فى ظل هزائم الدولة العثمانية فى حرب البلقان ، مما زاد من اضعاف دولة الخلافة وهو ماسعت اليه السياسة البريطانية ، التى أدركت أن حروب البلقان قد أنهت القوة العسكرية للدولة العثمانية ، لكن قوتها الروحية فى المشرق العربى لم تزل قائمة ، والخوف الذى يراود الساسة البريطانيين هو الخوف من القوة الروحية للدولة عند العرب بمفعتها الدولة الاسلامية الاولى التى تستطيع أن تؤلب المشاعر الدينية ضد بريطانيا ، وربما يمتد ذلك التأثير الى مسلمى الهند ، لذا كان تشجيع بريطانيا للحركات الانفصالية فى المشرق العربى هو الحل الذى لجأت اليه الدبلوماسية البريطانية لاضعاف دولة الخلافة الاسلامية ، لأن الضعف العسكرى والسياسى للدولة العثمانية لايعنى انتهاء مكانتها الروحية وقوتها الدينية

كما يدرك ذلك رجال السياسة البريطانيون .

ولأن الحركة العربية لم تحافظ على اتزانها ووحدتها فى نطاق الاسلام فقد ساعد ذلك السياسة البريطانية فى تحقيق اطماعها فى البصرة ، فى الوقت الذى تمزقت فيه الحركة العربية وأعلن البعض عداؤه المريح للدولة العثمانية ، بينما انحاز البعض الآخر مع السياسة البريطانية ، ولم ينقذ المشرق العربى من الاستعمار الأوربى الكامل إلا الموقف الذى وقفته سلطنة نجد وتوابعها التى أقامها الامام عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود على قواعد اسلامية عربية راسخة حفظت لها وللعرب هذا الجزء الغالى من المشرق العربى .

ولقد زاد نشر قانون الولايات الذى أعلنته الحكومة العثمانية ابان اشتعال حرب البلقان الاولى ، من حدة الخلاف بين زعماء الإصلاح العرب ورجال الحكومة العثمانية ، لأن العرب كانوا يهدفون بمطالبهم الى الإصلاح على قاعدة اللامركزية وتوسيع سلطة المجالس العمومية واعطاء الولايات العربية نوعاً من الاستقلال الإدارى ، لشعورهم بأهميتهم السياسية فى الدولة سيما وأن البلاد العربية أصبحت تمثل جزءاً كبيراً من خريطة الدولة ، والعرب أصبحوا يمثلون أكثرية فيها ، وهذا بالتالى يعطيهم الحق فى الاستقلال الإدارى على مبدأ اللامركزية ، لكن قانون الولايات الجديد زاد من المركزية ، وفى ربط الولايات بعاصمة الدولة ، ومنح ملاحيات أكثر للوالى وقلل من صلاحيات المجالس العمومية ، وقد أثر ذلك كله على علاقات العرب بالدولة العثمانية ، وفتح المجال على مصراعيه للجدل السياسى والفكرى الذى أثر

فيما بعد على تطور الأحداث التاريخية في المشرق العربي ، وفي الحركة العربية ، وبلغ التشاؤم ذروته حين أعلن دعاة الإصلاح العرب الى أن هذا القانون ، وما ينطوي عليه من حصر السلطة في مركز الدولة وتوسيع سلطة الولاة فقط سيؤدي الى تجزئة الوحدة العثمانية ، وهو أمر لا يطمع فيه العرب ولا يطمنون حدوثه في القريب المنظور ، وحاولت الحكومة العثمانية أن تستقطب الحركة العربية حين قامت بتعيين سبعة من رجالات العرب في مجلس الأعيان ، وكان الحكومة بدأت تتجاوب مع مطالب العرب ، وتحاول أن تشرکہم في وظائف الحكومة البارزة التي يستطيعون منها تحقيق مطالبهم ، والدفاع عن مصالح الولايات العربية في عاصمة الدولة ، وفي الحكومة المركزية .

لكن المعارضة العربية للمركزية وسياسة التتريك زادت فعاليتها عندما فجرت حروب البلقان الروح القومية التركية التي بدأت حكومة الاتحاد والترقي في تبنيها والدعوة اليها مما أحدث ردة فعل عند العرب لمقاومة تلك السياسة التي يرى زعماء الإصلاح العرب أنها ستزيد من تفكك الدولة وإضعافها ، وأصبحت قضية اللغة العربية هي محور الأحداث إذ يرى العرب جعلها لغة رسمية الى جانب اللغة التركية ، بينما يعتقد رجال الحكومة أن ذلك غير ممكن ، ولم يمانعوا في استعمال اللغة العربية في الولايات العربية فقط ، عندئذ زادت المعارضة العربية عنفواناً واخذت نواح شتى زادت من توسيع

(١) جريدة الإصلاح عدد ٤٠-١٤٣٥ في ٢٢ رجب ١٣٣١ هـ .

حدة الخلاف بين العرب والحكومة العثمانية ، وأصبحت المطالب العربية تدعو الى تعديل قانون الولايات الذى قضى على آمال العرب فى الاصلاح على مبدأ اللامركزية ، وطبع الدولة بطابع المركزية ، لكن الحكومة الاتحادية زادت من تمسكها بالسياسة الطورانية ، وبدأت فى محاولة تتركب العناصر الخاضعة للدولة العثمانية وفى مقدمتها العرب ، مما أحدث ردة فعل لدى العرب تمثلت فى الدعوة الى القومية العربية المرفقة ، لتزيد بذلك من عوامل التفكك والانحيار فى الدولة التى أصبحت على أبواب الحرب العالمية الاولى .

وقامت محاولات فردية لعقد مؤتمر فى الجزيرة العربية يجتمع فيه أمراء العرب وزعماء الاصلاح ويتداولون فى أمور بلادهم التى أصبح الخطر يهددها من كل جانب ، ولم تحقق تلك المحاولات النجاح المطلوب لها ، لأن التششت الذى وصلت اليه الحركة العربية والاتجاهات التى بدا يسير فيها رجال الحركة جعل محاولات عقد هذا المؤتمر تنتهى كما بدأت ، ولعلنا لانعدو الحقيقة اذا قلنا ان تلك المحاولات التى أسفرت عن عقد اجتماع بين شيخ الكويت والمحمرة وطالب النقيب ، ثم ما أعقبها من الدعوة الى مؤتمر آخر يعقد فى الكويت ، هى محاولات تشبه الى حد ما مؤتمر باريس سالف الذكر ، غير أن مؤتمر باريس أخذ الصيغة الرسمية لاهمية المشاركين فيه ومكان انعقاده ثم محاولة الحكومة العثمانية التفاهم مع أصحاب ذلك المؤتمر .

أما مؤتمرات الجزيرة فهى مجرد محاولات لم تترجم على أرض الواقع ، لأن القوة العربية المؤثرة فى المنطقة حينذاك

كان عبد العزيز بن سعود ، وعدم حضوره لمثل هذه المؤتمرات يفقدها قيمتها ، وهو ما حدث بالفعل ، لأن ابن سعود كان يدرك اتجاهات الحركة العربية ومرحلة التمزق التى وصلت اليها ، وهو لن يسمح لدولته السلفية أن تتجه هذا الاتجاه الذى لا يتفق مع الاسس والامول للدولة السعودية ، وهذا ما تحقق بالفعل عندما اعتذر عن حضور المؤتمر الذى حاولت ان تتبناه الحكومة البريطانية ويعقد فى الكويت اثناء اشتعال الحرب العالمية الاولى ، كى تستقطب الحركة العربية من خلال ذلك المؤتمر ، لكن ابن سعود خرج بلباقته المعروفة من هذا الموقف الذى حاولت السياسة البريطانية ان تضعه فيه .

وكان الامام عبد العزيز آل سعود قد خاض واحدة من الملاحم التاريخية التى عرفتھا منه الجزيرة العربية منذ ان سطع نجمه فى سمائها ، حين استطاع ضم الاحساء والمناطق المجاورة لها على الساحل الغربى من الخليج العربى ، وذلك فى أوائل جمادى الاولى سنة ١٣٣١هـ / النصف الاول من ابريل سنة (١) ١٩١٣م ، وأعاد الحامية العثمانية الى بلادها دون أن يمسها بأذى ، رغم المحاولات الاستفزازية التى قامت بها تلك الحامية بالتعاون مع السلطات البريطانية فى البحرين ، وحينئذ لم تجد الحكومة العثمانية بُدّاً من الاعتراف بالامام عبد العزيز آل سعود حاكماً للاحساء وسلطاناً لنجد ، وأقامت معه علاقات ولائيه بموجب اتفاق المبيحية بين ابن سعود ومندوبى الحكومة العثمانية .

(١) أمين الريحانى : نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز آل سعود ... ، ص ٢٠٨-٢١٠ .

وكان وصول الامام عبد العزيز الى سواحل الخليج العربى يعطى مردوداً ايجابياً لتلك الحركة العربية الممزقة فى مختلف البلدان العربية ، اذ أنه حافظ على الجناح الشرقى من الجزيرة العربية كى لا يقع فريسة فى ايدى الاستعمار الأوروبى الذى اتهم الشام والعراق بعد ذلك بوقت يسير ، فى ظل غياب دولة الخلافة العثمانية وتشتت الحركة العربية وتفرق كلمة القائمين عليها ، وتباعد أهدافهم واتجاهاتهم ، لذا فان الامام عبد العزيز الذى كان ينظر لحرب البلقان ليقوم دولته ، قد حفظ للمشرق العربى استقلاله ومكانته ، حين ابقى على سلطنة نجد وتوابعها بعيدة عن التمزق والانحياز فى ظل المتغيرات التاريخية السريعة التى سبقت الحرب العالمية الاولى .

وموقف سلطنة نجد بالنسبة للمشرق العربى كان له اثر واضح ، لانها قامت على عقيدة اسلامية سلفية راسخة ، حفظت للجزيرة العربية مكانتها فى ظل الفراغ الذى تركته دولة الخلافة العثمانية ، فى وقت كانت الحركة العربية اعجز من أن تسدَّ هذا الفراغ ، لما تزخر به من متناقضات عقائدية وفكرية أثرت مع تطور الاحداث على منطقة المشرق العربى ، وهيأت الفرصة للنفوذ الاجنبى كى يحقق اطماعه المبيتة .

وقد اتسمت مواقف الامام عبد العزيز آل سعود بالاستقلالية فى الراى ، والحزم فى اتخاذ القرار ، فلم ينحاز الى اى قوة من القوى المتصارعة فى المنطقة ، لادراكه ان هذا الصراع مراعى مصالح ذاتية ، كما انه لم يساوم على منفع دولته وعقيدته الاسلامية ، واتخذ له مسلكاً مميزاً ينطلق

من العقيدة الاسلامية التى اقام دولته عليها حيث يقول : " ان خطى التى سرت ولازال أسير عليها هى اقامة الشريعة السمحة كما اننى ارى من واجبى ترقية جزيرة العرب والاخذ بالاسباب التى جعلها فى مصاف البلاد الناهضة مع الاعتصام بحبل الدين الاسلامى الحنيف" ^(١) ، بهذا النهج أصبحت سلطنة نجد حمناً منيعاً للمشرق العربى ، ودعمه قوية له ، حفظته من السقوط الكامل تحت الاستعمار الاوروبى المتربص به .

وقامت الحرب العالمية الاولى ، كأول حرب عالمية تعرفها البشرية ، وكان تأثيرها على المشرق العربى خطيراً جداً ، اذ زادت الحركة العربية تمزقاً ، وأظهرت دعاء القومية العربية المتطرفة على حقيقتهم ، وسار فى ركابهم بعض العرب الذين أوصلتهم التطورات التاريخية المتلاحقة الى الانحياز الكامل مع الدول الاستعمارية ضد الدولة العثمانية وقامت ماسميت بالثورة العربية التى ساهمت فى انتصار الحلفاء ، وهزيمة الدولة العثمانية ، وافترقت المشرق العربى ذلك الاتزان السياسى ، الذى مثله الامام عبد العزيز آل سعود ، حين رفض اعلان الحرب ضد دولة الخلافة .

وترتب على دخول الدولة العثمانية للحرب العالمية الاولى اتساع نطاق الحرب وشموليته ، ولكن الحركة العربية أوقفت قسراً عند ذلك ، لتجرها الاحداث التاريخية فيما بعد الى تمزق أكثر خطورة مما كان بها قبل الحرب ، رغم محاولات بعض رجال الحركة التزام الحياد أو مساندة الدولة العثمانية

(١) خير الدين الزركلى : الوجيز فى سيرة الملك عبد العزيز ، ص ٢١٥ .

لكن بريطانيا نجحت فى استقطاب بعض رجال الحركة الى جانبها
ثم غدرت بهم مثلما غدرت بالدولة العثمانية ، واقامت فى
المشرق العربى كيانات سياسية تتبع فى توجهاتها تلك القوى
الاستعمارية .

وعندما سقطت الدولة العثمانية كانت تلك الكيانات قد
أصبحت فريسة لايمكنها الفكك من براثن الاستعمار ، وأخذت
اليهودية العالمية تنشط لتحقيق مافشلت فى تحقيقه فى العصر
العثمانى الطويل فى المشرق العربى ، وانتهت اليهودية
العالمية والاستعمار الى زرع ذلك الكيان الخبيث فى قلب
الامة العربية .

الملاحق

- (أ) الصفحات الأولى والثانية والأخيرة ، من معاهدة لوزان الموقعة بين الدولة العثمانية وإيطاليا ، فى ١٨ أكتوبر ١٩١٢ م ، محفوظة بالارشيف العثمانى فى اسطنبول تحت رقم ٣٣٥ .
- (ب) الصفحات الأولى والثانية والثالثة من المعاهدة الموقعة بين الدولة العثمانية والحكومات البلقانية ، والمعروفة بمعاهدة لندن فى ٣٠ مايو ١٩١٣ م ، والتي أنهت حرب البلقان الأولى ، محفوظة بالارشيف العثمانى فى اسطنبول تحت رقم ٣٣٣ .
- (ج) الصفحات الأولى والثانية والثالثة والرابعة ، من المعاهدة الموقعة بين الدولة العثمانية وبريطانيا ، فى ٢٩ يوليو ١٩١٣ م ، والتي تنازلت الدولة لبريطانيا بموجبها عن أجزاء غالية من المشرق العربى ، محفوظة بالارشيف العثمانى فى اسطنبول تحت رقم ٨/٢٤٢ .
- (د) الصفحة الأولى من جريدة الاتحاد العثمانى البيروتية التى صدرت كمثيلاتها من المحف البيروتية خالية من أى خبر أو مقال ، احتجاجا على بلاغ الوالى العثمانى الذى بموجبه منعت الجمعية الإصلاحية فى بيروت من الاجتماع واقفال ناديها ، والذي نشر لوحده على صفحات تلك الصحف فى ذلك اليوم .
- (هـ) ثلاث خرائط منتقاة من مراجع تاريخية ، عن دول البلقان قبل الحروب البلقانية وبعدها .

- ٤٢١ -
(ملحق - ب - ص - ١ -)

La Majesté l'Empereur des Ottomans, et La Majesté le Roi d'Italie, animés par un égal désir de faire cesser l'état de guerre existant entre les deux pays, ont nommé leurs Plénipotentiaires :

A = La Majesté l'Empereur des Ottomans

1 - Son Excellence Mehmed Naby Bey, Grand-Cordon de l'Ordre Impérial de l'Osmanie, Envoyé extraordinaire et Ministre plénipotentiaire de La Majesté l'Empereur des Ottomans.

2 - Son Excellence Roumbuglou Fehreddin Bey, Grand Officier de l'Ordre Impérial du Medjidie, commandeur de l'Ordre Impérial de l'Osmanie, Envoyé extraordinaire et Ministre plénipotentiaire de La Majesté l'Empereur des Ottomans;

B = La Majesté le Roi d'Italie

1 - Monsieur Pietro Bertolini, Grand Croix de l'Ordre de la Couronne d'Italie, Grand-Officier de l'Ordre des

G. S. Maurice et Lazare, député au Parlement,

2- Monsieur Guido Fusinato, Grand-Croix de l'Ordre de la Couronne d'Italie, Grand-Officier de l'Ordre des S. S. Maurice et Lazare, député au Parlement, Conseiller d'Etat,

3- Monsieur Giuseppe Volpi, commandeur des Ordres des S. S. Maurice et Lazare et de la Couronne d'Italie;

lesquels, après avoir échangé leurs pleins pouvoirs respectifs et les avoir trouvés en bonne et due forme, sont convenus des articles suivants:

Art. 1. = Les deux Gouvernements s'engagent à prendre, immédiatement après la signature du présent Traité, les dispositions nécessaires pour la cessation immédiate et simultanée des hostilités. Des Commissaires spéciaux seront envoyés sur les lieux pour assurer l'exécution des susdites dispositions.

Art. 2. = Les deux Gouvernements s'engagent à donner, immédiatement après la signature du présent Traité, l'ordre de rappel de leurs officiers, de leurs troupes, ainsi que de leurs fonctionnaires civils, respectivement le Gouvernement Ottoman de la Tripolitaine et de la Cyrénaïque et le Gouvernement Italien des îles qu'il a occupées dans la mer Égée.

L'effective évacuation des îles susdites par les officiers, les troupes et les fonctionnaires civils italiens aura lieu immédiatement après que les

(ملف - ٢ - ٣ - ٤ - ٥)

différents et le choix du surarbitre sera fait de concert par les Puissances ainsi désignées.

Les Gouvernements - Royal, ainsi que l'Administration de la Dette Publique Ottomane, par l'entremise du Gouvernement Impérial, auront la faculté de demander la substitution de l'annuité susdite par le paiement de la somme correspondante capitalisée au taux des quatre pour cent.

Pour ce qui se ^{1^{er}} refère au précédent ^{2^e} alinéa le Gouvernement Royal déclare reconnaître dés à présent que l'annuité ne peut être inférieure à la somme de Lires italiennes deux millions et qu'il est disposé à verser à l'Administration de la Dette Publique la somme capitalisée correspondante, aussitôt que demande en sera faite.

Art. 11. = Le présent Traité entrera en vigueur le jour même de sa signature.

En foi de quoi les Plénipotentiaires ont signé le présent Traité et y ont apposé leurs cachets.

Fait à Paris le 18 Octobre 1912.



Mehmed Nale



Ali Rıza Paşa



Hüseyin Paşa



Rumeliye Paşa



Mustafa Paşa

- ١٢٧ - ب - (٤٦)

SA Majesté l'Empereur des Ottomans d'une part, et Sa Majesté le Roi des Bulgares, Sa Majesté le Roi des Hellènes, Sa Majesté le Roi de Monténégro et Sa Majesté le Roi de Serbie (ci-après désignés par les mots "les Souverains alliés") d'autre part, animés du désir de mettre fin au présent état de guerre et de rétablir des relations de paix et d'amitié entre leurs Gouvernements et leurs sujets respectifs, ont résolu de conclure un Traité de Paix et ont choisi à cet effet pour leurs Plénipotentiaires :

Sa Majesté l'Empereur des Ottomans :

Son Excellence Osman Nizamy Pacha, Général de Division, ancien Ambassadeur à Berlin ;
Son Excellence Bozaria Effendi, Sénateur, Ministre des Travaux publics ;
Son Excellence Ahmed Réchid Bey, Conseiller-légiste de la Sublime Porte.

Sa Majesté le Roi des Bulgares :

Son Excellence M. le Dr. Stoyan Danev, Président du Sobranié ;
Son Excellence M. Michel Madjarov, Envoyé extraordinaire et Ministre plénipotentiaire à Londres.

Sa Majesté le Roi des Hellènes :

Son Excellence M. Étienne Skouloudis, ancien Ministre des Affaires Étrangères ;
Son Excellence M. Jean Gennadius, Envoyé extraordinaire et Ministre plénipotentiaire à Londres ;
Son Excellence M. Georges Streit, Envoyé extraordinaire et Ministre plénipotentiaire à Vienne.

Sa Majesté le Roi de Monténégro :

Son Excellence M. Jean Popovitch, ancien Chargé d'Affaires à Constantinople ;
Son Excellence M. le Comte Louis Voïnovitch, ancien Ministre de la Justice.

Sa Majesté le Roi de Serbie :

Son Excellence M. Stoyan Novakovitch, ancien Président du Conseil des Ministres ;
Son Excellence M. André Nikolitch, Président de la Skupchtina ;
Son Excellence M. Milenko Vesnitch, Envoyé extraordinaire et Ministre plénipotentiaire à Paris ;
Son Excellence M. Jean Pavlovitch, ancien Ministre à Sophia ;

qui, après s'être communiqué leurs pleins pouvoirs et les avoir trouvés en bonne et due forme, sont convenus de ce qui suit :

ARTICLE 1^{er}.

Il y aura, à dater de l'échange des ratifications du présent traité, paix et amitié entre Sa Majesté l'Empereur des Ottomans d'une part, et leurs Majestés les Souverains alliés d'autre part, ainsi qu'entre leurs héritiers et successeurs, leurs États et sujets respectifs, à perpétuité.

ARTICLE 2.

Sa Majesté l'Empereur des Ottomans cède à leurs Majestés les Souverains alliés tous les territoires de son Empire sur le continent européen à l'ouest d'une ligne tirée d'Énos sur la mer Égée à Midia sur la mer Noire, à l'exception de l'Albanie.

Le tracé exact de la frontière d'Énos à Midia sera déterminé par une commission internationale.

ARTICLE 3.

Sa Majesté l'Empereur des Ottomans et leurs Majestés les Souverains alliés déclarent remettre à Sa Majesté l'Empereur d'Allemagne, à Sa Majesté l'Empereur d'Autriche, Roi de Bohême &c., et Roi Apostolique de Hongrie, à M. le Président de la République française, à Sa Majesté le Roi de Grande-Bretagne et d'Irlande et des Territoires britanniques au delà des Mers, Empereur des Indes, à Sa Majesté le Roi d'Italie et à Sa Majesté l'Empereur de toutes les Russies le soin de régler la délimitation des frontières de l'Albanie et toutes autres questions concernant l'Albanie.

ARTICLE 4.

Sa Majesté l'Empereur des Ottomans déclare céder à leurs Majestés les Souverains alliés l'île de Crète et renoncer en leur faveur à tous les droits de souveraineté et autres qu'il possédait sur cette île.

ARTICLE 5.

Sa Majesté l'Empereur des Ottomans et leurs Majestés les Souverains alliés déclarent confier à Sa Majesté l'Empereur d'Allemagne, à Sa Majesté l'Empereur d'Autriche, Roi de Bohême, &c., et Roi Apostolique de Hongrie, à M. le Président de la République française, à Sa Majesté le Roi de Grande-Bretagne et d'Irlande et des Territoires britanniques au delà des Mers, Empereur des Indes, à Sa Majesté le Roi d'Italie et à Sa Majesté l'Empereur de toutes les Russies le soin de statuer sur le sort de toutes les îles ottomanes de la mer Égée, l'île de Crète exceptée, et de la péninsule du Mont-Athos.

ARTICLE 6.

Sa Majesté l'Empereur des Ottomans et leurs Majestés les Souverains alliés déclarent remettre le soin de régler les questions d'ordre financier résultant de l'état de guerre qui prend fin et des cessions territoriales ci-dessus mentionnées à la commission internationale convoquée à Paris, à laquelle ils ont délégué leurs représentants.

ARTICLE 7.

Les questions concernant les prisonniers de guerre, juridiction, nationalité et commerce seront réglées par des conventions spéciales.

ARTICLE FINAL.

Le présent traité sera ratifié et les ratifications seront échangées à Londres dans le plus bref délai possible.

En foi de quoi les Plénipotentiaires des Hautes Parties contractantes ont signé le présent traité et y ont apposé leurs sceaux.

Fait à Londres, le 7^{me} mai, 1913, à midi 35. (Heure de Greenwich)
au Palais de St James.

Osman Hamdi

M. P. P. P.

Ahmed Rached

Dr. St. Danoff

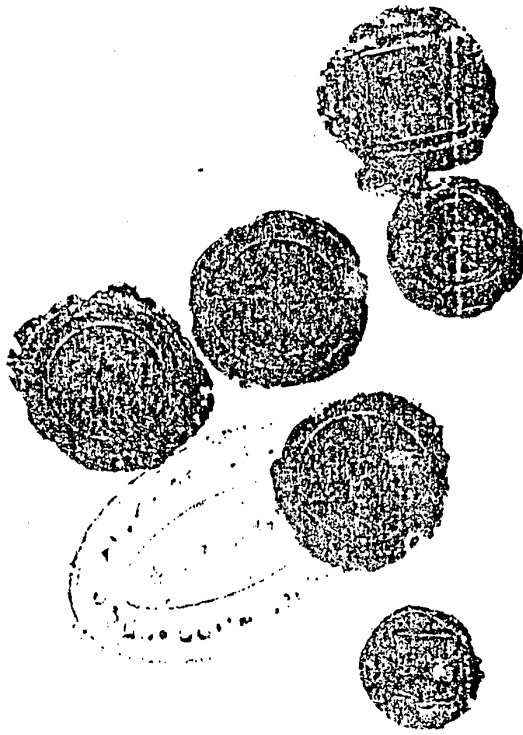
M. Macjars

Pléine St. Koudou

Gennadi

St. St.

۱۰۰ - (ملحق - ب - ۲) -



L. Papovitch
L. de Kovovitch
Stygar Norvich
And Nikolitch
Mit. R. Vershitzky
Kovovitch

SA Majesté l'Empereur des Ottomans, et Sa Majesté le Roi du Royaume-Uni de la Grande-Bretagne et d'Irlande et des Territoires britanniques au delà des Mers, Empereur des Indes, animés par le sincère désir de régler, par un accord complet, certaines questions touchant leurs intérêts respectifs dans le Golfe Persique et dans les territoires environnants, ont résolu de conclure une convention spéciale en vue de prévenir toute cause éventuelle de malentendu entre leurs Gouvernements en ce qui concerne ces questions.

En conséquence, ils ont nommé pour leurs Plénipotentiaires, savoir :

1 - Sa Majesté l'Empereur des Ottomans : Son Altesse Hakki Pacha, ancien Grand Vézir, décoré des Grands Cordons des Ordres Impériaux de l'Osmanie et du Medjidié en brillants ;

2 - Sa Majesté le Roi du Royaume-Uni de la Grande-Bretagne et d'Irlande et des Territoires britanniques au delà des Mers, Empereur des Indes : Le Très Honorable Sir Edward Grey, Baronnet du Royaume-Uni, Chevalier du Très Noble Ordre de la Jarretière, Membre du Parlement, Principal Secrétaire d'Etat de Sa Majesté au Département des Affaires Étrangères ;

Lesquels, s'étant communiqué leurs pleins pouvoirs, trouvés en bonne et due forme, sont convenus de ce qui suit :

I. -- Koueit.

— ARTICLE 1^{er}.

Le territoire de Koueit, tel qu'il est délimité par les articles 5 et 7 de cette convention, forme un kaza autonome de l'Empire ottoman.

ARTICLE 2.

Le cheikh de Koueit arborera comme par le passé le drapeau ottoman, avec, s'il le désire, le mot "Koueit" inscrit au coin, et il jouira d'une autonomie administrative complète dans la zone territoriale définie à l'article 5 de cette convention. Le Gouvernement Impérial ottoman s'abstiendra de toute immixtion dans les affaires de Koueit, y compris la question de la succession, et de tout acte d'administration ainsi que de toute occupation et tout acte militaire, dans les territoires qui en font partie. En cas de vacance, le Gouvernement Impérial ottoman nommera kaimakam, par firman Impérial, le successeur du cheikh défunt. Il aura aussi la faculté de nommer auprès du cheikh un commissaire pour protéger les intérêts et les indigènes des autres parties de l'Empire.

ARTICLE 3.

Le Gouvernement Impérial ottoman reconnaît la validité des conventions que le cheikh de Koueit a conclues précédemment avec le Gouvernement de Sa Majesté britannique en date des 23 janvier 1899, 24 mai 1900 et 28 février 1904, et dont les textes sont annexés (annexes I, II, III) à la présente convention. Il reconnaît aussi la validité des concessions de terrains faites par ledit cheikh au Gouvernement de Sa Majesté britannique et aux sujets britanniques, ainsi que celle des engagements consignés dans la note adressée à la date du 24 octobre 1911 par le principal secrétaire d'Etat de Sa Majesté britannique pour les affaires étrangères à l'ambassadeur de Sa Majesté Impériale le Sultan à Londres, dont le texte est annexé (annexe IV).

ARTICLE 4.

En vue de confirmer l'entente déjà établie entre les deux Gouvernements par les assurances échangées le 6 septembre 1901, entre l'ambassade de Sa Majesté britannique à Constantinople et le Ministère Impérial des affaires étrangères, le Gouvernement de Sa Majesté britannique déclare qu'en tant qu'aucun changement ne sera apporté par le Gouvernement Impérial ottoman au *statu quo* de Koueit, tel qu'il se trouve défini par la présente convention, il ne changera en rien la nature de ses relations avec le Gouvernement de Koueit et n'établira pas de protectorat sur le territoire qui lui est attribué. Le Gouvernement Impérial ottoman prend acte de cette déclaration.

ARTICLE 5.

L'autonomie du cheikh de Koueit est exercée par lui dans les territoires dont la limite forme un demi-cercle avec la ville de Koueit au centre, le Rhoc-Zoubair à

الملف ج - ٢٢٢ -

2

l'extrémité septentrionale et Kraïne à l'extrémité méridionale. Cette ligne est indiquée en rouge sur la carte annexée à la présente convention (annexe V). Les îles de Quarha, Bouhiane, Machiane, Falaka, Anha, Koulbar, Karou, Makta et Oumm-el-Maradine, avec les îlots et les eaux adjacents, sont compris dans cette zone.

ARTICLE 6.

Les tribus qui se trouvent dans les limites indiquées à l'article suivant sont reconnues comme dépendant du cheikh de Koueit, qui percevra leurs dîmes comme par le passé et exercera à leur égard les attributions administratives qui lui reviennent en sa qualité de kaimakam ottoman. Le Gouvernement Impérial ottoman n'exercera dans cette zone aucun acte d'administration indépendamment du cheikh de Koueit et s'abstiendra d'y établir des garnisons ou d'y exercer une action militaire quelconque sans s'être préalablement entendu avec le Gouvernement de Sa Majesté britannique.

ARTICLE 7.

Les limites du territoire dont il est parlé à l'article précédent sont fixées comme suit :

La ligne de démarcation part de la côte à l'embouchure du Khor-Zoubair vers le nord-ouest et passe immédiatement au sud d'Oumou-Kasr, de Safouan et de Diebel-Sanain, de façon à laisser ces endroits et leurs puits au vilayet de Basra ; arrivée au Batine, elle le suit vers le sud-ouest jusqu'à Hafr-el-Batine qu'elle laisse du côté de Koueit ; de ce point ladite ligne va au sud-est en laissant à Koueit les puits d'Es-Safa et d'El-Garua, d'El-Haba, Qalra et Antan pour aboutir à la mer près de Diebel-Mounifa. Cette ligne est marquée en vert sur la carte annexée à la présente convention (annexe V).

ARTICLE 8.

Dans le cas où le Gouvernement Impérial ottoman s'entendrait avec le Gouvernement de Sa Majesté britannique pour faire aboutir la ligne ferrée de Bagdad-Basra à la mer au terminus de Koueit ou à tout autre terminus dans le territoire autonome, les deux Gouvernements s'entendront sur les dispositions à prendre touchant la garde de la ligne et des stations ainsi que l'établissement de bureaux douaniers, dépôts de marchandises et toute autre installation accessoire au service de la voie ferrée.

ARTICLE 9.

Le cheikh de Koueit jouira en pleine sécurité des droits de propriété privée qu'il possède dans le territoire du vilayet de Basra. Ces droits de propriété privée devront s'exercer en conformité de la loi ottomane et les biens immobiliers qu'ils concernent seront soumis aux impôts et charges, au mode de conservation et de transmission et à la juridiction établis par les lois ottomanes.

ARTICLE 10.

Les criminels des provinces voisines ne seront pas reçus dans le territoire de Koueit et seront repoussés si on les y trouve ; également les criminels de Koueit ne seront pas reçus dans les provinces voisines et seront repoussés si on les y trouve. Il est entendu que cette disposition ne servira pas aux autorités ottomanes de prétexte d'immixtion dans les affaires de Koueit ; elle ne servira pas non plus au cheikh de Koueit de prétexte d'immixtion dans les affaires des provinces voisines.

II. — El-Katr

ARTICLE 11.

Le sandjak ottoman de Nedjd, dont la limite septentrionale est indiquée par la ligne de démarcation définie à l'article 7 de cette convention, se termine vers le sud au golfe faisant face à l'île de Zahmounié, qui appartient audit sandjak. Une ligne

- ٤٤٤ -

الملحق ج - ٢٠٢ -

3

partant du fond extrême dudit golfe ira directement au sud jusqu'au Ruba'-al-Khali et séparera le Nedjd de la presqu'île d'El-Katr. Les limites du Nedjd sont indiquées par une ligne bleue sur la carte annexée à la présente convention (annexe VA). Le Gouvernement Impérial ottoman ayant renoncé à toutes ses réclamations concernant la presqu'île d'El-Katr, il est entendu entre les deux Gouvernements que ladite presqu'île sera, comme par le passé, gouvernée par le cheikh Djassim-bin-Sani et par ses successeurs. Le Gouvernement de Sa Majesté britannique déclare qu'il ne permettra pas au cheikh de Bahreine de s'immiscer dans les affaires intérieures d'El-Katr, de porter atteinte à l'autonomie de ce pays ou de l'annexer.

ARTICLE 12.

Il sera permis aux habitants de Bahreine de visiter l'île de Zalmounié pour la pêche et d'y demeurer en pleine liberté pendant l'hiver comme par le passé, sans qu'aucun nouvel impôt leur soit imposé.

III.—Bahreine.

ARTICLE 13.

Le Gouvernement Impérial ottoman renonce à toutes ses réclamations concernant les îles Bahreine, y compris les deux îlots Lulainat-el-Aliya et Lulainat-es-Saliya, et reconnaît l'indépendance de ce pays. De son côté, le Gouvernement de Sa Majesté britannique déclare qu'il n'a aucune intention d'annexer à ses territoires les îles Bahreine.

ARTICLE 14.

Le Gouvernement de Sa Majesté britannique s'engage vis-à-vis du Gouvernement Impérial ottoman à veiller à ce que le cheikh de Bahreine ne perçoive pas des sujets ottomans de droits sur la pêche des huîtres perlières d'un taux plus élevé que celui qui sera imposé aux autres intéressés les plus favorisés.

ARTICLE 15.

Les sujets du cheikh de Bahreine seront considérés comme étrangers dans les territoires ottomans et pourront être protégés par les consuls de Sa Majesté britannique. Toutefois, cette protection devra s'exercer en conformité des règles générales du droit international européen, les sujets de Bahreine n'ayant pas le droit de jouir des privilèges accordés par les capitulations aux sujets de certaines Puissances.

IV.—Golfe Persique.

ARTICLE 16.

Le Gouvernement de Sa Majesté britannique ayant, aussi bien pour la sauvegarde de ses intérêts spéciaux que dans un but élevé d'humanité, entrepris de tout temps des mesures de police maritime dans les eaux libres du Golfe Persique aussi bien que sur le littoral appartenant aux cheikhs indépendants de la côte au sud d'El-Katr jusqu'à l'Océan Indien, le Gouvernement Impérial ottoman apprécie l'importance de ces efforts déjà séculaires et déclare ne pas s'opposer à ce que le Gouvernement de Sa Majesté britannique exerce comme par le passé dans le Golfe Persique les mesures suivantes :

- (a.) Sondages, allumage des phares, mise des bouées, pilotage.
- (b.) Police maritime.
- (c.) Mesures quaranténaires.

Le Gouvernement Impérial ottoman réserve à cette occasion tous les droits qui lui reviennent comme Puissance territoriale sur les côtes ainsi que sur les eaux, territoriales ottomanes.

الملحق ج - ٤٤٥ -

4

V.—Commission de Délimitation.

ARTICLE 17.

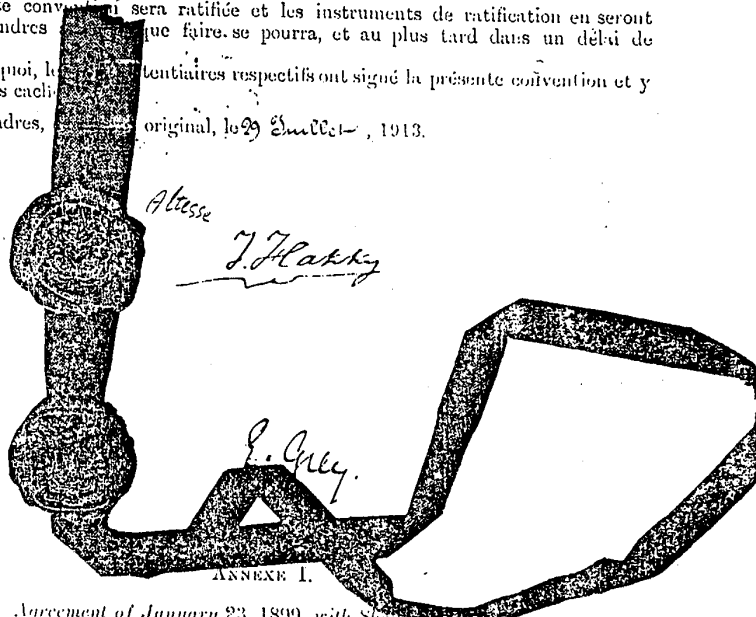
Les deux Gouvernements sont d'accord pour nommer, dans le plus bref délai, des commissaires qui auront à appliquer sur le terrain les limites établies par les articles 5, 7 et 10 de cette convention en en dressant un plan détaillé et un procès-verbal explicatif. Le plan et le procès-verbal susénoncés, une fois dûment dressés et signés par les commissaires respectifs, seront considérés comme partie intégrante de la présente convention.

ARTICLE 18.

La présente convention sera ratifiée et les instruments de ratification en seront échangés à Londres, que faire se pourra, et au plus tard dans un délai de trois mois.

En foi de quoi, les Commissaires respectifs ont signé la présente convention et y ont apposé leurs cachets.

Fait à Londres, le 29 Janvier, 1913.



ANNEXE I.

Agreement of January 23, 1899, with Sheikh Mubarak bin-Sheikh Subah.

(Translation.)

Praise be to God alone (Bismillah) (in the name of God Almighty) ("Bismillah Ta'alah Shanulho").

THE object of writing this lawful and honourable bond is, that it is hereby covenanted and agreed between Lieutenant-Colonel Malcolm John Meade, I.S.C., Her Britannic Majesty's Political Resident, on behalf of the British Government, on the one part, and Sheikh Mubarak bin-Sheikh Subah, Sheikh of Kuwait, on the other part; that the said Sheikh Mubarak bin-Sheikh Subah, of his own free will and desire, does hereby pledge and bind himself, his heirs and successors, not to receive the agent or representative of any Power or Government at Kuwait, or at any other place within the limits of his territory, without the previous sanction of the British Government; and he further binds himself, his heirs and successors, not to cede, sell, lease, mortgage, or give for occupation or for any other purpose, any portion of his territory to the Government or subjects of any other Power without the previous consent of Her Majesty's Government for these purposes. This engagement also to extend to any portion of the territory of the said Sheikh Mubarak which may now be in possession of the subjects of any other Government.

In token of the conclusion of this lawful and honourable bond, Lieutenant-Colonel Malcolm John Meade, I.S.C., Her Britannic Majesty's Political Resident in the Persian Gulf, and Sheikh Mubarak bin-Sheikh Subah, the former on behalf of the British

EL-ITTEHAD AL-OSMANI

Journal Quotidien Politique, Littéraire, Commercial
(Industrial et Agricole)

Abonnement annuel :

4 Majidiés pour Beyrouth; 12 Livres turques pour les
Provinces et 25 P^{as} pour l'Etranger

Propriétaire - AHMED B. TABBARA

Directeur responsable - Khalil P. Aoun

Direction : Rue El-Jadida - Beyrouth

الاتحاد العثماني

١٣٢٦

لجنة سياسية ادبية تجارية صناعية زراعية

في النسخة واحدة

قيمة الاشتراك

الجديدات من سنة واحدة في بيروت ولبنان شقية في عمادة
و ٣٠ فرنكا خارج البلاد الشقية

الامارات تنفق على اجرة تاج الادارة

المراسلات

باسم صاحب الاقتصاد احمد حسن طهارة

لجنة اصحاب الاتحاد رضا القبان

للمدير المسؤول : خليل بركاتي حورا

على الادارة في الكلية لاطلا على المراسل الجديدة

بيروت - الاربعاء - في ٣ جمادى الاولى سنة ١٣٣١

و ٩ نيسان سنة ١٩١٢ - ١ أبريل -

٢٧ آذار سنة ١٣٢٩

منع اجتماع

الجمعية العمومية الاصلاحية في بيروت واقفال ناديا

ولسار الولايات اللبنانية ومنضمات الاحكام المنصوص

التي تؤمن الاحتياجات المعنوية لكل ولاية

على انه من الثابت فلا ينشر مثل هذا

القانون المخصوص التكميل لوصول الاصلاحات

التي تود الحكومة اللبنانية اتخاذها بصورة جديدة

انه اذا وجدت بعض التناقض عند تطبيق احكامه

الفرعية فلا شك له الحكومة اللبنانية ثم هذا

النقص بالاشتراك مع مجلس المبررات الذي ينبغي

فرقا ان شاء الله - وبناء عليه نعلن انه قد

منع بموجب القانون اجتماع الجمعية المذكورة التي

ليس لما قاتا كيان قانوني ولم يبق محل وحلقة

لحوامها بعد الآن وانما تصدق التقرر بما

الاجتماع جلانا قانول تضطر الحكومة لاجراء

ما يقتضيه القانون منهم من المللات

في ٢٦ مارس سنة ١٣٢٩

والي بيروت

ابراهيم حرم

بلاغ رسمي

بما ان الجمعية التي تشكلت منذ شهر من وصف

من بعض القوت في بيروت باسم الجمعية العمومية

الاصلاحية والتي اتفق ان اعطى لها طام وشهر من

مقام الولاية قد كان تشكيلها مغايراً اساساً للمعوية

الصريحة التي نص عليها قانون الجمعيات فغلاً عن ان

بعض المطالب التي اخذ هؤلاء يطالبون بها باسم

الاملاجات في مناقبة ايضا لاحكام القانون

الاساسي وبناء عليه قد صدر من الطيحي منع

دوام واجتماع هذه الجمعية

هذا وقد شرع بتطبيق قانون ادارة الولايات

التي تنظمت الحكومة اللبنانية وفقاً لقاعدة توسيع

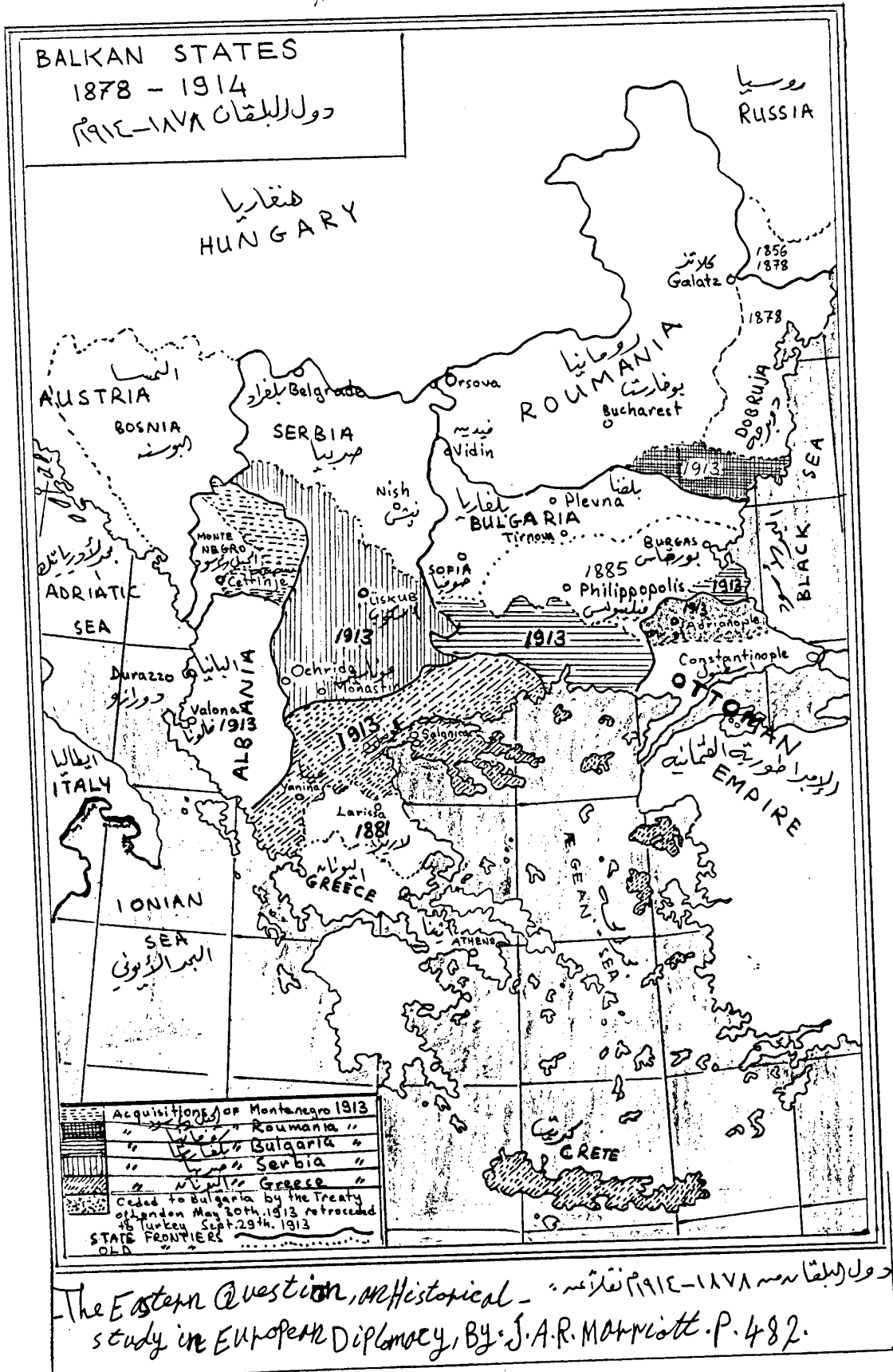
للأندية وخرقوا الرضا التي نصت عليها المادة

لثالثة والخامسة من القانون الابلس وصدرت ارادة

للمنظمة اللبنانية بمرعاة احكامه فجاء مجلساً لمساعدته

الواسية التي تشكلت الاصلاحات للمطالبة لبيروت

الملحق ٥ - رقم ١ -



الملحق ٥ - رقم ٢ -



Barbara Jelavich = History of The Balkans,
Twentieth Century, V.2, P.107.

دول البلقان سنة ١٩١٤م، تقريبا:

الملحق - رقم ٢ -



المحدود المثبتة لدول البلقان عام ١٩١٤ م
تقاضي: William. M. Sloane = Bir Tarikh Laboratory, Balkanlar,
P. 6.

الوثائق - المصادر - المراجع

Documentes :

أولا : الوثائق :

(i) وثائق لم تنشر من الأرشيف العثماني . استانبول :

(A) Osmanli Arşivi Daire Başkanlığı .

Yerebatan Cad . Ticarethane sok

Sultanahmet . Ist .

(1) Muahede name, Numarasi, 335 . dated, 18. 10. 1912

(2) Muahede name, Numarasi, 333. dated, 30. 5. 1913 .

(3) Muahede name, Numarasi, 242/8. dated, 29. 7. 1913

(4) Muahede name, Constantinople, dated, 29. 9. 1913 .

(5) Muahede name, Numarasi, 234. dated. 27. 11. 1913 .

(ب) وثائق لم تنشر من دار السجلات البريطانية : وزارة

الخارجية ، لندن .

(B) Public Record offic "Foreign office" F.o -

* آسيا التركية وشبه الجزيرة العربية :

Asiatic Turkey and Arabia :

(1) F.o. 424/222 :

No. 72

Enclosure, in No. 85.

(2) F.o. 424/223 :

Enclosure, in No. 33

(3) F.o. 424/225 :

No. 129 .

(102)

(4) F.o. 424/226 :

No. 32 .

No. 57 .

No. 86 .

No. 144 .

(5) F.o. 424/229 :

No. 13 .

No. 152.

(6) F.o. 424/231 :

No. 25 .

No. 160 .

(7) F.o. 424/232 :

No. 153.

(8) F.o. 424/237 :

Enclosure, in No. 20 .

No. 121 .

(9) F.o. 424/238 :

No. 313 .

No. 314 .

Enclosure, in No. 314.

No. 315.

Enclosure, in No. 315.

No. 335 .

Enclosure, in No. 359 .

Enclosure, 1 in No. 429 .

Enclosure, 1, in No. 458 .

(٤٥٣)

F.o. 424/238 :

Enclosure, 2, in No. 458 .

Enclosure, 3, in No. 458 .

(10) F.o. 424/239 :

No. 15 .

No. 16 .

No. 25 .

No. 26 .

Enclosure, in No. 54 .

No. 83 .

Enclosure, in No. 83 .

No. 84 .

Enclosure, 1, in No. 109 .

Enclosure, 2, in No. 109 .

Enclosure, 3, in No. 109 .

No. 164 .

الحرب التركية "فى شبه جزيرة البلقان" :

Turkish War :

(11) F.o. 424/234 :

No. 147 .

No. 164 .

No. 221 .

No. 222 .

No. 223 .

No. 340 .

(101)

F.o. 424/234 :

No. 343 .

No. 344 .

No. 447 .

No. 485 .

No. 488 .

No. 582 .

No. 585 .

No. 872 .

(12) F.o. 424/235 :

No. 127 .

No. 129 .

No. 151 .

No. 332 .

No. 333 .

No. 362 .

No. 452 .

No. 575 .

No. 577 .

No. 754 .

No. 756 .

No. 814 .

No. 815 .

(13) F.o. 424/236 :

No. 67 .

No. 68 .

(100)

F.o. 424/236 :

No. 72 .

No. 182 .

No. 249 .

Enclosure, in, No. 249 .

(14) F.o. 424/241 :

No. 447 .

(15) F.o. 424/242 :

No. 20 .

No. 21 .

No. 204 .

No. 205 .

No. 206 .

No. 253 .

Enclosure, in No. 253 .

(16) F.o. 424/243 :

No. 3 .

(17) F.o. 424/244 :

No. 14 .

No. 15 .

No. 206 .

No. 260 .

(18) F.o. 424/245 :

No. 184 .

No. 313 .

(106)

F.o. 424/245 :

No. 364 .

No. 378 .

(19) F.o. 424/246 :

No. 286 .

No. 345 .

No. 346 .

No. 353 .

(20) F.o. 424/247 :

No. 33 .

No. 34 .

No. 390 .

No. 460 .

No. 597 .

No. 599 .

No. 244 .

No. 245 .

No. 246 .

(21) F.o. 424/248 :

No. 124 .

No. 135 .

No. 136 .

No. 218 .

No. 219 .

(٤٥٧)

F.o. 424/248 :

No. 264 .

No. 302 .

No. 312 .

Enclosure, in No. 312 .

No. 414 .

(22) F.o. 424/250 :

Annual Report, 1910, No. 103,

dated, 14. 2. 1911 .

Annual Report, 1911, No. 100 .

dated, 31. 1. 1912.

Annual Report, 1912, No. 315 .

dated, 17. 4. 1913.

Annual Report, 1913,

dated, 14. 12. 1914 .

ثانيا : المصادر العربية والمعرية :

- (١) القرآن الكريم
- (٢) أمين الريحاني : ملوك العرب - الجزء الثاني -
دار الريحاني للطباعة والنشر ، بيروت ، طه
١٩٦٧ م .
- (٣) أمين الريحاني : نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز بن
عبد الرحمن آل سعود ملك الحجاز ونجد
وملحقاتها .
طه ، ١٩٨١ م ، منشورات الفاخرية بالرياض
ودار الكاتب العربي بيروت .
- (٤) أمين الريحاني : تاريخ نجد الحديث وسيرة عبد العزيز
ابن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز
ونجد وملحقاتها .
ط١ ، ١٩٨٠ م ، المؤسسة العربية للدراسات
والنشر ، بيروت .
- (٥) سليمان فيضي : في غمرة النضال "مذكرات سليمان فيضي"
بغداد ، ١٩٥٢ م ، شركة التجارة والطباعة .
- (٦) عبد الرحمن الكواكبي : أم القرى
ط١٩٥٩ م ، حلب ، المطبعة العصرية .
- (٧) عبد الله بن الحسين : الآمال السياسية .
عمان ، ١٩٣٩ م .
- (٨) عبد الله بن الحسين : مذكراتي
مطبعة بيت المقدس ، القدس ، ب.ت.ن.
- (٩) محمد جميل بيهم : قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور
- جزئين في مجلدين -
ج١ ، ط١ سنة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م ، ج٢ ، ط١ سنة
١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م ، مطابع دارالكشاف ، بيروت.

- (١٠) محمد عزة دروزة : نشأة الحركة العربية الحديثة .
ط٢ ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، المكتبة العصرية ،
بيروت .
- (١١) محمد كرد على : خطط الشام - ستة أجزاء فى ثلاث
مجلدات -
ط٣ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، مكتبة النورى دمشق .
- (١٢) مذكرات السلطان عبد الحميد ، تعريب وتحقيق وتعليق
محمد حرب عبد الحميد .
ط٢ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، دار الوثائق السالمية
الكويت.
- (١٣) مذكرات سليم على سلام " ١٨٦٨ - ١٩٣٨م " ، حققها وعلق
على هوامشها حسان على حلاق .
الدار الجامعية للطباعة والنشر ، بيروت ،
١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- (١٤) مذكرات سفير أميركا فى الآستانة المستر هنرى مورغنتو
تعريب فؤاد صروف .
منشورات مكتبة العرب بالفجالة ، القاهرة ،
١٩٢٣م .
- (١٥) مذكرات لورد غراى وتبعية الحرب العالمية الكبرى
" ١٨٩٢-١٩١٦م " ، تعريب على أحمد شكرى .
المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م .
- (١٦) ممطفى الشهابى : القومية العربية - تاريخها وقوامها
ومراميها -
ط٢ ، ١٩٦١م معهد الدراسات العربية العالية
القاهرة .

(١٧) مؤلف مجهول : ثورة العرب ضد الأتراك - مقدماتها -

أسبابها - نتائجها - ، تحقيق وتقديم عماد

محمد شبارو

منشورات دار مصباح الفكر ، بيروت ، ط١٩٨٧م

(١٨) نجيب عازوري : يقظة الأمة العربية ، تعريب وتقديم

أحمد أبو ملحم

المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت

ب.ت.ن.

ثالثا : الرسائل العلمية التى لم تنشر :

- (١) ايمان محمد عبد المنعم عامر : سياسة بريطانيا فى الخليج العربى ١٩١٤-١٩٣٩ م .
رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٤ م .
- (٢) بدر الدين عباس الخصوصى : التنافس الدولى حول الكويت فى الفترة مابين ١٨٩٩-١٩٤٥ م .
رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٦ م .
- (٣) حسين هادى الشلاه : السيد طالب النقيب ودوره فى تاريخ العراق الحديث
رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٠ م .
- (٤) خالد حمود السعدون : الأوضاع القبلية فى ولاية البصرة العثمانية ١٣٢٦-١٣٣٧هـ / ١٩٠٨-١٩١٨ م .
رسالة دكتوراه ، كلية الشريعة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٥هـ .
- (٥) سعيد خليل هاشم : تاريخ البحرين من الحماية الى الاستقلال من ١٨٦١-١٩٧١ م .
رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٤ م .
- (٦) فوزى أسعد نقيطى : العلاقات السعودية - البريطانية ١٩٠١-١٩٤٦ م .
رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٢ م .

(٧) منيرة عبد الله عبد الرحمن العرينان : علاقات نجد

بالقوى المحيطة ١٣١٩-١٣٣٢هـ/١٩٠٢-١٩١٤م .

رسالة دكتوراه ، كلية الشريعة ، جامعة أم

القرى ، ١٤٠٧هـ .

رابعاً : المراجع العربية :

(١) ابراهيم أحمد العدوى : قادة التحرير العربى فى العصر

الحديث

مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م .

(٢) ابراهيم أحمد العدوى : مصر والشرق العربى درع الاسلام

مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٥م .

(٣) ابراهيم خليل أحمد : تاريخ الوطن العربى فى العهد

العثمانى ١٥١٦-١٩١٦م .

منشورات جامعة الموصل - ب.ت.ن .

(٤) ابراهيم عبده : انسان الجزيرة - عرض جديد لسيرة

الملك عبد العزيز آل سعود .

منشورات مكتبة الآداب ، الجمايز ، القاهرة

. ١٩٥٤م .

(٥) أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ - من القرن

الرابع عشر قبل الميلاد الى القرن

العشرين -

ط٣ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، مطابع البادية -

الرياض .

(٦) أحمد السامرائى : القواسم والخليج العربى وعربستان

ط١ ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، ب.م.ن .

(٧) أحمد السقاف : فى العروبة والقومية

ط١ ، ١٩٨٣م ، شركة الربيعان للنشر ، الكويت .

(٨) أحمد شوقى : الشوقيات

٤ أجزاء فى مجلدين ، دار الكتاب العربى ،

بيروت ب.ت.ن .

- (٩) أحمد عبد الرحيم مصطفى : فى أصول التاريخ العثمانى
ط ١ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، منشورات دار الشروق -
بيروت والقاهرة .
- (١٠) أحمد عبد الغفور عطار : صقر الجزيرة - الجزء الأول -
طبع شركة استاندارد للطباعة ، شارع
ابراهيم باشا ، مصر ، ب.ت.ن .
- (١١) أحمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العرب الحديث
دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،
بيروت ، ١٩٧٠م .
- (١٢) أحمد عسه : معجزة فوق الرمال
ط ٣ ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م - ب.م.ن .
- (١٣) أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت الحديث
١٧٥٠ - ١٩٦٥م .
- ط ١ ، ١٩٨٤م ، طباعة ونشر ذات السلاسل ،
الكويت .
- (١٤) أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية - جزئين فى مجلد
واحد -
مطبوعات دار الملك عبد العزيز - الرياض -
رقم ٩-ب.ت.ن .
- (١٥) أمين سعيد : الخليج العربى فى تاريخه السياسى ونهضته
الحديثة
دار الكاتب العربى ، بيروت ، ب.ت.ن .
- (١٦) أمين شاكرو وآخرون : تركيا والسياسة العربية من خلفاء
آل عثمان الى خلفاء أتاتورك
منشورات دار المعارف بمصر ، ب.ت.ن .

(١٧) أورخان محمد على : السلطان عبد الحميد الثانى حياته

وأحداث عهده

دار الوثائق بالكويت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م

(١٨) توفيق على برو : العرب والترك فى العهد الدستورى

العثمانى ١٩٠٨-١٩١٤م

معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة

١٩٦٠م .

(١٩) جاد طه : سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن

دار الفكر العربى ، القاهرة ، الطبعة

الثانية ، ب.ت.ن .

(٢٠) جمال زكريا قاسم : الخليج العربى - دراسة لتاريخ

الامارات العربية - ١٩١٤-١٩٤٥م .

ط١ ، ١٩٧٣م ، دار الفكر العربى ، القاهرة .

(٢١) جمال زكريا قاسم : دراسة لتاريخ الامارات العربية

١٨٤٠-١٩١٤م .

ط٢ ، ١٩٧٤م ، دار البحوث العلمية ، الكويت

(٢٢) جلال يحيى : العالم العربى الحديث - المدخل -

دار المعارف بمصر ، ١٩٨٥م .

(٢٣) جلال يحيى : المغرب العربى الحديث والمعاصر حتى الحرب

العالمية الاولى

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فرع

الاسكندرية ، ١٩٨٢م .

(٢٤) جلال يحيى : المغرب العربى الحديث والمعاصر - الفجر

واحتلال فرنسا للجزائر .

الهيئة المصرية العامة للكتاب - فرع

الاسكندرية ، ١٩٨٣م .

(٢٥) حافظ وهبه : جزيرة العرب فى القرن العشرين
ط٤ ، ١٩٦١م ، مكتبة النهضة المصرية ،
القاهرة .

(٢٦) حافظ وهبه : خمسون عاما فى جزيرة العرب
ط١ ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م ، منشورات مصطفى البابى
الحلبى وأولاده القاهرة .

(٢٧) حسان حلاق : بيروت المحروسة فى العهد العثمانى
منشورات الدار الجامعية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ
١٩٨٧م .

(٢٨) حسن على الابراهيم ، الكويت - دراسة سياسية -
ط٣ ، ١٩٨٠م ، منشورات مؤسسة دار العلوم ،
الكويت .

(٢٩) خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد
العزیز - ٤ أجزاء فى ٣ مجلدات -
ط٢ ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، دار العلم للملايين ،
بيروت .

(٣٠) خير الدين الزركلى : الوجيز فى سيرة الملك عبد
العزیز
ط٣ ، يناير ١٩٧٧م ، دار العلم للملايين ،
بيروت .

(٣١) خير الدين الزركلى : الاعلام - قاموس تراجم لاشهر
الرجال والنساء من العرب والمستعربين
والمستشرقين -

ط٧ ، ١٩٨٦م ، دار العلم للملايين ، بيروت .

(٣٢) خيرية قاسمية : الحكومة العربية فى دمشق ١٩١٨-١٩٢٠م

ط٢ ، ١٩٨٢م ، المؤسسة العربية للدراسات

والنشر ، بيروت .

(٣٣) رافت الشيخ : فى تاريخ العرب الحديث

ط٣ ، ١٩٨٠م ، دار الثقافة للطباعة والنشر

القاهرة .

(٣٤) زكى صالح : مجمل تاريخ العراق الدولى فى العهد

العثمانى

معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة

١٩٦٦م .

(٣٥) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية - مع

دراسة تاريخية فى العلاقات العربية التركية

ط٣ ، ١٩٧٩م ، دار النهار للنشر ، بيروت .

(٣٦) زين نور الدين زين : الصراع الدولى فى الشرق الاوسط

وولادة دولتى سوريا ولبنان

ط٢ ، ١٩٧٧م ، دار النهار للنشر ، بيروت .

(٣٧) ساطع الحميرى : البلاد العربية والدولة العثمانية .

معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة

١٩٥٧م .

(٣٨) ساطع الحميرى : محاضرات فى نشوء الفكرة القومية

ط٢ ، يوليو ١٩٨٥م منشورات مركز دراسات

الوحدة العربية ، بيروت .

- (٣٩) ساطع الحمري : آراء وأحاديث فى الوطنية والقومية
منشورات مركز دراسات الوحدة العربية ،
بيروت ، نوفمبر ١٩٨٤ م .
- (٤٠) سفر بن عبد الرحمن الحوالى : العلمانية - نشأتها
وتطورها وآثارها فى الحياة الإسلامية
المعاصرة .
ط ١ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، منشورات مركز البحث
العلمى بجامعة أم القرى .
- (٤١) سيد مصطفى سالم : تكوين اليمن الحديث - اليمن والامام
يحيى ١٩٠٤-١٩٤٨ م .
- ط ٣ ، ١٩٨٤ م ، مكتبة مدبولى بالقاهرة .
- (٤٢) سيد نوفل : الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربى
وجنوب الجزيرة - الكتاب الثانى -
ط ٢ ، ١٩٧٢ م ، معهد البحوث والدراسات
العربية ، القاهرة .
- (٤٣) سيف مرزوق الشملان : من تاريخ الكويت
ط ٢ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، منشورات ذات السلاسل ،
الكويت .
- (٤٤) صالح محمد العجيرى : تقويم القرون - لمقابلة
التواريخ الهجرية والميلادية -
ط ٢ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م ، منشورات ذات السلاسل ،
الكويت .
- (٤٥) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية
فى ماضيها وحاضرها - جزئين فى مجلدين -
ط ١ ، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م ، منشورات دار مكتبة
الحياة ، بيروت .

- (٤٦) صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى
مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٣م ، القاهرة .
- (٤٧) الطاهر أحمد الزاوى الطرابلسى : جهاد الأبطال فى
طرابلس الغرب
الطبعة الأولى ، ١٩٥٠م ، مطبعة الفجالة الجديدة ، ممر
(٤٨) عابدين حماده : تاريخ الشرق والغرب
ط ٣ ، ١٩٥٧م ، المطبعة الجديدة دمشق .
- (٤٩) عبد الحميد البطريق : التيارات السياسية المعاصرة
١٨١٥-١٩٦٠م .
دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،
بيروت ، ١٩٧٤م .
- (٥٠) عبد الرحمن البزاز : العراق من الاحتلال حتى الاستقلال
معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة
١٩٥٤م .
- (٥١) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : تاريخ العرب
الحديث والمعاصر
ط ٣ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، منشورات دار المتنبي
- الدوحة - قطر .
- (٥٢) عبد الرزاق أحمد النصيري : نوري السعيد ودوره فى
السياسة العراقية حتى عام ١٩٣٢م .
ط ٢ ، ١٩٨٨م ، مكتبة اليقظة العربية ،
بغداد - العراق .

(٥٣) عبد العزيز بن باز : نقد القومية العربية على ضوء
الاسلام والواقع .

ط٤ ، ١٤٠٠هـ — ، منشورات المكتب الاسلامي ،
بيروت .

(٥٤) عبد العزيز رفاعي ، عبد العال ابراهيم : دراسات في
الشرق الاوسط

مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ب.ت.ن .

(٥٥) عبد العزيز سليمان نوار : مصر والعراق - دراسة في
تاريخ العلاقات بينهما حتى نشوب الحرب
العالمية الاولى -

مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

(٥٦) عبد العزيز سليمان نوار : تاريخ العرب المعاصر - مصر
والعراق -

دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،
بيروت ، ١٩٧٣م .

(٥٧) عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الاسلامية - الاتراك
العثمانيون ، الفرس ، مسلمو الهند .

دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،
بيروت ، ١٩٧٣م .

(٥٨) عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم : السلام البريطاني في

الخليج العربي ١٨٩٩-١٩٤٧م - دراسة وثائقية

ط١ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م ، منشورات دار المريخ
بالرياض .

(٥٩) عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم : علاقة ساحل عمان

ببريطانيا - دراسة وثائقية -

مطبوعات دار الملك عبد العزيز - الرياض -

. ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٦٠) عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم : سياسة الامن لحكومة

الهند فى الخليج العربى ١٢٧٥-١٣٣٣هـ/١٨٥٨

١٩١٤م - دراسة وثائقية -

مطبوعات دار الملك عبد العزيز ، الرياض ،

. ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .

(٦١) عبد العزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية دولة

اسلامية مفترى عليها - ثلاثة أجزاء فى ثلاثة

مجلدات -

مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٠م ،

. ١٩٨٣م .

(٦٢) عبد العزيز محمد عوض : الادارة العثمانية فى ولاية

سورية ١٨٦٤-١٩١٤م

دار المعارف ، بمصر ، ١٩٦٩م .

(٦٣) عبد العزيز محمد المنصور : التطور السياسى لقطر فى

الفترة ما بين ١٨٦٨-١٩١٦م .

ط٢ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، منشورات ذات السلاسل ،

الكويت .

(٦٤) عبد العزيز محمد المنصور : الكويت وعلاقتها بعربستان

والبصرة ١٨٩٦-١٩١٥م .

ط٢ ، ١٩٨٠م ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت

- (٦٥) عبد الكريم رافق : العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦ م .
ط ١ ، ١٩٧٤م مكتبة أطلس دمشق .
- (٦٦) عبد الكريم محمود غراييه : تاريخ العرب الحديث
منشورات الاهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ،
١٩٨٤م .
- (٦٧) عبد المنصف حافظ البورى : الغزو الايطالى لليبيا -
دراسة فى تاريخ العلاقات الدولية .
ط ١ ، ١٩٨٦م ، منشورات شركة كاظمة للنشر ،
الكويت .
- (٦٨) عبد المنعم الغلامى : الملك الراشد - جلالة المغفور له
عبد العزيز آل سعود -
ط ٢ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، منشورات دار اللواء ،
الرياض .
- (٦٩) عبد الواسع بن يحيى الواسعى : تاريخ اليمن "المسمى
فرجة الهموم والحزن فى حوادث تاريخ اليمن"
الدار اليمنية للنشر ، ط ٣ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
- (٧٠) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية
ط ١ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، المكتب الاسلامى ، دمشق
- (٧١) على حسون : العثمانيون والروس
ط ١ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، المكتب الاسلامى ،
بيروت - دمشق .
- (٧٢) على حسون : العثمانيون والبلقان
ط ٢ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، المكتب الاسلامى ،
- بيروت - دمشق .

(٧٣) على حسنى الخربوطلى : القومية العربية من الفجر الى
الظهر

دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ،
ب.ت.ن .

(٧٤) عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربى ١٥١٦
١٩٢٢م .

دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، بيروت .

(٧٥) عمر عبد العزيز عمر : دراسات فى تاريخ العرب الحديث
والمعاصر - مصر ١٥١٧-١٩٥٢م ، القضية
الفلسطينية -

دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،
بيروت ، ١٩٨٠م .

(٧٦) فاروق عثمان أباطة : الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢
١٩١٨م .

ط٢ ، ١٩٧٩م ، دار العودة بيروت .

(٧٧) فاروق عثمان أباطة : عدن والسياسة البريطانية فى
البحر الاحمر ١٨٣٩-١٩١٨م .

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦م .

(٧٨) فاروق عثمان أباطة : مستقبل الجانب الشرقى من الدولة
العثمانية فى نظر حكومة الهند البريطانية

فى بداية الحرب العالمية الاولى ، مطبوعات
دار المعارف بمصر ، ١٩٨٦م .

(٧٩) فتوح عبد المحسن الخترش وعبد العزيز محمد المنصور :

مصادر تاريخ قطر ١٨٦٨-١٩١٦م ،

ط٢ ، ١٩٨٤م ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت

(٨٠) فتوح الخترش وعبد العزيز المنصور : نشوء قطر وتطورها

- دراسة تاريخية -

ط١ ، ١٩٧٧م ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت

(٨١) فتوح عبد المحسن الخترش : تاريخ العلاقات السياسية

البريطانية الكويتية ١٨٩٠-١٩٢١م

ط٢ ، ١٩٨٤م ، منشورات ذات السلاسل الكويت .

(٨٢) فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب

ط٢ ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، منشورات مكتبة النصر

الحديثة ، الرياض .

(٨٣) فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي

١٨٥٣-١٩١٤م

ط١ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، منشورات ذات السلاسل ،

الكويت .

(٨٤) قدرى قلعجى : الخليج العربى

دار الكاتب العربى ، بيروت ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م

(٨٥) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى

١٥١٤ - ١٩١٤م .

مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ب.ت.ن .

(٨٦) محمد أسعد طلس : تاريخ العرب

ط٣ ، ١٩٨٣م ، دار الاندلس ، بيروت .

(٨٧) محمد الخير عبد القادر : نكبة الأمة العربية بسقوط

الخلافة العثمانية - دراسة للقضية العربية

فى خمسين عاما ١٨٧٥-١٩٢٥ م .

ط١ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، منشورات مكتبة وهبة ،

القاهرة .

(٨٨) محمد جلال كشك : السعوديون والحل الاسلامى - ممد

الشرعية للنظام السعودى -

ط٤ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، المطبعة الفنية

بالقاهرة .

(٨٩) محمد خليفة بن حمد النبهانى الطائى : التحفة

النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية

ط١ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، دار احياء العلوم ،

بيروت ، المكتبة الوطنية البحرين .

(٩٠) محمد رفعت : تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته

السياسية

دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

(٩١) محمد رفعت : التوجيه السياسى لفكرة العربية الحديثة

دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

(٩٢) محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس فى العوامل

التاريخية فى بناء الأمة العربية على ماهى

عليه اليوم

معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦١م .

(٩٣) محمد عبد الرحمن برج : دراسة فى التاريخ العربى

الحديث والمعاصر

مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

(٩٤) محمد عبد الكريم الوافى - الطريق الى لوزان -

الخفايا الدبلوماسية والعسكرية للغزو

الايطالى لليبيا -

ط ١ ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، دار الفرغانى ،

طرابلس ، ليبيا

(٩٥) محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر

الانصارى الاحسائى : تحفة المستفيد بتاريخ

الاحساء فى القديم والجديد

ط ٢ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م مكتبة المعارف بالرياض

(٩٦) محمد عرابى نخلة : تاريخ الاحساء السياسى ١٨١٨-١٩١٣م

منشورات ذات السلاسل - الكويت ، ١٤٠٠هـ

١٩٨٠م

(٩٧) محمد عصمت شيخو : سورية وقضية فلسطين ١٩٢٠-١٩٤٩م ،

ط ١ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، دار قتيبة ، دمشق .

(٩٨) محمد عمارة : العروبة فى العمر الحديث

دار الوحدة للطباعة والنشر ، بيروت ،

١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .

(٩٩) محمد عمر : يهود الدنمة

مؤسسة الدراسات التاريخية ، ماليزيا ،

ب.ت.ن .

(١٠٠) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،

تحقيق احسان حقى .

ط ٢ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، دار النفائس ، بيروت

(١٠١) محمد فؤاد شكرى : ميلاد دولة ليبيا الحديثة - وثائق
تحريرها واستقلالها -

مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

(١٠٢) محمد قاسم وأحمد نجيب هاشم : التاريخ الحديث
والمعاصر

دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ب.ت.ن .

(١٠٣) محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة
الشرقية

منشورات دار الثقافة للطباعة والنشر ،
القاهرة ، ١٩٧٦م .

(١٠٤) محمود حسن صالح منسى : الحملة الإيطالية على ليبيا
- دراسة وثائقية فى استراتيجية الاستعمار
والعلاقات الدولية -

دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

(١٠٥) محمود الشرقاوى : جنوب الجزيرة العربية

مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٩م

(١٠٦) محمود صالح منسى : حركة اليقظة العربية فى الشرق
الآسيوى

نشر وطبع دار الفكر العربى ، القاهرة ،
١٩٧٨م .

(١٠٧) محيى الدين القابسى : المصحف والسيف "مجموعة من
خطابات وكلمات وأحاديث ومذكرات الملك عبد
العزیز آل سعود" .

ط ٣ ، ب.ت.ن - ، دار الناصر للنشر ، الرياض

(١٠٨) مديحة أحمد درويش : تاريخ الدولة السعودية حتى

الربع الأول من القرن العشرين

ط٢ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، منشورات دار الشروق

بجدة .

(١٠٩) مصطفى عبد القادر النجار : امارة المحمرة - دراسة

لتاريخها العربى ١٨١٢-١٩٢٥م .

وزارة الثقافة والاعلام - العراق ، ١٩٨١م .

(١١٠) مصطفى عبد القادر النجار : التاريخ السياسى لامارة

عربستان العربية ١٨٩٧-١٩٢٥م

دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠م

(١١١) مصطفى النجار وآخرون : تاريخ الخليج العربى الحديث

والمعاصر

مطبوعات جامعة البصرة ، ١٩٨٤م

(١١٢) مكى الطيب شبكية : العرب والسياسة البريطانية فى

الحرب العالمية الاولى ،

منشورات معهد البحوث والدراسات العربية ،

القاهرة ، ١٩٧٥م .

(١١٣) موسى بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود : الملك عبد

العزيز ومؤتمر الكويت ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣-١٩٢٤م .

ط١ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، منشورات تهامة ، جدة

(١١٤) موفق بنى المرجة : صحوة الرجل المريض أو السلطان

عبد الحميد الثانى والخلافة الاسلامية

منشورات مؤسسة مقر الخليج ، الكويت ،

١٩٨٤م .

(١١٥) نبيل عبد الحى رضوان : الدولة العثمانية وغربى
الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس

١٢٨٦-١٣٢٦هـ/١٨٦٩-١٩٠٨م ،

ط١ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، منشورات تهامة ، جدة

(١١٦) نجيب صالح : تاريخ العرب السياسى ١٨٥٦-١٩٥٦م

ط١ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م ، منشورات دار اقرأ ،

بيروت

(١١٧) وجيه كوشرانى : بلاد الشام - السكان ، الاقتصاد

والسياسة الفرنسية فى مطلع القرن

العشرين - قراءة فى الوثائق ،

ط٢ ، ١٩٨٤م ، معهد الانماء العربى ، بيروت.

(١١٨) وجيه كوشرانى : السلطة والمجتمع والعمل السياسى من

تاريخ الولاية العثمانية فى بلاد الشام ،

ط١ ، ١٩٨٨م ، مركز دراسات الوحدة العربية

بيروت .

(١١٩) وميض جمال عمر نظمى : ثورة ١٩٢٠ - الجذور السياسية

والفكرية والاجتماعية للحركة القومية

العربية الاستقلالية فى العراق -

ط٢ ، ١٩٨٥م ، مركز دراسات الوحدة العربية

بيروت - بغداد .

(١٢٠) يوسف - ف - البستاني : تاريخ حرب البلقان الاولى بين

الدولة العلية والاتحاد البلقانى المؤلف من

البلغار والمرب واليونان والجبل الاسود

مطبعة الهلال بالفجالة ، مصر ، أكتوبر

١٩١٣م .

خامسا : المراجع الأجنبية المعربة :

- (١) آرنست - أ - رامزور : تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨م
ترجمة صالح أحمد العلى ، وتقديم ومراجعة
نقولا زيادة
منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٠م .
- (٢) ادوار عطية : العرب
ترجمة محمد قنديل البقل ، مراجعة محمد
مأمون نجا
ط١ ، ١٩٦١م الشركة العربية للطباعة والنشر
القاهرة
- (٣) برنارد لويس : الغرب والشرق الأوسط
ترجمة نبيل مبحى ، كتاب المختار ، القاهرة
- (٤) بنواميشان : عبد العزيز آل سعود - سيرة بطل ومولد
مملكة -
ترجمة عبد الفتاح ياسين
دار الكاتب العربى ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .
- (٥) بييررونوثن : تاريخ العلاقات الدولية - القرن التاسع
عشر ١٨١٥-١٩١٤م -
ترجمة جلال يحيى
منشورات دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٨٠م
- (٦) بييررونوثن : تاريخ القرن العشرين
ترجمة نور الدين حاطوم
ط٢ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، دار الفكر القاهرة .

(٧) جورج انطونيوس : يقظة العرب - تاريخ حركة العرب
القومية -

ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس ، وقدم
له نبيه أمين فارس

دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٦٩م .

(٨) جى - بى - كىلى : الحدود الشرقية لشبه الجزيرة
العربية

ترجمة وتعليق خيرى حماد

منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧١م .

(٩) زينائيدا - بافلوفنا - ياخيموفتش : الحرب التركية -
الايطالية ١٩١١-١٩١٢م

ترجمة هاشم صالح التكريتى

ط١ ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م بيروت ، منشورات

الجامعة اللىبة كلية الآداب والتربية .

(١٠) سنت جون فيلبى : تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد
الوهاب - السلفية -

ترجمة عمر الديراوى ،

منشورات المكتبة الاهلية ، بيروت ، ب.ت.ن .

(١١) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين

ترجمة كمال اليازجى ، مراجعة جبرائيل جبور

منشورات دار الشقافة ، بيروت ، ١٩٥٩م .

(١٢) فيليب حتى وآخرون : تاريخ العرب

ط٧ ، ١٩٨٦م دار غندور للطباعة والنشر

والتوزيع ، بيروت

- (١٣) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية
ترجمة نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي
ط٩ ، ١٩٨١م ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- (١٤) لوتسكى : تاريخ الاقطار العربية الحديث
ترجمة عفيفة البستاني ومراجعة يورى روشين
دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧١م .
- (١٥) مارى ملز باتريك : سلاطين بنى عثمان - صفحات من تاريخ
تركيا الاجتماعى والسياسى والاسلامى -
ط١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ، دار الحضارة للطباعة
والنشر ، بيروت .
- (١٦) مجيد خدورى : الاتجاهات السياسية فى العالم العربى
ط١ ، ١٩٧٢م الدار المتحدة للنشر ، بيروت .
- (١٧) محمد المانع : توحيد المملكة العربية السعودية
ترجمة عبد الله الصالح العثيمين
ط١ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، مطابع المطوع -
الدمام
- (١٨) نجلاء عز الدين : العالم العربى
ترجمة محمد عوض ابراهيم وآخرون ، وتقديم
وليم آرنست هوكنج
ط٢ ، ١٩٦٢م ، دار احياء الكتب العربية ،
القاهرة .

(١٩) هارولد تميرلى - و - أ - ج - جرانت : أوربا فى

القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩-١٩٥٠م

ترجمة محمد على أبو درة ، ولويس اسكندر ،

وراجعه أحمد عزت عبد العزيز

الناشر مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٨م

(٢٠) هارولد .ف. يعقوب .ك.س.آى : ملوك شبه الجزيرة

العربية

ترجمة أحمد الضواحي

دار العودة ، بيروت ١٩٨٣ م .

(٢١) هـ . ج . ولز : معالم تاريخ الانسانية

ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد

المجلد الرابع - فى التاريخ الحديث

١٦٠٠ - ١٩٦٥م

ط٢ ، ١٩٦٥م ، لجنة التأليف والترجمة

والنشر ، القاهرة .

سادسا : المقالات والابحاث العلمية :

- (١) أحمد طربين : الملك عبد العزيز والوحدة العربية
بحث مقدم للمؤتمر العالمى عن تاريخ الملك
عبد العزيز المنعقد بالرياض فى الفترة من
١٩-٢٣ ربيع الاول سنة ١٤٠٦هـ .
مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية -
الرياض .
- (٢) أحمد الشيبانى : حماد حقبة من تاريخ
جريدة الرياض ، عدد ٧٤٣٤ فى ٢٠ ربيع الاول
سنة ١٤٠٩هـ .
- (٣) البراور طايلى : انفصال الولايات العربية الشرقية عن
الدولة العثمانية فى القرن التاسع عشر
والسياسة العثمانية فى هذا العصر .
المجلة التاريخية المغربية ، تونس ، السنة
العاشره عدد ٣١-٣٢ ، ديسمبر ١٩٨٣ م .
- (٤) تركى بن محمد بن سعود الكبير : علاقة بريطانيا بالملك
عبد العزيز آل سعود ١٩٠٢-١٩٢٥ م .
بحث مقدم للمؤتمر العالمى عن تاريخ الملك
عبد العزيز ، المنعقد بالرياض فى الفترة
من ١٩-٢٣ ربيع الاول سنة ١٤٠٦هـ .
مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية -
الرياض .

(٥) جمال زكريا قاسم : موقف الكويت من التوسع السعودي فى

نجد وسواحل الاحساء

المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السابع

عشر ، ١٩٧٠م .

(٦) جمال زكريا قاسم : النزاع البريطانى العثمانى فى

الخليج العربى قبل نشوب الحرب العالمية

الاولى .

المجلة التاريخية المغربية ، تونس ، السنة

العاشرة ، عدد ٢٩-٣٠ ، يوليو ١٩٨٣م .

(٧) رافت غنيمى الشيخ : اماره قطر قبيل الحرب العالمية

الاولى

المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السابع

والعشرون ، ١٩٨١م .

(٨) سليمان شفيق كمال باشا : بلاد العرب فى مذكراته

مجلة العرب ، الجزء التاسع ، السنة

الخامسة ربيع الاول سنة ١٣٩١هـ . دار

اليمامة للنشر بالرياض .

(٩) فؤاد المرسى خاطر : الصراع الروسى - العثمانى وأثره

فى الوطن العربى

المجلة التاريخية المصرية ، المجلدان

٢٨، ٢٩ ، سنة ١٩٨١-١٩٨٢م .

(١٠) لسلوناجى : مدى الحرب الايطالية - التركية بطرابلس

الغرب فى الصحافة المجرية

المجلة التاريخية المغربية ، تونس ، السنة

الثامنة ، عدد ٢٣-٢٤ ، نوفمبر سنة ١٩٨١ م .

(١١) محمد عبد اللطيف البحراوى : من خصائص تاريخ

العثمانيين وحضارتهم .

مجلة دار الملك عبد العزيز - الرياض ،

العدد الرابع ، السنة الثالثة عشرة ، رجب

سنة ١٤٠٨هـ -

(١٢) مصطفى الشهابى : من ذكريات الحركة القومية العربية

المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السادس

. ١٩٥٧ م

(١٣) مصطفى كريم : مسألة غزو ايطاليا الاستعماري لليبيا

المجلة التاريخية المغربية - تونس .

العدد السادس - يوليو ١٩٧٦ م .

سابعاً : الدوريات "المجلات والمحف" :

مجلة المنار "القاهرة" :

- (١) الجزء ١٠ من المجلد ١٤ شوال ١٣٢٩هـ/أكتوبر ١٩١١م
- (٢) الجزء ١١ من المجلد ١٤ ذى القعدة ١٣٢٩هـ/نوفمبر ١٩١١م
- (٣) الجزء ١٢ من المجلد ١٤ ذى الحجة ١٣٢٩هـ/ديسمبر ١٩١١م
- (٤) الجزء ١ من المجلد ١٥ محرم ١٣٣٠هـ/يناير ١٩١٢م
- (٥) الجزء ٢ من المجلد ١٥ صفر ١٣٣٠هـ/فبراير ١٩١٢م
- (٦) الجزء ٣ من المجلد ١٥ ربيع الأول ١٣٣٠هـ/مارس ١٩١٢م
- (٧) الجزء ٦ من المجلد ١٥ جمادى الآخرة ١٣٣٠هـ/يونيو ١٩١٢م
- (٨) الجزء ٨ من المجلد ١٥ شعبان ١٣٣٠هـ/أغسطس ١٩١٢م
- (٩) الجزء ١١ من المجلد ١٥ ذى القعدة ١٣٣٠هـ/نوفمبر ١٩١٢م
- (١٠) الجزء ١٢ من المجلد ١٥ ذى الحجة ١٣٣٠هـ/ديسمبر ١٩١٢م
- (١١) الجزء ١ من المجلد ١٦ محرم ١٣٣١هـ/يناير ١٩١٣م
- (١٢) الجزء ٢ من المجلد ١٦ صفر ١٣٣١هـ/فبراير ١٩١٣م
- (١٣) الجزء ٣ من المجلد ١٦ ربيع الأول ١٣٣١هـ/مارس ١٩١٣م
- (١٤) الجزء ٤ من المجلد ١٦ ربيع الآخر ١٣٣١هـ/أبريل ١٩١٣م
- (١٥) الجزء ٥ من المجلد ١٦ جمادى الأولى ١٣٣١هـ/مايو ١٩١٣م
- (١٦) الجزء ٦ من المجلد ١٦ جمادى الآخرة ١٣٣١هـ/يونيو ١٩١٣م
- (١٧) الجزء ٧ من المجلد ١٦ رجب ١٣٣١هـ/يوليو ١٩١٣م
- (١٨) الجزء ٨ من المجلد ١٦ شعبان ١٣٣١هـ/أغسطس ١٩١٣م
- (١٩) الجزء ٩ من المجلد ١٦ رمضان ١٣٣١هـ/سبتمبر ١٩١٣م
- (٢٠) الجزء ١١ من المجلد ١٦ ذى القعدة ١٣٣١هـ/أكتوبر ١٩١٣م
- (٢١) الجزء ٢ من المجلد ١٧ صفر ١٣٣٢هـ/يناير ١٩١٤م
- (٢٢) الجزء ٣ من المجلد ١٧ ربيع الأول ١٣٣٢هـ/فبراير ١٩١٤م

- (٢٣) الجزء ٥ من المجلد ١٧ جمادى الاولى ١٣٣٢هـ/ابريل ١٩١٤م
(٢٤) الجزء ٨ من المجلد ١٧ شعبان ١٣٣٢هـ/يوليو ١٩١٤م
(٢٥) الجزء ١١ من المجلد ١٧ ذى القعدة ١٣٣٢هـ/اكتوبر ١٩١٤م
(٢٦) الجزء ١٢ من المجلد ١٧ ذى الحجة ١٣٣٢هـ/نوفمبر ١٩١٤م

(ب) جريدة الاتحاد العثماني "بيروت" :

- (١) عدد ١٢٨٢ تاريخ ٩ محرم ١٣٣١هـ/١٨ ديسمبر ١٩١٢م
(٢) عدد ١٢٨٦ تاريخ ١٤ محرم ١٣٣١هـ/٢٣ ديسمبر ١٩١٢م
(٣) عدد ١٣٠١ تاريخ ١ صفر ١٣٣١هـ/٩ يناير ١٩١٣م
(٤) عدد ١٣٠٢ تاريخ ٢ صفر ١٣٣١هـ/١٠ يناير ١٩١٣م
(٥) عدد ١٣٠٥ تاريخ ٦ صفر ١٣٣١هـ/١٤ يناير ١٩١٣م
(٦) عدد ١٣١٢ تاريخ ١٤ صفر ١٣٣١هـ/٢٢ يناير ١٩١٣م
(٧) عدد ١٣٢٣ تاريخ ٢٧ صفر ١٣٣١هـ/٤ فبراير ١٩١٣م
(٨) عدد ١٣٢٤ تاريخ ٢٨ صفر ١٣٣١هـ/٥ فبراير ١٩١٣م
(٩) عدد ١٣٢٥ تاريخ ٢٩ صفر ١٣٣١هـ/٦ فبراير ١٩١٣م
(١٠) عدد ١٣٣٣ تاريخ ٩ ربيع الاول ١٣٣١هـ/١٥ فبراير ١٩١٣م
(١١) عدد ١٣٣٨ تاريخ ١٦ ربيع الاول ١٣٣١هـ/٢٢ فبراير ١٩١٣م
(١٢) عدد ١٣٤٤ تاريخ ٢٣ ربيع الاول ١٣٣١هـ/١ مارس ١٩١٣م
(١٣) عدد ١٣٤٧ تاريخ ٢٧ ربيع الاول ١٣٣١هـ/٥ مارس ١٩١٣م
(١٤) عدد ١٣٤٨ تاريخ ٢٨ ربيع الاول ١٣٣١هـ/٦ مارس ١٩١٣م
(١٥) عدد ١٣٥٣ تاريخ ٤ ربيع الثانى ١٣٣١هـ/١٢ مارس ١٩١٣م
(١٦) عدد ١٣٦١ تاريخ ١٣ ربيع الثانى ١٣٣١هـ/٢١ مارس ١٩١٣م
(١٧) عدد ١٣٧١ تاريخ ٢٥ ربيع الثانى ١٣٣١هـ/٢ ابريل ١٩١٣م
(١٨) عدد ١٣٧٥ تاريخ ١ جمادى الاولى ١٣٣١هـ/٧ ابريل ١٩١٣م

- (١٩) عدد ١٣٧٦ تاريخ ٢ جمادى الاولى ١٣٣١هـ/ ٨ ابريل ١٩١٣م
(٢٠) عدد ١٣٧٧ تاريخ ٣ جمادى الاولى ١٣٣١هـ/ ٩ ابريل ١٩١٣م
(٢١) عدد ١٣٨٢ تاريخ ٩ جمادى الاولى ١٣٣١هـ/ ١٥ ابريل ١٩١٣م
(٢٢) عدد ١٣٨٤ تاريخ ١١ جمادى الاولى ١٣٣١هـ/ ١٧ ابريل ١٩١٣م
(٢٣) عدد ١٣٨٥ تاريخ ١٢ جمادى الاولى ١٣٣١هـ/ ١٨ ابريل ١٩١٣م
(٢٤) عدد ١٣٩٠ تاريخ ١٨ جمادى الاولى ١٣٣١هـ/ ٢٤ ابريل ١٩١٣م
(٢٥) عدد ١٣٩٤ تاريخ ٢٢ جمادى الاولى ١٣٣١هـ/ ٢٨ ابريل ١٩١٣م

(ج) جريدة الاصلاح "بيروت" :

- (١) عدد ١٠-١٤٠٥
تاريخ ١٥ جمادى الثانية ١٣٣١هـ/ ٢١ مايو ١٩١٣م
(٢) عدد ٢٢-١٤١٨
تاريخ ٢٩ جمادى الثانية ١٣٣١هـ/ ٤ يونيو ١٩١٣م
(٣) عدد ٢٣-١٤١٨
تاريخ ١ رجب ١٣٣١هـ/ ٥ يونيو ١٩١٣م
(٤) عدد ٢٤-١٤١٩
تاريخ ٢ رجب ١٣٣١هـ/ ٦ يونيو ١٩١٣م
(٥) عدد ٢٦-١٤٢١
تاريخ ٥ رجب ١٣٣١هـ/ ٩ يونيو ١٩١٣م
(٦) عدد ٢٧-١٤٢٢
تاريخ ٦ رجب ١٣٣١هـ/ ١٠ يونيو ١٩١٣م
(٧) عدد ٢٩-١٤٢٤
تاريخ ٨ رجب ١٣٣١هـ/ ١٢ يونيو ١٩١٣م
(٨) عدد ٣٩-١٤٣٤
تاريخ ٢١ رجب ١٣٣١هـ/ ٢٥ يونيو ١٩١٣م

- (٩) عدد ٤٠-١٤٣٥
تاریخ ٢٢ رجب ١٣٣١هـ/ ٢٦ یونیو ١٩١٣م
- (١٠) عدد ٤١-١٤٣٦
تاریخ ٢٣ رجب ١٣٣١هـ/ ٢٧ یونیو ١٩١٣م
- (١١) عدد ٤٤-١٤٣٩
تاریخ ٢٧ رجب ١٣٣١هـ/ ١ یولیو ١٩١٣م
- (١٢) عدد ٤٥-١٤٤٠
تاریخ ٢٨ رجب ١٣٣١هـ/ ٢ یولیو ١٩١٣م
- (١٣) عدد ٤٨-١٤٤٣
تاریخ ١ شعبان ١٣٣١هـ/ ٦ یولیو ١٩١٣م
- (١٤) عدد ٤٩-١٤٤٤
تاریخ ٣ شعبان ١٣٣١هـ/ ٧ یولیو ١٩١٣م
- (١٥) عدد ٥٠-١٤٤٥
تاریخ ٤ شعبان ١٣٣١هـ/ ٨ یولیو ١٩١٣م
- (١٦) عدد ٥١-١٤٤٦
تاریخ ٥ شعبان ١٣٣١هـ/ ٩ یولیو ١٩١٣م
- (١٧) عدد ٥٣-١٤٤٨
تاریخ ٧ شعبان ١٣٣١هـ/ ١١ یولیو ١٩١٣م
- (١٨) عدد ٥٦-١٤٥١
تاریخ ١١ شعبان ١٣٣١هـ/ ١٥ یولیو ١٩١٣م
- (١٩) عدد ٥٧-١٤٥٢
تاریخ ١٢ شعبان ١٣٣١هـ/ ١٦ یولیو ١٩١٣م
- (٢٠) عدد ٥٩-١٤٥٤
تاریخ ١٤ شعبان ١٣٣١هـ/ ١٨ یولیو ١٩١٣م

(٢١) عدد ٦٥-١٤٦٠

٢١ شعبان ١٣٣١هـ/ ٢٥ يوليو ١٩١٣م

(٢٢) عدد ٨٩-١٤٨٤

تاريخ ١٩ رمضان ١٣٣١هـ/ ٢٢ أغسطس ١٩١٣م

(٢٣) عدد ٩٤-١٤٨٩

تاريخ ٢٥ رمضان ١٣٣١هـ/ ٢٨ أغسطس ١٩١٣م

(٢٤) عدد ١٣٦-١٥٣١

تاريخ ٢٠ ذى القعدة ١٣٣١هـ/ ٢٠ أكتوبر ١٩١٣م

(د) جريدة الاهرام "القاهرة" :

(١) عدد ١٠٥٩٤ تاريخ ٧ يناير ١٩١٣م/ ٢٩ محرم ١٣٣١هـ

(٢) عدد ١٠٥٩٦ تاريخ ٩ يناير ١٩١٣م/ ١ صفر ١٣٣١هـ

(٣) عدد ١٠٦٠١ تاريخ ١٥ يناير ١٩١٣م/ ٧ صفر ١٣٣١هـ

(٤) عدد ١٠٦٠٣ تاريخ ١٧ يناير ١٩١٣م/ ٩ صفر ١٣٣١هـ

(٥) عدد ١٠٦١١ تاريخ ٢٧ يناير ١٩١٣م/ ١٩ صفر ١٣٣١هـ

(٦) عدد ١٠٦١٣ تاريخ ٢٩ يناير ١٩١٣م/ ٢١ صفر ١٣٣١هـ

(٧) عدد ١٠٦١٥ تاريخ ٣١ يناير ١٩١٣م/ ٢٣ صفر ١٣٣١هـ

(٨) عدد ١٠٦٢٦ تاريخ ١٣ فبراير ١٩١٣م/ ٧ ربيع الأول ١٣٣١هـ

(٩) عدد ١٠٧٥٤ تاريخ ١٦ يوليو ١٩١٣م/ ١٢ شعبان ١٣٣١هـ

(١٠) عدد ١٠٧٥٩ تاريخ ٢١ يوليو ١٩١٣م/ ١٧ شعبان ١٣٣١هـ

(١١) عدد ١٠٧٧١ تاريخ ٥ أغسطس ١٩١٣م/ ٣ رمضان ١٣٣١هـ

(١٢) عدد ١٠٧٧٤ تاريخ ٨ أغسطس ١٩١٣م/ ٦ رمضان ١٣٣١هـ

(١٣) عدد ١٠٧٧٦ تاريخ ١١ أغسطس ١٩١٣م/ ٩ رمضان ١٣٣١هـ

(١٤) عدد ١٠٧٧٨ تاريخ ١٣ أغسطس ١٩١٣م/ ١١ رمضان ١٣٣١هـ

(١٥) عدد تاريخ ٤ ابريل ١٩٨٩م/ ٢٨ شعبان ١٤٠٩هـ

(هـ) جريدة المقتبس "دمشق" :

- (١) عدد ٩٦٠ تاريخ ٢٧ شعبان ١٣٣٠هـ/ ١٠ أغسطس ١٩١٢م
- (٢) عدد ٩٧٠ تاريخ ٩ رمضان ١٣٣٠هـ/ ٢١ أغسطس ١٩١٢م
- (٣) عدد ٩٧٨ تاريخ ١٩ رمضان ١٣٣٠هـ/ ٣١ أغسطس ١٩١٢م
- (٤) عدد ٩٩٣ تاريخ ١٠ شوال ١٣٣٠هـ/ ٢١ سبتمبر ١٩١٢م
- (٥) عدد ١٠٠٩ تاريخ ٢٨ شوال ١٣٣٠هـ/ ٩ أكتوبر ١٩١٢م
- (٦) عدد ١٠١١ تاريخ ٢ ذى القعدة ١٣٣٠هـ/ ١٢ أكتوبر ١٩١٢م
- (٧) عدد ١٠١٢ تاريخ ٣ ذى القعدة ١٣٣٠هـ/ ١٣ أكتوبر ١٩١٢م
- (٨) عدد ١٠١٣ تاريخ ٤ ذى القعدة ١٣٣٠هـ/ ١٤ أكتوبر ١٩١٢م
- (٩) عدد ١٠١٤ تاريخ ٥ ذى القعدة ١٣٣٠هـ/ ١٥ أكتوبر ١٩١٢م
- (١٠) عدد ١٠٢٣ تاريخ ١٦ ذى القعدة ١٣٣٠هـ/ ٢٦ أكتوبر ١٩١٢م
- (١١) عدد ١٠٢٦ تاريخ ١٩ ذى القعدة ١٣٣٠هـ/ ٢٩ أكتوبر ١٩١٢م
- (١٢) عدد ١٠٢٩ تاريخ ٢٣ ذى القعدة ١٣٣٠هـ/ ٢ نوفمبر ١٩١٢م
- (١٣) عدد ١٠٤٧ تاريخ ١٧ ذى الحجة ١٣٣٠هـ/ ٢٦ نوفمبر ١٩١٢م
- (١٤) عدد ١٠٥٣ تاريخ ٢٤ ذى الحجة ١٣٣٠هـ/ ٣ ديسمبر ١٩١٢م
- (١٥) عدد ١٠٥٦ تاريخ ٢٨ ذى الحجة ١٣٣٠هـ/ ٧ ديسمبر ١٩١٢م
- (١٦) عدد ١٠٥٨ تاريخ ٣٠ ذى الحجة ١٣٣٠هـ/ ٩ ديسمبر ١٩١٢م

(و) جريدة المقطم "القاهرة" :

- (١) عدد ٦٩٢٠ تاريخ ٣ يناير ١٩١٢م/ ١٣ محرم ١٣٣٠هـ
- (٢) عدد ٦٩٢١ تاريخ ٤ يناير ١٩١٢م/ ١٤ محرم ١٣٣٠هـ
- (٣) عدد ٦٩٢٣ تاريخ ٨ يناير ١٩١٢م/ ١٨ محرم ١٣٣٠هـ
- (٤) عدد ٦٩٤١ تاريخ ٢٩ يناير ١٩١٢م/ ٩ صفر ١٣٣٠هـ
- (٥) عدد ٦٩٤٨ تاريخ ٦ فبراير ١٩١٢م/ ١٧ صفر ١٣٣٠هـ

- (٦) عدد ٦٩٦٦ تاريخ ٢٧ فبراير ١٩١٢م / ٩ ربيع الأول ١٣٣٠هـ
(٧) عدد ٦٩٧٤ تاريخ ٧ مارس ١٩١٢م / ١٨ ربيع الأول ١٣٣٠هـ
(٨) عدد ٦٩٧٥ تاريخ ٨ مارس ١٩١٢م / ١٩ ربيع الأول ١٣٣٠هـ
(٩) عدد ٦٩٨٠ تاريخ ١٤ مارس ١٩١٢م / ٢٥ ربيع الأول ١٣٣٠هـ
(١٠) عدد ٦٩٨٥ تاريخ ٢٠ مارس ١٩١٢م / ١ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ

(ز) جريدة طنين التركية "اسطنبول" :

- (١) عدد ١١٣١ تاريخ ٢٦ اكتوبر ١٩١١م / ٤ ذى القعدة ١٣٢٩هـ
(٢) عدد ١٢٩٩ تاريخ ١٣ ابريل ١٩١٢م / ٢٥ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ

شامنا : المراجع الأجنبية :

(أ) المؤلفات العثمانية :

(١) جلال نوري : تاريخ استقبال

ثلاثة أجزاء في مجلد واحد

استانبول ، يكي عثمانلى - مطبعة وكتبخانة

سى ، هجرى ١٣٣١ .

(٢) دستور - ترتيب ثانى

قوانين ونظامات ومعااهدات آيله عمومه عاىء

مقاولات وارادات سنفة محتوياتى - جلد ٥ ،

٤ ذى الحجة ١٣٣٠هـ / ١٣ ذى الحجة ١٣٣١هـ

عدلية نظارتى احصائيات ومدونات قانونية

مديرىتى معرفتيله ترتيب ايدلمشدر . در

سعات : مطبعة عامرة

١٣٣٢

(ب) المؤلفات التركية :

* فيروز اءمد : الاتحاد والترقى ١٩٠٨-١٩١٤م

ترجمه للتركية : نوران ياوز

(1) Ahmad , Feroz : Ittihat

ve

Terakki

1908-1914 .

Çeviren : Nuran Yavuz

Kaynak , Yayinlari , 1986 .

- (2) Bleda , Mithat Şükrü : * مدحت شكرى بلادا :
Imparatorlu Gun انهيار الامبراطورية
Çöküş ü
Remzikitabevi , Istanbul , 1979 .
- (3) Muhtar , Mahmud : * محمود مختار : حرب البلقان
Balkan
Harbi
Istanbul , 1979 .
- * وليام . م . سلوان : المعمل التاريخى - بلاد البلقان
ترجمه للتركية سibel أوزبودون
- (4) Sloane , William . M :
Birtarih Laboratuari
Balkanlar
Çeviren : Sibel Özbudun
Birinci Baski , Eylül , 1987 .

(ج) المؤلفات الانجليزية :

- (1) Davison , Roderic . H : Turkey ,
Ashort History
The Eothenpress, Walkington,
Beverley, England, 1981 .
- (2) Hoskins, Halford . L : The middle East
Problemarea in World politics
The Macmillan ,Campany, New York,
1957 .

- (3) Hurewitz, J.C. : Diplomacy in The
Near and Middle East
Adocumentary Record, 1535-1914, Vol . 1
New York, 1956 .
- (4) Hurewitz, J.C. : The Middle East and North Africa
in World Politics, Adocumentary Record
New Haven and London, Yale University
Press, 1979 .
- (5) Jelavich, Barbara : History of The Balkans
Twentieth Century
Volume . 2.
Cambridge University Press, 1983 .
- (6) Kedourie, Elie : England
and The
Middle East
The
Destruction of
The ottoman Empire,
1914-1921,
The Har Vester press, 1955 .
- (7) Kirk, George .E. : Ashort History of The Middle
East
from The Rise of Islam to Modern Times
Meth Ven & Co Ltd . 1954.

- (8) Marriott, J.A.R. : The Eastern Question,
An Historical study,
European Diplomacy,
Fourth Edition,
Oxford
At The Clarendon, press, 1969 .
- (9) Miller, William : The
Ottoman Empire,
and its Successors,
1801-1927 .
Frankcass & Co. Ltd .
1966.
- (10) Price, M. Philips : A history of Turkey
From Empire to Republic,
Second Edition, 1961 .
- (11) Stavrianos, L.S. : The Balkans, Since 1453 .
1958 .
Library of Congress Catalog, Card Number
58-7242 .
- (12) Şimşir, Bilâl, N. : "The Turks of Bulgaria and
the Immigration Question, PP.39-58"
In The Turkish Presence in Bulgaria,
Ankara, 1986.

(44A)

- (13) Taylor, A.J.P : The Struggle for mastery
in Europe
1848-1918,
Oxford,
At the Clarendon Press
1957 .

فهرس المحتويات

الصفحة	
١٢-٣	مقدمة : أهمية الموضوع والخطة
	<u>تمهيد</u> : العرب والدولة العثمانية قبيل حروب
٧١-١٣	البلقان
١٤	(أ) تصاعد خطر الغزو الأوربي في العالم العربي.
	(ب) عصر السلطان عبد الحميد الثاني :
٣٦	الخلل الداخلي ، الضغط الخارجي
٤٩	(ج) رد الفعل عند العرب : الإصلاح ، معناه
	(د) فترة الاختلاط : الاتحاد والترقي ، الاتحاد
٥٩	الاسلامى ، التقدم الاسلامى ، الاتحاد الطوراني
١٣٥-٧٢	<u>الفصل الأول</u> : الحرب الطرابلسية ١٩١١-١٩١٢م
	(أ) حكومة الاتحاد والترقي ومعاهدة لوزان
٧٣ ١٣٣٠هـ/١٩١٢م
٩٤	(ب) دفاع العرب عن الدولة والخلافة
	(ج) مدى حرب طرابلس في ولايات الدولة العثمانية
١٠٨ في البلقان
١٢١	(د) حزب اللامركزية الادارية العثمانى
٢٠٣-١٣٦	<u>الفصل الثانى</u> : حروب البلقان
	(أ) نشاط الدول الأوربية ضد الدولة العثمانية
١٣٧ في ولاياتها البلقانية
	(ب) حرب البلقان الاولى : مقدماتها ، معاهدة
١٥٥ لندن ١٣٣١هـ/١٩١٣م

الصفحة

(ج)	العرب واللامركزية ، وسلامة الدولة فى	
١٧٧	المشرق العربى	
(د)	حرب البلقان الثانية ، معاهدة بوخارست	
	١٣٣١هـ/١٩١٣م ، فقد الدولة الجزء الاكبر	
	من اقاليمها الاوربية ، تغير بنية الدولة	
١٩٢	الاكثرية العربية	
	<u>الفصل الثالث : ردود الفعل المباشرة</u>	
٢٦٥-٢٠٤	لحروب البلقان	
٢٠٥	(ا) جمعية بيروت ، برنامجها	
	(ب) جمعية العربية الفتاة ، باريس ، بيروت	
٢٢١	دعوتها لمؤتمر باريس	
	(ج) مؤتمر باريس ١٣٣١هـ/١٩١٣م ، اجتماعاته	
٢٣١	برنامجها ، قراراته	
٢٤٧	(د) حركة البصرة	
	(هـ) تزايد اخطار التمزق الداخلى فى الدولة	
٢٥٦	والانشطة المناوئة للدولة الاسلامية	
٣٢٥-٢٦٦	<u>الفصل الرابع : موقف بريطانيا</u>	
	(ا) بريطانيا والساحل الشرقى والجنوبى	
٢٦٧	للجزيرة العربية	
٢٨١	(ب) سياسة بريطانيا نحو الخليج العربى	
٢٩٤	(ج) المعاهدة الانجليزية العثمانية ١٣٣١هـ/١٩١٣م	
	(د) سياسة بريطانيا لضعاف دولة الخلافة ،	
٣١٠	اطماعها فى البصرة	

المفحة

الفصل الخامس : الحركة العربية عند قيام

٣٩٩-٣٢٦ الحرب العالمية الاولى
٣٢٧	(أ) نشر قانون الولايات = المركزية
٣٤٢	(ب) اشتداد المعارضة العربية للمركزية والتتريك
٣٥٢	(ج) الدعوة لمؤتمر الجزيرة العربية
٣٦٠	(د) ضم الاحساء ، وقيام سلطنة نجد وتوابعها ...
٣٧٦	(هـ) أثر موقف سلطنة نجد بالنسبة للمشرق العربى.
	(و) قيام الحرب العالمية الاولى ،
٣٨٧ تغير ميزان القوى
٤٣٤-٤٠٠ الخاتمة والنتائج
٤٤٩-٤٣٥ الملاحق
٤٩٨-٤٥٠ ثبت الوثائق والمصادر والمراجع
٥٠١-٤٩٩ فهرس المحتويات